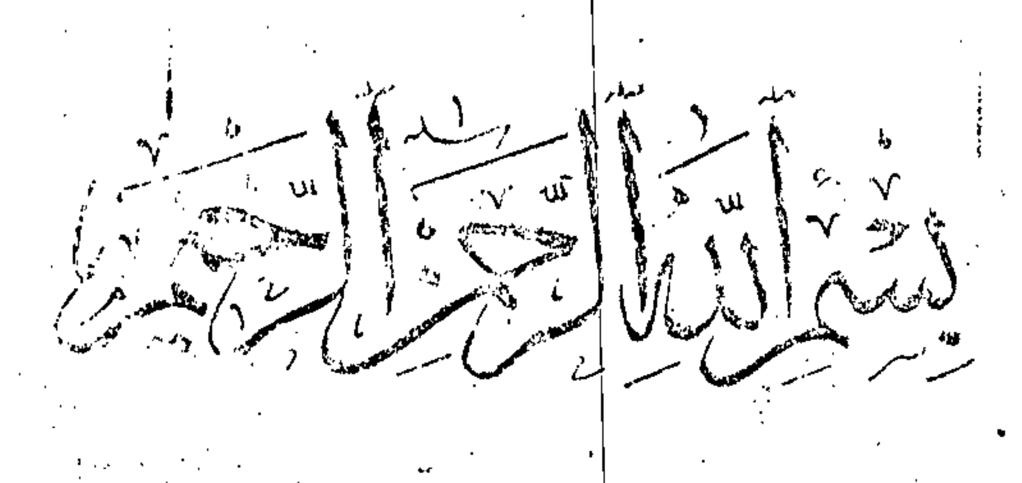
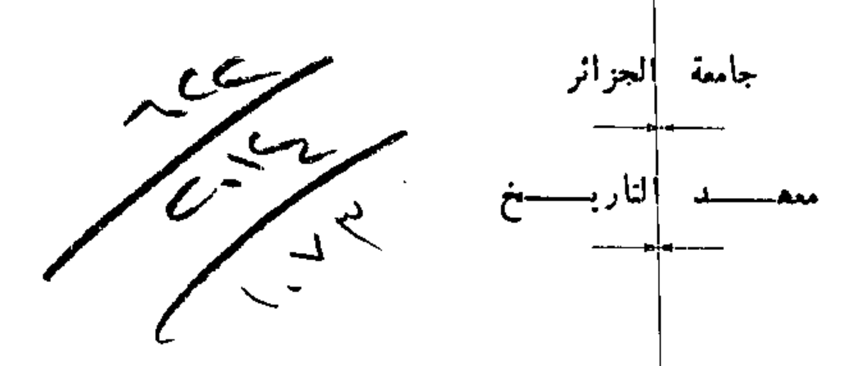

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة الجزائر

معهد التاريخ

العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية ما بين 1017 و 1154 م

رسالة ماجستير في تاريخ العصور الوسطى

يقدمها

الطالب : رشيد تومي

لمعهد التاريخ بجامعة الجزائر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

موسى لقبال

أستاذ التاريخ الاسلامي والعصور الوسطى بجامعة الجزائر

السنة الجامعية 1987 - 1988 م

شكـــر وعرفــــان

لا يفوتني في هذا المقام الآ أن أنوّه بالمجهودات التي بذلها الأستاذ المشرف الدكتور موسى لقبال أثناء انجازي لهذا البحث واليه يعود الفضل في صدوره على هذا الشكل ،وعليه فاني أعبّر لـــه عن عرفاني الخالص بهذا الفضل وأشكره عليه شكرا جزيلا ، والله يوفي كل نفس ما عملت وهو خير الحاكمين .

المقدمة

أولا : المقدمـــة :

يعتبر موضوع العلاقات الخارجيـــة لدولة النورمان في جنوب ايطاليا وصقليـــة خلال القرنيـــن الحادي عشر والثاني عشر الميلاديـــــن من الموضوعات ذات الأهمية البالغـــة في تاريخ العصـور الوسطـــى الأوربية ، وتنحصـــر أهمية هـــذا الموضـوع فـي أنـه يكشـف لنـــا عن احـدى الصفحـات المجيدة لتاريخ النورمـان ودورهـم في اثـــراء التـــراث الانساني الزاخـر من جهـــة كما يبـــرز من جهة أخـرى الآثـــار العميقـــة لهـــذه العلاقـات على الساحـة الأوربيـــة وعالم البحـــر الأبيض المتوســـط غربـا وشرقـــا على الســـواء .

ان ظهـــور عنصـــر النورمـان الذي ينتمـي أصـلا الى شبـه جزيـــرة اسكندناوه على الساحـــة الايطاليـــة حـدث فاصـل في تاريخ أوربـــا في العصـور الوسطـــى ذلـك أن هـذا العنصـر لم يلبـث بقيـادة أسـرة هـــو تفيـل ان ملـك أجـــزاء من جنـوب ايطاليـا وجزيـــرة صقليـــــة مستغـــلا الظـروف الحاسمـة والمضطربـــة التـي كان يمـرّ بها العالمـــان الاسلامـي والمسيحي في القـرن الحـادي عشـر الميلادي ، ففـي الشـرق كانت الدولـــة البيزنطيـة تعانـي تفككـــا واضطـرابا رهيبيـن في المجـالات العسكريـــة والسياسيـــة والاقتصـادية فـي حيـن غـدت الساحة الايطاليـــة مرتعـــا خصيبـا للصـــراع بين البابويـــة والأمبراطوريـــة الرومانيـــة المقدّســة من جهـــة وبيـن الأمـراء المحليين والدولـــة البيزنطيـــة من جهـــة أخـرى وأمـا جزيـرة صقليـــة فكانت مجـالا واسعا لا نتعـــاش النزاعـات العصبيـــة والخـــلافات الدّمويـــة بيـــن مختلـف أمرائهـــا المسلميـــن وتحـولت الجزيـرة بسببهـــا الـى ميـدان مفعـــم بالقلاقـــل والاضطـــرابات .

وقد استطاع النورمان تأسيس أعظم مملكة في أوربا الغربية قوة وسلطانا وأحسنها حضارة وتقدما لها علاقات مع أهم دول البحر الأبيض المتوسط وانعكست هذه القوة انعكاسا كاملا على السياسة الخارجية للمملكة والتي أولاها حكام النورمان كل الاهتمام والعناية فأقاموها على أساس العدوان والتوسع ضاربين صفحا جميع الأعراف الدولية السائدة في العصور الوسطى واضحت علاقاتهم الخارجية ظاهرة بارزة في العصور الوسطى لما أحدثته من تقلبات سياسية كان لها أكبر الأثر على الأمن والاستقرار في الساحة الافريقية من جهة والأوربية شرقا وغربا من جهة أخرى .

في الواقع يعود اهتمامي بدراسة تاريخ أوربا في العصور الوسطى الى مرحلة تحضيري لشهادة الليسانس في التاريخ لما كان لهذه الفترة التاريخية من دور حضاري ملحوظ في مختلف مجالات الحياة شكل القاعدة الأساسية للانبعاث الفكري والاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته أوربا في العصور الحديثة وهذا بالرغم مما ألصقت بهذه الحقبة التاريخية الهامة من سمات سلبية مثل التدهور الفكري والجمود الاقتصادي والانحطاط الاجتماعي ، لكن هناك ثلاثة أسباب موضوعية دفعت بي الى اختيار موضوع العلاقات الخارجية لدولة النورمان والتخصص في حقل تاريخ أوربا في العصور الوسطى والسير في البحث عن مكوناته .

أولها ، عدم عثوري على دراسة اسلامية شاملة لهذا الموضوع حتى تمثل وجهة نظر المسلمين منه كذلك ما تميزت به الدراسات الأوربية حول هذا الموضوع من اختصار وعدم التكامل بين مختلف أجزائه .

و ثانيهما قلة الدراسات العلمية الكاملة في المغرب العربي التي تتناول تاريخ هذه الحقبة التاريخية مما أدى الى فقر في المكتبة المغربية و الى الحاجة الى نوع من هذه الدراسات الضرورية للكشف عن مدى مساهمة غيرنا في تشييد التراث الانساني الحضاري علمة. و قد رأيت بهذه الدراسة أن أساهم في اثراء المكتبة العربية آملا في أن تضاف اليها بحوث أخرى في مستقبل الأيام.

- و ثالثها انعدام الاطار الجزائري المتخصص في هذه الحقبة من تاريخ أوربا الأمر الذي أدى الى جلب الكفاءات الأجنبية لسد ثغرة هامة في برنامج تدريس التاريخ في الجامعة. و لاشك أن اقبالي على هذه الدراسة وما ينجز عنها من تكوين منهجي لي سيؤدي بي لامحالة الى المساهمة في تمكين جامعتنا من الاستغناء جزئيا عن استقدام الاطار الأجنبي المتخصص في تاريخ أوربا في العصور الوسطى.

و قد أعطيت لهذا البحث عنوان " العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب ايطاليا و صقلية مابين 1017 و 1154م. " و يتكون هيكله من مقدمة و خمسة فصول و خاتمة (الفيكتح)

يحمل الفصل الأول عنوان " أسس قيام دولة النورمان بجنوب ايطاليا و صقلية " تناولت فيه الخصائص الطبيعية و البشرية و الحضارية لشبه جزيرة اسكندناوه باعتبارها خزانا بشريا هائلا و نقطة انطلاق لهجرة النورمان صوب الجنوب. و درست فيه حركة توسع النورمان في أوربا أي في المناطق الواقعة جنوب مواطنهم. وما نتج عنها من قيام ممالك نورمانية كبرى كان لها دور بارز في تشييد حضارة أوربا في العصور الوسطى ثم عالجت بشيء من التفصيل مسألة قيام دولة النورمان في جنوب ايطاليا و صقلية بعد أن خاض النورمان مشاكل متعددة الجوانب و أخيرا

كشفت عن نشاطهم الحضاري بهذه المنطقة وما نالته ممالكتهم بفضله من رقي وازدهار هائلين وركّزت في هذا المضمار على مدى اعجاب حكام النورمان بمظاهر الحضارة العربية الاسلامية وتأثرهم بها حتى غدا الطابع العربي الاسلامي من المميزات التي تميّزت بها حضارة النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية .

وفي الفصل الثاني الذي أعطيته عنوان ((النورمان والبابوية)) فقد أوضحت فيه طبيعة الصلات التي قامت بين النورمان والبابوية والتي تميّزت بالتقلب وعدم الاستقرار في أغلب أوقاتها مشيرا الى مدى استغلال كل واحد من الطرفين ـ النورماني والبابوي ـ لهذه العلاقات لتحقيق مآربه . وفيه أبرزت كذلك دور النورمان في الصراع بين البابوية والامبراطورية الرومانية المقدسة والذي كان حاسما لصالح البابوية . وقد ركزت على العلاقة بين البابوية والملك روجر الثاني والتي بلغت أوجها في التأزم والتدهور . وتعتبر هذه المرحلة حاسمة بالنسبة للنورمان حيث كرّس الملك روجر فيها استقلاله عن البابوية ، وذلك باعلان نفسه ملكا غاضا الطرف عن حق البابوية التقليدي في هذا الأمر مما أدى الى تفاقم الصراع بينهما .

وأما الفصل الثالث وعنوانه ((النورمان وبيزنطة)) فقد ألقيت فيه الأضواء على تطلعات النورمان التوسعية على حساب الامبراطورية البيزنطية فيما وراء بحر الادرياتي منذ عهد القائد روسل بابيل حتى عهد الملك روجر الثاني وكذلك على جهود الأباطرة البيزنطيين الجبّارة لاحباط هذه الأطماع وعالجت بالتفصيل أصول المسألة الانطاكية وأثرها في تعقيد العلاقة بين بيزنطة وأمراء النورمان الورثة الشرعيين في انطاكية ثم واصلت دراسة هذه المسألة أثناء الوصاية الفرنسية على عرش انطاكية حيث تمكن الامبراطوران البيزنطيان يوحنا وابنه مانويل من ترجيح كفة القضية لصالحهما وركّزت كذلك على دراسة ظاهرة الصراع بين الملك روجر الثاني

والامبراطور مانويل والذي يعتبر صفحة هامة في تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب لما أحدثه هذا الصراع من هول عسكري واضطراب سياسي في القارة الأوربية بأكملها .

وبحثت في الفصل الرابع الذي يحمل عنوان ((النورمان والقوى السياسية بالشرق الاسلامي)) وهو موضوع مشاركة العنصر النورماني في الحملة الصليبية الأولى ودوره الحاسم في الصراع بين القوى الاسلامية والصليبية في آسيا الصغرى وفيه عالجت كذلك موضوع النشاط الحربي للبيت النورماني في بلاد الشام والذي أدى الى تأسيس امارة نورمانية خالصة في انطاكية موضحا مساهمتها الرائدة في سياسة المواجهة بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام وأخيرا أشرت الى دور امارة انطاكية في هذه المواجهة أثناء الوصاية الفرنسية عليها والذي يعتبر بارزا وفعالا .

واقتصر الفصل الخامس وعنوانه ((النورمان والزيريون في المغرب الاسلامي)) على دراسة وافية لموضوع العلاقة بين الكونت روجر الأول وابنه الملك روجر الثاني . وحكام افريقية الزيريين . وقد عالجت بالتفصيل سياسة الملك روجر الثاني التوسعية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والتي تعتبر في الواقع امتدادا لسياسته التوسعية الأوربية وأبرزت جميع حملاته على شواطيء افريقية والتي انتهت ببسط نفوذه على أغلب مدنها الساحلية الهامة مثل المهدية وبونه وسوسة وطرابلس موضحا السياسة المحكمة التي انتهجها لادارة هذه المستعمرات النورمانية وأشرت كذلك الى ضعف حكام الزيريين والمشاكل الاقتصادية التي قاستها افريقية وهما العاملان الأساسيان اللذان يسرا للملك روجر الثاني سبل النجاح في هذه المنطقة الحساسة من العالم الاسلامي .

وأمـا الخاتمـة فقد ألقيت فيها الأضواء على بعض الملحوظات البارزة التي أمكن استخلاصها من قراءة الموضوع ككل وأنهيت البحث بوضع عدد من الملاحق والخرائط المتعلقة به ٠

هذا ولقد حرصت ، جهد الطاقة ، على عدم التكرار الذي تفرضه عادة طبيعة هذا الموضوع وبخاصة في الفصلين الثالث والرابع ، كما أشير الى أنني عمدت الى تقديم التاريخ الهجري على الميلادي في الفصلين الرابع والخامس لعلاقتهما الوثيقة بالتاريخ الاسلامي ٠ واخيرا اعتذر عما قد تسرب من أخطاء في هذا الموضوع وما يظهر فيه من جوانب النقص والخلل ٠

ثانيا : عرض لأهم مصادر البحث :

اقتضت مني دراسة هذا البحث استخدام أربع مجموعات رئيسية من المصادر وهي : أ) المصادر اللاتينية ٠ ج) المصادر الارمينية ٠
ب) المصادر اليونانية ٠ د) المصادر العربية ٠

أ) المصادر اللاتينية : تنقسم المصادر اللاتينية الى نوعين أساسيين ، يتناول الاول تاريخ الشرق الاسلامي والاوربي ابان الحروب الصليبية ٠ واما النوع الثاني فيعالج الاحداث الخاصة بتاريخ غرب اوربا في العصور الوسطى ٠

اذكر من بين المصادر اللاتينية الهامة المتعلقة بتاريخ الساحة الشرقية كتاب لمؤرخ مجهول الذي قام بترجمته الى العربية الدكتور حسن حبشي وعنوانه : " اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس "(*)، ويغطي هذا الكتاب المرحلة الممتدة من عام 1095 حتى اواخر عام 1099م(**)٠ وكان المؤرخ المجهول يرافق الفرق العسكرية النورمانية وهو بذلك يمثل وجهة نظر النورمان في احداث الحملة الصليبية الاولى ، وتتميز كتاباته بالتحيز الشديد لسيده بوهمند وابن اخته تانكريد ومع ذلك يعتبر مؤلفه مصدرا ذا أهمية بالغة اذ أفادنا

(*) Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum, القاهرة، 1958 ٠

(**) وقعة عسقلان ٠

بدقة كبيرة عن سير الحملة الصليبية الأولى ودور النورمان العسكري فيها وتنحصر قيمة هذا الكتاب في صحة رواياته ويتجلى ذلك في أن معظم الكتاب الذين دوّنوا تاريخ هذه الفترة رجعوا اليه بل نقل بعضهم عنه نقلا حرفيا .

ويأتي بعده في الأهمية المؤرخ وليم الصوري Guillaume de Tyr وهو من أبرز المؤرخين في القرن الثاني عشر كان مولده ببيت المقدس عام 1130م تلقى به تعليمه الأول ثم تحول الى غرب أوربا لاستكمال دراسته فنال حظا وافرا من العلم كما شهد له بمعرفته الكاملة لعدة لغات ولما عاد الى بيت المقدس عين شماسا ثم رئيسا للشماسة بصور Tyr وفي عام 1170م اسندت اليه مهمة تربية بلدوين الرابع Bandouin IV وعند تولية هذا الأخير عرش بيت المقدس صار وليم مستشارا له ورئيسا لاسقافة صور Tyr (1174 ـ 1175 م) واشتهر وليم بالاتزان الفكري والكفاءة السياسية الكبيرة وبالدراية الواسعة بتاريخ أخبار الدول الاسلامية مما جعل املريك(+) يطلب منه تأليف كتاب عن الحروب الصليبية . لقد ألف وليم هذا الكتاب في فترات مختلفة تتراوح مابين سنة 1170 و 1183م أعطاه عنوان ((تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر)) Historia rerum in partitous transmarimis Gestarum[1] تناول فيه تاريخ مملكة بيت المقدس منذ أن سقطت بيد قادة الحملة الصليبية الأولى حتى قبيل استعادتها على يد صلاح الدين الأيوبي عام 1187م . ومصادره على قسمين ، القسم الأول يتمثل في كتب المؤرخين السالفين دون أن يتقيد بمبدأ

---

1) ـ ترجمة Guizot François-Pierre-Guillaume ويتألف من أربعة أجزاء وهو ضمن: Coll. des mémoires relatifs à l'histoire de France depuis la fondation de la monarchie française jusqu'au 13e Siècle, Paris, 1824.

* AMALRIC I او عموري AMAURY ملك بيت المقدس 1163 ـ 1174م .

النقد مثل كتاب أعمال الفرنجة و كتاب فولشر Foulcher وكتاب البرت دايكس Albert d'Aix وأما القسم الثاني، فهو من ابتكاره الخاص اذ صنّفه بناء على ما شاهده من أحداث ووقائع وعلى ما وقع بين يديه من وثائق مملكة بيت المقدس، ولا شك أن هذا الكتاب يعد من المصادر الأصلية والأساسية بالنسبة لجزء هام من موضوعنا اذ أطلعنى بشكل وافي على ظاهرة الصراع بين المسلمين والصليبيين ودور أمراء البيت النورماني بأنطاكية في هذا الصراع كما سلط الأضواء الكاشفة على المسألة الانطاكية وكانت رواياته في هذا المضمار أكثر الروايات غزارة وتفصيلا ووضوحا لكن ما يلاحظ عن وليم من خلال كتاباته أنه يظهر تعصبا ضد الأباطرة البيزنطيين ماعدا مانويل لما أبداه من ود وعطف تجاه اللاتين هذا فضلا عن اعتماده للقصص الخرافية والأسطورية وكذلك عدم اهتمامه بالترتيب الزمني الصحيح للأحداث . ومع ذلك فقد تميّز بالموضوعية والعلمية النسبيتين وتميزت معلوماته بغزارة فائقة وبالصدق والدقة في معظم الأحيان .

واعتمدت كذلك على كتاب المؤرخ فولشر الشارتري Foulcher de Chartres المعروف ((بأعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس) Gesta Francorum Jherusalem perigrinantium ولد فولشر عام 1059م بمدينة شارتر بفرنسا . يعتبر من شهود عيان الحملة الصليبية الأولى اذ سار بمعية جيش روبرت النورماني الا أنه لم يلبث في أكتوبر عام 1097م ان انضوى تحت لواء بلدوين دوق اللورين . وعاصر تأسيس هذا الأخير امارة الرها الصليبية . اشتمل كتابه على أحداث تاريخ الحملة الصليبية الأولى

---

1) ـ ترجمة (F. P. G) ضمن: Guizot Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris, 1825.

و ماترتب عنها من تثبيت أسس القوى الصليبية ببلاد الشام و واصل فولشر دراسته للأحداث الى عام 1127 م . و بالتالي تعد دراسته تكملة طبيعية لتاريخ المؤلف المجهول .

و عرف مؤلفه بما احتوى عليه من معلومات خاصة بالجغرافية و علم الحيوان و التاريخ المقدس ولم يدون فولشر سوى الأحداث التي شاهدها بنفسه أو تلك التي رواها له شهود عيان أو التي جمعها من مصادر موثوق بها . و اذا قارنا مؤلف فولشر بكتاب وليم الصوري نلاحظ أنه كثير الاختصار و لكنه جسم الفوائد و بالغ الأهمية التزم فولشر في عرضه للأحداث بالموضوعية و الأمانة . و قد أفادنا بجهود بوهمند في بناء امارة انطاكية و كذلك بمقدمات المسألة الأنطاكية متجاهلا جميع حقوق بيزنطة في هذه الامارة و ترجع أهمية كتاب فولشر الى كون صاحبه اشترك في عدة معارك ضد السلاجقة فهو يمدنا بصورة ساطعة على أحوال الصليبيين وحملاتهم ضد السلاجقة مما جعله مصدر ثقة في تاريخ تلك الفترة . و أثبتت البحوث التاريخية أن فولشر أبدى أثناء تأليفه لكتابه وعيا لا بأس به و فهما دقيقا للموضوعات التي تناولها و الجدير بالذكر أن كتابه كان مصدرا لكثير من المؤرخين اللاتين و من بينهم وليم الصوري .

و من المصادر ذات الأهمية البالغة مؤلف راوول دي كان Raoul de Caen و هو معاصر للأمير النورماني تانكريد ابن أخت بوهمند ، ولد بمدينة كان Caen غرب فرنسا و مضى الى الشرق عام 1107م حيث دخل في خدمة سيده تانكريد و بعد عام 1112م انكب على تأليف كتابه المسمى ((أعمال تانكريد)) "Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana." [1] و اعتمد في انجازه على ما رواه له تانكريد من حكايات

---

1) ـ ترجمة (F. P. G.) Guizot ضمن : Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris, I825.

خاصة بنشاطاته خلال الحملة الصليبية الأولى . ويتناول هذا الكتاب تاريخ الحملة الصليبية الأولى حتى عام 1105م . استخدم راوول أسلوب الشعر والنثر في ذات الدين . ومانلحظه من خلال سرده للأحداث هو البغض الشديد الذي يضمره لكل من الامبراطور البيزنطي الكسيوس والأمير ريموند الصنجيلي لماكانت بين تانكريد وهذين السيدين من علاقات جد سيئة وكذلك مبالغته في تعظيم الدور البطولي الذي لعبه تانكريد أثناء الحملة الصليبية الأولى .

وثمة مؤرخ آخر هو روبرت الراهب Robert le Moine (1) صاحب كتاب ((تاريخ بيت المقدس)) ((Historia Jherosolimitana)) كان رهبنا بدير القديس ريمي Saint-Remi في ريمس Reims بفرنسا 1094م أصبح رئيسا لهذا الدير . وفي سنتي 1096-97م صدر في حقه قرار الحرمان فتوجه الى دير سنوك Senuc في مارموتييه Marmoutier بفرنسا حيث أنهى به بقية أيام حياته . وبهذا الدير دوّن كتابه وان كانت مسألة ذهابه الى بيت المقدس تبقى محل جدال وتحتاج الى الدراسة والتحري . يتناول هذا الكتاب أحداث الحملة الصليبية من مؤتمر كليرمونت فيران الى موقعة عسقلان . كان هدف روبرت من تأليف الكتاب هو تكملة كتاب المؤرخ المجهول ولكن بأسلوب أكثر رفعة وجمالا . ويشبه كتاب روبرت الى حد بعيد كتاب المؤرخ المجهول غير أن مؤلف روبرت يتضمن بعض التفاصيل لم ترد في كتاب أعمال الفرنجة وينبغي أن نضيف الى هؤلاء المؤرخين الكاتب البرت دايكس Albert d'Aix مؤرخ حملة جود فري دوق اللورين السفلى ينتمي البيرت الى مدينة اكس لاشابيل Aix la Chapelle الألمانية وليس الى اكس البروفانسلية الواقعة بجنوب فرنسا . كان رجل كنيسة أسندت اليه أمانة خزينة مدينة اكس ألف كتابا أسماه

---

1) ــ ترجمة (F.P.G.) Guizot ضمن : Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris, 1825.

((تاريخ بيت المقدس)) . Historia Hierosolymitona[1] في حوالي عام 1130 م ومن المعروف أن البمرت لم تتسن له زيارة الشرق وبالتالي لم يكن شاهد عيان للأحداث التي تناولها . وقد اعتمد في تسجيلها على ما أخذه عن الرواة المشاركين في الحملة الصليبية الأولى وعلى المصادر الموثوق بها وبعض المراسلات والمراسيم المتعلقة بهذه الحملة ولا شك أن كتاب البمرت يعد من المصادر الأساسية التي تناولت الحملة الصليبية الأولى اذ أمدنا بمعلومات عامة عن الحملة الشعبية التي قادها بطرس الناسك محاولا التهم السيئة والشنيعة التي الصقت بها كما يكشف لنا عن علاقات الصليبيين بالبيزنطيين من جهة والصراع بين الصليبيين والمسلمين والسلاجقة من جهة أخرى مبرزا دور أمراء عائلة هوتفيل في هذا المجال وقد أورد لنا بتفصيل شديد قصة وقوع بوهمند في قبضة الدانشمند واطلاق سراحه وما تم بينهما من اتفاق وتفاهم . وعلى العموم اشتمل كتاب البمرت على كثير من التفاصيل والبيانات قلما نعثر عليها لدى غيره الا أنها تميزت بعدم الترابط مع افتقارها الى التحديد الزمني لها لكن ما يسجل لالبمرت أنه لم يتحامل على الدولة البيزنطية بل كان كثير الاشادة بالخدمات التي نالها الصليبيون منها خلال عبورهم لآسيا الصغرى وهذا على عكس مؤرخي الحملة الصليبية الآخرين الذين تناولوا العنصر الاغريقي بالقدح الشديد واللوم الشنيع .

وأما المصادر اللاتينية التي تناولت تاريخ غرب أوربا في العصور الوسطى وبالأخص ما يتعلق بتاريخ دولة النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية فهي متنوعة ، أذكر في مقدمتها كتاب المؤرخ رموالد السالرني Romuald de Salerne ، يعتبر رموالد من أهم المؤرخين الذين أرخوا لتاريخ الفترة النورمانية في ايطاليا .ينتمي الى عائلة عريقة

---

1) ـ ترجمة (F.P.G.) Guizot ويتألف من جزئين ضمن :
Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris I824.

مما كتبه عن تاريخ النورمان بعد وفاة الملك روجر الثاني علما بأنه لعب دورا كبيرا في سياسة المملكة مما جعله يمثل اتجاها سياسيا متميزا ·

ثم يأتي كتاب المؤرخ ايمي دى مونت كاسينو Aimé du Mont Cassin وكل ما نعرفه عن ايمي انه قضى معظم حياته في دير مونت كاسينو · كان اسقفا وراهبا بهذا الدير ، ألف كتابا ما بين سنتي 1075 و 1080م بعنوان تاريخ النورمان Ystoire deli Normant وهو من ثمانية أجزاء تمت ترجمته الى الفرنسية القديمة في نهاية القرن الثالث عشر او بداية القرن الرابع عشر الميلاديين · والواقع اني لم أعثر على هذا الكتاب ولكن عمدت الى اقتباس النصوص المدوّنة باللغة الفرنسية القديمة من كتابي : Saint Grégoire لدلارك Delarc و Histoire de la domination Normande لشالندن Chalondon · وعلى حد قول شالندن فان ايمي لا يحترم التسلسل الزمني للأحداث كما أن هذه الاحداث تتميز بالخلط وعدم التنظيم وايمي يركز دراسته خاصة على الزعيمين النورمانيين هما جسكارد Guiscard وريتشارد دى كابوا Richard de Capoue .

ولا شك ان لكتاب ايمي قيمة تاريخية كبيرة لكونه عاصر الأحداث التي أرخ عنها · وقد أفادني في معرفة العلاقة بين الاميرين النورمانيين جسكارد وريتشارد دى كابوا والبابوات ليو التاسع واسكندر الثاني وجريجورى السابع ·

واعتمدت كذلك على كتاب المورخ مالاتيرا Geoffroi Malaterra المسمى ((تاريخ صقلية Histo ria Sicula)) (1) والذى تنتهي أحداثه عند عام 1099م ، ويبدو أن مالاتيرا وفد من نورمنديا الى ابوليا حيث قضى بها حينا من الدهر ثم تحول الى جزيرة صقلية ، ألف هذا الكتاب بناء على طلب الكونت روجر الذى أراد أن يسجل مآثره ·

---

(1) ضمن مجموعة : Muratori (L. A.): Rerum Italicarum Scriptore, tome V, 1ère partie, Decembre I925-Mai I928.

واعتمد مالاتيرا أساساً في تدوين هذا الكتاب على ما رواه له الكونت روجر وجنود النورمان الذين شاركوا في الحملات ضد صقلية من روايات، ويتمحور أساسا محتوى هذا الكتاب الذي جاءت بعض أجزائه بالشعر حول نشاطات الكونت روجر العسكرية في صقلية وافريقية مشيرا الى الأخبار المتعلقة بحملة جسكارد على أراضي الامبراطورية البيزنطية في الشرق.

وقد أمدني بمعلومات قيمة عن بعض نشاطات النورمان العسكرية في ايطاليا الجنوبية كما اطلعني على جانب من علاقة النورمان مع البابا ليو التاسع، ولعل موضع النقد الذي يؤخذ على مالاتيرا هو أنه بالغ في تقريظ الكونت روجر وفي تنظيم قوة جنوده الذين جعل منهم رجالا لا يردون ولا يقهرون رغم قلة عددهم.

وهناك أيضا المؤرخ وليم الابولي Guillaume de Pouille الذي ألف كتابا بعنوان ((أعمال روبرت جسكارد)) Gesta Roberti Wiscardi[1]. انجز هذا المؤلف بناء على طلب البابا اوربان الثاني، واهداه الى الكونت روجر، وتبدأ أحداث هذا الكتاب تقريبا عام ١٠٥٠م لتنتهي قبل عام ١١١١م. وينقسم مؤلف وليم الى خمسة أقسام جرت كتابتها بالشعر وبأسلوب سليم، لقد أفادني هذا المؤلف في الاطلاع على بعض الأحداث التي شهدتها ابوليا أيام القائد جسكارد.

واعتمدت كذلك على كتاب المؤرخ فالكون البينفتي Falcon de Bénévent وفالكون ينتمي ربما الى أسرة من بينفنتو اشتغل كاتبا وموثقا لدى قصر امير بينفنتو، ثم عين قاضيا على هذه المدينة عام ١١٣٣م وضع فالكون مصنفه المسمى الحوليات Chronicon de Relris actate sua gestis (2) في وقت متأخر اذ يبدو أن جزءا منه دوّنه بعد وفاة الملك روجر الثاني. وقد اتخذ لانجازه طريقة الحوليات

---

(1) ضمن: Recueil des historiens de Gaule, tome 11, Paris, 1876;
وكذلك ضمن كتاب دلارك عنوانه: Delarc: St Grégoire VII et la reforme de l'Eglise au XIe Siècle, paris, 1889.

(2) ضمن: Migne: Patrologie patrum latinoror, tome 173, Paris, 1854.

أي تسجيل الأحداث حسب تسلسلها الزمني و تبدأ هذه الحوليات عام 1102 م و تنتهي عام 1139 م .

ويعتبر مؤلف فالكون أكثر المصادر التي استعنت بها استيفاء لتاريخ العلاقة النورمانية البابوية أيام الملك روجر الثاني . لقد أمدني فالكون بحقائق على جانب كبير من الأهمية عن علاقة الملك روجر الثاني مع البابا هونوريوس و أناكليت ، وعن الأزمة التي دبت بين الملك روجر الثاني و البابا انوسنت الثاني ، كما أطلعني بشكل واضح على حملة الامبراطور الألماني لوثر الى ايطاليا الجنوبية عام 1137 م وزودني كذلك بتفاصيل هامة عن تفاقم الصراع بين الملك روجر الثاني و انوسنت الثاني بعد مغادرة الامبراطور الألماني لوثر لأرض ايطاليا الجنوبية ، وكذلك على الصلح الذي انعقد بينهما في النهاية .

و الواقع أن ما نلاحظه عن فالكون أنه كثير الدراية و العلم بأحداث أبوليا ذلك أنه أشار بدقة كبيرة الى كل ماله علاقة بأحوال مدينة بينفنتو السياسية و الدينية و الحضارية ، في حين أهمل تقريبا كل الاهمال ما يتصل بتاريخ قلورية و صقلية من أحداث و وقائع .

و الواقع أن قيمة هذا المؤلف تنحصر في أن صاحبه كان شاهد عيان للأحداث التي أرخ عنها و صاحب مسؤولية في ادارة مدينة بنيفنتو ولأنه يعتبر المصدر الوحيد الذي يوجد بين أيدينا و الذي يمثل الاتجاه المحلي المعادي للنورمان و هذا على عكس معظم المؤرخين اللاتين الذين قد تناولوا العنصر النورماني بالمدح و التمجيد الشديدين .

و ينبغي الاشارة الى كتاب تاريخ الكنيسة (Historia ecclesiastica)(1) للمؤرخ اردريك فيتال Orderic Vital . وقد ولد اردريك فيتال

---

1) — ترجمة Guizot François Pierre Guillaume و يتألف من أربعة أجزاء وهو ضمن :
Coll. des memoires relatifs à l'histoire de France.
Paris, tome 1 (1825), tome 2 (1825), tome 3 (1826), tome 4 (1827).

في انكلترا في 15 فبراير عام 1075م وانتقل الى نورمنديا حيث أقام بها الى أن توفي في عام 1141 أو 1142م . والواقع أن كتابه هذا لم يتناول تاريخ الكنيسة فحسب وانما أشار الى كثير من الأحداث السياسية التي جدّت في الشرق والغرب على السواء ولا شك أن هذا الكتاب يحتل مكانة بارزة ضمن مصادر هذا البحث اذ أفادني بشكل ملموس عن تاريخ النورمان على مختلف مراحله أى منذ أن وطئت أقدامهم اديم أرض فرنسا الغربية الى أن توج الكونت روجر الثاني ملكا على صقلية وجنوب ايطاليا عام 1130م . وقد كان موضوع الحملة الصليبية الاولى أكثر الموضوعات التي أولاها اهتماما بارزا غير أن ما نلمسه خلال سرده للأحداث هو تحيزه للعنصر النورماني . وهناك عدد آخر من المؤرخين اعتمدت على كتاباتهم في انجاز هذا الموضوع وهم معاصرون للاحداث الخاصة بتاريخ غزوات النورمان على فرنسا وانكلترا مثل وليم دى بواتييه Guillaume de Poitiers وعنوان كتابه هو حياة وليم الفاتح (1)، والراهب أبون Abbon (2) وكتابه(*) جاء عبارة عن أشعار حول الحصار النورماني لمدينة باريس والذى دام من عام 885م الى 887م، وأذكر كذلك دودون دى سان كانتان Dudon de St Quentin ويحمل كتابه عنوان ((Historia Normannorum(3) تاريخ النورمان)). وأشير كذلك الى المؤرخ وليم الجومياجي Guillaume de Jumiège وعنوان كتابه هو ((تاريخ النورمان Historia Normannorum (4)))، وأفادني هذا الكتاب فضلا عن غزوات النورمان على فرنسا الغربية، بمعلومات قيمة عن حملة النورمان على ايطاليا الجنوبية ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــة

---

(1) ترجمة Guizot (F.P.G.) ضمن : Collection des memoires relatifs à l'hist. de France, Paris, 1826.

(2) ترجمة Guizot ضمن : Collection des memoires relatifs à l'hist. de France, Paris, 1824.

(3) ترجمة Calmette Joseph ضمن كتاب : Textes et Documents d'histoire, Moyen Age, tome II, Paris, 1953.

(4) ترجمة ضمن : Collection des memoires relatifs à l'histoire de France, Paris, 1826.

(*) عنوانه : De Bello Pariasiaco حصار باريس .

وحينئذ أسندت اليه مهمة تسجيل القرارات الأمبراطورية ، ولم يلبث أن صار عضوا في مجلس الشيوخ البيزنطي ثم تولى القضاء حتى عين كبير كتاب المراسيم الأمبراطورية ، وقد كان كتابه ((التاريخ)) أبرز انتاج فكري خلفه نيقيتاس . قسمه الى عشرة فصول خصصها لدراسة تاريخ أعمال الأباطرة البيزنطيين الذين تعاقبوا على عرش بيزنطة من ((الأمبراطور يوحنا كومنينوس (1118 ـ 1143م) الى الأمبراطور اسحاق انجيلوس Issac Angelus (1185 ـ 1195م))

وكان اعتمادي على هذا المؤلف ملموسا اذ أمدني بمعلومات هامة عن حملة الأمبراطور يوحنا الى بلاد الشام عام 1137م . وعلاقته بريموند بواتيه . كما زودني بمعلومات وافية عن الصراع الذي استحكم بين مانويل وروجر الثاني .

وتنحصر أهمية هذه المعلومات في أن صاحبها معاصرلها ولاشك أنه اعتمد في كتاباتها على بعض المصادر الرئيسية مثل الوثائق الرسمية والمراسلات حتى وان نيقيتاس لم يذكرها علما بأنه تقلد عدة مناصب سامية في أجهزة الدولة .

وثمة مصدر آخر ممتاز من الدرجة الأولى بالنسبة لموضوع هذه الدراسة هو كتاب المؤرخ البيزنطي حنا كنامو س John Cinnamus . ولد كنامو س بعد عام 1143م وتوفي عام 1185م . كان موظفا في ادارة الأمبراطورية البيزنطية أيام مانويل كومنينوس (1143 ـ 1180م) ثم عين كاتبا في القصر الأمبراطوري . سار مع مانويل في معظم حروبه التي خاضها في آسيا الصغرى وأوربا عمد " كنامو س " الى تأليف كتاب عنوانه Epitome المختصر (1) أو " الخلاصة " . اعتمد في انجازه على ما شاهده ثم على وثائق الدولة الرسمية . تناول من خلاله تاريخ الدولة البيزنطية في أيام الأمبراطورين " يوحنا كومنينوس وابنه مانويل " .

---

1) ـ ضمن :

Recueil des Historiens des croisades (Hist. Grecques), t. I, 1875.

يعتبر موءلف كيناموس من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها في هذه الدراسة اذ مكنني من الاطلاع على الأخبار المتعلقة بالمسألة الانطاكية في أيام يوحنا كومنينوس كما أمدني بمعلومات جد قيمة عن علاقة مانويل بالحملة الصليبية الثانية .

و لاشك أن موءلف كيناموس مصدر جدير بالثقة لما اتسمت به كتاباته من علمية و دقة في تناول الأحداث، و قد أشار هو بنفسه الى تأثره بمنهجية المؤرخ القديم هيرودوت في عرض الأخبار، و ما يوءخذ عليه هو تحيزه للامبراطور مانويل و مبالغته في تعظيمه و كذلك تبريره للأخطاء التي ارتكبها و للهزائم التي مني بها أمام أعدائه .

هذا عن الأصول الاغريقية المعاصرة بالنسبة لموضوع هذه الدراسة .

ج .)- **المصادر الأرمنية :**

و أما المصادر الأرمنية فهي الأخرى لا تقل أهمية عن غيرها . و من بين المؤرخين الأرمنيين الذين أفادوني بمعلوماتهم عن هذا الموضوع نذكر " ميخائيل السرياني " Michel le Syrian . و يعرف كتابه بحولية ميخائيل السرياني أو السوري (1) و هو رجل دين . تولى رئاسة بطريكية حوالي 33 عاما توفي ما بين (1199 - 1200م) و حولية ميخائيل هي مكملة لحولية جريجوري الكاهن حيث تصل الى تاريخ وفاة السلطان " صلاح الدين الأيوبي " أي عام 589 هـ/ 1193 م أطلعني هذا الموءلف على عدد من الأحداث الخاصة بتاريخ بيزنطة و دور امارة انطاكية النورمانية في سياسة بلاد الشام في هذه المرحلة الزمنية التي نحن بصدد دراستها . و اذكر كذلك المؤرخ " متى الرهاوي " Matthieu d'Edesse (2) الذي ولد بمدينة الرها و توفي بها في حوالي عام 1144م

1) La Chronique de Michel le Syrian: dans R. H. C. (Hist. Armeniens), t.I, Paris , I869

2) Chronique: dans R. H. C., (Hist. Armeniens), t. I, Paris I869.

وضع حولية تمتد من الفترة مابين 952م الى 1137م . وقد أمدنــا مؤلف " متى الرهاوي " بمعلومات وافية فيما يتعلق بأخبار الحملة الصليبية الأولى وعلاقة الأسيوس بأمرائهــا ، وعن علاقة أمراء البيت النورماني بالسلاجقة ببلاد الشام ، ومايلاحظ عن ميخائيل أنه يبدي تعاطفــا مع النورمان في حين يتحامل على البيزنطيين الأعداء الالداء للعنصــر الأرمني . ويضاف الى هذين المؤرخين الأرمنيين " جريجــوري الكاهن (1) وهو تلميذ متى الرهاوي " . وضع حولية تعتبر من حيث التنظيم تتمة لحولية متى الرهاوي حيث تصل حتى سنة 1163م .ولحولية جريجوري قيمة بالغة في تاريخ العلاقات بين انطاكية النورمانيــة وبيزنطة اذ تمدنا بأخبار عن حملتي " يوحنا كومنينوس على امــارة انطاكية في عامي (1137 ـ 1138م) .

والواقع أن الباحث المدقق في هذه النصوص الأرمنية يجد أنهــا تمثل أصدق تمثيل معارضة الطبقة المستنيرة للحكم البيزنطي في ارمينيا كما تعبر أحسن تعبير عن كراهية الأرمنيين عامة للامبراطوريــة البيزنطيــة . ودليل ذلك أكثارهم من استعمال ألفاظ الغدر والخيانــة لنعت البيزنطيين .

د) ـ المصادر العربية :

لا شك أن المصادر العربية ساعدتني بقدر لا ينكر في دراســة بعض جوانب هذا الموضوع . ويأتي في مقدمة المؤلفين العرب الجغرافي الشريف الادريسي ولد هذا المؤلف في مدينة سبته عام 1099م وتوفى عام 1165م . تلقى دراسته في قرطبة حاضرة الأندلس وقد اشتهــر برحلته التي قام بها عبر العالم مما جعله يكسب علما وافرا بجغرافية المناطق التي زارهــا . وتلبية لدعوة الملك النورماني " روجرالثاني " التحق بجزيرة صقلية وصار عضوا في بلاط بالرم(?) بناء على طلب روجرالثاني

---

1) ـ Chronique: dans R.H.C. (Hist. Armeniens), t. I, Paris 1869.

مصنفا هاما غلب عليه الطابع الجغرافي وعنوانه ((نزهة المشتاق في أختراق الآفاق)) ويعتبر هذا المصنف أهم مصدر جغرافي في العصور الوسطى على الاطلاق .

لقد أمدني بحقائق هامة وغنية عن الأوضاع الاقتصادية والحضارية التي كانت تنعم بها صقلية أيام الملك روجر وأطلعت على الأخبار الخاصة بفتوحات هذا الملك في بلاد المغرب الاسلامي غير أن هذه الأخبار جاءت مختصرة جدا .

و ينبغي الاشارة الى ماتميز به الادريسي من تحيز للملك روجر حيث بالغ في تعظيم شأن روجر و مدحه و الثناء عليه حتى اتهم من طرف معاصريه بالارتداد عن الدين الاسلامي .

و هناك أيضا الرحالة العربي ابن جبير الذي و لد في بلنسية بالأندلس Valence (عام 540 هـ / 1135 م) نزل بجزيرة صقلية أثناء عودته من البقاع المقدسة و مكث بها من شهر ديسمبر 1184 الى شهر مارس 1185 م و زار خلالها مدن " مسينا و بالرمو و طرابنش " و شاهد بعينيه الأوضاع التي كانت تسود صقلية أيام الملك وليم الثاني " و من ذلك ألقى كتابه ضوءا كاشفا على الأحوال الاقتصادية للمدن التي مر بها ابن جبير فهو يعطي وصفا دقيقا عن بلاط وليم الثاني " كما يكشف عن أوضاع المسلمين بصقلية وكذلك عن دوافع حملة وليم الثاني على بيزنطة و استعداداته لها .

و من المؤرخين المسلمين البارزين ابن الأثير صاحب كتاب " الكامل في التاريخ " و لد هذا المؤلف في جزيرة ابن عمر على ضفاف دجلة بالعراق عام 556 هـ / 1160 م و توفي في الموصل عام 630 هـ / 1238 م .

و يعتبر مؤلف ابن الأثير من المصادر ذات الأهمية البالغة بالنسبة لهذا البحث اذ يتضمن الكثير من التفاصيل و البيانات التي تخص موضوعنا و التي لم ترد في تأليف غيره و هذا فضلا عمّا غلب على شخص المؤلف من الصفة العلمية و الاتزان و الاعتدال .

سلك ابن الأثير في انجاز هذا الكتاب طريقة الحوليات و ينقسم كتابه الى اثنى عشر جزءا (و خصص الجزء الثالث عشر للفهرسة) .

و قد كان اعتمادي على هذا المؤلف ملحوظا اذ امدني بمعلومات وافية و قيمة عن الحملة الصليبية الأولى و دور بوهمند البارز فيها و كذلك عن النشاط العسكري لبوهمند و تانكريد في بلاد الشام كما أشار الى التقارب البيزنطي السلجوقي . و الذي كان هدفه كسر شوكة النورمان في الشرق . و بالرغم من انتمائه الى الشرق فقد أحاط علما بحركة النورمان التوسعية في المغرب الاسلامي و بفضله أطلعت عن كثب على هذه الصفحة من العلاقات النورمانية الافريقية في القرن الثاني عشر و هناك مصدر آخر لاغنى عنه لدراسة تاريخ العلاقة بين روجر الثاني و الحكام الزيريين و هو رحلة التيجاني .
عاش التيجاني في القرنين الثالث و الرابع عشر الميلاديين لكن احتوى مؤلفه على حقائق تاريخية غنية و موثوق بها . بيّن لنا من خلالها بالتفصيل فتوحات روجر في افريقية و السياسة التي انتهجها في المدن التي فتحها .

و ثمة مؤلف آخر تجب الاشارة اليه هو ابن العديم صاحب " كتاب " زبدة الحلب في تاريخ حلب " ولد ابن العديم في العشر الأول من ذي الحجة سنة 588 هـ / 1192م و توفى في القاهرة في العشرين من جمادي الأولى سنة 660 هـ/ 1262 م تميز بالذكاء و النباهة كما اشتهر بعلاقته بالملوك والأمراء و الولاة و الخلفاء . و اتبع في تأليف هذا الكتاب المنهجية العلمية البحتة .

اذ اعتمد على الآثار الباقية و السجلات المكتوبة و النقود و الأحجار و النقوش لضبط مادة مؤلفه . تناول في كتابه تاريخ الشام لا تاريخ حلب فقط منذ العصور الأولى حتى منتصف القرن السابع الهجري (أي قبل عشرين سنة من وفاته) .

و ما نلاحظه عن كتاب ابن العديم أنه يتناول الأحداث باختصار دون حشو أو استطراد و مع ذلك فهو أكثر الكتب استيفاء لتاريخ الشام في مختلف مراحله .

أفادني بقسط وافر عن الأخبار المتعلقة بنشاطات النورمان العسكرية في شمال الشام لا سيما في أيام بوهمند و تانكريد .

و هناك توجد مجموعة من المصادر العربية التي أفادتني فائدة كبرى في تحقيق هذا البحث اذكر منها . كتاب " ذيل تاريخ دمشق " لابن القلانسي (ت 555 هـ / 1160 م) وكتاب " مرآة الزمان في تاريخ الأعيان " لابن الجوزي (ت 654 هـ/ 1257 م) وكتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة " لأبي المحاسن (ت 874 هـ/ 1469 م) وكتاب " الروضتين " لأبي شامة (ت 665 هـ/ 1267 م) وكتاب " المختصر في أخبار البشر " لأبي الفداء (ت732 هـ/ 1331 م) وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ وهو أمير من أمراء شيزر بشمال الشام وكتابه وصف للأحداث التي كانت امارة شيزر وضواحيها مرتعا لها أثناء القرن الأول من الحروب الصليبية . وكتاب " صبح الأعشى " للقلقشندي (ت821هـ / 1418 م) وكتاب العبر لابن خلدون (ت808 هـ / 1406 م) و البيان المغرب لابن عذاري (عاش في ق 7 هـ / 13 م) .

و هناك نصوص من مصادر عربية أخرى ذات قيمة بالغة اقتبستها من كتاب " ميخائيل اماري Amari Michel المسمى المكتبة العربية الصقلية و أخص منها بالذكر كتاب " المؤنس " لابن أبي دينار (عاش في القرن 12 هـ / م) وكتاب " البيان " لابن عذاري وكتاب " العبر " لابن خلدون و " وفيات الأعيان " لابن خلكان (ت 681 هـ / 1282 م) وكتاب " نهاية الارب في فنون الأدب " للنويري (ت 732 هـ / 1332 م) .

وقد استعنت بهذه النصوص بشكل خاص لدراسة فصل العلاقات بين الملك روجر الثاني وبلاد المغرب الاسلامي .

المراجع العربية والأجنبية :

المراجع العربية : بالنسبة للمراجع العربية الحديثة التي اعتمدت عليها في هذا البحث منها أذكر كتاب الحركة الصليبية " الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور والكتاب على جزئين .

أفادني في استجلاء غوامض بعض النصوص العربية الخاصة بالحروب الصليبية تناول الكتاب بشكل واف أحداث الحملات الصليبية مبرزا دور الأسرة النورمانية بأنطاكية في الصراع بين السلاجقة والصليبيين من الأمير بوهمند حتى الأمير الفرنسي الوصي رينود دي شاتيون . وأشير كذلك الى كتاب " الحملة الصليبية الأولى " لحسن حبشي زودني بمعلومات غنية عن الحملة الصليبية الأولى والأدوار التي لعبها الأمراء الصليبيون فيها . وهناك كتاب هام امدني بحقائق كثيرة عن العلاقات البيزنطية النورمانية من القائد جسكار حتى الملك روجر الثاني هو كتاب العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى للمؤلف عادل زيتون . ومن المؤلفات العربية التي تناولت غزوات النيكنج على أوربا الغربية أذكر كتاب " الممالك الجرمانية في أوربا العصور الوسطى لمحمد محمد مرسي الشيخ وكذلك كتاب تاريخ أوربا في العصور الوسطى للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .

المراجع الأجنبية : وأما المراجع الأجنبية فهي متنوعة أخص منها بالذكر كتاب " تاريخ الحروب الصليبية لرنسيمان Runciman ترجمه من اللغة الانكليزية الى العربية السيد الباز العريني وهو على ثلاثة أجزاء . و يعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع الأجنبية التي تناولت موضوع الحروب الصليبية بتفاصيل شديدة و تكمن أهمية هذا الكتاب في أن صاحبه

أورد النصوص العربية وغير العربية بأمانة و نزاهة كبيرتين و هناك موءلف لايقل عنه أهمية هو كتاب Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem لرينيه جروسيه René Grousset وعن البيزنطية

العلاقات النورمانية اعتمدت بشكل ملموس على كتاب عنوانه Les Comnenes و هو على جزئين للموءلف فردناند شالندن Ferdinand Chalandon و لنفس المؤلف كتاب هام عنوانه "Histoire de la domination Normande en Italie et en Sicile "

يتألف من جزئين و هذا الكتاب يعتبر من الدرجة الأولى لدراسة تاريخ النورمان عامة و أسرة هوتفيل خاصة في ايطاليا الجنوبية و صقلية .

هذا و يوجد موءلف آخر ممتاز من الدرجة الأولى عنوانه La Berberie Oriental sous les Zirides X-XIIe Siècle للكاتب الهادي روجر ادريس Hady Roger Idriss تناول باسهاب شديد تاريخ الدولة الزيرية و علاقاتها مع مملكة النورمان بجنوب ايطاليا . ومن العلاقات النورمانية البابوية منذ البابا بندكت الثامن حتى البابا جريجوري السابع اعتمدت لدراستها على كتاب St Gregoire VII et la réforme de l'Eglise au XI e Siècle للموءلف دلارك . و يبدو أن دلارك كان من رجال الكنيسة فتناول هذه العلاقات بشكل واف معتمدا في ذلك على أهم المصادر اللاتينية الخاصة بهذا الموضوع و ماأعجبني في هذا الكتاب هو ترجمة الكاتب الى اللغة الفرنسية النصوص اللاتينية التي اعتمدعليها في بحثه .

و اعتمدت كذلك على كتاب Gay Jules : L'Italie meridionale et l'empire byzantin depuis l'avenement de Basile 1er jusqu'à la prise de Bari par les Normands 867-1071. أفادني بمعلومات قيمة عن الصراع النورماني البيزنطي حتى سنة 1071م تاريخ سقوط مدينة باري . و لاأنسى بالذكر كتاب ميخائيل أماري Michel Amari عنوانه : Storia dei Musulmani و هو كتاب قيم أفادني في دراسة العلاقات

الفصل الأول

الفصل الأول

أسس قيام دولة النورمان (الفيكنج)
بجنوب ايطاليا وصقليــة

ـ أصل الفيكنـج " النورمان "
ـ أسباب غزوات الفيكنج
ـ غزوات الفيكنـج
أ) اغارات الفيكنج على انكلترا
ب) اغارات الفيكنج على ايرلندا
ج) الفيكنج والجزر الشمالية
د) الفيكنج وروسيا
هـ) الفيكنج والدولة الكارولنجية
و) نشاط الفيكنج في حوض البحر المتوسط
ـ حضارة الفيكنج
ـ نتائج غزوات الفيكنج
ـ الأوضاع في جنوب ايطاليا قبيل وصول النورمان
ـ أول ظهور النورمان في جنوب ايطاليا
ـ النورمان يقيمون دولتهم في اقليم ابوليا
ـ روبرت جسكارد وفتح قلورية
ـ فتح جزيرة صقلية
ـ تنظيم شؤون دولة النورمان في صقلية وجنوب ايطاليا

شهدت أوربا - غربا وشرقا - خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين احدى الغزوات البشرية الكبرى، تزعمها عنصر سماه الاوربيون في الاصطلاح التاريخي بالفيكنج Vikings . وقد أطلق المؤرخون على هذه الحقبة الزمنية اسم " عصر الفيكنج "، لاهمية هذه الغزوات وفعاليتها على الحياة الاوربية في العصور الوسطى (1).

الفيكنج لفظ يعني سكان الفيوردات Fiords أي الخلجان الصغيرة . أطلقه الاوربيون على غزاة قارتهم لما تميزت به سواحل مواطنهم - الدانمارك Danemark والسويد والنرويج - من ظاهرة طبيعية اشتهرت بكثرة الخلجان (2)

ويطلق على الفيكنج اسم النورمان . ولفظ نورمان ينقسم الى جزئين Nord و Manni أو North و Manni تعني رجال الشمال نسبة الى مواطنهم الاصلية التي وفدوا

---

(1) أنظر: Musset (L.): Les peuples Scandinaves au M.-Age, p. 52; Lot (F.): Histoire du Moyen-Age. Les destinées de l'Empire en Occident de 768 à 888, tome I, 2eme partie, p. 527.

(2) عاشور: تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ص 174 . ماجد (عبد المنعم): العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص 120 . وأيضا:
Musset: Les peuples Scandinaves; p 52 Idem: Les invacion, le second assaut contre l'Europe chretienne VIII-XIe Siècles, p. 113.

في الواقع لم يتم الوصول الى تحديد معنى كلمة "الفيكنج" بالضبط. فنصوص اللغة الرونية " Les textes Runiques " في القرن الحادى عشر الميلادى وحوليات السجات Les Sagas في القرن الثالث عشر استعملت لفظ فيكنج Viking في حالة التأنيث لتعني به الحملة البعيدة او حماة القرصنة، و Vikingr في حالة التذكير ليدل على قرصان او شرير او ربما كذلك على معركة Vig وذكر لفظ Vikingos في المعاجم الاسبانية بمعنى المحاربين . ولعل هو اسم لقبيلة من القبائل الجرمانية . ارجع الى : مختار العبادى: تاريخ المغرب والاندلس، ص 130 .

Musset: Les peuples Scandinaves, p. 52; Lot: Les destinées de l'Empire, I,2, p. 527; Folz (R.): De l'antiquité au monde Medieval, p. 498.

منها وهي شبه جزيرة اسكندناوه وحوض البحر البلطيق Mer Baltique (1).

وينقسم الفيكنج الى ثلاثة فروع بشرية رئيسية : النرويجيون والسويديون والدانماركيون أو الدانيون . في الواقع ان هذا التقسيم لا يعني وجود فوارق عرقية بين هذه الجماعات وانما وضع لتبيين المواقع الجغرافية التي انطلقت منها هذه الفئات(2). هذا ونشير الى أن الموقع الجغرافي لعب دورا أساسيا في توزيع غارات الفيكنج (3)، كما تجدر الاشارة الى أن الاوربيين لم يميزوا بسهولة بين مختلف فروع الفيكنج (4)، وكان الكارولنجيون — الفرنجة — مثلا لم يفرقوا تماما بين هذه العناصر مما جعلهم يطلقون على جميعها اسم " النورمان "(5).

---

(1) أنظر : Guillaume de Jumiège: Historia Normaunorum, traduit par Guizot, p. 11.

فشر : تاريخ اوربا العصور الوسطى ، القسم الاول ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، ص 115 . توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، ص 28—29 ، ماجد : العلاقات ، ص 120—122 ، وايضا :
Lot: op. cit., I, 2ème p., p. 527.

(2) عاشور : تاريخ اوربا ، ص 176 ، وانظر ايضا : Halphen (L.): Les barbares, des Gdes invasions aux conquêtes Turques, P. 287; Folz: op. cit. p. 432.

سكن الدانيون وقتذاك جزر غرب البلطيق وجوتلاند Jutland وجنوب السويد الحالية (هالاند Halland وسكانيا Scanie وبليكنج Blevinge)، وقطن النرويجيون المنطقة الواقعة على طول الشاطئ الغربي لشبه جزيرة اسكندناوه ، واما السويديون فقد سكنوا بلاد السويد الوسطى الحالية في المنطقة التي يتألف وسطها من بحيرة مالار Mälar ، ارجع الى : Lot: Les destinées de l'Empire, I, 2 . pp. 527-528, Halphen: op. cit., pp. 287-288.

(3) عاشور : تاريخ اوربا ، ص 177 .

(4) انظر : Musset: Les peuples Scandinaves, p. 65.

(5) عاشور : تاريخ اوربا ، ص 177 . وانظر ايضا : Guizot: l'Histoire de France, pp. 238-239.

أسباب غزوات الفيكنج :

يمكن تفسير حركة توسع الفيكنج بالعوامل التالية :

ـ تكاثر عدد النورمان ، وعجز بلادهم على سد حاجياتهم الضرورية[1]. وفي الحقيقة ليس ثمة دليل ساطع يثبت أن اسكندناوه كانت تعاني من ضيق سكاني خانق في هذه الفترة الزمنية.

ـ نشأة الملكية بين الفيكنج ، كنظام سياسي ، ونمو سلطانها وبخاصة في النرويج مما ادى بالكثير من النورمان الى رفض الخضوع لها مفضلين الهجرة والبحث عن مواطن اخرى يستقرون فيها[2] .

احتلال الفرنجة لمنطقتي فريزيا Frise ـ الاراضي المنخفضة ـ وسكسونيا اذ كانت نتيجته انسداد أحد المنافذ الحساسة لتجارة الفيكنج مما أدى بها الى الركود والتدهور[3]، وكذلك اثارة خشية الدانيين مما قد يعمد اليه الفرنجة من التوسع على حساب اراضيهم بحكم متاخمتها الدولة الكارولنجية[4].

---

(1) حاطوم : تاريخ العصور الوسطى الاوربية، ص 383، عاشور : نفس المرجع ، ص 176، وأيضا : Balard: Des Barbares à la Renaissance, p. 72; Lot: Les destinées, I, 2, p. 535.

يفيد المؤرخون بأن عادة في اسكندناوه كانت تقضي بطرد الشبان الراشدين من البيت بل من البلد كله للبحث عن مستقبل اكثر اشراقا خارج قارتهم بسبب فقرها وعجزها عن سد حاجياتهم. والمزيد من التفاصيل عن هذه الظاهرة ارجع الى :
Guillaume de Jumiège: op. cit., p. 11; Duppuig: Histoire des expeditions maritimes, pp. 8-20; Delar: Les Normands en Italie, pp. 3 - 4 .

(2) عاشور : تاريخ اوربا ، ص 1٥3، حاطوم : نفس المرجع ، ص 383 وايضا :
Folz: op. cit., p. 497; Lot: Les destinées, I, 2, p. 535; Mawer (Allen): The Vikings, in: Cambridge Medieval history, t. III, p. 311.

(3) عاشور : نفس المرجع ، ص 175 . وايضا :
Mawer: The vikings, in Cambridge Medieval History, t. III, p. 311.

(4) انظر : Folz: op. cit., p. 497; Musset: Les peuples Scandinaves, p. 62.

- تحطيم الفرنجة (شارل مارتل عام 734 م وشرلمان عام 785م) لقوة الفريسزيين التي كانت تمثل العقبة الكوءود لتوسع الفيكنج جنوبا[1].

- حبهم الطبيعي للمغامرة والمشاركة في حملات النهب واعمال القرصنة.

- حبهم لكسب المزيد من الثروات التي ذاقوا حلاوتها من جراء ما جنوه من أرباح في معاملاتهم التجارية مع الدول الاوربية الشرقية والغربية.

- رغبة الفيكنج في غزو البلاد المتحضرة والمجاورة لهم قصد نهب ثرواتها او على الاقل مشاركتها في التمتع بمباهج حضارتها[2].

- تطور صناعة بناء السفن وتقدم علم الفلك لدى الفيكنج مما شجعهم على التنظيم بنجاح لرحلات بعيدة في مجاهل البحار[3].

وعلى كل فانه لا يمكن القول ان غزوات الفيكنج هي نتيجة لأحد هذه العوامل المذكورة وانما هي وليدة تفاعل وتداخل هذه الاسباب كلها.

---

(1) عاشور: تاريخ اوربا، ص 176.

(2) عاشور: نفس المرجع، ص 175، وانظر ايضا: Duppuig: Histoire des expeditions maritimes, p. 17; Lot: Les destinées, I, 2, p. 535; Delarc: Les Normands en Italie, p. 03; Balard: op. cit., p. 72.

(3) أنظر: Duppuig: op. cit., p. 16; Grimberg (K.): Histoire universelle, p. 17; Lot: op. cit., I, 2, p. 531; Folz: op. cit., p. 496; Musset: Les peuples Scandinaves, pp. 56-57; Jeannin: Histoire des pays Scandinaves, p. 12.

غزوات الفيكنــج :

اغــارات الفيكنـــج على انكلترا :

لقد درج المؤرخون على تسمية الغزاة الفيكنج الاوائل الذين هاجمـــوا انكلترا باسم الدانيين بالرغم من مساهمة النرويجيين في هذه الغارات وبخاصة الاولى منها [1]. واول غارة نورمانية تعرضت لها انكلترا من ساحلها الشرقي كانت في سنـــة 786 او 787م اثناء حكم بيوهتريك Beortric ملك وسكس Wessex.[*] (786ـ802م)[2]

وكان ان شقت هذه الحملة الطريق الفيكنـــج لمهاجمة هذه البلاد حيث عاودوا الاغارة عليها سنتي 793و794م زارعين في بعض مواقعها الساحلية الشمالية والشرقية الخراب والفساد مما أدى الى انتشار الفوضى وانعدام الامن بها[3].

وفي الواقع تنفس أهل انكلترا الصعداء بعد عام 794م لتوقف الفيكنـــج عن غاراتهم لكن لم يلبث هؤلاء الغزاة أن اندلقوا من جديد منذ عام 835م و بشكل شديد ومكثف في مهاجمة هذا البلد من جميع جهاته تقريبا وكانت نتيجة ذلك أن قتـــــل ردوولف Redwulf ملك نورثمبريا[**] Northumbrie على أيديهم عام 844م، وقد تحملت مملكة وسكس العبء الاثقل لهذه الهجمات[4].

---

(1) عاشور: تاريخ اوربا، ص 133، وانظر أيضا :
Grimberg: op. cit., p. 122; Lot: Les destinées, I, 2, p. 722; Musset: Les peuples Scandinaves, pp. 62-63.

(2) أنظر : Mawer (A): op. cit., in C.M.H.III, p. 311.

(3) عاشور: تاريخ اوربا، ص 136، وانظر ايضا : Folz: op. cit., p. 502; Mawer (A): Loc. cit.,

(4) عاشور: تاريخ اوربا، ص 139، وايضا :
Lot: Les destinées de l'empire, I, 2, p. 722; Mawer: op. cit., in C.M.H., III, pp. 311-312.

(*) جنوب انكلترا .

(**) شمال انكلترا .

وازداد نشاط النورمان خطورة حينما سلكوا نهر التميز Tamise عام 851م في ثلاثمائة وخمسين سفينة حربية ، واحتلوا مدينتي كانتربوري Canterbury ولندن London غير أن اثلوولف Aethelwulf ملك السكسون الغربيين سرعان مـا أوقع بهم هزيمة نكراء عند اوكلي Ockley في خريف هذا العام الا أنه لم يمنعهم من قضاء فصل الشتاء في انكلترا وبذلك دخل النورمان مرحلة الاستقرار في حركتهم التوسعية[1].

ولم تشهد انكلترا غزوات كبرى اخرى للدانيين الا في عام 866م أو 867م حيث انطلق هؤلاء الغزاة في أول حملة كاسحة للغزو والاستيلاء على البلاد ، وقد تمكنوا حتى عام 870م من اقتحام مدينة يورك وكذلك من فتح وتخريب كل من نورثمبريا (شمال انكلترا) Northumbrie ومرسيا Mercie بالوسط وانجليا الشرقية East Anglia (2).

ولحسن حظ اهل وسكس أن تولى عام 871م عرش مملكتهم الملك الفريد العظيم(*) Alfred le Grand الذي ابدى حرصا شديدا على مقاومة

---

(1) محمد محمد مرسي الشيخ : الممالك الجرمانية في اوربا في العصور الوسطى ، ص265 . وانظر أيضا : Guizot: l'Histoire d'Angleterre, I, p. 28; Musset: Les peuples, p. 63; Lot: loc. cit., Mawer: op. cit., in C.M.H. III, p. 312.

(2) العريني : تاريخ اوربا ، ص 360 ، مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 265 ، وانظر أيضا : Halphen: Les Barbares, p. 296; Guizot: op. cit., I, pp. 29-30; Lot: op. cit., pp. 723-724; Humbert Ligny: L'Occident Medieval, p. 70; Balard: op. cit., p. 73; Mawer: op. cit., III, p. 318.

(*) ولد عام 849م بوانتاج Wantage بانكلترا ، كان له اربع سنوات من عمره لما أرسله ابوه الى روما ليتلقى من البابا ليون الرابع Leon IV (847-855م) تاج الملك . أظهر ولعا شديدا بالعلم فنال حظا وافرا منه . شهد عهده نهضة ساطعة شملت مختلف جوانب الحياة لا سيما الثقافية منها التي ساهم فيها شخصيا بقلمه ، وكان أثره في ميدان الترجمة بارزا اذ ترجم الى اللغة الانكليزية كتاب التاريخ الكنسي للامـة الانكليزية للمؤرخ بيدا Bede وكتاب العالم اوروز Orose وكتاب تعازي الفلسفة Consolation philosophique لبوئثيوس Boece وكتاب العناية الرعائية للقديس جريجوري و بعض قصائد القديس الافريقي اوغسطين ، كما ألف كتابا عن تاريخ الانكلو ساكسون ، ارجع الى : Guizot: L'histoire d'Angleterre, I, pp. 40-44.

على مقاومة الدانيين ، وقد تمكن من الانتصار عليهم في عدة معارك كانت أهمها التي وقعت في شهر مايو عام 878م وأرغم على أثرها قائدهم يوثرون Guthrum أو Juthron على عقد معاهدة ويدمور Wedmore التي وافق بموجبها على اعتناق المسيحية مع ثلة من قواده في حين سمح له الفريد بالاستقرار في أجزاء واسعة من شمال انكلترا(1).

وفي عام 885م عقد الفريد معاهدة اخرى مع الدانيين عقب انتصاره عليهم عند نقضهم صلح ويدمور حددت بمقتضاها الحدود الفاصلة بين بلادهما بخط يمتد من مدينة لندن حتى مدينة شيستر Chester على الساحل الغربي لانكلترا ، ومعنى ذلك ان مدينة لندن ومعظم مرسيا اصبح من نصيب الفريد ، على حين اكتفى الدانيون بالاراضي الواقعة شمال هذا الخط التي أصبحت تعرف باسم دانلو Denelaw أي المناطق الخاضعة لقانون الدانيين(2).

وفي عام 899م توفي الملك الفريد وتولى عرش وسكس من بعده حكام(*) ساروا

---

(1) عاشور: تاريخ اوربا ، ص 190 ، مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 265 ، ماجد :العلاقات ص 120 . وانظر ايضا :
Lot: Les destinées de l'empire, I, 2, pp. 724-725; Halphen: Les barbares, pp. 297-298; Grimberg: op. cit., p. 123; Balard: op. cit., p. 73.

(2) مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 265-266 ، العريني : تاريخ اوربا ، ص 360 ، وانظر ايضا :
Halphen: op. cit., 298; Lot: op. cit., I, 2, p. 725; Guizot: L'histoire d'Angleterre, I, PP. 35-36.

ويبدو وأن بعض المؤرخين امثال موسي Musset وفولز Folz ولافيس Lavisse لم يميزوا بين هاتين المعاهدتين واعتقدوا ان هذا التقسيم لانكلترا كان قد اقرته معاهدة عام 878م ، انظر :
Folz: op. cit., p. 529; Musset: Les invasions, p. 119; Lavisse (E); Rambaud (A): Histoire gle , du IV S. à nos jours, t. I, p. 588.

(*) هم ادوارد Edouard بن الفريد (899-924م) واثلستان Ethalstan بن ادوارد (924-939م) واخوه ادموند Edmond (939-946م) ، ارجع الى :
Folz: op. cit., pp. 530-531.

على نهجه في محاربة الدانيين الى ان انتهى الامر في عام 954م بأن وحّدت انكلترا كلها تحت حكم الملك ايدرد Eadred (946ـ955م) وقبل الدانيون المقيمون بانكلترا سيادته عليهم[1].

غير ان زحوفا نورمانية أخرى تميزت بكثافة وترابط اكثر من سابقاتها لم تلبث أن هددت انكلترا. وكان ان عجز الملك ايثلرد الثاني Ethelred II عن مقاومتها فاضطر الى الهروب صحبة زوجته اما Emma وابنه ادوارد Edouard الى بلاط رتشارد Richard (996ـ1026م) دوق نورمنديا Normandie (غرب فرنسا) وتمكن بذلك كانوت Canut بن سواين Sven او Sweyn ملك الدانيين من الاستيلاء على عرش انكلترا عام 1016م[2].

وحدث أن استرد ادوارد الثالث المسمى بالمعترف، وهو ابن ايثلرد، عرش انكلترا عام 1042م، وكان ادوارد كثير التأثر بالآراء والاتجاهات النورمانية وهذا بحكم قرابته للبيت النورماني في فرنسا واقامته فترة طويلة في بلاط هذا البيت[3]. على ان هذه العلاقة الحميمة التي تربط بين البيتين الانكليزي والنورماني أوجدت لدوق نورملنديا وليم Guillaume بعد وفاة ادوارد الثالث عام 1066م مبررا للمطالبة بعرش انكلترا بحجة انه أحق الناس بوراثته وان ادوارد نفسه وعده بهذا الملك. وكانت نتيجة هذا الادعاء ان تزعم وليم حملة عسكرية ونزل بها على الشاطئ الجنوبي الشرقي لانكلترا وفي سهل هاستنجس Hastings وقعت

---

(1) عاشور: تاريخ اوربا، ص 191، وايضا:
Folz: op. cit., pp. 530-531; Guizot: L'histoire d'Angleterre, I, pp. 45-46.

(2) عاشور: تاريخ اوربا، ص 191، مرسي الشيخ: نفس المرجع، ص 257ـ258. وايضا
Folz: op. cit., pp. 531-532; Guizot: L'hist. d'Angleterre, I, pp. 48-54; Halphen: Les barbares, p. 305; Musset: Les invasions, p. 136; Mawer: op. cit., in C.M.H. , III, p. 325.

(3) عاشور: تاريخ اوربا، ص 191ـ192، مرسي الشيخ نفس المرجع، ص 268، وانظر ايضا:
Guizot: op. cit., I, 60, 69; Musset: loc. cit.,

محركة حاسمة بين الجيشين النورماني وقوات الملك السكسوني الجديد هارولد Harold (*) انتهت بانتصار النورمان وقتل الملك هارولد ، وكان ذلك في يوم 14 اكتوبر عام 1066م واخذ ولسيم بعدئذ يبسط نفوذه على اجزاء البلاد الى ان دانت له بلاد انكلترا بكاملها واستقر له الامر عام 1070م واطلق عليه عندئذ في التاريخ اسم ولسيم الفاتح Guillaume le Conquerant .(1)

اغارات الفيكنج على ايرلندا :

من الملاحظ ان النرويجيين هم عناصر النورمان الاولى التي غزت جزيرة ايرلندا Irlande (2). وتعود بداية غزواتهم للجزر الكبرى المجاورة لايرلندا الى أواخر القرن الثامن الميلادى(3).

وفي اوائل القرن التاسع الميلادى وجّه النرويجيون ضرباتهم الى سواحل ايرلندا نفسها وتعرضت للنهب والتخريب جميع الجهات الواقعة قرب هذه السواحل(4)

(1) انظر عن حملة وليم ضد انكلترا في : Orderic Vital: Historia ecclesiastica traduit par Guizot, t. II, pp. 143-149; Guillaume de Poitiérs: Vie de Guillaume le conquérant, traduit par Guizot, pp. 386-418, 422-428; Guillaume de Jumiege: Historia normannorum, pp. 221-229; Guizot: L'histoire d'Angleterre, I, pp. 70-86; Musset: Les invasions, p. 139. مرسى الشيخ : نفس المرجع ، ص 268 ، ماجد : العلاقات ، ص 121 .

(2) Floz: op. cit., pp 499, 502.

(3) عاشور : تاريخ اوربا ، ص 193 ، مرسى الشيخ : نفس المرجع ، ص 268 ، وايضا : Musset: Les peuples Scandinaves, p. 58.

(4) مرسى الشيخ : نفسه ، ص 268-269 .

(*) ينتمي الى بيت انكليزى صميم ، عينه مجلس الحكماء الانكليزى Witan خلفا للملك ادوارد المعترف عام 1066م .

ولم يلبث أن تطلع النرويجيون الى التوغل داخل الجزيرة ، غير ان مقاومة الايرلنديين الكلتيين لهم حالت دون تمكنهم من الاستقرار في الجهات الداخلية بل اكتفوا بالاقامة في المراكز الحصينة التي أقاموها حول خلجان الجزيرة ومصبات أنهارها ، نذكر منها دبلين Dublin على الساحل الشرقي للجزيرة وليمريك Limerick وكورك Cork [1].

هذا ومن الزعماء النرويجيين الذين اشتهروا في منتصف القرن التاسع الميلادي كان توروجيس Turges (Thorgeste) الذي فرض سيطرته لبضع سنوات على الشمال الايرلندي كله [2].

واما عن نشاط الدانيين ضد ايرلندا فيمكن القول ان أول غارة لهم على هذه الجزيرة كانت في عام 842م [3]، وقد تميزت غارات الفيكنج بالعنف ضد الايرلنديين والشماليين على حد سواء، وتمكن الدانيون من تخريب بعض المراكز النرويجية على الساحل الشرقي للجزيرة منها مركز دبلين، الأمر الذي استدعى قدوم اولاف Olaf ملك النرويج في عام 853م للانتقام منهم . وقد ظل الصراع بين النرويجيين والدانيين بأرض ايرلندا على اشده الى ان انتهى امره بعقد صلح بينهم عام 877م .

اما الايرلنديون فانهم لم يخضعوا للامر المقتضى ، اذ دأبوا دون هوادة على مقاومة الغزاة النرويجيين فأنزلوا بهم هزيمتين فادحتين في تارا Tara عام 980م وكلونتارف Clontarf قرب دبلين عام 1014م [4].

---

(1) عاشور: تاريخ اوربا ، ص 193، وايضا : Musset: Les Invasions, pp. 122-123; Halphen: Les barbares, p. 291; Folz: op. cit., p. 513.

(2) أنظر: Musset: op. cit., p. 122; Halphen: loc. cit.; Gde Encyclopedie, t. 20, p. 957.

(3) عاشور: تاريخ اوربا ، ص 194 ، مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 269 .

(4) مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 269-270، عاشور: تاريخ اوربا ، ص 194-195، وايضا : Halphen: Les barbares, p. 308.

ومع ذلك فقد عجز الايرلنديون عن طردهم حتى من المدن الكبرى التي استقروا فيها مما أدى بهم في نهاية الامر الى اتباع سياسة التعايش السلمي معهم ، وهو ما ساعد على اندماج الجنسين النرويجي والايرلندي والتكامل فيما بينهما على مر السنين (1).

الفيكنج والجزر الشمالية :

والواقع أن النرويجيين لم يقنعوا بوضع أقدامهم في ايرلندا والجزر الصغيرة القريبة منها ، مثل اوركاد Orcades ومان Man شتلند Shetland وفاروى Faroes (2)، وانما تمادوا في التوغل داخل المحيط الاطلسي شمالا وغربا فاكتشفوا جزيرة ايسلاندا Islande عام 861م وجرينلاند Groenland غربها عام 985م ولعلهم وصلوا حتى الشواطئ الشمالية الغربية لامريكا عام 1000م (3).

---

(1) عاشور : تاريخ اوربا ، ص 196 ، مرسى الشيخ : نفس المرجع ، ص 270 ، وانظر ايضا : Folz : op. cit., p. 513; Halphen: Les barbares, p. 308.

(2) أنظر : Jeannin: op. cit., p. 13; Balard: op. cit., p. 73; Grimberg: op. cit., p. 134; Halphen: op. cit., p. 301; Guitrancourt: Hist. de l'empire normand, p. 77; Musset: Les peuples Scandinaves, pp. 57-58

(3) أنظر : Folz : op. cit., pp. 506,509 Guitrancourt: op. cit., pp. 80-83 Grimberg: op. cit., pp. 134-136; Jeannin: loc. cit.; Halphen: op. cit., p. 302.

لمزيد من التفاصيل عن عملية استقرار النرويجيين في جرينلاند وايسلاندا ارجع الى : Musset: Les peuples, pp. 59-61; Guitrancourt: op. cit., p. 84.

في عام 1909م اكتشف في كنسينغتون Kensington بمينسوتا Minnesota قطعة حجرية عليها كتابة نورمانية ، ولعل هذا يدل على أن الفيكنج وصلوا حتى وسط امريكا الشمالية، انظر : Guitrancourt: op. cit., p. 85.

الفيكنج وروسيا :

لم يختلف المؤرخون في تحديد وجهة العنصر السويدي اذ أجمعوا على أن ميدان نشاطه كان في حوض بحر البلطيق، ثم امتد في السهول الجنوبية والشرقية لاوربا[1]، وهذا بالرغم من اشتراكه، في حدود ضيقة جدا، في حركات الغزو ضد بلاد غرب اوربا[2]. وقد أطلق السلاف أو الصقالبة على السويديين اسم روس Rus [3]، وهو لفظ مشتق من كلمة فينية Finnois تعني التجارة أو الأحمر[4].

وعلى خلاف غزوات النرويجيين والدانيين التي تميزت بالعنف والشراسة فقد اتخذ السويديون في تغلغلهم شرقا سبيل النشاط التجاري، مما أعطى لحركتهم التوسعية طابعا سلميا في أغلب الأحيان[5].

---

(1) فيشر: تاريخ اوربا، القسم الاول، ص 116، عاشور: تاريخ اوربا، ص 197، توفيق المدني: نفس المرجع، ص 29، مرسي الشيخ: نفس المرجع، ص 270، الباز العريني: تاريخ اوربا العصور الوسطى، ص 352. وانظر ايضا Musset: Les peuples Scandinaves, p. 67; Grimberg: op. cit., p. 130; Balard: op. cit., p. 72.

(2) عاشور: تاريخ اوربا، ص 197.

(3) العريني: تاريخ اوربا، ص 356، ص 197، المدني: نفس المرجع، ص 29.

سمي السويديون كذلك باسم الورنك Varègues غير ان المؤرخين لم يتفقوا على اعطاء معنى واضح لهذا اللفظ، وقد يكون مشتقا من مصدر لغوي ذا طبع اقتصادي اي من Vargag وهي كلمة روسية تعني التاجر القليل الاهمية او من Varar أو War ومعناهما السلعة او ربما من Varar بمعنى العهد أو الضمان، لان الورنك أسسوا جماعات من تجار النورمان، يربط بين أفراد كل واحدة منها عهد، ولعل هي كلمة مأخوذة من لفظ Vaeringjar ومعناها مرافق الحاكم وربما كلمة ورنك تعني كذلك الذئب. وقد أوردت المصادر الاسلامية عبارة الروس اذ يشير اليها المسعودي بقوله " وغيرهم من أجناس الروس والروم تسميهم روسيا معنى ذلك الحمر"، واما ابن خرداذبة فانه يذكر ان الروس هم جنس من الصقالبة في حين ابن رسته يميز بين الصقالبة والروسية، واما ابن فضلان فيقول انه رأى الروسية" وقد وافوا تجارتهم ونزلوا على نهر اتل فلم أر أتم أبدانا منهم كأنهم النخل شقر حمر"، المسعودي ===

والواقع أن ما كانت تشهده ساحة الشرق من تطورات سياسية أدت الى انهيار قوة الافار، مهدت الطريق للسويديين ليثبتوا أقدامهم في حوض نهر الدنيبر Dniepr حتى وصلوا الى البحر الاسود [1] على ان سيطرتهم على الطرق التجارية الرابطة بين بحري البلطيق والاسود سرعان ما أدت بهم الى تأسيس مراكز تجارية وعسكرية تحولت على مر الزمن الى مدن هامة مثل نوفجورود Novgorod وكييف Kiev وسمولنسك Smolensk أخذت على نفسها مهمة حماية التجارة وأصحابها من الاخطار المحدقة بها [2].

لكن حدث في عام 832م أن استولى روريك Rurik، أحد زعماء الروس، على مدينة كييف التي لم تلبث أن مدت سيطرتها على جميع الامارات الصغيرة المجاورة لها، وقبل مطلع القرن الحادي عشر الميلادي انضوت تحت حكم امارة كييف جميع المنطقة المعروفة باسم روسيا الاوربية [3].

=== كتاب التنبيه والاشراف في B G A الجزء الثامن، ص 141، ابن خرداذبة: كتاب المسالك والممالك، في .B.G.A الجزء السادس، ص 154، ابن رسته: كتاب الاعلاق النفيسة، في .B.G.A الجزء السابع، ص 143–147، ابن فضلان: رحلته، ص 149، العريني: تاريخ اوربا، ص 357، وايضا:

Folz: op. cit., p. 498; Musset: Les peuples, p. 53; Guitrancourt: op. cit., p. 86; Halphen: Les barbares, p. 306; Lot: Les destinées, I, 2, p. 534; Grimberg: op. cit., p. 131.

(4) عاشور: تاريخ اوربا، ص 197، مرسي الشيخ: نفس المرجع، ص 270.

(5) عاشور: نفسه، ص 197، مرسي الشيخ: نفسه، ص 270، وايضا:
Musset: Les invasions, p. 118.

---

(1) عاشور: تاريخ اوربا، ص 198، مرسي الشيخ: نفس المرجع، ص 270، العريني: تاريخ اوربا، ص 357.

(2) توفيق المدني: نفس المرجع، ص 29، وانظر ايضا:
Halphen: Les barbares, p. 306; Grimberg: op. cit., p. 130; Guitrancourt: op. cit., pp. 86-87.

(3) عاشور: تاريخ اوربا، ص 198، العريني: تاريخ اوربا، ص 358، وانظر ايضا:
Musset: Les peuples, p. 69; Idem: Les invasions, p. 126; Guitrancourt: op. cit., p. 87; Folz: op. cit., p. 519; Halphen: op cit., pp. 306-307.

الفيكنج والدولة الكارولنجية :

من المعروف ان الفيكنج الدانيين هم الذين قاموا بالدور الرئيسي في غـزو الاراضي الكارولنجية، وهذا بالرغم من قيام الفيكنج النرويجيين ببعض الغزوات على الساحل الغربي لفرنسا (1).

وقد بدأ الدانيون اغارتهم على أراضي هذه الدولة من عهد الامبراطور شرلمان Charlemagne (768-814م) نفسه اي في أواخر القرن الثامن الميلادي (2).
واستمرت هذه الاغارات ايام ابنه وخليفته لويس التقي Louis le Pieux (814-840م) الذي حاول دون جدوى دفع شرهم عن البلاد بمحاولة شراء مسالمتهم بالهدايا والمال وباقطاعهم المنطقة المحيطة بدورشتد Duur Stede (*) عام 836م (3).

وعقب وفاة لويس التقي ازدادت هجمات النورمان حدة وضراوة على أراضي الامبراطورية، وقد شجعهم على ذلك انشغال ابناء لويس التقي بالحروب الداخلية الناجمة عن مشكل تقسيم الامبراطورية واستعانة بعضهم بهم أحيانا ضد البعض الآخر وكذلك ظهور ملوك البيت الكارولنجي بمظهر الضعف امام النورمان، وذلك بمحاولتهم دفع اذاهم ليس فقط بالتصالح معهم وبدفع الاموال الباهظة لهم ولكن أيضا

---

(1) أنظر :- Lot: Naissance de la France, p. 428; Floz: op. cit., pp. 500-502; Halphen: Les barbares, p. 291;

وقد استخدم وليم الجومياجي اسم " الدانيين "، انظر : Guillaume de Jumiège: op cit., p. 21.

(2) توفيق المدني : نفس المرجع، ص 29، ماجد : العلاقات، ص 120، مرسي الشيخ : ص 272، وانظر ايضا : Guizot: L'histoire de France, I, p. 236; Lot: Les destinées de l'empire, t. I, 2, p. 485; Idem: Naissance de la France, p. 428; Humbert Ligny: L'occident medieval, p. 69.

(*) في هولاندا حاليا .
(3) عاشور: تاريخ اوربا، ص 179 .

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الغزوات ارجع الى : مرسي الشيخ : نفس المرجع، ص 273، وكذلك : 517 Lot: Les destinées de l'empire, I, 2, pp. 506-507; Idem: Naissance de la France, p. 428; Halphen: Les babares, pp. 291-292.

بالسماح لهم في بعض الاحيان بالاستقرار في أماكن حصينة قرب مصبات الانهار .

على أن الغزاة النورمان وجدوا في أنهار فرنسا مثل السين واللوار والجارون والراين سبيلا ناجعا وسريعا للتوغل في جوف البلاد . وقد قاسى الفرنجة كربا ثقيلا من جرّاء هذه الغزوات حيث تعرضوا للضيق والفتك الشديدين كما تعرضت القرى والمدن لا سيما أملاك الكنيسة لأبشع أنواع التخريب والنهب وكانت مدينة باريس من المدن التي عانت معاناة قاسية من هذا البلاء(1).

ومهما يكن من أمر هذا الوضع السيء الذي أمست فيه دولة الفرنجة فانه لم يلبث أن اعترف شارل البسيط Chales le Simpole (893–922م) ملك القسم الغربي من هذه الدولة بالامر الواقع فأقبل عام 911م على عقد اتفاقية مع رولو Rollo زعيم الفيكنج البارز في سانت كلير S^t Clai-sur-Epte تنازل الملك بموجبها لرولو عن المنطقة التي كان هذا الزعيم قد احتلها بالفعل قبل ذلك ، وهي المنطقة الساحلية الواقعة في غرب فرنسا بين نهر السوم شمالا واقليم بريتاني جنوبا ، فعرفت هذه المنطقة باسم نورمنديا نسبة الى سكانها الجدد ، وسماها العرب ارمنديـة ، ونصّت الاتفاقية على أن يمنح الملك شارل البسيط لرولو لقب دوق ويزوجه ابنته

---

(1) لمعرفة تفاصيل هذه الاحداث ارجع الى :

Guillaume de Jumièges: op. cit., pp. 21-51; Abbon: De bello parisiaco traduit par Guizot, pp. 08-66; Ordric Vital: Historia Ecclesiatica, t. II, pp. 7-8; Lavisse (E): Histoire de France, t. 2, 1er p., p. 401; Guizot: L'hist. de France, t. I, pp. 239-247; Halphen: Les barbares, pp. 292-295;298-300; Delarc: Les Normands en Italie, pp. 5-7,33; Balard: op. cit., p. 73; Guitrancourt: op. cit., pp. 91-95, 99-110; Lot: Naissance de la France, pp. 428-509; Idem: Les destinées d' l'empire, 1, 2, pp. 540, 560, 562-564; Musset: Les invasions, pp. 120-121, 161-166.

وهذا مقابل استعداد الزعيم النورماني لاعتناق المسيحية وتقديم الولاء الاقطاعي لملك فرنسا (1). وعلى كل لم يلبث أن اعتنق النورمان المسيحية في عهد الدوق رولو الذى انضوى تحت حكمه معظم الغزاة في فرنسا في دوقيته . ولم يمض على استقرارهم في فرنسا حتى تأقلموا وأصبحوا فرنسيين بالكامل لغة وثقافة مع احتفاظهم بروح الفروسية والمغامرة التي اشتهر بها قدماؤهم (2).

نشاط الفيكنج في حوض البحر الأبيض المتوسط :

لم ينج الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط هو الآخر من بلاء الفيكنج الذين عرفوا عند المسلمين باسم المجوس (*) اذ سجلت سواحل اسبانيا الاسلامية

(1) أنظر : Dudon de Saint Quentin: Historia Normannorum, traduit par J. Calmette: textes et documents, t. II, pp. I8-I9; Guill de Jumiege: op. cit., pp. 52-55; Orderic Vital: op. cit., t. II, pp. 8-9; Guitrancourt: op. cit., pp. 110-111; Guizot: L'hist. de France, I, pp. 247-248; Grimberg: op. cit., p. 121; Lot: Naissance de la France; Iclz: op. cit., p. 516; Humberg Ligny: op. cit., pp. 70-71.

ماجد : العلاقات، ص 121، مرسي الشيخ : نفس المرجع، ص 279-280 .

(2) فيشر : نفس المرجع، ص 130، مرسي الشيخ : نفسه، ص 280 . وايضا : Guillaume de Jumiège: op. cit., p. 55; Guizot: op. cit., I, p. 248; Grimbert: loc. cit.; Lot: Naissance, p. 514; Folz: op. cit., p. 516; Delarc: op. cit., p. 34; Lavisse et Rambaud: Hist. gle, t. I, p. 492; Lavisse (E): Hist. de France, t. 2, 1, p. 402.

(*) ولعل مرد هذه التسمية يعود الى كون الفيكنج يميلون دوما الى اضرام النيران ليلا ليستأنسوا بها، مما جعل المسلمين يشبهونهم بالمجوس عبدة النار : عاشور: نفس المرجع، ص 200، مختار العبادى : نفس المرجع، ص 138 .

غارات لهم منذ عام 230 هـ/ 844م ، فهوجمت لشبونة واشبيلية بشكل عنيف .وقد أظهر المسلمون استبسالا عظيما في مقاومتهم[1]، غير أن غاراتهم بلغت من الشدة والخطورة، مما جعل عبد الرحمن الثاني (206ـ238 هـ/ 822ـ852م) يستجيب لطلب الهدنة الذي أرسله له النورمان[2].

ومهما يكن من أمر فقد دأب النورمان طوال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين على مهاجمة شواطئ اسبانيا الجنوبية والشرقية حتى وصلوا جزر الباليار Iles Baleares كما لم تسلم من شر وثباتهم مدن جنوب فرنسا وبعض الاجزاء الغربية من ايطاليا .وعلى كل فقد صار مضيق جبل طارق سبيلا معروفا لدى النورمان يعبرونه لغزو سواحل افريقية وجنوب اوربا ثم يعودون الى مواطن استقرارهم محملين بالاسلاب والغنائم الوافرة[3].

---

(1) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس، ص 84ـ88، اليعقوبي : كتاب البلدان، في B.G.A. الجزء السابع، ص 354 . ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 87ـ 88، المقرى: نفح الطيب، ج 1، ص 323ـ324، ماجد : الصلاة: ص 121 . ولمزيد من التفاصيل ارجع الى : مختار العبادى في تاريخ المغرب والاندلس، ص 139ـ 140 ، وانظر ايضا :
Guitrancourt: op. cit., p. 95; Dozy: Recherches sur l'histoire de la litterature de l'Espagne, t. II, pp.250-267; Balard: op. cit., p. 73.

(2) عاشور: تاريخ اوربا، ص 200 ، وايضا :
Dozy: op. cit., t. II, pp. 267-278.

(3) ابن عذارى: البيان، ج 2، ص 96ـ97، ابن القوطية: نفس المرجع، ص 88 ، عاشور: تاريخ اوربا، ص 200ـ201 ، وانظر ايضا :

Dozy: op. cit., II, pp. 279 et suiv; Gritrancourt: op. cit., pp. 96-98; Halphen: Les babares, p. 295; Delarc: Les Nds en Italie, pp. 08-I9; Balard: op. cit., p.73, Grimberg: op. cit., p. II9; Mawer: op. cit., in C.M.H., t. III, p. 320.

حضارة الفيكنج :

لم يعش الفيكنج في عزلة عن العالم الاوربي الخارجي اذ كانوا طوال قرون عديدة على صلة وثيقة بالشعوب المتحضرة المجاورة لهم[1]، ومع ذلك فقد ظلوا حتى القرن التاسع الميلادي محتفظين بأصول حضارة أجدادهم دون محاولة الاستفادة مما نالته أوربا من تقدم في ميدان الحكم والبناء الاجتماعي والديني[2]، وهذا على خلاف أسلافهم الجرمان (*) الذين لم يكادوا يحتكون بالحضارة الرومانية حتى استوعبوها وتشربوا أصولها[3].

لقد اختلف الفيكنج عن دول القارة في نظم حكمهم اذ لم يعرفوا حتى القرن التاسع الميلادي وحدة سياسية تجمع شملهم[4]، كان يحكمهم عدد من الملوك يتم تعيينهم بالانتخاب والوراثة معا . وللملك صلاحيات محدودة يغلب عليها الطابع الروحي . وأما الحكم الفعلي فكانت تمارسه مجالس محلية Thing يديرها حاكم ويؤلفها كبار الملاك (**) الريفيين ، تعقد اجتماعاتها عند المناسبات الدينية في الهواء الطلق[5].

---

(1) أنظر : Guitrancourt: op. cit., op. cit., p. 48; Lot: Les destinées de l'empire, 1, 2, p. 528; Halphen: Les Barbares, pp. 288-289.

(2) عاشور: تاريخ اوربا ، ص 174 ، فيشر: نفس المرجع ، القسم الاول ، ص 115 ، مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 253 ، وانظر ايضا : Musset: Les peuples Scandinaves, p. 78.

(3) عاشور: نفسه ، ص 174 ، فيشر: نفسه القسم الاول ، ص 115 .

(4) أنظر : Musset: Les peuples Scandinaves, p. 78

(5) أنظر : Musset: Les invasions, pp. 108-109; Guitrancourt: op cit, p 66.

(*) هم من الجنس الهندواوربي ، نزحت الى القارة الاوربية من اسكندناوه منذ وقت مبكر ، أي قبل التاريخ الميلادي، وهم الذين أسقطوا الدولة الرومانية الغربية عام 476م . أنظر تفصيل ذلك في : Latouche (Robert): Les grandes invasions et la crise de l'occident du V Siecle, pp. 61 et suiv.; Ballard (Michel), Génet (J.-p), Rouche (M): Des babares à la renaissance, pp. 15 et suiv.

(**) كان المجتمع النورماني ينقسم الى ثلاث طبقات ، الاولى تمثلها النبلاء EARL والثانية يشكلها الفلاحون CHARL او Carl ، والثالثة يمثلها العبيد THRALL : مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 282 .

وفي الواقع استمر الفيكنج على هذا النمط السياسي الذى تغلب عليه الصبغة العسكرية والدينية الى أن برزت في القرن التاسع الميلادى فكرة نشوء الدولة على يد الملك هارولد الاشقر Harold Harfarg حيث تمكن هذا الاخير من توحيد جميع أجزاء النرويج تحت سلطة مركزية قوية(1).

اما الحياة الاقتصادية في اسكندناوه فقد اعتمدت بالدرجة الاولى على الزراعة وتربية الحيوانات والصيد البحرى على السواء وفضلا عن هذا أولى الفيكنج أهمية بالغة للتجارة البحرية حيث عقدوا صلات تجارية نشيطة مع اقوى الدول المسيحية والاسلامية مثل بيزنطة والخلافة العباسية ودولة الفرنجة . وقد تضاعف نشاطهم في هذا المجال حتى غدوا في القرن الثامن اى بعد أن ثبتت سيطرة المسلمين على حوض البحر الابيض المتوسط أهم الوسطاء التجاريين بين الشرق والغرب(2).

وقد احتل الدين مكانة مرموقة في حياة الفيكنج . وكان الفيكنج على الوثنية، حيث عبدوا قوى الطبيعة مثل ثور Thor اله الرعد واودين Odèn اله الحروب والملاحم وفراى Frö اله الخصب(3)، فضلا عن آلهة أخرى تبدو من الدرجة الثانية مثل تير Tyr ونجوردر Njördhr أو وول Ull ،كما قدس الفيكنج معبودات ذات

---

(1) أنظر : Musset: Les peuples Scandinaves, pp. 79-82.

(2) أنظر : Lot: Les destinées, 1,2, pp. 530-531; Musset: Les invasions, pp. 110-111; Halphen: Les barbares, p. 289; Guitrancourt: op. cit., p. 51; Dupping: op. cit., p. 15; Musset: Les peuples, pp. 70-78.

(3) فيشر: نفس المرجع، ص 115 ، مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 258 ، وأيضا : Lot: Les destinées, 1, 2, p. 528; Musset: Les invasions, p. 112.

طابع ميثولوجي مثل بالدر Baldr اله الشباب وهيمدال Hemidall حارس باب السماء[1]. وقد ابدى الفيكنج عداوة شديدة للمسيحية وعناد ا كبيرا حيث لم تفلح الكنيسة في ترويضهم رغم البعثات التبشيرية التي أرسلتها الى اسكند ناوه طيلة القرن التاسع الميلادي[2]. ومن الناحية الاخلاقية كان شأنهم شأن الشعوب غير المتحضرة مارسوا مبدأ تعدد الزوجات وأطلقوا العنان لشهواتهم الانتقامية وروحهم القتالية كما تعاطوا أبشع أنواع الممارسات الاخلاقية وأرذلها[3].

واما من الناحية الثقافية فقد حظيت هي الاخرى باهتمام وعناية الفيكنج على الرغم من بدائيتهم ، وما تركه الفيكنج من آثار في هذا المجال انما هو الخط الروني Les Runes وهو مزيج من الخطين اللاتيني والاغريقي يحتوى على ستة عشر حرفا . وقد استخدمه الفيكنج بشكل واسع على شواهد قبورهم[4]. وللنورمان شعراء يمدحون القتال وينشدون ملاحم ابطالهم في أشعار تسمى السجات Sagas[5].

واهتم الفيكنج كذلك بالجانب المادي وبرعوا فيه براعة فائقة ، وقد زخرت المراكز الحضارية لاسكند ناوه بآثار هائلة مثل أدوات الزينة والاثاث الخشبية المنحوتة الخاصة بالحكام وأسلحتهم وهي تدل دلالة واضحة على قدرة الفيكنج على الابداع الفني من جهة وعلى الاتقان والرونق اللذين تميز بهما هذا الجانب الحضاري من جهة أخرى[6].

---

(1) أنظر : Musset: loc. cit.

(2) أنظر : Lot: Les destinées, 1, 2, p. 529.

(3) أنظر : Idem: 1, 2, p 528.

(4) أنظر : Lot: Les destinées, 1, 2, p. 529; Halphan: Les barbares, p. 289; Guitrancourt: op. cit., p. 59.

(5) ماجد : العلاقات ، ص 120 .

(6) أنظر: Lot: Les destinées; pp. 529-530; Guitrancourt: op. cit., p 51.

نتائـج غزوات الفيكنـج :

ومهما يكن من أمر هذه الغزوات النورمانية المريعة فانه لا يمكن المبالغة في اعتبارها عاملا سلبيا بحتا بالنسبة لاوربا ، وعلى كل ليس هناك من شك في أنهــا ألحقت بأوربا وبحضارتها أضرارا مهولة(1) الا أنها خلفت من جهة أخرى آثارا عميقــة وذات نفع عظيم ترتب عنها ميلاد عصر جديد ميّز اوربا طيلة عصورها الوسطى بطابعه الخاص(2).

وفي الواقع كان من بين النتائج التي تمخضت عن غزوات النورمان تعمير الجزر الشمالية النائية الخالية مثل ايسلاندا وجرينلانده في المحيط الاطلسي ونشر المدنية فيها وكذلك تحوّل مراكز استقرار النورمان ، الاولى الى مدن رئيسية ذات رصيد حضاري هام مثل دبلين وكورك وليمريك في ايرلندا وكييف في روسيا وروان Rouen في نورمنديا كما أسست غيرها من المدن مثل كاين Caen بفرنسا وبروج Bruges في بلجيكا(3).

وأدى اعتناق الفيكنج المسيحية الى ازدياد سلطان الكنيسة وتدعيم أسس حضارتها مما يسّـر سبل نشر المسيحية في الاقطار الاوربية الشمالية البعيدة(4) وفي اسكندناوه ذاتها سجل تحولات سياسية عميقة اذ تشكلت الحدود الجغرافية لكل دولة كما حلت محل الانظمة القبلية الفوضوية أنظمة ملكية قوية ذات طابع اوربي تعتمد الى حد بعيد على الكنيسة المسيحية(5)، ونتـج عن هذه الغزوات تبلور بشكل أوضح للنظام الاقطاعي وكذلك تحولت البحار الضيقة مثل بحر المانش والبلطيق وبحر الشمال الى مراكز ثقــل لاهم النشاط التجارية في اوربا(6). وفي اوربا أنشأ الفيكنج دولا نورمانية قوية صارت

---

(1) أنظر: Folz: op. cit., pp. 513-514, 525; Musset: Les invasions, pp. 124,128.

(2) أنظر: Folz: op. cit., p. 493.

(3) أنظر: FOLZ: op. cit., p. 525; Musset: Les invasions, 125.

(4) أنظر: Musset: op. cit., p. 128.

(5) أنظر: Musset: Les invasions, p. 140; Iedm: Les peuples, p 85.

(6) أنظر: Humbert: op. cit., p. 71; Folz: op. cit., p. 525; Musset: Les invasions, p. 133.

تضاهي الدول الكبرى مثل بيزنطة والخلافة العباسية في القوة والحضارة (1). وفي نورمنديا عزّز الفيكنج أسرة دوقيتهم فبلغت شأواً بعيداً في القوة والمدنية ممـــــا جعلها تنال السؤدد والجدارة في كثير من المجالات الحضارية في اوربا العصور الوسطى (2)، وبالفضل فقد أضحت نورمنديا قاعدة حساسة للعنصر النورماني ومنطلقـا لحركات توسعية كان لها أكبر الأثر على الصعيدين السياسي والحضاري في هـــذه الفترة، ومن نورمنديا كما أشرنا آنفا خرجت عام 1066م حملة عسكرية عتيدة الى انكلترا بقيادة وليم دوق نورمنديا ،كانت نتيجتها الحاق انكلترا بهذه الدوقيـــــة الفرنسية ، ومن نورمنديا كذلك وفدت جموع غفيرة من النورمان الى ايطاليا الجنوبية وتمكنوا بها من تأسيس مملكة نورمنديا عظيمة فاقت نظيرتها في القوة والبأس والتقدم الحضاري..

الأوضاع في جنوب ايطاليا قبيل وصول النورمان :

تعتبر الحقبة التي سبقت ظهور النورمان في جنوب ايطاليا من الفترات الهامة بالنسبة لتاريخ هذه المنطقة، وذلك لما سجل فيها من كثرة في الأحداث وتقلبهــــا ولعب المسلمون أصحاب صقلية والبيزنطيون أصحاب السيادة على قلورية Calabre (*) وأبرليا Apulie (**) والامراء اللمبارديون حكام الجانب الأكبر من كلبانيـــــا

---

(1) فشر : نفس المرجع ، ص 117 ، مرسي الشيخ : نفس المرجع ، ص 270، وأيضا :
Folz: op. cit., p. 512; Halphen: Les barbares, p. 307.

(2) أنظر : Folz: op. cit., pp. 516, 518.

(*) تمثل الجنوب الاقصى لايطاليا ومن مدنها ريو ، مليداو ، جيراتشي .

(**) تقع في الجهة الجنوبية الشرقية لايطاليا ، ومن مدنها تارنتو، باري، مسلفي ، و برنديزي .

Campania (*) [illegible] من أطماع اباطرة الدولة الرومانية المقدسة الالمان في ايطاليا دورا أساسيا في هذه الاوضاع ونتائجها .

ولقد كان لاستيلاء الاغالبة(**) على جزيرة صقلية(***) في عام 213هـ/ 826م(1) اثر بالغ على الاوضاع في جنوب ايطاليا اذ دأب المسلمون انطلاقا من هذه الجزيرة على شن غارات عديدة ومتكررة على المدن الايطالية الواقعة على سواحل بحر الادرياتي أدت الى [illegible] هذه المدن وتخريب البعض الآخر ، ومن ذلك أن مسلمي صقلية [illegible] في عام 273هـ/ 856م مدينة جيراتشي Gerace الواقعة بجنوب قلورية وهددوا مدينة باري Bari ، وفي عام 273هـ/ 886م كرّر المسلمون غزوهم لمدينة باري فنهجسروا

(*) تقع الى الجهة الغربية من ابوليا ومن مدنها : بينفنتو، نابلي ، وسالرنو .

(**) نسبة الى ابراهيم بن الاغلب التميمي وهو عامل الزاب، حكمت اسرة الاغالبة افريقية طوال القرن 3 الهجري/ 9 الميلادي : انظر التفاصيل في دائرة المعارف الاسلاميـــة جـ 2 ، ص 326 ـــ 328 مقال : Demombynes (G.)

(***) اعطت المصادر العربية الاسلامية وصفا واضحا لهذه الجزيرة وعلى حد قولهم فان طول هذه الجزيرة سبعة ايام في اربعة ايام ، والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون وهي من جزائر اهل المغرب مقابلة لافريقية وهي مثلثة الشكل ، وقاعدتها مدينة بالرمــو Palermo . وذكر الرحالة المسلمون جميع الخيرات التي تنعم بها هذه الجزيرة . اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن حوقل كتاب المسالك والممالك ، ص4ـــ10 ، وعن الادريسي : نزهة المشتاق، ص 23 وما بعدها ، وعن ابن سعيد الاندلسي : كتاب البدء، ص 136ـــ137 ، وعن القزويني : كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 140ـــ142 ، وعن ابي الفداء : المختصر، ص 147ـــ146 .

(1) لمعرفة التفاصيل عن الفتح الاسلامي لجزيرة صقلية ارجع الى : اماري (ميخائيل) : المكتبة العربية الصقلية نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 427ـــ430 ، وعن ابن خلدون : العبر، ص 465ـــ477 ، وعن ابي الفداء : المختصر، ص 404ـــ405 ، وعن ابن ابي دينار المؤنس ، ص 527ـــ528 ، وعن ابن الاثير : الكامل، ص 221ـــ224 . ماجد : العلاقات ، ص 7ـــ102 ، احسان عباس : العرب في صقلية، ص 12ـــ13 ، توفيق المدني : نفس المرجع ص 30ـــ32 .

ضواحيها وأسروا فيها مجموعة من الفلاحين ساقوهم الى صقلية . وشهدت مدينة تارنتو Tarento هي الاخرى غزوها مماثلا عام 1 ... م، وعندما حاولت نجدة عسكرية بيزنطية رفع الحصار الاسلامي عنها أوقع بهم المسلمون شر هزيمة[1]. وفي سنة ... 4 هـ/ ... م تمكن المسلمون من الاستحواذ على مدينة ماتيرا Materra ثم حاصروا مدينة باري[2] لمدة خمسة أشهر الى ان تدخل اسطول مدينة بيزا Pise وأجبرهم على رفع الحصار والانسحاب . وقد تدخلت القوات البيزانية للمرة الثانية قرب ريو Reggio سنة 7 ... هـ/ ... م في حرب دارت بين المسلمين والبيزنطيين أصحاب اقليمي قلورية رابوليا ، واستطاعت في نهاية الامر أن تنهي المعارك لصالح الجيش البيزنطي ، وقام المسلمون بعد ذلك بحملة أخرى سنة ...4هـ/ ...م تمكنوا خلالها من بسط نفوذهم على كوزنزا Cosenza[3].

ولم يكن اقليم كامبانيا وقتذاك اكثر استقرارا من اقليمي قلورية وابوليا الخاضعين لبيزنطة اذ كان يعيش بدوره اوضاعا مضطربة بسبب تدخل اباطرة الدولة الرومانية المقدسة في شؤونه ، وهي سياسة تعود جذورها الى ايام الامبراطور اوتو الاول Otto Ier (962-973م)[4].

على ان النفوذ الالماني في الحقيقة سجل ضعفا وتقلصا كبيرين في كامبانيا بعد وفاة اوتو الثاني (973-983م)[5]، وحينما تولى اوتو الثالث (983-1002م) عرش

---

(1) أنظر: Chalandon: Histoire de la domination normande en Italie et en Sicile, t. I, p. 39; Gay (Jules): L'Italie du Sud et l'empire byzantin, depuis l'Avenement de Basile 1er jusqu'à la prise de Bari par les Nds, p 363

(2) أنظر: Chalandon: op. cit., I, p. 39; Gay: op. cit., p. 368.

(3) أنظر: Gay: op. cit., pp. 363-369.

(4) أنظر: Halphen (Louis): L'Essor de l'Europe, t. VI, pp. 126-128; Leo et Botta: Histoire d'Italie depuis les premiers temps jusqu'à nos jours, t. I, pp. 193-201.

(5) أنظر: Gay: op. cit., p. 370.

الامبراطورية الرومانية المقدسة عمل على استعادة النفوذ الالماني على بعض المدن في هذا الاقليم بالقوة ومن ذلك انه احتل مدينتي كابوا Capoua ونابلي Napoli وحصل على اعتراف امير بينفنتو Benevento بسلطاته عليه غير أن خضوع هذه المدن لحكم الامبراطور لم يدم طويلا لانه لم يكد اوتو الثالث يغادر ايطاليا عائدا الى بلاده المانيا حتى اعلنت خروجها عن طاعته (1).

ومهما يكن من أمر فان سلطة الاباطرة الالمان على جنوب ايطاليا كانت شكلية أكثر مما هي حقيقية لان سكان المدن كانوا عادة يخضعون اذا حضر الامبراطور ثم يتمردون اذا غادرها (2)، هذا ولم تعان كامبانيا من الخطر الالماني فحسب بل كانت تشكو من الفتن الهوجاء المحتدمة بين مختلف مدنها امثال سالرنو Salerno وأمالفي Amalfi وكابوا وبينفنتو، وترتب عن هذا الوضع المتقلب أضعاف وانهاك هذه المدن (3) وانعدام الاستقرار السياسي فيها لمدة سنوات طويلة (4).

وقد تميز جنوب ايطاليا في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي بانقسامه الى عدة امارات صغيرة اذ ظلت منطقتا ابوليا وقلورية تخضعان للنفوذ البيزنطي بينما شكلت كل من مدن غايتي Gaete ونابلي وأمالفي وسورنته Sorente جمهوريات كما أصبحت بينفنتو وكابوا وسالرنو عواصم لمقاطعات لمباردية (*) يحدها من الشمال

---

(1) أنظر: Gay: op. cit., pp. 372 - 373.

(2) أنظر: Chalondon: op. cit., I, pp. 18-19; Gay: op. cit., p. 374;

(3) أنظر: Delarc: Les Nds , p. 65. Gay: op. cit., p. 374.

(4) أنظر: Idem: p. 371 .

(*) مقاطعة واسعة بشمال ايطاليا وأهم مدنها ميلانو Milano، بافيا Pavia، وكريمونا Cremone وبرشيا Brescia ومانتو Mantou . سميت بهذا الاسم نسبة الى العنصر اللمباردي، ومن المعروف ان العنصر اللمباردي، وهو جرماني الاصل، سيطر على معظم ايطاليا في القرنين السابع والثامن الميلاديين . لمعرفة المزيد عن ذلك ارجع الى : Musset (Lucien): Les invasions, les vagues germaniques, pp. 138 et suiv.

أملاك البابوية ودوقية سبولبتو Spoleto (1).

وقد عانى الحكام البيزنطيون في ابوليا وقلورية – وعاصمتهم باري – معاناة شديدة من جراء القلاقل المحلية وعصيان الطبقة الغنية الارستوقراطية من المنافسة بين المدن (2).

وفي الحقيقة لم يحظ الحاكم البيزنطي في هاتين المنطقتين بقدر كبير من المساعدات العسكرية من طرف بيزنطة بسبب انشغالها بمشاكلها الداخلية والخارجية فتقلصت سلطة الجيش البيزنطي الذي صار معظمه يتكون من الفرق المحلية بحيث غدت لا تتجاوز حدود المدن الكبرى (3)

ولعل أهم حدث سجله تاريخ جنوب ايطاليا في بداية القرن الحادي عشر الميلادي هو تلك المقاومة المحلية التي تزعمها ميلس (+) Meles أو Melo ضد الحكم البيزنطي ، وقد اندلعت هذه الثورة في شهر مايو سنة 1009م (++) وعمت جزءا كبيرا من منطقة ابوليا حيث تمكن الثوار من احتلال مدن باري وتراني Trani واسكولي Ascoli وعدد كبير من الحصون الا أن بيزنطة لم تلبث أن أوفدت في شهر مارس سنة 1010 نجدة لاخماد هذه الثورة ، ولم ينته شهر افريل حتى كانت القوات البيزنطية قد قضت عليها وفرّ زعيمها الى كابوا ثم الى سالرنو في اكتوبر سنة 1010م (4).

---

(1) أنظر: Pevin (E. Ch.): L'Allemagne et l'Italie et la Papauté, p. 75; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 1; Savelli: Hist. d'Italie, p. 48, Huillard Breholles: Recherches sur les monument et l'histoire des Normands et de la maison des Souabes dans l'Italie du Sud, pp. 1-2.

(2) أنظر: Gay: op. cit., p. 399.

(3) أنظر: Chalondon: Hist. de la domination normande, I, p. 35; Gay: L'Italie, p. 367.

(4) Chalondon: op. cit., I, pp. 42-46; Fliche: Histoire de l'Eglise, t. 7, p. 83, Gay: L'Italie, pp. 399-401; Gautier: Histoire des conquêtes des Nds en Italie, en Sicile et en Grec, p. 34; Delarc: Les normands en Italie, p. 47.

(+) كان ميلس لمبارديّ الأصل وهو أحد أسياد مدينة باري وأغنيائهم ، انظر: de Laprimandaie: Arabes et Normands, en Sicile et en Italie, p. 164; Gay: op cit., p. 399.

(++) غوتيه يذكر سنة 1010م ، ودلارك سنة 1011م : Gautier: op. cit., p. 34; Delarc: Les Normands, p. 47.

أول ظهور للنورمان في جنوب ايطاليا :

ومهما يكن من أمر فان هذه الاوضاع كلها وما نتج عنها من تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية قد جعلت من ايطاليا الجنوبية ارضا خصبة وملائمة لظهور النورمان ، واستيلائهم عليها . فقد حدث في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي وعلى وجه التحديد في نهاية عام 1015 او بداية عام 1016م(*) ان وصل الى مدينة سالرنو بجنوب ايطاليا اربعون حاجا من النورمان على متن سفينة وهم في طريق عودتهم من الارض المقدسة الى بلادهم نورمنديا الواقعة بغرب فرنسا الحالية(1) لزيارة كهف مونت جارجانو Mont Gargane الذي كان الاوربيون وقتذاك يعتقدون بظهور الملاك ميخائيل فيه (2)، وكانت مدينة سالرنو حين وصول النورمان لها تعاني من حصار شديد فرضه عليها مسلمو صقلية ، وقد تأثر النورمان كثيرا بهذا المشهد فطلبوا السلاح من أمير المدينة واسمه غايمار Guaimar ثم دخلوا جنبا الى جنب مع قوات هذا الامير ومع اهالي مدينتي سالرنو وامالفي ، في معركة عنيفة ضد جيش الحصار الاسلامي انتهت بهزيمته وانسحابه (3).

(*) يذكر المؤرخ بازنكورت Bazancourt واندريو Andrieux عام 1002م، في الواقع هذا التاريخ يبدو مبكرا جدا لانه لو كان عام 1002م هو تاريخ وصول اول جماعة الحجاج النورمان الى سالرنو كيف لا تذكر المراجع كلها اشتراك هؤلاء النورمان في المعارك التي خاضها ميلاس سنة 1009 او 1010م ضد البيزنطيين في ابوليا ، انظر:
Andrieux (M.): La Sicile carrefour des mondes et des empires, p. 220;
Bazancourt: Histoire de la Sicile, domination des Normands depuis la conquête de l'Ile jusqu'à l'etablissement de la monarchie, t. I, p. 23.

(1) أنظر: Chronique du Mt cassin, 37, ANN 1017, in Calmette (J.): Textes et documents, t. 2, p. 54; Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 48; Guitrancourt: op. cit., pp. 195-196; De Laprimandaie: Arabes et Normands, pp. 159-160; Bazancourt: Hist. de la Sicile sous la domination des Normands, p. 23; Gautier d'Arc: Hist. des conquêtes des Normands en Italie, en Sicile et en Grece, pp. 18-19; Andrieux: op. cit., p. 220.

ايمي AIME يضع هذا الحدث قبل ميلاد القرن الحادي عشر الميلادي، نقلا عن :
Chalondon: op. cit., I, p. 48.

أشار ادريك فيتال ان قوام هذه الجماعة كان مائة فارس والذي يقودها دودرون Drogen ، انظر:
=== Ordric Vital: op. cit., t. II, p. 48.

وقد اكتسب النورمان ، بعد هذا الانتصار، قيمة وشهرة كبيرتين مما جعل
ايمار يدعوهم الى البقاء في سالرنو والعمل تحت امرته ، غير أن النورمانيين رفضوا
هذا الدعاب ووعدوه بأنهم سوف يرسلون اثر وصولهم الى بلادهم فرقا أخرى فتيسة
لخدمته . ولم يعتمد ايمار على وعودهم فقط بل أرفد معهم سفارة لتتكلف بجلب
المساعدات اللازمة كما منحهم هدايا رائعة حتى يغري بها سكان نورمنديا ويرغبهم
في الهجرة الى جنوب ايطاليا (1).

وحدث بعد ذلك أن توجه الحجاج النورمان الى مونت جارجانو وهو يقع
على الساحل الشرقي قريبا من بحر الادرياتي لاداء زيارتهم :

وفي هذا الجبل التقوا بميلاس اللمباردى قائد الثورة اللمباردية ضد
الحكم البيزنطي في اقليم ابوليا فحدثهم عن مشاكله ثم طلب منهم المساعدة لمقاومة
البيزنطيين في ابوليا فقطعوا له عهدا هو الاخر على امداده بالمساعدات الكافية
لتحقيق أغراضه (2).

---

(2) عاشور: تاريخ اوربا ، ص 284 ، وانظر ايضا Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 48; Gautier: op. cit., p. 32; Delarc: Les Nds en Italie, p. 29; De Lapprimandaie, op. cit., p. 160.

(3) أنظر: Chronique d" Mt Cassin: in Calmette (J): Textes et Documents, t. 2, p. 54; Orderic Vital: op. cit., II, p. 48; Chalondon: op. cit., I, p. 48; De Laprimandaie: op. cit., pp. 160-162; Gautier: op. cit., pp. 19-24; Delarc: op. cit., p. 41; Bazancourt: op. cit., p. 23.

---

(1) أنظر: Chronique du Mt Cassin: in Calmette: Textes et Documents, II, p. 54; Orderic Vital: op. cit., t. II, pp. 48-49; Delarc: Les Nds en Italie, p. 41; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 48-50; Gautier: op. cit., pp. 24-26; De Laprimandaie: op. cit., pp. 162-164, Guitrancourt: op cit., p. 196.

(2) أنظر: Guillaume de Pouille: Gesta roberti wiscardi, Apud Delarc: Les Nds en Italie, p. 38, Huillard Breholles: Recherches et monuments sur l'histoire des normands et de la maison de souabe dans l'Italie du Sud, p. 02; De Laprimandaie: op. cit., pp. 164-165.
وهناك رواية اخرى تفيد أن ايمار امير مدينة سالرنو هو الذي أقنع النورمان نيابة عن ميلاس بتزويده بالاغاثة اللازمة لمقاومة البيزنطيين : انظر :
Chalondon: Hist. de la domination normands, I, pp. 50-51.

وقد نفّذ الحجاج النورمان عهدهم بالخلاص عقب عودتهم الى وطنهم نورمنديا ولم يكد يدخل فصل الربيع من عام 1017م حتى أخذت جموع النورمان تتدفق على ايطاليا الجنوبية وهي جموع تتكون في معظمها من الشباب المغامرين والفقراء الطامحين ، واشتهر من زعمائها درنغو اوسمند Drengot osmond ورانولف Rainulf واسكلتين Asclittin.

وقد دخلت هذه العناصر النورمانية اثر وصولها الى ايطاليا الجنوبية في خدمة امرائها ، فانضم بعضهم تحت لواء غايمار امير مدينة سالرنو على حين التحق اكثرهم ، وعلى رأسهم القائد درنغو ، بالثائر ميلاس في مدينة كابرا (1) ، وكانت هذه القوة النورمانية كافية لمساعدة ميلاس على تحقيق النصر على القوات البيزنطية في ابوليا في ثلاث معارك كبرى اضطر بعدها حاكم البيزنطيين اندرونيق Andronic الى الاعتصام بعاصمته باري تاركا لميلاس الميدان ليستولي على ما يستطيع من المدن الابولية (2).

وكان ان استدعى الامبراطور البيزنطي (*) الحاكم اندرونيق الى القسطنطينية وأرسل حاكما آخر ليحل محله اسمه باسيل بويانس Basile BoÏannes استطاع

---

(1) أنظر : Orderic Vital: op. cit., II, p. 49; Guill de Jumièges: op. cit., p. 217; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 50-53; De Laprimandaie: op. cit., pp. 168-169; Savelli: Hist. d'Italie de l'empire romain jusqu'à nos jour, pp. 48-49; Delarc: Les Nds en Italie, p. 48; Raffaello Morghen: L'unita monarchica Nell Italia meridionale, in Nuove questioni di storia medioevale, p. 256; Grimberg: op. cit., p. 126.

(2) Guill de Pouille: op. cit., in Delarc: Les Nds en Italie, pp 49-53.
ذكر وليم الجومياجي المساعدة التي بذلها هؤلاء النورمان لسكان ايطاليا الجنوبية سواء ضد المسلمين او البيزنطيين : Guill de Jumièges: op. cit., p. 217. De Laprimandaie: op. cit., p. 169; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 54-55; Raffaello Morghen: op. cit., in Meridionale in Nuove questioni di storia medioevale, p. 236; Gautier: op. cit., pp. 38-39.

(*) باسيل الثاني Basile II (976-1025م).

استرجاع المدن التي كان ميلاس قد وضع يده عليها بمساعدة النورمان في عدة معارك دارت اخراها في اكتوبر عام ١٠١٨م بسهل كان Cannes [٢] وقتل فيها درنغو زعيم هؤلاء النورمان، واما ميلاس فتوجه، اثر هذه المعركة، الى هنري الثاني (١٠٠٢-١٠٢٤م) امبراطور الدولة الرومانية المقدسة ليطلب منه المساعدة لكنه لم يلبث ان توفي بألمانيا عام ١٠٢٠م أو ١٠٢١م[1].

وقد دخل من تبقى من المغامرين النورمان ومن لحق بهم في ايطاليا وقتذاك، في خدمة بعض الحكام من اللمبارديين والايطاليين في ابوليا وكامبانيا وبخاصة ايمار حاكم مدينة سالرنو واثينولف Athenulf مقدم دير مونت كاسينو Monte Cassino وداتت Datt صهر ميلاس وحاكم قلعة غريغليانو Jarigliano القريبة من روما[2]، وحدث أن وصل الى جنوب ايطاليا في اوائل عام ١٠٢٢م الامبراطور الالماني هنري الثاني بطلب من البابا بندكت الثامن Benedict VIII لطرد

---

(١) يذكر دلارك Delarc ودلابريمندي De Lprimandaie وغوتيه Gautier ان هذه المعركة دارت في اكتوبر عام ١٠١٩م، على ان هذا التاريخ لا يمكن الاخذ به لان الحاكم البيزنطي لايطاليا كان قد شرع في بناء مدينة ترويا، الواقعة ضمن الاملاك التي استحوذ عليها ميلاس، في جوان عام ١٠١٨م، وكيف يتساهل البيزنطيون ببناء ترويا وهي في حوزة الثائرين اللمبارديين : انظر: Chalondon: op. cit., pp. 56-57.

(٢) أنظر: Chalondon: op. cit., I, pp. 55-57; De Lprimandaie: op. cit., pp. 170-172; Gautier: op. cit., pp. 42-44; Delard: Les Nds en Italie, pp. 54-56.

(2) Chalondon: Hist. de la domination normande, I, p. 58; Delarc: Les Nds en Italie, pp. 57-58; De Laprimandaie: op. cit., pp. 172-173; Gautier: op. cit., p. 46.

البيزنطيين فاغتنمت عناصر النورمان المغامرين الفرصة وهرعوا للانضواء تحت لواء الامبراطور ولكن الجيش الالماني لم يلبث أن اضطر، بالرغم من الانتصارات التي أحرزها على القوات البيزنطية، الى العودة الى بلاده ألمانيا بسبب انتشار المرض الذي فتك بنحو نصف جيشه [1].

ولم تجد الفرق النورمانية المساعدة وقتذاك امامها الا الانسحاب بقيادة الفارس تورستين سيتيل Turstin Citel الى الحدود الابولية الكامبانية لتكسب عيشها فترة من الزمن عن طريق الاغارات والنهب والسلب من الاهالي [2]. وفي عام 1030م استطاع الزعيم النورماني راينولف اخو درنغو وخليفة تورستين سيتيل أن يحصل من الامير سرجيو Sergio دوق مدينة نابلي على حصن افرسا Aversa وضواحيه، وهو واقع بين مدينتي نابلي وكابوا، وذلك لقاء ما قدمه له من خدمات [3]، وحتى تتجاوز علاقاتهما الى حد الولاء زوّج سرجيو أخته براينولف وأعطاه لقب "كونت افرسا" [4]. وقد عرف راينولف والنورمان جميعا كيف يستغلون الصراع القائم بين امراء المدن الايطالية، اذ ساروا

---

(1) أنظر: De Lprimandaie: op. cit., pp. 175-183; Chalondon: op. cit., I, pp. 61-66; Leo et Botta: Histoire d'Italie depuis les 1er temps jusqu'à nos jours, t. I, p. 206; Gautier: op. cit., pp. 50-54.

(2) أنظر: De Laprimandaie: op. cit., p. 183.

(3) أنظر: Guillaume de Jumièges: op. cit., p. 218.
Ordric Vital: op. cit., II, p. 225; Aime: L'Istoire de li Normant, I, 40, Apud Delarc, Les Nds en Italie, P. 70; Huillard: op. cit., p. 3; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 76-77; Landogna (F.): Hist. d'Italie, p. 46; Heers: Precis d'histoire du M.-Age, p. 89; Savelli: op. cit., p.49; Raffaelo Morghen: op. cit., in N.Q.S.M.T., pp. 236-237; Leo et Botta: op. cit., I, p. 234.

عاشور: تاريخ اوربا، ص 234-235.

(4) أنظر: Chalondon: op. cit., I, p. 57; Gay: L'Italie, p. 438; Gautier: op. cit., p. 61; Delarc: op. cit., p. 70; Heers: loc. cit.

وفق سياسة الانضمام الى الجانب الاقوى والذي يكسبهم أكثر كما أبوا باستمرار على ايقاد نار هذا الصراع متبعين سياسة محكمة تركزت على اساس العمل على أحداث التوازن بين مختلف القوى المحلية الايطالية حتى لا يقوى ساعدها (1).

على انه لم يلبث بعد هذا الاستقرار النورماني في ايطاليا الجنوبية ، والذي يعتبر النواة الاولى للوجود النورماني في هذه المنطقة ، اذ وفدت عام 1038 م أعداد اخرى من النورمان ليعززوا صفوف اخوانهم و ينالوا هم أيضا نصيبهم من النعيم، وكان ممن اشترك في هذه المجموعة بعض ابناء تانكريد دي هوتفيل (*) Tancrede de Hauteville الذين سيكون لهم مستقبل مشرق لما كانوا يتمتعون به من شجاعة ودهاء ، وهم دروغن Drogon وهمفري Humfroy و وليم Guillaume (2)

---

(1) أنظر : Guillaume de Pouille: Gesta, Apud Delarc: op. cit., pp. 72-73; Decarreaux: Normands papes et moines cuiquante ans de conquêtes de politiques religieuses en Italie meridionale et en Sicile, pp. 25-27; Chalondon: op. cit., I, p. 81

(*) قال عنهم المؤرخ وليم الابولي Guill de Pouille "بانه لم ير على وجه الارض مثيلا لهؤلاء الاخوة منذ عهد قيصر وشرلمان "، وابوهم تانكريد هو أحد أسياد دوقية نورمنديا كان يملك اقطاعا لا يكاد يسد حاجة عائلته وهو اقطاع هوتفيل Hautville الواقع بالقرب من كوتانس Contance في الجنوب الغربي من نورمنديا ، وكان له اثنى عشر ولدا من زوجتين وهم على التوالي : وليم Guillaume ودروغن Dr[illegible] وهمفري Omfroi وجفري Geoffroi وسارلون Sarlon وروبرت Robert وموجير Mauger واوفري Auvray و وليم Guillaume وتانكريد Tancrede وروجر Roger وامبارت Humbert . امتاز هؤلاء الرجال بالشجاعة والمهارة الحربية وقوة البدن ، ولما ادركوا فقر اقطاعهم عقدوا العزم على الهجرة الى ايطاليا الجنوبية :
ارجع الى Ordric Vital: op. cit., t. II, p. 83; Rommaldi: Chronicon, apud Murtori, VII, 1er partie, pp. 183 - 184; Decarreaux: op. cit., p. 26; De Laprimandaie: op. cit., pp. 185-186; Delarc: op. cit., p. 79; Chalondon: op. cit., I, pp. 81-82; Bazancourt: op. cit., pp. 24-25; Gautier: op. cit., pp. 66-68.

(2) أنظر : Orderic Vital: op. cit., II, p. 49; Chalondon: Hist. de la domination, op. cit., pp. 77 - 82 ; Bazancourt: op. cit., pp. 24-25; Gautier: op. cit., pp. 62-63; Savelli: op. cit., p. 49; Delarc: Les Nds en Italie, p. 75.

النورمسان يتخذون دولة لهم في اقليم ابوليا :

ولم يمض وقت طويل على وصول هذه الجماعة حتى دخل وليم – أكبر أبناء تانكريد دي هوتفيل – وأصحابه في خدمة باندولف الرابع Pandulfe IV ، امير كابوا ، ثم غايمار الرابع ، امير مدينة سالرنو ، الذي تزوج وليم من ابنة أخيه . وفي مارس عام ١٠٤١م انتهز وليم هوتفيل وفرسانه فرصة انشغال القوات البيزنطية في محاولة فرض السيطرة على جزيرة صقلية فانقضوا على مدينة ملفي Melfi الحصينة باقليم ابوليا واستولوا عليها وحولوها الى مركز قوي وبمثابة قصبة لهم في جنوب ايطاليا . وقد حاول البيزنطيون في نفس الشهر استرجاع هذه المدينة وغيرها من المدن الابولية التي كان النورمان قد وضعوا أيديهم عليها بعد فتح ملفي ، ولكن فشلوا امام التحالف النورمانى الذي أوقع بهم عدة هزائم ، تميز خلالها وليم بالشجاعة والاقدام فاستحق من أتباعه لقب وليم ذو الذراع الحديدية Guillaume bras de fer (1).

وقد تمكن النورمان بعد هذه الانتصارات من بسط سيطرتهم على الجانب الأكبر من أبوليا ووزعوا هذه الاملاك على اثنى عشر فارسا منهم فيما عدا العاصمة التي أصبحت ملكا مشاعا للجميع بحيث أصبح لكل من الفرسان الاثنى عشر مدينة خاصة وحصل كل من هؤلاء الفرسان على لقب "كونت Comte " وانتخبوا وليم ذا الذراع الحديدية ، الذي جعل مركزه مدينة ملفي ، وحصل على لقب

(1) " Et li normand nonfurent lent, corurent et pristrent les domps (de Guaimar) et haucerent lo seigrrie sur touz li princes" "Dona à moillier à Guillerme novel conte la fille de son frère".

((ولم يلبث النورمان أن استولوا على أملاك غايمار وأتباعه ثم تزوج وليم من ابنة أخي غايمار .))

أنظر :
Aime: op. cit., apud Delarc: op. cit., pp. 81-84; 128; Gay: L'Italie, pp. 465-467; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 97-100, 105; Decarreaux: op. cit., p. 27; Gautier: op. cit., pp. 102-107; Leo et Botta: op. cit., I, p. 235; Delarc: op. cit., pp. 102-121; Savelli: op. cit., p. 49; Landogna: op. cit., p. 46; De Laprimandaie: op. cit., pp. 200-206; Bazancourt: op. cit., pp. 40-41.

كونـت أبوليا (1).

روبرت جسكارد وفتح قلورية :

وقد توفي وليم ذو الذراع الحديدية في عام 1046م وانتخب أدراق النورمان في ابوليا أخاه دروغن Drogon خليفة له (2). ولم يلبث أن وصل الى ملفي بأبوليا عام 1046م أو 1047م الابن السادس المعوز النورماني تانكريد دي هوتفيل، وهو روبرت الذي اشتهر فيما بعد باسم روبرت جسكارد Robert Guiscard (Wiscard) ومعناه روبرت الحكيم أو الفطن، فجعله أخوه دروغن كونتا ومنحه حصنا صغيرا يعرف باسم حصن سكريبلا Scribla على الحدود الابولية القلورية وكلفه بفتح قلورية وطرد البيزنطيين منها (3).

وتذكر المراجع بأن روبرت بدأ في تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقه من غير مساعدة بشرية أو مالية من أخيه دروغن واعتمد فقط على جماعة صغيرة من المغامرين

---

(1) أنظر:
Guitrancourt: op. cit., p. 198; Bazancourt, op. cit., p. 60; Gautier: op. cit., pp. 118-122; Leo et Botta: op. cit., p. 235; Delarc: Les Nds en Italie, pp. 128-130; De Laprimandaie: op. cit., pp. 206-208; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 100, 105-106.

ويشير ايمي الى هذا الامر بقوله ((Et Melfe, pour ce que estoit la principal cité, fu commune à touz p.)) (وصارت مدينة ملفي مركزا لجميع أمراء النورمان)) -Aime: op cit, apud Delarc: 130.
وعن حصة كل واحد من زعماء النورمان ارجع الى : Chalondon: op cit, I, p. 105.

(2) أنظر:
Guill de Jumièges: op. cit., p. 218; Chalondon: op. cit., I, p. 110; Bazancourt: op. cit., p. 60; Gautier: op. cit., pp. 127-128; Delarc: op. cit., pp. 156-158; De Laprimandaie: op. cit., pp. 212-213.

(3) حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى، ص 39، وانظر أيضا :
Chalondon: op. cit., I, pp. 115-118; Gay: L'Italie, p. 503; Delarc: op. cit., p. 173; Andrieux: op. cit., p. 221; Gautier: op. cit., pp. 129-130.

النورمان واللمبارديين والايطاليين الذين رأوا في المغامرة في قلورية فائدة كبرى لهم وظل روبرت بضع سنوات يعيش في قلورية على أعمال السلب والنهب وقطع الطريق وهي أعمال موجهة ضد البيزنطيين وسكان قلورية على حد سواء .

ولم يكن روبرت يملك في قلورية خلال تلك الفترة سوى معسكر استولى عليه فوق جبل يسمى جبل القديس مرقص Saint - Marc وحصنه منذ بدء عملياته فـي الاقليم[1]، ولكن ما ان اشتد ساعده ، بعد استطاع أن يضم الى جماعته من أهالـي قلورية بالاموال التي جمعها من السلب والنهب ، حتى أخذ في تنفيذ مهمته الاصلية وهي بسط السيطرة النورمانية على قلورية ، واستطاع بالفعل أن يستولي على أكثر المدن الداخلية منها قبل أن يستدعيه النورمان من ابوليا عام 1053م لمساعدتهم في التغلب على ما طرأ عليهم من متاعب أثناء وجوده في قلورية[2].

وتفصيل ذلك أن البيزنطيين في ابوليا نجحوا في تدبير مؤامرة بالتعاون مع اللمبارديين حلفاء النورمان انتهت بمصرع كونت أبوليا النورماني دروغو هوتفيل وعدد كبير من الفرسان النورمانيين الاخرين يوم 10 اوت عام 1051م[3] وما ان

---

(1) حسن حبشي : نفس المرجع ، ص 39 ، وايضا : Chalondon: Hist. de la Dtion I, pp. 118-119; Gay: L'Italie, p. 503; Delarc: Les Nds en Italie, p 173; Heers: op. cit., p. 89.

عن تفاصيل اقامة روبرت في قلورية اثناء هذه الفترة ارجع الى : Malaterra: Historia Sicula, apud Delarc: op. cit., pp. 173-175.

(2) أنظر : Chalondon: op. cit., I, pp. 120-121; Gay: op. cit., pp. 504-505; Heers: loc. cit.;

أشار وليم الجومياجي الى أن روبرت فتح قلورية بفضل حنكته ، انظر : Guill de Jumièges: op. cit., p. 219.

وعن وصف شخصية روبرت ارجع الى : Anna Comnena: Alexiad apud Delarc: Les Nds, pp. 169-170.

(3) أنظر : Guill de Jumièges: op. cit., pp. 218-219; Gay: L'Italie, pp. 483-484; Delarc: Les Nds en Italie, pp. 197-199; De Lprimandaie: op. cit., pp. 222-223.

استطاع النورمان ، بقيادة كونت ابوليا الجديد ، همفري هوتفيل أخي دروغو ، استرداد ما أخذه منهم البيزنطيون نتيجة المؤامرة حتى وجدوا أنفسهم في عام 1053م في مواجهة حلف قوي قوامه القوات الالمانية والايطالية التي حشدها البابا ليو التاسع (1049-1054م) وقوات اللمبارديين الذين انفصلوا عن النورمان وانضموا الى البابا ومن ذلك اقتضت الضرورة استدعاء روبرت جسكارد وقواته العاملة في قلورية للتغلب على هذا الحلف ، وهو ما تم بالفعل واصطدمت القوات النورمانية بهذا الحلف في تشيفيتاتي Civitate يوم 18 حزيران 1053م كانت نتيجته وقوع البابا ليو التاسع في الاسر واضطراره الى توقيع اتفاقية مع النورمان اعترف لهم فيها بما تحت ايديهم من أملاك وما سيفتحونه فيما بعد في جنوب ايطاليا وصقلية من أراضي مقابل تعهدهم بالدفاع عن الكنيسة التي يرأسها ضد جميع اعدائها (1).

وبسبب ما ابداه روبرت جسكارد من شجاعة فائقة في المعارك التي جرت ضد قوات الحلف البابوي فقد اختاره النورمان زعيما لهم ومنحوه لقب كونت ابوليا بمجرد وفاة اخيه همفري في اوت عام 1057م (2).

---

(1) أنظر : Ordric Vital: op. cit., II, p. 359; Delarc: Les Nds en Italie, pp. 202-240; Gautier: op. cit., pp. 151-163; Gay: L'Italie, pp. 484-490; Bazancourt: op. cit., pp. 62-64.

(2) أنظر : Chalondon: Hist. de la Dtion, I, pp. 148-149; Gay: op. cit., p. 505; Raffaello Morghen: op. cit., in N.Q.S.M.; p. 238; Sovelli: op. cit., p. 49; Delarc: op. cit., pp. 279-280.

لقد تعهد روبرت لاخيه همفري ، الذي تولى مكان دروغو عام 1051م ، وهو على فراش الموت بحماية ابنيه ابيلار Abelard وهرمان Hermann ورعاية املاكهما حتى يبلغا رشدهما ، لكنه لم يف بعهده اذ استولى على املاكهما وضمها الى عرشه ، انظر:
Ronmaldi: Chronicon, VII, 1er partie, p. 184; [illegible]; Guill de Jumièges: op. cit., p. 219; Chalondon: op. cit., I, p. 149; Guill de Pouille: op. cit., apud Delarc: op. cit., pp. 277-278.

وبعد شأن وصل الى ابوليا في نفس العام ، او في العام الذي يليه ، بفئة أخرة روبرت جسكارد من نورمنديا بعض فيهم اخوه الاصغر روجر Roger [1].

على ان جسكارد لم يلبث أن كلف أخاه روجر بمهمة اكمال فتح اقليم قلورية اي القسم الجنوبي المواجه لجزيرة صقلية ومنحه مدينة مليطو Mileto ، مع لقب كونت كما تعهد له بأن يكون له اي لروجر نصف صقلية . غير أن روبرت الذي كان يطمع في أن ينال لنفسه شرف فتح اقليم قلورية بأكمله ، ويرغب في اتمام هذا الفتح في أسرع وقت ممكن ليبدأ في ضم جزيرة صقلية [2] التي كان البابوان ليو التاسع ونقولا الثاني قد اعطيا للنورمان حق امتلاكها اذا تم لهم فتحها ، لم يلبث أن لحق بأخيه روجر في قلورية بعد وصوله اليها بفترة صغيرة واشترك معه في طرد البيزنط بين مما تبقى لهم من مدن مثل برنديزي Brindisi وتارنتو Tarento وأهمها مدينة ريو Reggio المواجهة لمدينة مسينا Messine الواقعة على الطرف الشمالي لجزيرة صقلية وقد كان ذلك في عام 1060م وهو العام الذي نودي فيه روبرت جسكارد دوقا لقلورية وابوليا [3].

---

(1) أنظر: Malaterra: op. cit., apud Delarc: Les Nds en Italie, p. 282; Raffaello Morghen: loC. cit.; De Laprimandaie: op. cit., p. 239.

حامد زيان : تاريخ الحضارة الاسلامية، ص 57 .

(2) أنظر: Malaterra: op. cit., apud Delarc: op. cit., pp. 282, 288; De Laprimandaie: loc. cit.

(3) أنظر: De Laprimandaie: op. cit., pp. 244-246; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 170, 173, 174; Gay: L'Italie, pp. 522-523; Delarc: Les Nds en Italie, p. 344; Bazancourt: op. cit., pp. 64, 75,78; Gautier: op. cit., pp. 199, 207-208; Halphen: L'Essor de l'Europe, p. 48.

وبعد أن تمت له السيطرة على ريو واقتنع أمام اصرار أخيه روجر على تجهيز حملة عسكرية لاحتلال جزيرة صقلية[1] . وفي عام 1061م ، اي بعد عام واحد من اتمام فتح قلورية، عبر روبرت جسكارد صحبة أخيه روجر الى هذه الجزيرة .وكان أن توالت على جيوش النورمان الانتصارات الباهرة الا أن روبرت جسكارد لم يلبث أن عاد الى أبوليا[2] .

وقد كان على روبرت جسكارد أن يواجه ثورة عارمة في ايطاليا الجنوبية، اذ تمكن البيزنطيون في هذا الاقليم، بالتعاون مع دوق دورازو Durazzo عام 1064م في تأليب أهالي الاقليم سواء في المدن الساحلية المستقلة او في المدن الخاضعة للسيطرة النورمانية بل وفي اقناع الكونتات النورمانيين أنفسهم بالتمرد على سلطته والاستقلال بمدنهم وضياعهم وكذلك في استرجاع البيزنطيين العديد من المدن التي ملكهـــا النورمان آنفا مثل برنديزي وتارنت[3]، وبعد مقاومة عنيفة نجح جسكارد بين أعـــوام 1054ـــ1067م في اخضاع تمرد الزعماء النورمان الثائرين كما استرد المدن التي كان البيزنطيون قد احتلوها آنفا[4] .

ولكن لم يلبث أن وصلت الى مدينة باري مركز الحكم البيزنطي في ابوليا في عـام

---

(1) أنظر : De Laprimandaie: op. cit., p. 248.

بالنسبة لمدينة ريو فقد حاول روبرت و روجر قبل هذا التاريخ بسنتين أي عام 1058م الاستيلاء عليها لكن استماتة وبسالة رجالها وقلة المؤن في اوساط الجيش النورماني اجبر روبرت على رفع الحصار عليها والانسحاب منها : ارجع الى :
De Laprimandaie: op. cit., p. 241; Gautier: op. cit., p. 207; Delarc: Les Nds en Italie, pp. 283-284.

(2) أنظر : De Laprimandaie: op. cit., pp. 254-260; Chalondon: Hist. de la domination,I, pp. 194-197.

(3) أنظر : Gay: L'Italie, pp. 533, 535; Chalondon: op. cit., pp 177-182.

(4) أنظر : Gay: L'Italie, pp. 534-535; Chalondon: Hist. de la dominatio, I, pp. 182-183.

1055م ، وصلت نجدة تمكنت القوات البيزنطية بمساعدتها من استرجاع بعض المدن الهامة من الاقليم اكبرها برنديزي وتارنتو عام 1067م[1]. وكان أن جمع روبرت جسكارد أكبر حشد نورماني ، استطاع جمعه من القوات النورمانية التي استقدمها من قلورية ومن سائر النواحي الابولية ، ومن المغامرين النورمانيين الواصلين حديثا من نورمنديا وذلك ليس فقط لاستعادة المدن التي انتزعها البيزنطيون حديثا من النورمان ، ولكن أيضا لاستئصال شأفة الحكم البيزنطي نهائيا في جنوب ايطاليا وادخال المدن التي ما تزال على استقلالها ، وهو ما تمكن من تحقيقه بالفعل ، علما بأن آخر ما سقط في يده كان مدينة باري يوم 15 افريل عام 1071م[2]، وهو نفس العام الذي لقي الجيش البيزنطي الهزيمة الساحقة على يد الاتراك السلاجقة في موقعة ملازكرد الشهيرة بآسيا الصغرى وربما كان انشغال البيزنطيين بهؤلاء الاتراك هو الذي حال بينهم وبين ارسال نجدة قوية تمنع مدينة باري من السقوط في يد القائد روبرت جسكارد [3].

وفي الواقع فان سقوط مدينة باري التي دام حصارها عامين وثمانية أشهر ، حدث له جانب كبير من الاهمية في تاريخ الصراع بين النورمان والبيزنطيين ، اذ يمثل النهاية للتواجد البيزنطي في ايطاليا الجنوبية[4]، كما مكّن النورمان من السيطرة على موقع

---

(1) حبشي : نفس المرجع ، ص 43-44، وانظر ايضا : Gay: op. cit., p. 535; Chalondon: op. cit., I, pp. 183-184.

(2) أنظر : Orderic Vital: op. cit., II, p. 49; Guill de Jumièges: op. cit., p. 219; Gay: op. cit., pp. 535-538; Chalondon: Hist. de la domination I, pp. 184, 190; Savelli: op. cit., p. 49; Gautier: op. cit., pp. 269-273;

حبشي : نفس المرجع ، ص 44-46، عمران محمود سعيد : معالم تاريخ الدولة البيزنطية ، ص 249 .

(3) عن معركة ملازكرد ارجع الى ابن الاثير : الكامل ، ج 8، ص 109-110، طبعة بيروت 1983، عمران محمود سعيد : نفس المرجع ، ص 245-249 .

(4) عمران محمود سعيد : نفس المرجع ، ص 249 ، وايضا : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 190; Gay: L'Italie, Introduction, p. II.

استراتيجي هام اشتهر بدوره الفعال في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب .

هذا وقد رام بابشر روبرت جيسكارد ان يمد فتوحاته الى دويلات الساحل الكامباني الغنية الواقعة الى الساحل الغربي من ابوليا ، فاستولى في عام 1073م على جمهورية أمالفي ، وأخضع عام 1076م مدينة سالرنو[1]، وأمن بذلك من الخطر قد يتهدد دولته من الجنوب من الجيران الاقوياء وبقي عليه أن يتفرغ لاكمال بسط سيطرته على جزيرة صقلية الى الجنوب من دولته الايطالية فيؤمن دولته من خطر المسلمين في هذه الناحية .

فتح جزيرة صقلية :

سبق وذكرنا في مستهل هذا الفصل بأن جزيرة صقلية خضعت في عام 213 هـ/ 826م لحكم الاغالبة في افريقية[2]، ثم كان من الطبيعي أن تدخل الجزيرة منذ عام 297هـ/ 909م ضمن اطار الدولة الفاطمية ، وريثة الاغالبة وسائر دول المغرب العربي الاسلامي[3]، وكان من الطبيعي ايضا أن تضعف العلاقات بين ولاة صقلية والخلفاء الفاطميين بعد انتقال هؤلاء الى القاهرة في عهد المعز لدين الله الفاطمي في عام 362هـ/ 972م وذلك

---

part.

(1) أنظر : Malaterra: Historia Sicula, apud Muratori, t. V, 1ere/chapitre II,III,IV, pp. 58-59; Orderic Vital: op. cit., II, pp. 49, 414; Halphen: L'Essor de l'Europe, pp. 49-50, Landogno: op. cit., p. 47; Savelli: op. cit., p. 49; Gautier: op. cit., pp. 203-204

(2) أنظر صفحة 24 من هذا الفصل .

(3) اماري ميخائيل : المكتبة العربية الصقلية نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 250ـ251 ، وعن ابن خلدون : العبر ، ص 476 ، وعن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 529ـ530 ، وعن النويري : نهاية الارب ، ص 434ـ435 ، ماجد : العلاقات ، ص 106ـ107 ، ماريو مورينو : المسلمون في صقلية ، ص 13ـ14 .

وذلك لبعد المسافة بين صقلية ومصر وانشغال الفاطميين في مصر بتثبيت أقدامهم في مقرهم الجديد ومدّ حكمهم الى سوريا . وفي الواقع لم يكن يهم الخلفاء الفاطميين في القاهرة من صقلية سوى تحصيل الاموال المستقرة عليها سنويا وتركوا ولاتها من الاسرة الكلبية التي بدأ عهدها بالحكم في عام 336هـ/948م يتصرفون فيها بأكبر قدر من الاستقلال (1).

والظاهرة البارزة في عهد هذه الاسرة هي تناحر رجالها على الحكم مستغلين في ذلك ظاهرة التنافر بين سكان البلاد والفاتحين من عرب وبربر. وقد تجلت هذه الظاهرة بقوة منذ أواخر القرن الرابع الهجري، أواخر القرن العاشر الميلادي، وأدى تفاقمها في النهاية الى تسهيل مهمة النورمان، عندما شرعوا في غزو الجزيرة خلال القرن الحادي عشر الميلادي (2)، وهذا شبيه بما وقع في جنوب ايطاليا، وتعرضنا له في حينه، حين سهلت ظاهرة التناحر على السيادة في تلك الجهات بين قوى البيزنطيين واللمبارديين وأنصار البابوية وأنصار الامبراطورية الألمانية، على النورمان اقامة دولتهم فيها على حساب هذه القوى جميعها.

واذا تكلمنا بشيء من التفصيل نذكر بأنه حدث في عام 358 هـ/968م أن أصيب الوالي الكلبي وقتذاك في الجزيرة باسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م) وهو ابو الفتح يوسف بن عبد الله بن محمد احمد بمرض أعجزه عن ممارسة مهام منصبه فأناب عنه في حكم الجزيرة ابنه جعفرا . وقد أظهر جعفر هذا

---

(1) حامد زيان : تاريخ الحضارة الاسلامية في صقلية، ص 57، ماريو مورينو : المسلمون في صقلية، ص 16 .
عن تولية الاسرة الكلبية ارجع الى أماري : المكتبة العربية الصقلية، نقلا عن ابن خلدون : العبر: ، ص 463 وعن ابي الفداء : المختصر، ص 407، وعن النويري : نهاية الارب ، ص 437 .
(2) حامد زيان : تاريخ الحضارة الاسلامية، ص 63، ماجد : العلاقات، ص 122 .

ميلا واضحا للعناصر الصقلية ذات الاصل العربي المشرقي في معظمها ، وفضّلوا في تولية المناصب على العناصر ذات الاصل المغربي ، أو البربر، وهنا انتهز أخ لجعفر، اسمه علي ، الفرصة وأثار البربر والعبيد ضد جعفر، ولكن المعارك التي دارت بين الطرفين نتيجة لذلك انتهت بمصرع علي وتثبيت جعفر الذي انتقم من البربر والعبيد انصار أخيه عليا فأمر بطردهم من صقلية وترحيلهم الى افريقية .

ولكن لم يلبث أهل صقلية أن ثاروا على جعفر بسبب استبداد أحد قادته بالحكم ومصادرته لاموالهم والاستخفاف بشيوخهم ، فما كان من والد جعفر ابي الفتوح يوسف الذي كان لا يزال حيا ، الا أن تدخل في الأمر وقام بعزل ابنه جعفر وتولية ابنه الآخر مكانه وهو احمد الاكحل ، وكان ذلك عام 410 هـ/ 1019م (1) .

على أن أهل صقلية لم يلبثوا أن أظهروا المعاداة لاحمد الاكحل بسبب تفضيله العبيد الافريقيين عليهم بأن خصّهم بالمناصب الحكومية وأعفى أراضيهم من الخراج على حين أخذ الخراج من أملاك أهل صقلية، وقد اتجه عدد من وجهاء الصقليين من عام 427 هـ/ 1035م الى افريقية الاستعانة بالامير باديس بن المنصور الزيري (386-406هـ/ 996-1015م) ضد احمد الاكحل (*) فسيّر معهم جيشا بقيادة ابنه عبد الله وأوقع

---

(1) أماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 533، وعن ابي الفداء: المختصر، ص 413 ، وعن ابن خلدون : العبر، ص 433، وعن ابن الاثير : الكامل ، ص 273 - 274 ، وعن النويري : نهاية الارب ، ص 442-444 .

(*) ولما أدرك الاكحل استفحال امر الفتنة وتعاظم قوة اعدائه عقد حلفا مع الدولة البيزنطية فمنح ابنه رهينة لهم ، وعلى اثر وصول الاسطول الزيري الى صقلية هبت قوات بيزنطية من ايطاليا لمساعدته بعد أن طلب منها ذلك ، لكن هذه النجدة لم تلبث أن عادت ادراجها الى ايطاليا دون أن تؤدي مهمتها التي نوديت من اجلها : انظر:

Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 89-90.

الزيرية بأحمد بمدينة الخالصة، غير ان الكثرية أهل صقلية لم يكونوا راضين عن تدخل بني زيري افريقية في شؤون جزيرتهم ، ربما خشية أن ينتج عن ذلك عودة تفوق النفوذ البربري عليها فقاوموه وحاربوه وانتصروا عليه وأجبروه على العودة الى افريقية ثم عزلوا احمد الاكحل ونصبوا مكانه اخاه الحسن الصمصام بن يوسف (1).

وكان الحسن حاكما ضعيفا فاستهان حكام نواحي الجزيرة بشأنه ونبذوا طاعته كما دارت بينه وبين أخ له اسمه ابو كسب طامع في منصبه ، معارك شرسة انتهزها البيزنطيون في جنوب ايطاليا فعادوا الى الجزيرة في عام 431 هـ/ 1039 م صحبة فرسان النورمان (*) الذين وعدهم البيزنطيون ، ثمنا لمساعدتهم ، بربح الغنائم ونصف الحصون وهو ما لم ينفذه البيزنطيون ، مما أدى الى انسحاب النورمان من صقلية في عام 1041 م، وشرعوا في غزو ابوليا اثناء غياب القوات البيزنطية عنها كما سبق وذكرنا ، وكان لهذا الغزو ووصول نجدة الى مسلمي صقلية من بني زيري من افريقية وعودة وحدة الصف الى القوات الصقلية أثره الحاسم في انسحاب البيزنطيين من الجزيرة والعودة الى جنوب ايطاليا فيما عدا مدينة مسينا التي احتفظوا بها حتى عام 1058م (2).

(1) أماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون :العبر، ص 483-484، وعن النويري : نهاية الارب ، ص 444-445، وعن ابي الفداء :المختصر، ص 413-414، وعن ابن الاثير : الكامل ، ص 274-275، وعن ابن ابي دينار :المؤنس، ص 323 .

(2) أنظر:
Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 90-95; De Laprimandaie: op. cit., pp. 189-204; Bazancourt: op. cit., pp. 27-39; Halphen: L'Essor de l'Europe, p. 48; Delarc: Les Nds en Italie, pp. 92-97; Gay (J.): L'Italie meridionale et l'Empire byzantin depuis l'avenement de Basile 1er jusqu'à la prise de Bari par les Normands, pp. 451-453.

(*) انضمت فرق النورمان بقيادة وليم الى الجيش البيزنطي بعد أن وافق على ذلك امير سالرنو غايمار الذي بدأ يعتريه القلق من تصرفات النورمانيين السيئة لا سيما اولئك الذين لم يحصلوا على اقطاعات في ايطاليا : انظر:
Delarc: op. cit., p. 92.

ومهما يكن من أمر فلقد كان اشتراك النورمان في الحملة البيزنطية على جزيرة صقلية عام 1038م اول عهد لهم بالجزيرة وربما فكروا منذ ذلك الوقت في ضرورة امتلاكها ، وقد اختمر هذا المشروع في أذهانهم حينما استولوا على مدينة ريو باقليم قلورية عام 1060م ، وأدركوا ما تشكله جزيرة صقلية من تهديد خطير ومستمر لأملاكهم الايطالية وما تحويه من ثروات هائلة تعود عليهم بفوائد مادية جليلة .

وفي الواقع فان الظروف السياسية التي باتت تشهدها صقلية في هذه الحقبة كانت جدّ مواتية لتحقيق النورمانيين أمنيتهم (1) اذ كانت صقلية مرتعا خصيبا للفوضى والاضطرابات نتيجة الحروب الاهلية السائدة بها ، وانقسمت الى خمس امارات صغيرة (2) " وانفرد كل انسان ببلده فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابانش (طرابنة) والشاقة ومرسى على وما حولها من البوادي وانفرد القائد علي بن نعمة المعروف بابن الحواس بقلعة قصريانه ومدينة جرجنت وقصر نوبو فاسترول ابن الثمنة على مدينة سرقوسة وما يليها "(3) .

وكان اقوى الامراء الصقليين وقتذاك هو القائد علي بن نعمة المعروف بابن الحواس امير جرجنت وقصريانه (4) .وتذكر المصادر العربية بأن هذا الامير كان له اخت اسمها ميمونة زوّجها لحاكم قطانية محمد بن الثمنة وحدث في أحد الايام ان اعتدى ابن الثمنة على زوجته هذه وهو في حالة سكر ، وكادت أن تفقد حياتها لولا أن انجدها ابن له

---

(1) أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 191-192; Andrieux: op. cit., p. 223.

(2) أنظر : Chalondon: op. cit., I, p. 191; Halphen: L'Essor de l'Europe, p. 48.

هي مسينا وقطانية Catane وجرجنت Girgente وترابانى Trapani وبالرمو Palerme انظر : De Laprimandaie: op. cit., p. 249.

(3) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 445-446 ، وعن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 533 ، وعن ابن خلدون : العبر ، ص 484 ، وعن ابن الاثير : الكامل ، ص 275 ، وعن ابي الفداء : المختصر ، ص 414 ، انظر ايضا :
Gautier: op. cit., p. 213.

(4) أنظر : De Laprimandaie: op. cit., p. 249.

اسده ابراهيم بالطبيب أعاد لها وعيها . بالرغم من اعتذار زوجها لها بعد أن فاق من السكر الاّ أنها لم تلبث أن قامت بزيارة لاخيها علي بن الحواس وقصت عليه واقعة اعتداء زوجها عليها فأشار عليها أخوها بعدم العودة اليه ، فما كان من ابن الثمنة الاّ أن أعلن الحرب على ابن الحواس مصمما على أن ينتصر عليه ويضم أملاكه اليه اضافة الى ما كان قد ضمه قبل قليل من أملاك غيره تمهيدا لبسط سيطرته على الجزيرة كلها ، غير أن قوات ابن الحواس ألحقت بجيشه هزيمة ساحقة (ولما رأى ابن الثمنة أن عساكره قد تمزقت سوّلت له نفسه الانتصار بالكفار .)) وقد توجه ابن الثمنة الى مدينة مسيلطو Miloto (*) حيث تقابل مع روجر هوتفيل ((وقال له أنا املكك الجزيرة)) و يقول ابن الاثير بأن روجر خشي من كثرة الجند المسلمين بها ولكن ابن الثمنة هون اليه بأن مسلمي صقلية مختلفون و بأن اكثرهم يسمع قوله ولا يخالفون له أمرا (1) .

وعلى كل فلم يكن روجر وقتذاك في حاجة الى تشجيع ابن الثمنة ليبدأ في غزو صقلية ، فقد كان يعد العدّة لهذا الحدث بعد أن أتم هو وأخوه روبرت جسكارد فتح قلورية في عام 1060م ، ولكنه لم يمانع في الاستفادة بخدمات الامير الصقلي ، ووافق على الخروج معه على الفور ، اي في عام 1061م لفتح الجزيرة (**) بعد أن أخذ منه

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 275–276 ، وعن ابن خلدون : العبر : ص 434 ، وعن النويري : نهاية الارب ، ص 446–447 ، وعن ابي الفداء : المختصر ، ص 414 ، وعن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 538 ، وايضا : Gautier: op. cit., pp. 214-216.

(*) ذكرها ابن ابي دينار باسم مالطة : اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 538 .

(**) أورد مالاتيرا Malaterra رواية تفيد أن السبب الذي حمل روجر على غزو صقلية هو استغاثة جماعة من مسيحيي مسينا به ضد حكام هذه المدينة واعتمد هذه الرواية المؤرخ بازنكورت Bazancourt لكن شالندن اعتبر هذه الرواية من انتاج مخيلة مالاتيرا وأن الذي شجع روجر هو الظروف السائدة وطلب ابن الثمنة العاجل لمساعدته ضد أعدائه وان زيارة وفد من سكان مسينا لروجر التي يشير اليها مالاتيرا ما هي الا زيارة ابن الثمنة وليس غيرها ، ارجع الى : Bazancourt: op. cit., pp. 86-100, Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 192-193.

ابنه رتينة أبقاها في ايطاليا تحسبا لاي عذر . وبعد أن أخذ موافقة أخيه روبرت الذي اتفق معه على ألا تزيد قواته عن مائة وستين فارسا ، بخلاف مساعديهم من المشاة(*) على اعتبار أن حملته هذه لا تعدو أن تكون حملة طلائع للاستكشاف.

استطاعت وبالفعل فشلت الحملة في الاستيلاء على مدينة مسينا وعادت الى ريو بما استحواذ عليه من غنائم(1)، ولكن لم يلبث أن خرج جيش للغزو ، أعده روبرت جسكارد أثناء وجود أخيه روجر على رأس الحملة الاستطلاعية في الجزيرة ، في نفس العام 1061م ، وكان بقيادة الاخوين روبرت وروجر. وبينما نزل روجر صحبة ابن الثمنة على أرض صقلية بقوات مناسبة بقي روبرت على رأس الاسطول في مواجهة أسطول المسلمين . فلما تمكن روجر من فتح مدينة مسينا أرسى روبرت سفنه على الساحل ولحق بأخيه في مدينة مسينا التي حوّلوا الى قاعدة لعمليات العسكرية(**). وبعد أن عزز استحكاماتها وترك بها حامية عسكرية شرع مع أخيه روجر وابن الثمنة في فتح الجزيرة والعمل على استعادة أملاك هذا الاخير من قبضة صهره وعدوه ابن الحواس(2).

---

(1) أنظر: Chalondon: Hist. de la D^tion, I, pp. 193-194; De Laprimandaie: op. cit., pp. 250-252, 253-254; Gautier: op. cit., pp. 216-217.

ولم تشر المصادر الاسلامية الى هذه الحملة بالضبط وانما ذكرت فقط الحملات التاسعة . ويفيد أندريو موريس Andrieux Maurice ان ما كان يصبو اليه جسكار بالسماح لروجر بالعبور الى صقلية هو ابعاده عن ساحة ابوليا وقلورية لما كان روجر يمثله من خطر ومنافس له : انظر: Andrieux (M.): op. cit., pp. 223.

(2) أنظر: Chalondon: op. cit., I, pp. 194-196; De Laprimandaie: op. cit., pp. 255-257; Bazancourt: op. cit., pp. 111-122; Gautier: op. cit., pp. 218-219.

(*) ابن خلدون يذكر سبعمائة فارس. اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون : العبر، ص 435 ، وأيضا ستمائة كما يزعم شالاندن نقلا عنه ، انظر: Chalondon: op. cit. I, p 194.

(**) بلغ عدد جيش النورمان المتجمع في مسينا حوالي الفين من المحاربين ، انظر: Idem: op. cit., I, p. 195.

ولم يلبث روجرت جسكارد أن ملك العديد من المواقع والمدن الواقعة في ناحيتي مسسينا وقطانية ثم نصب الحصار على مدينة قصريانه التي اعتصم بها ابن الحواس وجماعة كبيرة من المسلمين، وبينما كان الحصار يجري على هذه المدينة تمكن روجر من تخريب أرباضها كما زحف على مدينة جرجنت Girgent فنهبها، واما جسكارد فقد رفع الحصار على قصريانه بعد أن يئس من فتحها ثم استولى على مدينة رمطة — الغالمة Rameta وفرض سيطرته على عدد من المدن والحصون في وادي دمينة Domena التابع لناحية مسينا [1]، وعلى ضفة هذا الوادي أمر جسكارد ببناء قصر سان ماركو San Marco ليكفل له الرقابة على فتوحاته وحمايتها [2].

وتفيد رواية ايمي دي مونت كاسينو أن جسكارد تلقى سفارة من قبل امير بالرمو طالبا منه مصالحته بعد أن أهدى له هدايا ثمينة، وكان أن رد عليه جسكارد بايفاد سفارة مماثلة اليه هدفها التجسس على جيش المسلمين واحصاء عدده [3].

---

(1) أنظر: Chalondon: Hist. de la Dtion, I, pp. 196-197; De Laprimandaie: op. cit., pp. 257-260; Bazancourt: op. cit., pp. 126-138; Andrieux: op. cit., p. 224; Gautier: op. cit., pp. 223-224, 226;

يشير ابن الاثير الى هذه الحملة بقوله "فساروا معه — اي ابن الثمنة — في رجب عام اربع وخمسين واربعمائة ... وساروا في الجزيرة فاستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين"، اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 275، ونفس الاخبار أورد ها اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن النويري: نهاية الارب، ص 477، وعن ابي الفداء: المختصر، ص 424 وعن ابن خلدون: العبر، ص 485، وعن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 583-584.

(2) أنظر: Chalondon: op. cit., I, p. 197.

(3) أنظر: Chalondon: Hst. de la Dtion, I, pp. 196-197; Gautier: op. cit., pp. 222-223.

على أن جسكارد قرر العودة الى قلورية تاركاً أخاه روجر يواصل نشاطه العسكري بالجزيرة . وعلى رأس قواته زرع الدمار والخراب في المناطق الواقعة بين مسينا حتى مدينة جرجنت ، وتمكن من بسط نفوذه على مدينة ترويتا Troina وهي من أعمال قطانية . وبها قضى عيد ميلاد المسيح عام 1061م (*)(1). وفي ربيع عام 1062م استأنف روجر صحبة ابن الثمنة غاراته على أراضي المسلمين ، فاستولى على مدينة بيترااليا Petralia التابعة لامارة بالرمو ، وعلى بعض المواقع القريبة من ضواحيه . غير انه لم يلبث أن غادر ميدان الصراع عائداً الى قلورية(2) تاركا ابن الثمنة على رأس فرقة من فرسان النورمان فبقي هذا يحارب بني جلدته الى أن اغتيل غدرا على يد رجل من أهل الجزيرة يسمى نيكل . وقد أصيب سكان المدن التي تعيش فيها أغلبية مسيحية مثل مدن بيتراليا وغاليانو Galiano وترويتا بالذعر نتيجة مصرع ابن الثمنة فهجروا مدنهم وهرعوا للاحتماء خلف حصون مسينا(3).

ولكن روجر لم يتمكن من العودة سريعا الى الجزيرة لانقاذ الموقف بسبب ما دار بينه وبين أخيه روبرت جسكارد من نزاع مسلح نتيجة رفض روبرت جسكارد تنفيذ وعوده

---

(1) أنظر: Chalondon: op. cit., I, p. I97; Bazancourt: op. cit., I41; Gautier: op. cit., p. 227.

(2) أنظر: De Laprimandaie: op. cit., pp. 261-262; Bazancourt: op. cit., p. 143; Chalondon: op. cit., I, p. I98.

(3) أنظر: Gautier: op. cit., p. 249; De Laprimandaie: op. cit., pp. 262-263; Bazancourt: op. cit., pp. I43,I45-I46; Chalondon: loc. cit.

(*) بعد هذه الاحتفالات الدينية جاز روجر الى قلورية لما سمع بوصول خطيبته جوديت Judith من نورمنديا فتزوج بها في مدينة ميلطو Mileto . انظر:

Orderic Vital: op. cit., II, p. 86.
Chalondon: op. cit., I, p. I97.
Bazancourt: op. cit., p. I42.
Gautier: op. cit., p. 227.

التي كان قد قطعها له وهي أن يتمتع بملكية نصف اقليم قلورية بعد اتمام فتحه . فلما تم الصلح بين الاخوين النورمانيين [1] عبر روجر الى مسينا في عام 1062م ، ولكنه لم يلبث أن رجع مرة أخرى الى قلورية في العام التالي من غير أن يحرز اية مكاسب جديدة في الجزيرة سوى اعادة السيطرة على مدينة تروينا في شتاء عام 1063م بثمن غال دفعه في سبيل ذلك ووصل الى حد ازهاق أرواح الجانب الاكبر من رجاله [2].

وفي الحقيقة لم يكن في استطاعة النورمان ، في ذلك الوقت ، أكثر من المحافظة على مدينة مسينا وتروينا بسبب عدم اكمالهم فتح جنوب ايطاليا واحتياجهم لقواتهم كلها لهذه المهمة فضلاً عن صد محاولات البيزنطيين لطردهم منها وهو ما أشرنا اليه أعلاه . يضاف الى ذلك عامل النجدات القوية المستمرة التي كان يرسلها الزيريون وبخاصة تميم ابن المعز الزيري (454–501هـ/1062–1108م) الى الجزيرة لمنع النورمان من احتلالها وهو ما سوف نتعرض له فيما بعد [3].

---

(1) عن تفاصيل هذا الخلاف ارجع الى : Chalondon: Hist. de la Dtion, I, pp. 198-200; De Laprimandaie: op. cit., pp. 265-269; Bazancourt: op. cit., I, pp. 146-160; Leo et Botta: op. cit., p. 255; Andrieux: op. cit., p. 224; Gautier: op. cit., pp. 238-249.

(2) أنظر : Chalondon: op. cit., I, p. 201; De Laprimandaie: op. cit., pp. 268-271.

(3) عن هذه الحملات ارجع الى : اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن النويري : نهاية الارب ص 443–447 ، وعن ابن الاثير : الكامل ، ص 277 ، وعن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 534 ، ماجد : العلاقات ، ص 124 ، وايضا : Chalondon: op. cit., I, pp. 202, 204, 205; Bazancourt: op. cit., p. 172.

ومهما يكن من أمر فقد ظل روجر يتردد بين صقلية وجنوب ايطاليا من غير أن يتمكن في صقلية من ضم أية مدينة كبرى الى مسينا وترويبنا الى أن تم للنورمان طرد البيزنطيين نهائيا من آخر معاقلهم في ابوليا بجنوب ايطاليا وهي مدينة باري عام 1071م[1] وعندئذ فقط بدأ النورمان باطمئنان عملية الغزو الحقيقية للجزيرة، وبعد أن استعان روبرت جسكارد وأخوه روجر بالاسطول الذي استخدماه في طرد البيزنطيين من باري توجها لافتتاح مدينة بالرمو عاصمة صقلية وأهم مدنها . على ان هذه المدينة لم تلبث أن سقطت في قبضة جسكارد في عام 464هـ/10 جانفي 1072م، وأدى هذا الى استسلام جميع أهالي ناحية مازر[2]، وبعد نحو ثلاث سنوات اي في عام 468هـ/1075م وافق تميم بن المعز بن

(1) أنظر: Halphen: L'Essor de l'Europe, p. 49. Chalondon: op. cit., I, pp. 201-205;

(2) أنظر: Orderic: op. cit., II, p. 49; Bazancourt : op. cit., pp. 220-221; Leo et Botta: op. cit., I, p. 256; Londogna: op. cit., p. 47; Heers: Precis d'hstoire de M.-Age, p. 89; Guitrancourt: op. cit., p. 201; Chalondon: Hist. de la Dtion, I, pp. 205-209; De Laprimandaie: op. cit., pp. 282-288; Raffaelo Morghen: op. cit., in N.A.S.M., .. p , 239; Andrieux:op. cit., p. 225.

وعن مدينة مازرا فيقول ابن خلدون أن روجر ملكها من عبد الله بن الحواس صلحا . انظر: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون : العبر، ج 7، 3-4، 4 .

وبعد سقوط مدينة بالرمو عقد اتفاق بين روبرت جسكارد وروجر اقتضى بأن يكون لروبرت السيادة على الجزيرة كلها مع اخذه مدينة بالرمو ونصف مدينة مسينا بينما نال روجر لقب "كونت صقلية" كما اخذ ما تبقى من مدن صقلية وما سيفتحه من اقاليم بهذه الجزيرة .

ارجع الى: Chalondon: op. cit., I, p. 209; Bazancourt: op. cit., pp. 227-228; Gautier: op. cit., p. 279; Andrieux: op. cit., p. 225; Leo et Botta: loc. cit., Raffaelo Morghen: op. cit., in N.A.S.M., p. 239.

باديس أمير افريقية على عقد صلح مع روجر ايتفرغ لاسترجاع ملك أبيه الضائع بسبب هجرة العرب الهلالية الى افريقية وقد أعطى هذا الصلح الفرصة لروجر كي يسيطر على بقية مدن صقلية الواحدة بعد الاخرى . فاستولى في عام 470 هـ/1077م على مدينة ترابانى Trapani ثم دخل في عام 472 هـ/1079م على مدينة طبرمين Taormine (1) وفي عام 1082م توقفت الفتوحات النورمانية في الجزيرة بسبب احتجاز جسكارد لجزء من قوات الغزو في ايطاليا ولكنها استؤنفت من جديد بعد ثلاث سنوات وعندئذ استولى روجر في عام 478 هـ/1085م على مدينة سرقوسة Syracuse أكبر المعاقل الاسلامية بجزيرة صقلية(2) . واما " قصريانه وجرجنت فحاصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فصار الامر على أهلهما حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم ما يأكلونه ، فأما أهل جرجنت فسلموها الى الفرنج — 479 هـ/ 25 جويلية 1086م — وبقيت قصريانه بعدها ثلاث سنين ، فلما اشتد الامر عليهم أذعنوا الى التسليم ، فتسلمها الفرنج — لعنهم الله — سنة اربع وثمانين واربعمائة ." — 1091م .
وهكذا واصل روجر بالرغم من انشغاله بأمور جنوب ايطاليا السياسية عملية فتح الجزيرة دون هوادة الى أن سقطت بيده في فبراير من نفس العام

---

(1) أنظر: Malaterra: op. cit., apud Muratori, III, 1er par., chap. XV, pp66 et suiv.; Chalondon: op. cit., I, pp. 333-334; Raffaelo Morghen: op. cit., in N. .S.M., , p. 240; Halphen: L'Essor de l'Europe, p. 49;

احسان عباس : العرب في صقلية ، ص 128 .
أشار مالاتير الى النشاط الحربي الذي مارسه الكونت روجر ضد المسلمين في ضواحي طبرمين : انظر: Malaterra: op. cit., III, 1er par., chap. XX, XXI, p. 69.

(2) أنظر: Chalondon: op. cit., I, pp. 336-339; Raffaelo Morghen: op. cit., in N. .S.M., , p. 240; Halphen: op. cit., p. 49; Andrieux: op. cit., p. 226; Bazancourt: op. cit., p. 345; Guitrancourt: op. cit., p. 201.

احسان عباس : نفس المرجع ، ص 132 .
شالندن وهالفن يذكران عام 1085م كتاريخ سقوط سرقوسة في حين اغلب المراجع تذكر عام 1086م

آخر مدينة اسلامية وهي نوطو Noto [4].

ومهما يكن من أمر فانه لا يجب أن ننساق وراء نصوص المصادر العربية الاسلامية التي تذكر سهولة وسرعة استيلاء النورمان على صقلية، لانه لو كان الامر على هذا النحو كيف تدوم عملية فتح الجزيرة من قبل النورمان، فترة ثلاثين سنة[2]. ويبدو أن المؤرخين المسلمين أوردوا هذا الخبر ليعبروا عن استنكارهم الفتن الداخلية التي كانت صقلية مرتعا لها وما تمخض عنها من تفكك شمل المسلمين مما كانت نتيجته ضياع الجزيرة كلها . وعلى كل فان الادريسي يؤكد المقاومة الصقلية المستميتة التي اعترضت الغزاة النورمانيين بالجزيرة بقوله : " الى أن استولى على جميعها - أي صقلية - غلبة وقهرا وفتحها قطرا فقطرا وملكها قهرا قهرا وذلك في مدة ثلاثين عاما ."[3]

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 443 وعن ابن الاثير :الكامل ، ص 273 وعن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 524 وعن ابي الفداء : المختصر، ص 414 . وانظر ايضا : احسان عباس : العرب في صقلية ، ص 132-133 ، وايضا :
Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 339-340; Monghen: op. cit., in N.A.S.M., . p. 240; Halphen: L'essor de l'Europe, p. 49; Bazancourt: op. cit., p. 347; Andrieux: op. cit., p. 226.
واذا كانت نصريانه قد سقطت بعد ثلاث سنوات من فتح جرجنت فتاريخ هذا السقوط يكون عام 1088م على حسب رواية شالندن ، واما مالاتيرا فقد ذكر عام 1078م كتاريخ وقوع هذه المدينة في قبضة روجر . انظر : Malaterra: op. cit., III, 1er p., cha. VII, pp. 60-61.
لقد اشار كل من وليم الجومياجي واردريك فيتال الى ان الكونت روجر ملك جميع اقطار صقلية : انظر : Guill de Jumièges: op. cit., p. 219; Orderic Vital: op. cit., II, p. 49.

(2) " ثم استولوا (الفرنج) على غالب بلاد صقلية وحصونها وليس لهم مانع "، اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابي الفداء : المختصر، ص 414 . "ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة"، اماري : المكتبة ، نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 278 . " فلم يبق للفرنج مانع ولا ممانع فاستولوا على الجزيرة . " اماري : المكتبة، نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 442.

(3) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 26 .

وقد ظل الكونت روجر يحكم صقلية ... كتابع لروجر برصا Roger Borsa بن روبرت جسكارد بالرغم من انه هو الفاتح الحقيقي لها الى أن توفي عام 1101م(1)، وذلك وفق اتفاقية باليرمو عام 1072م(*) . وكان أن تولى مكانه ابنه المعروف بروجر الثاني(**) عام 1112م(2)، وهو تاريخ انتهاء وصاية امه اداليدا Adelaide عليه . على أن الكونت روجر الثاني تمتع بجميع صفات روجر الدولة النوري مما جعله يحمل كل مطامح آل هوتفيل وتطلعاتهم(3).

---

(1) اختلفت المصادر العربية في تحديد تاريخ وفاة الكونت روجر، اذ يشير الادريسي الى عام 494هـ/1100م، في حين يذكر ابن ابي دينار عام 494هـ/1100م، وعمره ثمانون عاما واما ابو الفداء والنويري فقد أشارا الى انه مات قبل عام 500هـ/1106م، وابن خلدون أشار الى عام 494 هـ. اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق، ص26، وعن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 534 وعن ابي الفداء : المختصر، ص 424 وعن النويري : نهاية الارب ، ص 448 ، وعن ابن خلدون : العبر، ص 478 .

(2) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 27 ، وعن ابن ابي دينار : المؤنس، ص 534، وعن ابي الفداء : المختصر، ص 424، وعن النويري : نهاية الارب ، ص 448 ، وعن ابن خلدون : العبر، ص 478 .

(3) انظر الوصف الذي تقدم به الشريف الادريسي عن الكونت روجر الثاني في : اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 15ـ16 .

(*) أنظر صفحة 51 من هذا الفصل .

(**) ترك الكونت روجر ابنين هما سيمون Simon وروجر تحت وصاية امهما اداليدا ، وتوفي سيمون عام 1105م وعمره اثنتا عشرة سنة فأضحى روجر الوريث الشرعي الوحيد لعرش صقلية وظلت امه اداليدا تمارس الوصاية عليه الى عام 1112م، انظر :
Morghen: op. cit., in N.R.S.M., , p. 240; Andrieux: op. cit., p. 232; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 355-360.

وفي الواقع لم يقنع الكونت روجر الثاني بما احتواه من الاملاك في جزيـــرة صقلية وقلورية اذ أخذ يتحين الفرصة لتوسيع دائرة سلطانه بشغف شديد ولم تلبث هذه الفرصة أن حانت اما توفي الدوق ولـيم Guillaume بن روجر بورصا (*) عام 1127م ، دون أن يترك وريثا مباشرا له ولذلك لم يكد ولـيم يوارى التراب حتى شرع بكر تلـــك في ضم عزل ولـيم الى حوزته وبعد جهد جهيد بسط سيطرته على جميع أملاك فـــي جنوب ايطاليا ووحدها مع صقلية تحت صولجانه (1).

وكلّل الكونت روجر الثاني هذا الفوز العظيم بأن نال من البابوية في أوت عـــام 1128م لقب دوق صقلية وابوليا وقلورية كما تسوّج في 25 ديسمبر عام 1130م بمدينـــة بالرمو ملكا على النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية(2). وفي الواقع كان هذا التتويج تمة الانتصارات التي كان الملك روجر الثاني يصبو اليها لانه يعتبر ايذانا صارخا بانسلاخ جنوب ايطاليا من جسم الامبراطورية البيزنطية من جهة كما يكرس بشكل قطعي سيادته على هذا الاقليم الايطالي الشاسع من جهة أخرى.

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق، ص 15، وايضا :
Guillaume de Jumiège: op. cit., p. 239; Romualdi: Chronicon, apud Muratori, t. VII, 1er p., pp. 213-217; Falcon de Benevent: Chronicon, P.L.T. 173, pp. 1192-1203; Orderic Vital: Historia ecclesiosticoe, traduction Guizot, t. II, pp. 405, 419-450; Andrieux: op. cit., p. 234; Savelli: op. cit., p. 50; Grimberg: op. cit., p. 127; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 325-326.

(2) أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, pp. 217-218; Guillaume de Jumiège: op. cit., p. 239; Falcon: P.L.T. 173, p. 1204; Orderic: op. cit., II, p. 450; Morghen: op. cit., in N.S.M., , pp. 240-241; Lendognas: op. cit., p. 48; Savelli: op. cit., p. 50; Andrieux: op. cit., pp. 233, 235.

(*) توفي عام 1111م ولم يمارس ابنه وليم الحكم الا في عام 1115م. انظر :
Chalondon: op. cit., I, pp. 313-319.

والواقع أن هذا الكيان النورماني الناشئ لم يخلد للاستقرار اذ لم يقنع بما ناله من مكاسب هامة في ايطاليا الجنوبية ، ذلك أن حكامه لم يلبثوا بعد أن ثبتوا سيادتهم على هذا الاقليم ان أخذوا يتطلعون الى البحث عن مجال أوسع وآفاق أكثر اشراقا مما جعلهم مصدر رعب وقلق في عالم البحر الابيض المتوسط. فالى جانب ما نفذوه من سياسة توسعية تجاه كيان البابوية وجّه حكام النورمان حملات عسكرية تقصد كسر عظمة الامبراطورية البيزنطية وضمّ أراضيها الى حوزتهم ، ومن ايطاليا الجنوبية وصقلية شدّت جماعة من أمراء النورمان الرحال الى بلاد الشام علّها تجد فيها ما يسدّ أطماعها التوسعية كما اتجهت أنظار هؤلاء الحكام الى المغرب الاسلامي ، فصار هذا الاقليم محور سياسة النورمان التوسعية في الجزء الغربي من البحر الابيض المتوسط لما رأوه في هذا الاقليم الاسلامي من استعداد طبيعي لسلطانهم .

وهكذا غدا ظهور النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية بالفعل منعرجا هاما في تاريخ العصور الوسطى لما أحدثه النورمان من تحولات في مختلف أوجه حياة أمم البحر الابيض المتوسط .

تنظيم شؤون دولة النورمان في صقلية وجنوب ايطاليا :

لا شك أن سقوط ايطاليا الجنوبية وصقلية بيد النورمان يعد نقطة تحول هامة في تاريخ اوربا الحضاري ، وذلك لما شهده هذان الاقليمان من تغيرات حضارية بارزة أدت بهما الى احتلال الصدارة في مصاف الدول الاوربية غربا وشرقا .

وفي الواقع لم يكد النورمان يستولون على جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا حتى أظهروا ولعا شديدا باعادة تنظيم هذين الاقليمين تنظيما جديدا محكما وتنفيذا لهذه السياسة اهتم النورمان بتأسيس حكم قوي جعلوا أساسه مبدأ الحق الالهي مما يضفي على الملك صبغة مقدسة ويخوّل له سلطة مطلقة في حكم رعاياه ، وقد اعتبر الملك روجر الثاني كفرا كل محاولة ترمي الى مخالفة قانون الملك أو حكمه ، واعتبر ملوك النورمان أنفسهم ورثة قياصرة الرومان كما استمدوا من الاباطرة البيزنطيين والخلفاء المسلمين فكرة الاحتجاب عن الناس قصد اعلاء شأنهم ورفع قيمتهم[1].

ولادارة شؤون المملكة أنشأ روجر الثاني المجلس الاعظم أو الأعلى Curia Magna و يتكون من كبار الاقطاعيين ورجال الدين والضباط والموظفين السامين للمملكة[2] كما أوجد مجلسا آخر مصغرا ودائما يشكله أعضاء من المجلس الاول المقربين الى الملك[3].

(1) أنظر : Jordan (E.): L'Allemagne et l'Italie aux 12 eme et 13 eme Siècle, t. IV, 1ere par., pp. 30-31; Landogna: op. cit., p. 48; Guitrancourt: op. cit., p. 244.

(2) أنظر : Jordan: op. cit., IV, 1ere par., p. 31; Andrieux: op. cit., p. 241; Guitrancourt: op. cit., p. 245.

(3) أنظر : Jordan: loc. cit.; Guitrancourt: loc. cit.

وكان يساعد الملك النورماني حكومة مركزية تتألف من سبعة أعضاء بارزين هم الكونيستابل Connetable ، يجمع بين وظيفتين هما : رعاية سيف الملك والقيادة العامة للجيش الملكي ، ويليه أمير البحر Amiral الذي كانت له صلاحيات مطلقة في كل ما يتعلق بالشؤون البحرية ، ففي حالة السلم كان يعتبر المشرف على التجارة والملاحة ، وأما أثناء الحرب فهو مكلف بالدفاع عن سواحل المملكة[1]، ثم يأتي المستشار الكبير Grand Chancelier وهو أول مسؤول مدني في المملكة يقوم بدور حافظ أختام الملك كما له الاشراف التام على ادارة الشؤون الخارجية وبالتالي اليه تسند مهمة ابرام معاهدات الصلح مع سفراء الدول المعادية للمملكة[2]، والموظف الرابع هو القاضي الكبير Grand Justicier وهو بمثابة قاضي القضاة أسند اليه الملك روجر الثاني رئاسة المحكمة العليا للمملكة ، وكانت له صلاحيات تعديل ما اعوج من أحكام القضاة المسلمين [3]، ثم يأتي بعد ذلك رئيس الديوان الملكي ومدير الموظفين ، ويطلق عليه لقب لوغوتيت Logotete ، ثم وزير المالية المسمى كامريير Camerier ، وأخيرا السينشال Senechal الذي يقوم بمهمة الاشراف على القصر والاصطبلات ورعاية الغابات الملكية فضلا عن تولية مسؤولية حماية المستضعفين ومقاومة أعمال العنف والجور[4].

وقد أسس النورمان ادارة مالية متطورة ذات طابع عربي ، أطلقوا عليها اسم

---

(1) أنظر : De Laprimandaie: op. cit., pp 322-323.

(2) أنظر : Idem: pp. 326-327.

(3) أنظر : Idem: p. 328.

(4) أنظر : De Laprimandaie: op. cit., pp. 328-329; Andrieux Maurice: op. cit., pp. 240-241.

الدوهانه - أو الديوان - Dohana . اما في ميدان القضاء فقد قسموا ممالكهم الى دوائر قضائية على رأس كل منها قاض[1]، وبالاضافة الى هذا فقد أضفى الملك روجر الثاني على شخصية القاضي هالة عظيمة من الاحترام ، كما اعتبر أن أي شك يثار حول حكم القاضي هو كفر وخروج على الدين[2] . ويصف النويري تعلق الملك روجر الثاني بالجانب القضائي وولعه بالعدالة بقوله : " وجعل له ديوانا للمظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده . "[3]

ويظهر ولع الملك روجر الثاني بالجانب القضائي بما قام به عام 1140م حيث وضع مجموعة من القوانين شملت جميع الاوجه القضائية استمد الكثير منها من القوانين الرومانية القديمة والجرمانية ومن دستور الامبراطور البيزنطي جوستنيان Justinien (527-565م) وحتى من القانون البيزنطي الأحدث ، وتعود أهمية هذا الانجاز الى أن الملك روجر الثاني لم يسبقه أحد من الملوك الاوربيين في اكتشافه[4].

ولتحقيق السيطرة التامة على مقدرات البحر الابيض المتوسط اهتم روجر الاول وابنه الملك روجر الثاني اهتماما بالغا بصناعة السفن الحربية ونتيجة ذلك عرف هذا

---

(1) أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. 648-649; Duvailly (Guy): L'occident du Xe au milieu du XIIIe Siècle, p. 185.

(2) أنظر : De Leprimandaie: op. cit., p. 293.

(3) امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن النويري: نهاية الارب ، ص 448 ، وعن ابن الاثير: الكامل ، ص 278 .

(4) أنظر : Jordan: L'Allemagne et l'Italie, IV, 1, p. 32; Andrieux: op. cit., p. 240.

المجال نشاطا حثيثا وتطوروا ملحوظا فاستطاع النورمان تأسيس اسطول بحري هائل كفل لهم السيادة على بحر الادرياتي والمتوسط على السواء[1]. ويعبر ابن جبير عن ضخامة الاسطول النورماني بقوله : " ولهذا الملك — رحمهم — بمدينة مسينا المذكورة دار صنعة (البحر) تحتوي من الاساطيل على ما لا يحصى عدد مراكبه ."[2].

وقد كانت الحياة الاقتصادية من المجالات التي ركّز النورمان اهتماماتهم عليها ومن ذلك سجلت الصناعة ازدهارا كبيرا[3] وبالاخص الصناعة الحريرية التي ازدادت تحسنا كمّا وكيفا، بعد تدعيم هذا القطاع بصناع يونانيين مهرة جلبهم الملك روجر الثاني من بلاد اليونان[4]، وصارت الاقمشة المصنوعة بصقلية آية في الاتقان والابداع والمتانة، ولا ننسى دور المسلمين في تطوير هذه الصناعة، ويؤكد ذلك اعتماد النورمان على مجموعة وافرة من الخدام المسلمين في القصر للوقوف على هذا النشاط أمثال يحيى ابن فتيان الذي وجده ابن جبير يطرز بالذهب طراز الملك النورماني وكذلك ما ارتداه ملوك النورمان من ألبسة حريرية عليها كتابات عربية كوفية[5].

---

(1) أنظر : De Laprimandaie: op. cit., pp. 321-325.

(2) ابن جبير : رحلته ، ص 272.

(3) حامد زيان : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص 94، وانظر ايضا : Savelli: op. cit., p. 50.

(4) أنظر Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 703; Vasiliev: Histoire de l'empire byzantin, traduit du russe par Brodin (P.) et Bourguina (A.), II, p. 61.

(5) ابن جبير : رحلته ، ص 272 ، حامد زيان : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص 94.

وبلغت الزراعة درجة كبيرة من التقدم والازدهار كانت نتيجتها أن أصبحت صقلية من الدول الهامة المصدرة للمحتويات الزراعية مثل اللوز والتين الجاف وغيرهما الى كثير من البلاد [1]، واما التجارة الخارجية فقد حظيت هي الاخرى بعناية خاصة من قبل ملوك النورمان، وقد شجعهم على الاهتمام بهذا القطاع الحيوي موقع جزيرة صقلية في قلب البحر الابيض المتوسط فضلا عن ميلهم الى ممارسة النشاط البحري لكونهم أصلا ركاب بحر [2]، وعرفت التجارة الخارجية ازدهارا هائلا حيث عقدت صقلية صلات تجارية مع كثير من دول البحر المتوسط لا سيما مع مصر وافريقية [3]، وقد بلغ اسطول مملكة النورمان التجاري من الضخامة والفعالية ما جعله يضاهي وينافس أساطيل جنوة وبيزا والبندقية. وأشار باحثون متخصصون في تاريخ اقتصاد العصور الوسطى، للدلالة على ما حققه النورمان من نجاح في مجال التجارة الخارجية، الى أن استقرار النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية يعتبر ثورة في اقتصاد البحر الابيض المتوسط [4].

وهناك ازدهار مماثل سجلته التجارة الداخلية حيث شهدت نشاطا ملحوظا ومتزايدا، ويدل على ذلك كثرة انتشار الاسواق عبر جهات المملكة ورواج السلع المتنوعة

---

(1) امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق، ص 43، وأيضا :
Savelli: op. cit., p. 50

ولمزيد من التفاصيل على وفرة المزارع في صقلية وغنى منتوجها ارجع الى امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق، ص 37 وما بعدها.

(2) حامد زيان : نفس المرجع، ص 5[illegible].

(3) امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق، ص 33-34، 35-37، 40، 42، حامد زيان : نفس المرجع، ص 6[illegible]-7[illegible].

(4) حامد زيان : نفس المرجع، ص 6[illegible]-7[illegible].

بها وانتشار المنشآت الاجتماعية وتزايد التجار المختلفة أجناسهم عليها ، والادريسي يصف لنا بشكل واضح مواقف الوضع الاقتصادي الزاهر الذي كانت تنعم به العديد من مدن صقلية ، وعن مسينا مثلا يذكر : " وأسواقها رايقة بسلعها نافقة وقاصدها كثير . " وعن مدينة قطانية يقول : " وهي على الساحل البحر وبها الاسواق العامرة والديار الزاهرة والمساجد والجوامع والحمامات والفنادق . " واما مدينة جرجنت فيقول عنها :

" ديارها سامية في الديار ومحلاتها تفتن النظار ، وبها أسواق جامعة لأصناف الصنائع وضروب المتاجر والمصانع وبها حدائق وجنات رايقة وأصناف كثيرة من الثمرات ازالية أولية تدل آثارها على سلطنة علية . " واما مازر فيفيدنا عنها بقوله : " أسواق عامرة بالتجارات والصناعات وحمامات فاضلة وحانات واسعة وبساتين وجنات طيبات . "(1)

وهناك جانب اقتصادي آخر أولاه ملوك النورمان اهمية كبيرة وهو قطاع الضرائب اما يمثله من عائد لا يستهان به لخزينة المملكة حيث حرصوا على فرض الضرائب والمكوس على كل الانشطة التجارية داخل المملكة وعلى كل السلع الواردة من خارجها (2).

واما الحياة الاجتماعية فقد شكلت المحور الاساسي لسياسة النورمان الداخلية وذلك لاهميتها في استقرار أوضاع المملكة ، لقد كان يمثل سكان المملكة النورمانية أجناس مختلفة متباينة في اللغة والدين والعادات اذ سكن فيها اليونانيون والرومان واللوط الشرقيون وكذلك المسلمون الذين استقروا في بعض أجزاء

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 34 ــ 35 ، 39 ، 40 .

(2) حامد زيان : نفس المرجع ، ص 57 ــ 58 ، المدني : نفس المرجع ، ص 226 ، وايضا :

Guitrancourt: op. cit., p. 246.

قلورية ، و بشكل أساسي في صقلية [1] ، وعلى خلاف نورمان انكلترا الذين اعملوا قتلا وفتكا وظلما في العنصر الانقلو ساكسوني [2] فقد سلك روجر الاول وخلفاؤه تجاه رعايا المملكة سياسة مرنة محكمة قامت على أساس العدل والمساواة والتسامح الديني ، وهذا مصداق لقول الادريسي عن روجر الاول : " نشر سيرة العدل في اهلها وأقرهم على أديانهم وشرائعهم وأمنهم في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم " [3] . وعن المسلمين تذكر المصادر العربية أن الملك روجر الثاني أكرم المسلمين وأحسن اليهم ودفع عنهم شر المعتدين من الفرنج ، مما جعل هؤلاء المسلمين يكنون له حبا واحتراما عظيمين [4] .

ومما لا شك فيه ان النورمان قد تأثروا تأثرا بالغا بالحضارة العربية الاسلامية ،

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابي الفداء : المختصر ، ص 414-415 ، وعن النويري : نهاية الارب ، ص 443 ، وعن ابن الاثير : الكامل ، ص 273 ، ماريو ماريتو : المسلمون في صقلية ، ص 22 ، حامد زيان : نفس المرجع ، ص 23 ، وايضا :

Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 737; Jordan: L'Allemagne et l'Italie, IV, 1, p. 29; Londogna: op. cit., p. 48.

واما عن المسلمين في قلورية يذكر ايمي دي مونت كاسينو ما يلي :

" Et pour ce que en la cité de rège - Reggio - habitaient Sarrasin et chretien." Aimé: Ystoire de li narmant, I, Ve, 11, apud De Laprinandaie: op. cit., p. 315.

" وفيما يخص مدينة ريو فقد سكنوا المسلمون والمسيحيون . "

(2) أنظر : Marçais (G.): Manuel d'art musulman, t.I, p 181.

(3) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 26 ، وانظر أيضا :

Jordan: L'All. et l'Italie, IV, 1, pp. 29-30; Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 720.

(4) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 442 ، وعن ابي الفداء : المختصر ، ص 415 ، وعن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 534 ، وعن ابن الاثير : الكامل : الكامل ، ص 273 ، وانظر ايضا :

Chalondon: op. cit., II, p. 720.

ومن ذلك كان العرب المسلمون في صقلية محل تبجيل وثقة لدى ملوك النورمان ، وبخاصة في عهد الملك روجر الثاني وفي عهد خليفته وليم الثاني (1166-1189م). ويخبرنا ابن جبير عن وليم الثاني أنه كان يتقن الكلام والكتابة باللغة العربية واختار حرسه وندماءه من المسلمين "حتى أن الناظر في مسطاره يخاله رجل من المسلمين." وسمح لهم بأن يقيموا الصلاة بأذان مسموع. وأثناء وقوع زلزال بصقلية لم يكن يسمع في قصره الا ذاكر الله ورسوله."(1) واذا كان ملوك النورمان قد خولوا المسلمين مسؤوليات عامة في الجزيرة فقد لجأوا الى استخدام قوانين ونظم حضارتهم كما اقتدوا بالحكام المسلمين بشكل واسع في كثير من عاداتهم وتصرفاتهم(2). والسمة البارزة التي تميز بها هؤلاء الملوك هي تفضيلهم في اسناد قيادة جيوشهم للعرب المسلمين ، وقد شكلت الفرق الاسلامية ايام الملك روجر الثاني قوة ضاربة استخدمها بشكل فعال في دحر جميع أعدائه في جنوب ايطاليا ، وكان لتمادي الملك روجر الثاني في تقريب المسلمين اليه أن أثار غضب افصاله الذين اتهموه بالنفاق والالحاد(3).

واما الحياة الثقافية فقد حظيت هي الاخرى برعاية وعناية ملوك النورمان ، ونالت

---

(1) ابن جبير: رحلته ، ص 272-273، احسان عباس: نفس المرجع، ص 143، وايضا:
Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. 739-740.

(2) ابن جبير: رحلته ، ص 271-272، 273، اماري: المكتبة الصقلية: نقلا عن النويري: نهاية الارب، ص 468، وعن ابي الفداء: المختصر، ص 414، وعن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 534، وعن ابن حماد: النبذة المحتاجة في اخبار ملوك صنهاجة، ص 317، وعن ابن الاثير: الكامل، ص 273، حامد زيان: نفس المرجع، ص 98-100، ماريو مورينو: نفس المرجع ص 21، احسان عباس: نفس المرجع، ص 145-146، وانظر أيضا:
Jordan: L'All. et l'Italie, IV, 1, p. 30.
لقد بلغ الملك روجر الثاني في تقديره للمسلمين واعجابه بالحضارة الاسلامية أن أطلق عليه الادريسي ألقابا اسلامية مثل الملك المعظم، المعتز بالله ، والمقتدر بقدرته :اماري :المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي :نزهة المشتاق، ص 15، ماجد: العلاقات، ص 127.

(3) أنظر: Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. 739-740; Huillard: op. cit., p. 26.

الثقافة الاسلامية قسطا وافرا من تشجيع هؤلاء الملوك مما أدى بها الى تسجيل ازدهار ملحوظ كان له أثر كبير على تقدم المملكة(1)، على أن النورمان لما أدركوا ما للغة العربية من فعالية دأبوا على استخدامها – الى جانب اللغتين اللاتينية والاغريقية – في دواوينهم وكتابة وثائقهم الرسمية(2)، وأكثر من هذا فقد عمل الملك روجر الثاني على تسجيل عبارة " لا اله الا الله محمد رسول الله " على العملة النورمانية(3) وضرب عليها كذلك الآية التاسعة من سورة الصف(سورة 61) التي تقول : " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون "(4)، كما كانت علامة وليم الاول – ابنه – على الاوراق الرسمية" الحمد لله شكر لأنعمه "(5)، واستعمل ملوك النورمان كذلك التاريخ الهجري تاريخا لهم كما نحتت عبارات عربية على كثير من شواهد قبورهم(6).

وكانت نتيجة تشجيع ملوك النورمان للعلم والادب ان شهدت صقلية قدوم العديد من مشاهير علماء المسلمين ، ونذكر من بينهم الشريف الادريسي (493ـ564هـ/1099ـ1165م)، وهو علامة في الجغرافية استدعاه الملك روجر الثاني الى بلاطه وشمله برعايته وحمايته ، وطلب من هذا الاخير ان يصنف له مؤلفا عنوانه : " نزهة المشتاق في اختراق

---

(1) حامد زيان : نفس المرجع ، ص 104 .
(2) ماريو موريبنو : نفس المرجع ، ص 20، حامد زيان : نفس المرجع ، ص 105، احسان عباس : نفس المرجع ، ص 142، وانظر ايضا :

De Laprimandaie: op. cit., p. 322.

(3) حامد زيان : نفسه ، ص 105 .
يشير دولا بريماندي أن الغرض الذي يريد تحقيقه روجر الثاني من وراء هذه المبادرة هو كسب ثقة المسلمين بالجزيرة :

De Laprimandaie: loc. cit.

(4) ماريو : نفس المرجع ، ص 20 .

(5) ابن جبير : رحلته ، ص 297 .

(6) ماريو : نفس المرجع ، ص 20 ، حامد زيان : نفس المرجع ، ص 105 .

"الآفاق"، وهو أول مصور جغرافي للعالم الاسلامي (1)، ثم ألف بعده لولده وليم صاحب صقلية كتابا سماه "روض الانس ونزهة النفس" (2).

وقد احتضن النورمان كذلك في بلاطهم الطبيب قسطنطين الإفريقي (*) الذي أسس أول مدرسة طبية بمدينة سالرنو في اوربا العصور الوسطى، ويوجين دي بالرمو Eugene de Palermo مترجم النصوص العربية والمؤرخ اللاتيني هيوغو فالكندوس Hugo Falcundus والكاتب الاديب بطرس دي بلوا Pierre de Blois والى جانب هؤلاء كلهم أدخلوا الى تصورهم الشعر الغنائي الذي اختصت به فرق التروبادور Troubadours (**)

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 435 وعن الصفدي: الوافي بالوفيات، ص 357ـ353، وعن الادريسي: نزهة المشتاق، ص 17ـ20، وايضا:
Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 741; Duvailly (Guy): op. cit., p. 185.
عن العلماء الذين استقبلتهم صقلية أثناء حكم النورمان ارجع الى حامد زيان: نفس المرجع، ص 107ـ120.

(2) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ص 5.

(*) ولد بتونس عام 420هـ/1025م وتعلم بها، انكب على دراسة علم الطب حتى تبحر فيه. اهتم بترجمة كتب الطب العربي الى اللاتينية وفي طليعتها "زاد المسافر" لابن الجزار، وقام بتأليف كتب اخرى في الطب أهمها "قانون الطب، وكتاب فيا تيكوم في الطب العام وكتاب في البول وتحليله وكتاب العيون، وقد أسس أول مدرسة طبية في اوربا. توفي في دير مونت كاسينو (ايطاليا) عام 480هـ/1087م، المدني: نفس المرجع ص 224 ـ 225.

(**) يعتقد أن أصل هذه الكلمة عربي أي طرب الدور، أحدثت هذه الفرقة ثورة في حقل الشعر الغنائي اذ تخلت عن الاتجاه الادبي الذي كانت مواضيعه دينية بحتة محركة للشعور الروحي والحماسي الصليبي، واتجهت اتجاها أكثر عاطفية وانسانية حيث أخذت تنشد في قصائدها الغنائية عن الغزل والحب والخمر. احمد اليوسف: العصور الوسطى الاوربية، ج 2، ص 224.

ومع فئة الشعراء الغنائين الذين اشتهروا في جنوب فرنسا وشمال ايطاليا من القرن الحادي عشر الى نهاية القرن الثالث عشر الميلاديين [1].

ولم يهمل ملوك النورمان الجانب العمراني من الحضارة اذ حظي هو الآخر باهتمامهم وعنايتهم، ولقد شهدت جنوب ايطاليا وصقلية حركة نشيطة في بناء القصور والكنائس، ومن القصور الفاخرة التي شيدها النورمان قصر العزيزة بمدينة بالرمو والذي تغلب عليه مؤثرات العمارة الاسلامية وكذلك قصر القبة [2]، وأدخلوا تعديلات واضافات ملموسة على القصر الملكي ببالرمو، ويعود عهد بناء هذا القصر الى فترة حكم المسلمين في الجزيرة [3] ونذكر كذلك القصر الذي شيده الملك روجر الثاني في الجهة العليا لمدينة بالرمو وهو يتميز بأسواره العالية وأبراجه الشاهقة وأنفاقه الارضية وممراته الخفية، مما يوحي من خارجه انه حصن منيع [4]. ومن المنشآت الدينية التي أنجزها النورمان الكنيسة الكاتدرائية الكبرى ببالرمو والتي أقيمت على أنقاض مسجد [5]، والكنيسة الملحقة بالقصر الملكي التي صمم هيكلها على الطراز النورماني في حين رفع فوقها سقف عربي وزينت جدرانها بالزخارف البيزنطية، ولعلها كانت البناء الوحيد بأوربا وقتذاك الذي يتضمن

---

(1) أنظر: Duvailly: op. cit., p. 185.

(2) حامد زيان: نفس المرجع، ص 113، توفيق المدني: نفس المرجع، ص 4..، وانظر أيضا: Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 740; Marçais: op. cit I, pp. 183-189; Andrieux: op. cit., p. 284.

(3) حامد زيان: نفس المرجع، ص 111.

(4) أنظر: Romualdi: Chronicon, apud Muratori, t. VII, 1ere par., p 232; Chalondon: op. cit., II, p. 738; Marçais: op. cit., I, p. 183.

(5) حامد زيان: نفس المرجع، ص 111.

هذا الخليط من النماذج الفنية الرائعة[1]، ولا تقل مدينة مسلفي الايطالية أهمية عن مدينة بالرمو في ميدان البناء ، ويكفي للتدليل على ذلك ذكر أسوارها المنيعة وذلك الحصن العظيم الذى يعكس روعة العمارة النورمانية وتلك الكنيسة الضخمة التي تتوسط المدينة وتحمل اسم كنيسة " صعود العذراء" والبرج المربع الاضلاع المقام بجوارها وتدل نقوشه أن روجر الاول هو صاحب هذا البناء ، ولا بد أن نشير ايضا الى تلك التماثيل المنتشرة في اقاليم ابوليا بجنوب ايطاليا والتي تصور سباعا كاسرة تفترس كباشا وديعة بين مخالبها بطريقة تنم عن القوة التي عرف بها النورمان[2].

وعلى كل فان ما يمكن ملاحظته من خلال هذه المنشآت العمرانية التي أحدثها ملوك النورمان هو أن البنائين المسلمين لعبوا دورا واضحا وفعالا في انجازها واليهم يعود الفضل في تحقيق النورمان السؤدد في هذا المجال[3].

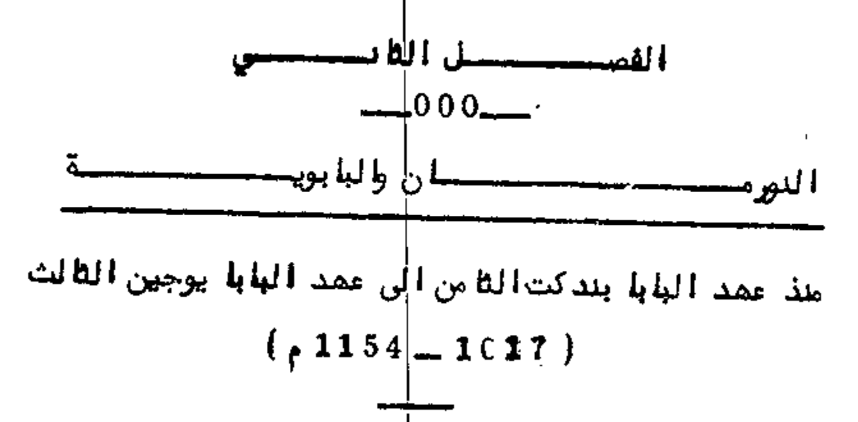
---

(1) أنظر: Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 232; Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 731: Andrieux: op. cit., p. 269; Duvailly (G.): op. cit., p. 185.

(2) أنظر: Huillard: op. cit., p. 5.

(3) حامد زيان : نفس المرجع ، ص 110ـ111 ، توفيق المدني : نفس المرجع ، ص 194ـ 195.

الفصل الثاني



الفصـــل الثانـــي

ـــ000ـــ

الرومـــان والبابويـــة

منذ عهد البابا بندكت الثامن الى عهد البابا يوجين الثالث

(1017 ـ 1154 م)

أ) ـ منذ عهد البابا بندكت الثامن حتى نهاية عهد البابا ليو التاسع (1017/1054م) .

ب) ـ منذ عهد البابا فكتور الثاني ، حتى نهاية عهد البابا اسكندر الثاني(1055/1073م)

ج) ـ روبرت جسكارد والبابا جريجوري السابع (1073 ـ 1085 م) .

د) ـ منذ عهد البابا فكتور الثالث حتى نهاية عهد البابا أوربان الثاني (1086/1099م) .

هـ) ـ منذ عهد البابا باسكال حتى نهاية عهد البابا هونوريوس (1099/1130م) .

و) ـ منذ عهد البابا انوسنت الثاني حتى نهاية عهد البابا يوجين الثالث(1130/1154م).

النورمـــــان والبابويـــــــة

أ) –"منذ عهد البابا بندكت الثامن حتى نهاية عهد البابا ليو التاسع"

(1017 – 1054 م)

لا شك أن موضوع العلاقة بين النورمان والبابوية يكتسي أهمية كبيرة في تاريخ أوربـــا العصور الوسطى ، وذلك لما له من بالغ الاثر على الاوضاع السياسية لايطاليا الجنوبية مـــن جهة وعلى العلاقات الدينية والسياسية بين الشرق والغرب من جهة أخرى .

تعتبر مشكلة تواجد البيزنطيين وتطور نفوذهم في ايطاليا الجنوبية ، وعلى وجـــه الخصوص في اقليم ابوليا من القضايا التي أثارت قلق البابويه * وجعلها تفكر في طردهم كلمـا وجدت لذلك سبيلا (1) .

وكان البابا بندكت الثامن Benedict (1012م – 1024م) من الحريصين أشـــد الحرص على تحقيق هذا المشروع الهام . وقد حدث في فصل الخريف من سنة 1017م أن حلت بروما فرقة من جند النورمان قدمت تلبية لنداء بعض أمراء جنوب ايطاليا لمساعدتهم في طـرد البيزنطيين من أبوليا ، فرحب بها البابا بندكت الثامن وحث زعيمها درنغو Drengo على سرعة الالتحاق بميلاس ، الذى كان ينتظرهم في مدينة كابوا لمساعدته في تحقيق مشروعه (2) .

وبالفعل تمكن القائد ميلاس بفضل مساعدة هؤلاء النورمان من خوض عدة معـــارك مع الجيش البيزنطي ، ولكن هزم في النهاية هزيمة نكراء قرب مدينة كان Cannes الواقعة

1) –انظر : De Laprimandaie: Les Arabes et les Normands, p. 168; Delarc: St. Gregoire VII, et la reforme de l'eglise au XIe Siècle, t.1, p. 59.

2) –انظر : De Laprimandaie: op cit, p 168; Gay: Hist. de l'Italie, pp. 407-410; Delarc: St Gregore, t.1, pp 58-62.

* – نسبة الى الكلمة اللاتينية Papa وتعني الاب ، وقد تقرر في مجمع عقد في طليطلة Tolede باسبانيا سنة 400 م ، أن يكون اسم بابا موقوفا على اسقف مدينة روما فقط ، لمكانتهـا الدينية والروحية انظر : Maslatrie: Les élements de la diplomatie pontificale p. 11.

بجنوب ايطاليا في شهر اكتوبر 1018 م (1) .

وأما عناصر النورمان التي سلمت من الهلاك ، فقد فتح لهم البابا حصنا في غريغليانو Garigliano (2) ، كما سمح لهم بالاستقرار في مدينة كميلو Camino قرب صورة Sora الواقعة بشمال المدينة الديرية مونت كاسيتو (3) ، وهكذا انتهت حملة النورمان الاولى باستقرار العناصر النورمانية في بعض أماكن ايطاليا الجنوبية . (4)

على أن البابوية في الحقيقة لم تحفل منذ وفاة البابا بندكت الثامن سنة 1042 م ، بقضية النورمانيين وتطور نفوذهم في ايطاليا الجنوبية نتيجة انشغالها بمشاكلها الداخليـــة ، ولا سيما أنها رأت في قوة النورمان وسيلة للتخلص من النفوذ البيزنطي (5)

---

1) ـــ انظر : Lavise: Hist. générale, t.1, p. 651; Delarc: St Gregoire, t.1,p 70; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, p. 83.

ولمزيد من التفاصيل عن معارك ميلاس ضد البيزنطيين ارجع الى : Delaprimandaie: op. cit., pp. 169-171; Gay: L'Italie, pp. 409-412.

2) ـــ انظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, pp 83-84; Delarc: St Gregoire, t. 1, p. 71.

3) ـــ انظر : Delarc: St Gregoire, t. 1, p. 72.

4) ـــ انظر : loc. cit.

5) ـــ تولى كرسي البابوية من سنة 1024 م ـ تاريخ وفاة بندكت الثامن ـــ حتى 1043 م ـــ تاريخ تولى ليو التاسع عرش البابوية ـــ ستة بابوات على التوالي : حنا التاسع عشـــر (1024 ـــ 1032م) وبندكت التاسع (1032 ـــ 1044م) وسلفستر الثالــــــث (1044 ـــ 1045 م) وجريجوري السادس (1045 ـــ 1046 م) وكلمنت الثامـــــن (1046 ـــ 1047 م) وداماس الثاني (من جويلة الى أوت سنة 1043م) . وقـــــد عرفت البابوية طوال عهد هؤلاء البابوات مشاكل عديدة وعويصة كتدخل اباطرة الدولـــة الرومانية المقدسة في شوونها وانتشار الفساد والرشوة وشراء المناصب انظــــــــر : Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, pp. 91-98; Idem: La reforme, t. 1, pp. 110-111; Delarc: St Gregoire, t. 1, chap. II, III;

ولكن عندما تولى البابا ليو التاسع Leon كرسي البابوية أدرك أن مصدر الخطـــــر الحقيقي بالنسبة للكنيسة وغيرها في ايطاليا الجنوبية هو النورمان (1) ، ذلك أن النورمان منذ أن استقروا في مدينتي أفرسـا Aversa وملفي Melfi ، دخلت ايطاليا الجنوبية في طـــور الاضطرابات والرعب نتيجة ما ارتكبوه من أعمال النهب والقتل والتخريب بما في ذلك أراضي البابوية التي استحوذوا على جزء منها (2) .

وأمام هذا الوضع فقد رأى البابا ليو التاسع أنه ليس ثمة ما يدعو الى التريث فـــي مواجهتهم وقرر في بداية فصل الخريف سنة 1050م الذهاب بنفسه الى ايطاليا الجنوبيـــة للنظر في أمر النورمان وعلاقاتهم بالاهالي . وما أن وصل الى مدينة سالرنو حتى أرسل الى النورمان رسائل وسفارات عديدة يحثهم فيها بالاصرار على ضرورة الكف عن أعمالهم التخريبية ، وكـــان النورمان يتعهدون دائما بطاعته ولكنهم لم ينفذوا عهودهم قط حتى أنه لم يكد يصل الـــى مدينة روما بعد انتهاء رحلته الجنوب حتى بلغته شكاوى سكان منطقة أبوليا بعودة النورمـان الى ممارسة أعمالهم الوحشية ضدهم (3) .

وقد تأثر البابا كثيرا بما أصاب رعاياه المسيحيين في ايطاليا الجنوبية فعقد العـزم مرة أخرى على التوجه الى أبوليا لتصفية المشاكل الدائرة بين النورمان والاهالي هناك (4) . ولما استطار الى مسامع النورمان نبأ قدوم البابا اليهم بادروا بملاقاته وهو في طريقه الى مونت جارجانو وابدوا ولائهم وتحيتهم له وفي الواقع لم يمنع هذا التصرف البابا ليو من اظهـــار استنكاره لاعمالهم وغضبه عليهم ، كما هددهم باصدار قرار الحرمان ضدهم اذا عاودوا استفزازاتهم ضد الاهالي (5) . وعندما وصل الى مدينة ملفي كرر الحاحه عليهم وحذرهـــم

---

1) ـــ انظر : Gay (J.): Papes, p. 152.

2) ـــ انظر : Hefele (Ch.): Hist. des conciles, t.4, 2e part., pp. 1036-1037; Gay (J.): Les Papes, p. 150; Idem: L'Italie, p. 480; Delarc: St Gregoire, t. 1, p. I87.

3) ـــ انظر : Gay (J.): Papes, pp. 151-152; Delarc: St Gregoire, t. 1, p. I87.

4) ـــ انظر : Delarc: loc. cit.

5) ـــ انظر : Idem: pp. I89-I90.

من اعتداءاتهم على المستضعفين وأملاك الكنيسة (1) .

على أن البابا ليو التاسع لم يطمئن لولاء النورمان ، اذ كان يدرك أنه تحايـل لتهدئة خواطره ، ومن ثم قرر التوجه مرة أخرى الى جنوب ايطاليا لفتح باب التفاوض مـع النورمان حتى تتم الهدنة والاستقرار نهائيا في ايطاليا الجنوبية . ولا سيما أن مدينـة بينفنتو * أصبحت من ضمن أملاك البابوية ، فوجب عليه رعايتها وحمايتها ، وقد غادر البابـا ليو التاسع مدينة روما لهذا الغرض في أواخر شهر جوان من سنة 1051م . واستصحب معـه مطران مدينة ليون Lyon المسمى هالينار Halinard الذى كان يجيد الكلام باللغـة النورمانية وفي 5 جويلية من سنة 1051م . بلغ الوفد البابوى مدينة بينفنتو (2) حيث التقـى البابا بدروغن Drogon كبير زعماء النورمان في أبوليا وجرت بينهما مفاوضات انتهت بتعهـد دروغن بحماية مدينة بينفنتو بمساعدة غايمار أمير مدينة سالرنو (3) . ولا شك أن البابا طلـب منه أيضا أن يضع حدا لاعتداءات جنوده على الأهالي في أبوليا ** على أن هذا الصلـح لم يدم طويلا ذلك أن سكان أبوليا قاموا بتدبير مؤامرة ضد دروغن في 10 أوت 1051م انتهت بقتله على يد أحد أعوانه ، وكان هذا الاغتيال في الحقيقة كارثة على سياسة البابوية الراميـة الى اقرار السلم والهدنة في ايطاليا الجنوبية (4) . اذ أثار استنكار وغضب جنود دروغـن وعلى رأسهم أخوه همفرى Humfroi الذى بادر باعدام المتآمرين وقطع على نفسه عهـدا بأن يثأر لأخيه (5) . وهكذا ضاعت جهود ليو التاسع الذى كاد أن يروض النورمان لولا وقـوع هذه النكبة (6) .

---

1) ـ انظر : Aimé: III, 16, apud Chalondon: Hist. de la Dtion, I, p 127.

2) ـ انظر : Gay (J): L'Italie, p 483; Delarc: St Gregoire, t. 1, 268-269.

3) ـ انظر : Chalondon: Hist. de la Dtion, t. 1, p 128; Gay: L'Italie, 483.

4) ـ انظر : Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. 5, chap. XIII, 1ere pa. p. 14; Chalondon: op. cit., t. 1, p. 129; Gay: L'Italie, p 483; Delarc: St Gregoire, t. 1, pp. 269-270.

5) ـ انظر : Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. 5, chap. XIII, 1ere pa. p. 15; Chalondon: op. cit., t. 1, p. 130; Delarc: St Gregoire, t. 1, p. 270.

6) ـ انظر : Delarc: loc. cit.

* ويقول شالندن في كتابه Histoire de la domination أن البابا ليو لم يهتم جديا بمشكلة النورمان في ايطاليا الجنوبية ، الا لما انتقلت بينفنتو الى حوزته وصارت هذه المدينة عرضة لاطماع النورمان انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 128.

** في صيف سنة 1052 م مضى ليو التاسع الى ايطاليا الجنوبية التي بلغ فيها الاضطراب ذروته بقصد تسوية المشاكل فيها ولكن النصوص لم تذكر أى نشاط له تجاه النورمان أو غيرهم اثناء هذه الرحلة انظر : Delarc: St Gregoire, t. 1, p. 276.

وقد اتجه البابا ليو التاسع بعد هذا التطور في الأحداث الى طلب المساعدة من الامبراطور الألماني هنرى الثالث لحسم الموقف نهائيا مع النورمان في جنوب ايطاليا . ولهذه الغاية سافر البابا في صيف سنة 1052 م حيث سمح له الامبراطور بتجنيد عدد كبير من المقاتلين ـ أغلبهم من السوابين وسكان اللورين Lorrains, Souabes ـ ثم عاد الى ايطاليا (1) . لينضم اليه بعض الأمراء الايطاليين الناقمين على النورمان (2) .

ولم يكن النورمان في عزلة عما يجرى من استعدادات البابوية بل عمل قوادهم أيضا ـ روبرت في قلورية وهمفرى في ابوليا وريتشارد في افرسا ـ على تعبئة جنودهم لصد خطر البابا . وحينما اجتمع شملهم توجهوا صوب الشمال من ابوليا لمنازلة قوات الحلف البابوى البيزنطي (3) . التي كانت تفوقهم عددا وعدة (4) . ولما شهد النورمان ضخامة جيش البابوية حاولوا تجنب منازلته بارسال سفارة عاجلة الى البابا ليو التاسع يطلبون منه الهدنة مجددين له بذلك اعترافهم بسيادته عليهم . لكن ليو التاسع تعنت ورفض عروضهم واشترط عليهم مغادرة ايطاليا دون انتظار أو جدال (5) . وأدى فشل هذه المفاوضات الى اندلاع المعركة بين الجيشين . واستطاع النورمان ببسالتهم أن يوقعوا بالجيش البابوى هزيمة فادحة بالقرب من مدينة تشيفيتاتي Civitate في جوان سنة 1053 م وقد وقع البابا ليو التاسع نفسه في أسرهم . وحملوه الى مدينة بينفنتو واضطر البابا ليو التاسع عندئذ الى عقد هدنة مع النورمان وافق فيها

---

1) ـ انظر : Malaterra: op. cit., apud Muratori, chap. XIV, t. 5, 1ere p., p. 15; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, p. 105; Delarc: St Grégoire, t. 1, p. 292; Gay: L'Italie, p. 484; Idem: Papes, p. 153;

2) ـ انظر : Leo et Botta: Hist. de l'Italie, t. 1, p. 235; Delarc: St Grégoire t. 1, p. 307.

3) ـ انظر : Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. 5, chap. XIV, 1ere p. p. 15; Chalondon: Hist. de la Dtion, t. 1, p. 136; Delarc: St Grégoire, t. 1, p. 309.

4) ـ انظر : Aimé: op. cit., apud; Delarc: St Grégoire, t. 1, p. 310; Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. 5, 1ere p. chap. XIV, p 15.

5) ـ انظر : Aimé: III, 36, apud Delarc: St Grég., t. I, p. 312; Guillaume de Pouille: Gesta Roberti Wiscardi, p. 235; Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 136. (Apud Delarc: op. cit., I, pp 311-312; (Leo et Botta: op. cit., I, p. 235.

على رفع كل قرارات النورمان التي أصدرها ضدهم واعترف بملكيتهم لكل الأراضي التي تـــــم احتلالهم لها ماعدا مدينة بينفنتو وأما النورمان فقد قطعوا له يمين الولاء وتعهدوا باحترامه بعد أن أقروا سيادته الروحية عليهم (1) .

ومهما يكن من أمر هذه النتيجة فانها تعد من الأحداث الفاصلة في تاريخ ايطاليـــا عامة والبابوية خاصة ، اذ كان لها صدى واسع ووقع سيئ في الأوساط المسيحية بسبب ما حلّ بالبابوية أثناء مقاومة النورمان ومحاولة طردهم من ايطاليا (2) . وفتح الباب على مصراعيه للتوســــع النورماني في ايطاليا الجنوبية (3) .

على أن البابا ليو التاسع لم يستسلم لمصيره السيئ ، ذلك أنه بذل ابان وجـــوده في بينفنتو مساعي حثيثة لحمل الامبراطورية البيزنطية على امداده بالمساعدات الكافية لتأديب النورمان وطردهم من ايطاليا الجنوبية ، ولكن مساعيه انتهت بالفشل (4) .

وما هو جدير بالذكر ، أنه رغم هذه الوضعية المعينة التي كان فيها البابا ليـــو التاسع في بينفنتو فقد حظي باحترام وتقدير كبيرين لدى النورمان ، مما جعله يعيش حيـــاة يسودها الاطمئنان والحرية التامة (5) .

---

1) ـ انظر : Malaterra: op. cit., apud Maratori, V, 1 ere p. chap. XIV, p. 15; Romualdi: Chronicon, apud Muratori, t. 7, 1ere p. p. 181;

وانظر : عاشور : اوربا ، ص 286 ، وانظر ايضا :
Duchesne: Les premiers temps de l'état ponticale, p 386; Gay: Papes, p.154; Chalondon: op. cit., t. I, pp. 137-142; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, p. I06; Delarc: St Grégoire, t.I, pp. 311-318;

ودلارك Delarc يفند فكرة اسر البابا مستدلا بتصرف النورمان تجاهه والحرية التي تمتع بها في بينفنتو أنظر : Delarc: op. cit., t. I, pp. 326-327.

2) ـ انظر : Decarreaux: op. cit., p. 31; Gay: Papes, pp. 155-156; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, p. I06.

3) ـ انظر : Gay: Papes, p. 155; Chalondon: op. cit., I, p. I42.

4) ـ انظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, p. I06; Gay: Papes, p I55.

للاطلاع على الرسالة الأصلية المترجمة التي بعثها ليو التاسع الى الامبراطور البيزنطـــي مونوماكه Monomaque
ارجع الى : Delarc: St Grégoire, t. I, pp. 345-347.

5) ـ انظر : Delarc: St Grégoire, t. I, p. 326; Hayward: Hist. des Papes, p. 156.

وبعد أن قضى ليو التاسع زهاء تسعة أشهر في بينفنتو أحس بتعب ومرض ، فاضطر الى مغادرتها في 12 مارس 1054 م مستصحبا معه فرقة من جند النورمان لحمايته الى أن بلغ مدينة كابوا ، ثم استأنف طريقه بدونهم الى مدينة روما الا أنه لم يلبث بعد وصوله اليها أن اشتد به المرض وتوفي في 19 أفريل سنة 1054 م (1) .

(1) انظر : Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. 5, chap. XV, 1ère partie, p. 15; Romualdi: Chronicon, apud Muratori, t. VII, 1ère p. p. 182; Leo et Botta: op. cit., t. I, p. 236; Hayward: op. cit., p. 168; Gay: Papes, p. I54; Delarc: op. cit., I, pp. 383-389.

ب) منذ عهد البابا فكتور الثاني حتى نهاية عهد البابا أسكندر الثاني

(1055 ـ 1073 م)

ظل الكرسي البابوي شاغرا لمدة عام تقريبا بعد وفاة البابا ليو التاسع بسبب عجز الكرادلة والامبراطور الألماني هنري الثالث (1039 ـ 1056 م) عن الاتفاق على الشخص الذى يرضى عنه الجميع (1) ، ولكن وقع الاختيار أخيرا في 13 أفريل عام 1055 م على البابا فكتور الثاني (1055 ـ 1057 م) (2) .

ولعل المشكلة التي وجد البابا فكتور الثاني أن عليه مواجهتها هي مشكلة النورمان فلم يمض وقت طويل على توليته حتى وصل العديد من شكاوى أهالي جنوب ايطاليا ضد أعمال العنف والنهب التي كانوا يتعرضون لها من قبل هؤلاء النورمان . وفي الحقيقة كان النورمان وقتذاك قد تجمعوا في معظمهم تحت قيادة أمير منهم وصل الى جنوب ايطاليا في عام 1046 م ، هو روبرت جسكارد Robert Guiscard ، وبسطوا سيطرتهم على الجانب الأكبر من جنوب ايطاليا وهددوا بذلك أراضي البابوية الواقعة الى الشمال من أبوليا تهديدا مباشرا وخطيرا (3) .

وبالرغم من أن البابا فكتور الثاني كان قد طبق في بداية عهده مع النورمان سياسة المسالمة وفكر في التقرب منهم (4) ، الا أنه اضطر أمام هذه التطورات الى السير على منوال سياسة البابا ليو التاسع المعادية (5)، ولما كان على يقين بعدم قدرته على مقاومتهم بدون مساعدة الامبراطور الألماني هنري الثالث (6) ، اتجه في صيف سنة 1056م ، الى ألمانيا لجلب المعونة الكافية (7) ، ولكن وفاة هذا الامبراطور في أوت سنة 1056م حالت بين البابا وبين تحقيق هدفه وعاد الى ايطاليا ، ولم يلبث أن توفي في 28 جويلية سنة 1057م في

(1) ـ انظر : Chalondon: Hist. de la Dtion, t.1, p I60; Gay: Papes, pp 155,168.

(2) ـ انظر : Leo et Botaa: op cit., T.1, p. 236; Hefele: op. cit., t. 4, 2ème p. p. 1117; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 7, p. I08.

(3) ـ انظر : Gay: Papes, p. I70; Chalondon: op. cit., t.1, p. I63; Delarc: St Grégoire, t. II, p. 16.

(4) ـ انظر : Chalondon: op cit., t.1, 161.

(5) ـ انظر : Delarc: St Grégoire, t. II, p. 14.

(6) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t.1, p.163.

(7) ـ انظر : Gay: Papes, p. I70; Delarc: St Grég., t.II, pp. 17-19; Chalondon: op. cit., t. 1, p. 163.

مدينة أريزو Arezzo بتوسكانيا دون أن ينال منالا من النورمان (1) ويذكر المؤرخ دلارك Delarc في روايته أن البابا فكتور قد تراجع بعد خيبته هذه عن مشروعه ضد النورمان وعمل على التفاهم معهم (2) .

ومهما يكن من أمر ، فقد تولى كرسي البابوية بعد وفاة فكتور الثاني البابا أسطفان (اتيان) أو Etienne) التاسع (1057 ـ 1058م) ولم يكن البابا الجديد أقل كرها وعداوة للنورمان من ليو التاسع ، مما جعل النورمان يستنكرون صعوده الى عرش البابوية (3) .

وقد شرع اثر توليته منصبه في اعداد العدة لمحاربتهم ، فعمد الى استحضار أمواله المتواجدة في ديرمونت كاسينو والتي أهدتها اليه الدولة البيزنطية وطلب من رهبان هذا الدير تزويده بكل ما استطاعوه من ثروة ليجند بها المقاتلين (4) . ثم تجرأ على ضم مدينة ترويا Troia التابعة للنورمان الى اقليم بينفنتو البابوية (5) . كما أنه لم يتورع عن التفكير في نقل تاج امبراطور الدولة الرومانية المقدسة وكان على رأسها هنري الرابع الذى لم يتجاوز عمره الثماني سنوات الى يدى أخيه جودفرى اللوريني Godeffray de Lorraine دوق توسكانيا حتى يضمن للبابوية اعانة كبرى من الامبراطورية (6) . ثم أوفد سفارة الى القسطنطينية يلتمس منها المساعدة العسكرية (7) . ولكن ما أن وصل السفراء الى مدينة بارى الايطالية حتى بلغهم خبر وفاة أسطفان التاسع التي وقعت يوم 29 مارس سنة 1058 م في مدينة فلورنسا بشمال ايطاليا وهو في طريقه الى توسكانيا ليحصل على معونة من أخيه ضد النورمان (8) . وهكذا أدت وفاة البابا أسطفان التاسع مرة أخرى الى افشال مشروع البابوية الرامي

---

1) ـ انظر : Hefelé: op. cit., t. 4, 2ème p., p. 1119; Delarc: St Grégoire, t.II, p. 25; Chalondon: Hist. de la Dtion, t.1, pp. 163-164.

2) ـ انظر : Delarc: St Grégoire, t.II, p. 26.

3) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 164.

4) ـ انظر : Delarc: St Grég., t.II, pp 69-70; Chalondon: op. cit., t. 1, pp. 164-165.

5) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 165.

6) ـ انظر : Aimé: III, 47; apud Delarc: St Grég., II, p. 70; Chalondon: loc cit.

7) ـ انظر : Gay: Papes, p. 175; Chalondon: op. cit., t.1, pp 165-166; Delarc: op. cit., II, p. 72.

8) ـ انظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 17; Delarc: St Grég., t. 2, pp. 72-73; Chalondon: op. cit., t.1, p.166; Gay: Papes, p 173.

الى مقاومة النورمان (1) .

ومهما يكن من أمر هذه المحاولات الرامية الى طرد النورمان ، فقد دخلت العلاقات البابوية النورمانية بعد عهد اسطفان التاسع مرحلة جديدة وحاسمة خطت فيها البابوية خطوة جريئة في اطار التقرب من النورمان والتحالف معهم (2) . وقد لعبت الظروف العصيبة التي مرت بها البابوية دورا أساسيا في هذا التحول المفاجئ ، ذلك أنه حدث أثر وفاة أسطفان التاسع سنة 1059 م أن بادر الفريق المعارض للاصلاح بتعيين أحد رجاله ، واسمه بندكت العاشر Benedict ، بابا على كنيسة روما بطريقة غير شرعية ، وقوبل هذا الاجراء بالاستنكار والرفض من طرف الكرادلة والرومانيين ، مما جعل الكاردنال هيلد براند Hildebrand — وهو المسير الحقيقي لشؤون الكنيسة والذى سيصير جريجورى السابع فيما بعد — يقرر عزله ويعين آخر بدلا منه هو البابا نقولا الثاني Nicola في 24 جانفي سنة 1059 م . (3)

غير أن البابا المعزول بندكت العاشر لم يستسلم للأمر الواقع ، ولكنه فرّ صحبة أنصاره من النبلاء الرومانيين واعتصموا في بعض الحصون الواقعة في ضواحي مدينة روما مما سبب الذعر والقلق للبابوية (4) . ولم يجد هيلد براند بدا من أن يتوجه الى اقليم كامبانيا ويستنجد بريتشارد النورماني * أمير مدينة كابوا الذى لم يلبث أن لبي دعوته وأنفذ الى روما جيشا نورمانيا قوامه ثلاثمائة فارس تمكنت البابوية بفضله من فتح العديد من الحصون التي اعتصم بها الثوار ، لكنها عجزت عن اقتحام حصن غاليريا Galeria الذى احتمى به بندكت وأتباعه (5) .

---

1) — انظر : Gay: Les Papes, p. I76.

2) — انظر : Amann (E.): Dictionnaire de théologie, t. XI, 1ère p. p. 530.

3) — انظر : Chalondon: op. cit., t.1, pp. 166-167; Hefele: op. cit., t. 4, pa. 2, p. 1133; Delarc: St Grégoire, t.2, pp. 76-83; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, pp. 17-18;

4) — انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 167.

5) — انظر : Delarc: St Grégoire, t.2, pp. 84-85; Fliche: La reforme, t. 1, p. 327;Lavisse: Hist. Gle, t.2, p. 73; Chalondon: op. cit., t. 1, pp. I67-I68.

* تذكر الرواية ان هيلد براند ابرم اتفاقا مع ريتشارد النورماني وقدم له هذا الاخير يمين الولاء للكنيسة الرومانية وللبابا نقولا الثاني انظر : Fliche: La reforme, t. 1, p. 327.

الى مقاومة النورمان (1) .

ومهما يكن من أمر هذه المحاولات الرامية الى طرد النورمان ، فقد دخلت العلاقات البابوية النورمانية بعد عهد اسطفان التاسع مرحلة جديدة وحاسمة خطت فيها البابويـــــة خطوة جريئة في اطار التقرب من النورمان والتحالف معهم (2) . وقد لعبت الظروف العصيبة التي مرت بها البابوية دورا أساسيا في هذا التحول الفاجئ ، ذلك أنه حدث أثر وفـاة أسطفان التاسع سنة 1059 م أن بادر الفريق المعارض للاصلاح بتعيين أحد رجالـــــه ، واسمه بندكت العاشر Benedict ، بابا على كنيسة روما بطريقة غير شرعية ، وقوبل هذا الاجراء بالاستنكار والرفض من طرف الكرادلة والرومانيين ، مما جعل الكاردينال هيلد براند Hildebrand ــ وهو المسير الحقيقي لشؤون الكنيسة والذى سيصير جريجورى السابع فيما بعد ــ يقـــرر عزله ويعين آخر بدلا منه هو البابا نقولا الثاني Nicola في 24 جانفي سنة 1059 م . (3)

غير أن البابا المعزول بندكت العاشر لم يستسلم للأمر الواقع ، ولكنه فرّ صحبة أنصاره من النبلاء الرومانيين واعتصموا في بعض الحصون الواقعة في ضواحي مدينة روما مما سبـــب الذعر والقلق للبابوية (4) . ولم يجد هيلد براند بدا من أن يتوجه الى اقليم كامبانيـــا ويستنجد برتشارد النورماني * أمير مدينة كابوا الذى لم يلبث أن لبي دعوته وأنفذ الـــى روما جيشا نورمانيا قوامه ثلاثمائة فارس تمكنت البابوية بفضله من فتح العديد من الحصـــون التي اعتصم بها الثوار ، لكنها عجزت عن اقتحام حصن غاليريا Galeria الذى احتمى بـــه بندكت وأتباعه (5) .

---

1) ــ انظر : Gay: Les Papes, p. I76.

2) ــ انظر : Amann (E.): Dictionnaire de théologie, t. XI, 1ère p. p. 530.

3) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t.1, pp. 166-167; Hefele: op. cit., t. 4, pa. 2, p. 1133; Delarc: St Grégoire, t.2, pp. 76-83; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, pp. 17-18;

4) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 167.

5) ــ انظر : Delarc: St Grégoire, t.2, pp. 84-85; Fliche: La reforme, t. 1, p. 327; Lavisse: Hist. Gle, t.2, p. 73; Chalondon: op. cit., t. 1, pp. I67-I68.

* تذكر الرواية ان هيلد براند ابرم اتفاقا مع رتشارد النورماني وقدم له هذا الاخير يميـــن الولاء للكنيسة الرومانية وللبابا نقولا الثاني انظر :
Fliche: La reforme, t. 1, p. 327.

على أن هذا التحالف بين البابوية والنورمان اكتسى أهمية خاصة في نظر البابا نقولا الثاني ، اذ رأى في هذه السياسة أنها السبيل الناجع لتحرير البابوية من هيمنة الامبراطورية الألمانية عليها (1) . وهي أيضا الضمان الأساسي لنجاح فكرة الاصلاح الداخلي للكنيسة (2) . ومن جانب الامبراطورية الألمانية فقد تأثرت تأثرا عميقا من جراء التحالف النورماني البابوي لأنها استنتجت بسرعة أن تدخل النورمان في الشؤون البابوية يعتبر تهديدا سافرا للنفوذ ألمانيا ومصالحها في ايطاليا (3) .

وقد أدى تدخل النورمان في السياسة الايطالية الى بعث روح الأمل في نفس البابوية (4) . وبلغ هذا الشعور درجة أن اندفعت فيها البابوية مرة أخرى في اطار سياسة التخلص من السيطرة الألمانية عليها ولهذه الغاية أصدر البابا نقولا الثاني في شهر أفريل سنة 1059 م ، مرسوما * كان له صداه السيء في أوساط ألمانيا والنبلاء الرومانيين (5) . ولا شك أن النورمان فهموا سياسة البابوية نحوهم فعملوا على بلورتها وتدعيمها ، ولا سيما أنهم كانوا يؤثرون الاذعان للبابوية بدلا من الخضوع للامبراطور الألماني (6) . وعلى هذا الأساس بادر النورمان بايفاد سفارة الى البابا نقولا الثاني ، يلتمسون منه القدوم الى أبوليا للتفاهم معهم وتوطيد أواصر الصداقة بينه وبينهم (7) .

---

1) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t.1, pp. I68-I69; Hefele: op. cit., t. 4, partie 2, p. 1184.

2) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t.1, p. I68.

3) ــ انظر : Delarc: St Grégoire, t. 2, p. I43.

4) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. I69.

5) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t.1, pp. I68-I69; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, p. 21, Amann: Dictionnaire, t. XI, 1ère pa., p. 529.

6) ــ انظر : Fliche: La reforme, t.1, p. 329; Chalondon: op. cit., t 1, P I69

7) ــ انظر : Hefele: op. cit., t.4, pa. 2, p. 1184; Fliche: La reforme, t. 1, pp. 329-330; Chalondon: Loc. cit.

* " أقر الانتخاب داخل الكنيسة ونص على عدم تدخل الامبراطورية في تعيين البابا والذي هو حق يرجع لمجمع الكرادلة ورعايا روما لا سواهم " . وتجدر الاشارة الى أن هذا المرسوم هو الذي أدى الى حتمية ارتماء البابوية في أحضان النورمان . انظر : Chalondon: op. cit., t.1, p. I68; Fliche: La reforme, t.1, p. 314.

وللمزيد من التفاصيل عن مرسوم 1059 م ارجع الى : Hefele: op cit., t.4, pa. 2, pp. 1166-1169; Fliche: La reforme, t.1, p. 314

وقد استقبل البابا دون تردد هذه الدعوة التي رآها بالدرجة الأولى في مصلحة البابوية ، فتوجه في جوان 1059 م الى أبوليا رفقة وفد هام على رأسه ديديه Didier مقدم ديرمونت كاسينو الذي عرف بصداقته المتينة لرتشارد النورماني ، أمير مدينة كابوا (1) .

وقد استقبل البابا نقولا الثاني استقبالا رائعا في مدينة ملفي من طرف الزعيم النورماني روبرت جسكارد الذى تخلى عن حصاره لمدينة كارياتي Cariati اثر سماعه بقدوم البابا اليه (2) . ، وقام البابا في هذه المدينة بعقد مجمع تاريخي هام في 23 أوت سنة 1059 م تلقى خلاله يمين الولاء والطاعة من روبرت ورتشارد كما تعهد/أثناءه بدفع جزية سنوية للبابوية ، وبأن يكون تابعا وحليفا لها وللكنيسة الرومانية وتعهد روبرت أيضا باحترام ممتلكات الكنيسة والعمل على حماية وتنفيذ مرسوم سنة 1059 م ومساعدة البابا على تولي منصبه اذا احتاج الى ذلك ، وأما من جانب البابا فقد أعطى لفتوحات النورمان صفة شرعية اذا اعترف بسلطته لرتشارد * أعلى مدينة كابوا وضواحيها ، كما منح لروبرت لقب دوق أبوليا وقلوريا حتى صقلية اذا انتهى اليه مصيرها (3) .

وبعد أن فرغ البابا نقولا الثاني من مهمته في أبوليا ، عاد الى روما في خريف أوفي بداية شتاء سنة 1059 م ، رفقة جيش غفير من النورمان ليستكمل به عملية اخضاع ما تبقى من المعارضة الرومانية وعلى رأسها بندكت العاشر (4) .

وعقب وصوله الى روما ، شرع في حملته الثانية ضد الثوار ، فقام جنود النورمان ، بمساعدة من بعض فرق البابوية ، بسلسلة من الهجمات العنيفة على الحصون التي اعتصم بها

---

1) انظر : Hefele: op cit., t.4, 2ème pa., p. 1180; Fliche: La reforme, t 1, p. 328; Chalondon; op. cit., t.1, pp. I67-I68; Delarc: St Grégoire: t. 2, p. 123.

2) انظر : Guillaume de Pouille: Gesta Roberti Wiscard, apud Delarc: St Grégoire, t.2, p. 124.

3) انظر : Guihlaume de Pouille: op. cit., apud Delarc: St Grégoire, t.2, pp. 124-125; Hefele: op. cit., t.1, p.1185; Chalondon: Hist. de la domination, t.1, pp. I70-I7I; Gay: Papes, p. I76; Fliche: La reforme, t.1, p. 330; Idem: Hist. de l'eglise, t.8, p. 21; Delarc: St Grég., t.2, pp. 124-125; Pevin: op. cit., p. 76; Lavisse: Hist. Gle, t.2, p. 74; Bernhard: Le Vatican, p. 141.

4) انظر : Delarc: St Grégoire, t. 2, p. I33.

* قدم هو الآخر نفس العهود التي تقدم بها روبرت انظر : Delarc: St Grégoire, t.2, pp. I27-I28.

بندكت العاشر وأنصاره ، وتمكنوا في نهاية الامر من فتحها واخضاع أصحابها لسلطة الكنيسة والقبض على بندكت العاشر وتسليمه للبابا نقولا الثاني (1) . وبهذا النجاح تحررت البابوية من نفوذ نبلاء الرومان المناوئين لسياستها ، وماكان لها أن تنال هذا الفوز لولا مشاركة النورمان الذين أعطوا لهذه الحملة طابع القوة والاستعداد والتنظيم (2) . وكيفما كان الأمر ، فان هذا الوضع الذى باتت فيه البابوية يعتبر نتاجا للسياسة الجديدة التي دشنها البابا نقولا الثاني الذى لم يكتب له أن يشهد عواقبها حيث توفي في 27 جويلية 1061م ، في مدينة فلورنسا (3) .

رجع النورمان اثر نهاية مهمتهم الحاسمة والسريعة الى ايطاليا الجنوبية وتركت حملتهم أثرا طيبا في نفس البابوية حيث أدت الى تحريرها من سيطرة النبلاء كما عملت على ارساء قواعد الامن والاستقرار في مدينة روما (4) . على أن هذا الاستقرار في الحقيقة لم يدم طويلا بسبب الازمة التي أثارتها وفاة نقولا الثاني Nicolas II في سنة 1061 م حيث طرحت من جديد مشكلة تعيين رئيس على كنيسة روما (5) .

وفي هذا الجو المتأزم قام هيلد براند بترشيح انزلم Anselme اسقف مدينة لوكسة Luques ـ الواقعة في اقليم توسكانيا ـ لمنصب البابوية (6) . ثم قرر تطبيق نص مرسوم سنة 1059 م ـ الذى يقضي بعدم اشراك النبلاء وممثلي الامبراطورية الالمانية في اختيار البابا . وقصر هذا الاختيار على الكرادلة وحدهم الا أن هيلد براند ، الذى كان يدرك خطورة هذه السياسة وعدم امكان تنفيذها من غير الاستعانة بقوة حلفائه النورمان أرسل الى ديديه Didier مقدم ديرمونت كاسينو يحثه على استقدام رتشارد حاكم مدينة كابوا وجيشه الى روما .

---

1) انظر : Gay: Papes, p. 176; Leo et Botta: op cit., t.1, p. 247; Fliche: La reforme, t.1, p. 237; Delarc: St Grégoire, t.2, pp. 133-134; Chalondon: op cit., t.1, p. 168.

2) انظر : Chalondon: op cit., t.1, p. 168; Delarc: St Grégoire, t.2, p 134.

3) ـ انظر : Hefele: op cit., t.4, pa.2, p. 1216; Chalondon: op cit., t.1, p167.

4) ـ انظر : Delarc: St Grégoire, t. II, pp. 134-135.

5) ـ انظر : Duchesne: op. cit., p. 400; Poulet: Hist. ou christianisme au M.-Age, t. II, p 329. Hefele (J.): Hist. des conciles, t.4, 2ème pa. p. 1216.

6) ـ انظر : Delarc: St Gré., t.II, p. 163; Duchésne: op. cit., p. 400.

وقد استجاب رتشارد للدعوة ووصل على رأس قواته الى روما حيث اشرف في أول اكتوبر سنة 1061 م ، على تنصيب الاسقف انزلم بابا على الكنيسة الرومانية تحت اسم اسكندر الثاني Alexandre II (1) (1061 ـ 1073 م) وبعد سبعة أيام ـ أى في 7 أكتوبر ـ أعلن ولاءه للبابا الجديد وتعهد له باحترام العهود التي كان قد قطعها للبابا نقولا الثاني في مجمع ملفي سنة 1059 م ثم رجع الى بلده في نفس اليوم (2) . وقد قابلت الامبراطورية الرومانية المقدسة هذا الاجراء بجفاء واستنكار كبيرين لما كان له من مساس بسيادته في ايطاليا الجنوبية ، ولم تلبث أجنس Agnes الوصية على عرش الامبراطور هنرى الرابع الصغير ، أن قامت بتحريض من نبلاء الرومان بتعيين أسقف مدينة بارما Parma المدعو كادلوس Cadalous الذى عرف بمسلكه الدنيئ ـ رئيسا على كنيسة روما تحت اسم هونوريوس الثاني Honorius II وذلك في 28 أكتوبر سنة 1061 م (3) .

ويتضح لنا من ذلك ، مدى الهيبة التي اكتسبتها البابوية من جراء حماية النورمان لها ، ذلك أن النبلاء في مدينة روما بعد أن تعودوا على خلع وتعيين من يروق لهم من البابوات ، فانهم كفوا عن ذلك وصاروا يوكلون هذه المهمة الى الامبراطورية الرومانية المقدسة خوفا من بطش النورمان بهم (4) . ومهما يكن من أمر ، فما أن حصل هونوريوس الثاني على موافقة الامبراطورية الرومانية المقدسة حتى تقدم الى مدينة روما ودخلها في يوم 14 أفريل سنة 1062 م على رأس جيشه (5) . فاضطر اسكندر الثاني أمام هذا الوضع الى الاستنجاد مرة أخرى برتشارد النورماني ، الا أن هذا الأخير تقاعس عن انجاده بسبب انشغاله بمشاكله

1) ـ انظر : Duchésne: op cit., p. 400; Delarc: op cit., t.II, pp. I62-I64; Chalondon: op cit., t.1, p. 213; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 22; Poulet: op cit.II p. 329; Fliche: La reforme, t.1, p. 350; Hefele: op cit., t.4; pa. 2, pp. 1219-1220.

2) ـ انظر : Chalondon: op cit., t.1, p. 213; Delarc: op cit., t.2, p. 164; Hefelé: op cit., t.4, pa. 2, p. 1219.

3) ـ انظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, pp. 22-23; Chalondon: op cit., t.1, p. 213; Delarc: St Grégoire, t.2, pp. 162-166; Hayward (F.): Hist. des Papes, p. I72; Poulet: op cit., II, p. 329; Delarc: St Grég., t.2, p.I65.

4) ـ انظر : Delarc: op cit., t. 2, p. I62.

5) ـ انظر : Delarc: St Grég., t.2, pp I7I-I72; Chalondon: op cit., t.1,p214.

الخاصة ،لاسيما باخضاع مدينة كابوا لسلطته (1) .

وقد حاولت البابوية بعد ذلك صد زحف هونوريوس الثاني لكن غياب النورمان ادى الى اختلال التوازن بين قواتها غير أنه سرعان ما تدخل جودفرى اللوريني دوق توسكانيا وأجبر هونوريوس الثاني على الخروج من روما (2) . وحقنا لدماء المسيحيين أمر جودفرى اللوريني بفتح تحقيق بغية حسم النزاع بين الفريقين المتنازعين وفي مطلع سنة 1063 م ،تقرر تثبيت اسكندر الثاني رئيسا على الكنيسة الكاثوليكية ،فدخل اثر ذلك البابا مدينة رومـــا منتصرا ومعززا بجنود النورمان الذين أوفدهم رتشارد عقب اخضاع مدينة كابوا (3) .

على أن هونوريوس لم يستسلم لهذه الهزيمة بسهولة وأخذ يتربص بالبابوية الدوائر ينتظر الفرصة الملائمة للاجهاز عليها وكانت تشجعه على ذلك كل الفئات الرومانية الناقمة على البابوية وأصلاحاتها (4) . وفي شهر ماى سنة 1063 م أعاد الكرة على روما (5) . حيـث دارت معارك طاحنة بينه وبين جيش اسكندر الثاني الذى كانت تسانده فرق من النورمـان التي استقدمها جودفرى اللوريني قبل حدوث الاصطدام بفترة قليلة ويذكر بنزو Benzo وهو أحد رجال الدين الموالين لسياسة هونوريوس ،أن النورمان ساهموا بقسط وافر في هـذه المعارك الى جانب البابوية ويشير أيضا الى مشاركة كل من روبرت روجر ولدى تانكريد وكـذا رتشارد فيها ،وقد مني النورمان رغم ما أبدوه من شجاعة في هذه المعارك الحربية بخسائـر فادحة وأوشكت البابوية بسبب ذلك على الانكسار (6) . الأمر الذى جعل اسكندر الثانـي

---

1) ــانظر : Delarc: St Grég., t.2, p. 171; Chalondon: op cit., t.1, pp 215-217.

2) ــانظر : Poulet: op cit., II, p.330; Chalondon: op. cit., 1, p. 214; Delarc: op cit., t.2, pp. I78-I79.

3) ــانظر : Chalondon: Hist. de la Dtion, t.1, p.217; Poulet: op cit., p331.

4) ــانظر : Delarc: St Grégoire, t.2, pp.184-185.

5) ــانظر : Chalondon: Hist. de la Dtion, t. 1, p. 217.

6) ــانظر : Delarc: St Grégoire, t.2, pp. I85-I90; Chalondon: op cit., t.1, p. 218.

وللمزيد من التفاصيل حول هذه المعارك ارجع الى نص بنزو في : Delarc: Loc. cit.

يستحضر فرقا أخرى من النورمان وينظم هجوما معاكسا وعنيفا ضد قوات هونوريوس التي احتمت ببعض الاماكن المحصنة . وشهدت مدينة روما اثر ذلك اصطدامات رهيبة أبدى النورمان خلالها جهدا كبيرا وبسالة فائقة واستطاعت البابوية في نهاية الامر أن تحرز على انتصار حاسم وان تقضي على هونوريوس واحلامه قضاء مبرما (1) .

وما يمكن قوله بصدد هذه الاحداث كلها أن البابوية اذا كانت قد تمكنت مستقبلين الوصول الى هذه النتيجة فالفضل يعود بالدرجة الاولى الى التضحيات التي قدمها النورمان (2) . كما أن هذه الانتصارات عملت على مضاعفة اعجاب البابوية بالنورمان مما جعلها ترى فيهم أداة طيعة ومساعدة لها في تحقيق مآربها (3) .

ومهما يكن من أمر فان هذه العلاقات الطيبة بين البابوية والنورمان سرعان ما تعكر صفوها ذلك أن البابوية اذا كانت قد اعترفت بالجميل للنورمان فانها رفضت تدخلهم في شؤونها وسيطرتهم على كامل المنطقة . لان تحركات النورمان الاخيرة المتمثلة في احتلال مدينة كابوا وتيانو Teano والمطالبة بدوقية غايتي Gaëte وغاراتهم على بعض الاديرة التابعة لكنيسة روما قد لفتت انتباه البابوية وانذرتها بخطورة زحفهم على روما نفسها (4) .

وكان رتشارد هو الذى تسبب في تدهور هذه العلاقات اذ سار سنة 1066م على رأس جنوده متوجها صوب الشمال فاحتل مدينة كبرانو Ceprano التابعة لمدينة روما واستمر في زحفه زارعا الفساد والدمار أينما حل في طريقه حتى بلغ مدينة روما . وكان رتشارد ينوى

---

1) انظر : Delarc: op. cit., t.2, pp. I90-I9I; Chalondon: op. cit., p 218. Lavisse: Hist. Gle, t. 2, p. 75.

2) انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 218.

3) انظر : Delarc: St Grégoire, t.2, p. 229.

4) انظر : Chalondon: Hist. de la Domination, t. 1, p. 218; Delarc: St Grégoire, t. 2, p. 229.

من وراء هذه الحملة تنصيب نفسه امبراطورا في روما (1) . وقد استاء اسكندر الثاني كثيـــرا التصرف رتشارد مما جعله يعقد العزم على مقاومته فارسل الى الامبراطور هنري الرابع يطلـب منه المساعدة لاحباط خطة رتشارد .

وقد استجاب الامبراطور هنري الرابع لطلب البابا ولكنه سرعان ما تراجع ونكث عهـده ومن ثم استعان اسكندر الثاني بجودفري اللوريني الذي لم يلبث ان لبى دعوة البابا ثم اخـذ في الزحف على رتشارد بمشاركة البابا وفرقة . ولم يحاول رتشارد ، الذي تلقى من البابا عقـاب الحرمان ، الصمود أمام قوات جودفري وآثر الانسحاب ، ويذكر المؤرخ Aimé ان رتشارد فكـر في التوجه الى أبوليا الا أن ابنه جوردان وصهره وليم دي مانتروي Guillaume de Montreuil لم يلبثا أن تدخلا بجيشهما وتمكنا من ايقاف هجوم جودفري أمام مدينة أكينو Aquino (2).

ثم دخل رتشارد وجودفري في مفاوضات انتهت بعقد صلح هام بينهما ، ولم نعرف على وجه التحديد شروط هذا الصلح ، ولكن ما يمكن استنتاجه منه هو أن حقوق البابوية كانت مراعـاة وملحوظة ، كما أدى الى عودة رتشارد الى طاعة البابوية وليس أدل على هذا الوفاق بيـــن البابوية والنورمان من الزيارة التي نظمها البابا اسكندر الثاني ، الى جنوب ايطاليا سنـــة 1067 م ، حيث استقبل فيها استقبالا رائعا يليق بمقامه من قبل النورمان .

وأثناء هذه الجولة عقد البابا مجمعا هاما في مدينة ملفي في 1 أوت من سنـــة 1067 م ، أصدر خلاله تحت الحاح مطران مدينة سالرنو قرار الحرمان ضد وليم اخـــي جسكارد لانه اغتصب بعض أملاك كنيسة سالرنو الا أن وليم — الذي كان حاضرا في المجمـع رفض الاذعان لارادة البابا وتحمل عقاب الحرمان بدلا من التنازل عن أملاك الكنيســة .

---

1) — انظر : Chalondon: op. cit., t.1, pp. 218-221; Delarc: op. cit., t. 2, p. 230; Fliche: La réforme, t. 1, p. 351.

2) — انظر : Fliche: La réforme, t. 1, pp. 351-352; Chalondon: op. cit., t. 1, p. 221.

ولكن عندما وصل البابا الى سالرنو بعد انتهاء زيارته لملفي استقبل وفدا من أمراء النورمان قدم له آيات الولاء والطاعة ، وكان ضمن أعضاء هذا الوفد روبرت جسكارد دوق أبوليـــا وقلوريه وأخوه روجروليم بن مانكريد الذى تراجع عن عصيانه وقرر أن يرجع لكنيسة سالرنـــو أملاكها ، مما أدى بالبابا اسكندر الثاني الى رفع قرار الحرمان عنه .

وفي بداية شهر أكتوبر من نفس السنة انتقل اسكندر الثاني الى مدينة كابوا مركـــز الأمير رتشارد وفيها تقدم الى البابا أحد النورمان الثائرين على الكنيسة المسمى ترويتيوس دى روطا Troytius de Rota ، فأعلن خضوعه له بعد أن تنازل هو الآخر علـــى الأملاك التي اغتصبها من كنيسة سالرنو وأن دل وجود البابا اسكندر الثاني في مديـــة كابوا على شيء فانما كان يدل على الاتفاق الذى أصبح يسود وقتذاك بين البابوية ورتشـــارد النورماني (1) .

على أن هذه العلاقات الطيبة ، في الواقع لم تستمر طويلا ، لأنه سرعان ما دب الخلاف من جديد بينهما سنة 1067 م ، وقد تسبب في وقوع هذا النزاع وليم دى مانتيوى Guillaume de Montreuil الذى تمرد على سلطة رتشارد ثم توجه الى مدينة رومـــا وأعلن انضواءه تحت لواء البابوية ، ومما زاد هذا الأمر تأزما ، تصرف البابا اسكندر الثانـــي الذى منح وليم دى مانتيوى بعض الممتلكات التي سبق أن أرجعها رتشارد للبابوية ، وكـــان هذا ايذانا بفصم الصلة بين رتشارد واسكندر الثاني الذى كان يريد ضرب النورمان بعضهم بالبعض الآخر (2) .

---

1) ـــ انظر : Delarc: St Grégoire, t. 2, pp. 234-236; Chalondon: Hist. de la Domination, t. 1, p. 221.

2) ـــ انظر : Aimé: op. cit., apud Delarc: St Grégoire, t. 2, p. 237; Delarc: St. Grégoire, t. 2, pp. 236-237; Chalondon: op. cit., t. 1, p. 222.

ولم يلبث وليم دى ما نتوى بعد وصوله الى روما أن جهز جيشا وأخذ في الزحف على كامبانيا مقاطعة رتشارد واستطاع وليم أثناء هذه الحملة أن ينزل بمدنها خرابا مريعا وأن يهزم جوردان Jordan بن رتشارد . وأدت هذه الانتصارات في النهاية الى اثارة القلق لدى رتشارد . مما أدى به الى الاستعانة بروبرت جسكارد . ولكن قبل أن يهب روبرت الى نجدته شاع خبر وفاة وليم في مدينة روما بسبب مرض الملاريا على حد قول ايمي Aimé (1) . وكانت نتيجة هذا الحدث أن وضعت الحرب أوزارها وعاد الاستقرار الى مقاطعة كامبانيا . كما تحسنت العلاقات مرة أخرى بين رتشارد والبابوية بدليل التقاء البابا اسكندر الثاني بمعظم أمراء النورمان في جنوب ايطاليا . في ديرمونت كاسينو في أكتوبر سنة 1071 م وظلت هذه العلاقات الطيبة بين الطرفين حتى وفاة البابا اسكندر الثاني في عام 1073 م (2) .

1) ـ انظر : Aimé: op. cit., apud Delarc: St Grégoire, t. 2, p. 237; Chalondon: loc. cit.; Delarc: St Grégoire, t. 2, p. 237.

2) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 223; Delarc: St. Grégoire, loc. cit.

ج) روبرت جسكارد والبابا جريجورى السابع .

(1073 _ 1085 م)

لم يكد البابا اسكندر الثاني يوارى التراب بمدينة روما حتى عيّن محلّه هيلد براند في 22 أفريل سنة 1073 م وأخذ اسم جريجورى السابع Grégoire VII (1) . ويعتبر جريجورى السابع ، قبل اعتلائه هذا المنصب ، المسيّر الحقيقي للشؤون البابوية ولذلك سار على طول سياسة سلفه اسكندر الثاني اتجاه النورمان والتي تقوم على أساس ايجاد التوازن بين النورمان والبابوية وذلك بالعمل على منع توحيد القوى النورمانية بجنوب ايطاليا لا سيما أن البابوية في آواخر أيام اسكندر الثاني أضحت عاجزة عن الحدّ من توسعاتها على حساب أملاكها . (2) .

كان ازدياد خطر النورمان على ممتلكات البابوية أول ما استقطب اهتمام البابا جريجورى السابع عقب توليته عرش البابوية وقد قرر مواجهته بكل جدّية وصرامة . على أن البابوية اذا كانت قد توصلت الى وفاق مع رتشارد دى كابوا فالامر تعقد مع جسكارد الذى كان في نظر البابا جريجورى الخصم وعدو للبابوية اذ نسبت له مسؤولية الغارات التي دبّرها ابن أخيه روبرت دى لوريتيلو ضد الاراضي التابعة لاسقفية روما (3) .

وقد حدث أثناء مراسيم تعيين البابا جريجورى أن شاع خبر في روما يفيد أن جسكارد لقي مصرعه في مدينة بارى وان خلافا حادا دبّ بين النورمان حول اختيار خليفة له وعلى أثر ذلك بادر البابا بارسال تعازيه الى زوجته سيكا لغايت Sykelgaite واقترح

---

1) _ انظر : Poulet: Histoire du christianisme, t.II, p. 334; Gay (J.): Les Papes, p. 224; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 252.

2) _ انظر : Chalondon: Hist. de la domination normande, t. I, p. 226.

3) _ انظر : Chalondon: op. cit., p. 227; Fliche (A.): La réforme, t. II, p. 128.

عليها تعيين ابنها روبير محل زوجها جسكار غير أن هذا الأخير الذي مازال على قيد الحياة فوجيء بها فعمل فرد على البابا شخصيا بشكره على هذه التعزية التي تعبر عن شعوره الطيب تجاهه كما وعده بخدمته اذا احتاج الى ذلك (1) ، ولا شك أن جسكار كان يريد من وراء هذا الولاء والمداراة للبابا نيل بركة هذا الأخير وحمله على اضفاء طابع الشرعية على فتوحاته في جنوب ايطاليا (2) .

على أن موقف جسكار جعل البابا يترك المضي في طريق المهادنة والتفاهم مع النورمان . ولم يلبث أن كلف جريجوري مساعده ديديه بالتفاوض مع جسكارد في قضية عقد لقاء بينهما وبفضل سعي ديديه وافق جسكارد على عرض البابا فتم اختيار مدينة سان جرمانو على أراضي مونت كاسينو كمقر للاجتماع ، لكنه يبدو أن جسكارد أبدى شكا وتخوفا اتجاه نوايا البابا الأمر الذي جعله يعمد الى اعداد جيش عتيد يرافقه الى موضع المفاوضات وكان جسكارد يقصد بهذه المناورة ابراز عظمة قوته وبعث الرعب في نفس البابا جريجوري السابع .

كانت نتيجة ظهور جسكارد بمظهر القوة أن قرر جريجوري تغيير موضع اللقاء (3) من سان جرمانو الى مدينة بينفنتو المشهورة بولائها للبابوية وفي يوم 2 أوت سنة 1073 م . وصل جسكارد على رأس جيشه أمام أسوار المدينة يرافقه ديديه المندوب البابوي وقد رفض جسكارد الدخول الى المدينة بحجة خوفه من الوقوع في قبضة سكان المدينة ومع ذلك فقد بدأت المفاوضات بين البابا وجسكارد بفضل ما قام به ديديه من دور الوساطة بينهما (4) .

---

1) ـ انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 227-228; Aimé: L'ystoire de li normant, apud Delarc: St Grégoire, III, pp. 23-24, Fliche: La réforme, t. II, p. I29.

2) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t. I, p. 228.

3) ـ يذكر دلارك Delarc أن جسكارد بعد أن حشد قوته في رابولا Rapolla جنوب مدينة ملفي أخذ يراقب تطور الأوضاع وأما البابا فلما بلغ مدينة سان جرمانو ولم يجد جسكارد بها توجه الى بينفنتو . أرجع الى : Delarc: St Grégoire, t. III, p. 24; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 228.

4) ـ انظر : Aimé: op. cit., apud Delarc: op. cit., t. III, p. 25; Delarc: op.cit., t. III, pp. 24-25; Chalondon: op. cit., t.1, p. 228.

تجدر الاشارة الى أن فليش Fliche ينفي تماما قدوم جسكارد الى بينفنتو أرجع الى : Fliche: La réforme, t. II, p. I30.

غير أن هذه المفاوضات لم تدم طويلا اذ لم تلبث أن توقفت وعاد جسكارد وهو يفيض غيظا الى أملاكه دون أن ينال شيئا من سفره (1) .

ويذكر ايمي Aimé أن الذي أدى الى انقطاع المفاوضات وفشلها هو ما اظهره جسكارد من شك وسوء نية تجاه البابا وأنصاره (2) . وعلى أية حال فان سبب هذا الفشل أهم وأعمق من الذي أورده ايمي ولعله يكمن في أن البابا جريجوري حاول حمل جسكارد على التعهد بكبح أطماع أتباعه وأبناء جلدته ومنعهم من انتهاك حرمة أراضي البابوية غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل مما أدى الى انقطاع المفاوضات بينهما (3) . وهكذا دشن البابا جريجوري عهده بقطع علاقته مع جسكارد وتوسيع هوة الخلاف بينهما . وفي الواقع فان كليهما كان يمتاز بالصلابة في الرأي وفي الارادة اذ أبى كل واحد منهما التنازل عما يراه مخالفا لمصالحه (4) .

ولم يلبث البابا أن شرع في اتخاذ تدابير لمواجهة خصمه . وكان أول ما أقبل عليه انه بادر بتعيين ترانسماند Trans Mond مشرفا على أملاك البابوية واشتهر هذا الاخير كرجل دين بالشجاعة الباهرة في الدفاع عن مصالح الكنيسة والصرامة المفرطة في تطبيق قوانينها وقد جعل جريجوري مقره في قلب المنطقة التي يريد الذود عنها ضد النورمان (5) وفي بنيفنتو تأكد جريجوري من اخلاص صاحبها لاندولف Landolf اذ تلقى منه يمين الولاء في يوم 12 أوت سنة 1073 م . وقد هدده باصدار قرار لحرمان ضده اذا ما حالف

---

1) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t. 1, p. 229.

2) ـ انظر : Aimé: op. cit., apud Delarc: St Grégoire, t. III, p. 25.

3) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t. I, p. 229; Fliche: La réforme, II, p.130

ويضيف دلارك أن ما حال دون التفاهم بين جسكارد والبابا هي العلاقة الوطيدة التي تربط البابا بأمير سالرنو جيزولف Gisulf صهر جسكارد . ذلك أن جسكارد كان يتطلع الى احتلال مدينة سالرنو وبالتالي خشي أن تؤثر صداقته بالبابا على هذا المشروع . أرجع الى : Delarc: op. cit., t. III, p. 25.

4) ـ انظر : Chalondon: op cit., t.1, p. 229.

5) ـ انظر : Chalondon: op cit., t. 1, p. 229.

مع جسكارد . وقد أقام جريجوري سياسته خلال هذه الازمة على أساس تكوين جبهة موحدة تتألف من أعداء جسكارد أمثال رتشارد دى كابوا وجيزولف دى سالرنو وكل القوات التي تنتمي أعدادها في روما (1) . ولذلك سار جريجوري الى مدينة كابوا حيث التقى مع أميرها رتشارد في أول سبتمبر سنة 1073 م وفي اليوم الرابع عشر أدى رتشارد يمين الولاء للبابا كما تعهد بمساندته ومساعدته في الحفاظ على وحدة أراضي الكنيسة وتقديم جزية سنوية للبابا .

وتكتسي هذه الزيارة التي قام بها البابا الى كابوا أهمية خاصة في الظروف الراهنة حيث كانت الحرب قائمة بين جسكارد ورتشارد الذى تمكن من اضرام نار الثورة ضده .

ولا شك أن هذا الاتفاق ـ البابوى النورماني ـ يعتبر انتصارا باهرا لسياسة البابوية اذ استطاعت البابوية أن تكسب الى جانبها أحد أمراء النورمان البارزين وتحرم جسكارد منه لأن هذا الاخير سبق له أن عرض على رتشارد الانضواء اليه لكن البابوية فطنت لما يكتسيه هذا الحلف من عواقب وخيمة على مسيرها فتمكنت من احباطه بنجاح . على أن جسكارد لم يكد يسمع بخبر المعاهدة التي تمت بين البابا ورتشارد حتى نهض لمواصلة فتوحاته بكل عنف وضراوة . ولم يتورع البابا عن محاولة ادخال الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (1071 ـ 1078 م) في حلفه اذ بادر في خريف (أو شتاء) سنة 1073 م بارسال جيزولف أمير سالرنو الى القسطنطينية ليلتمس المساعدة من الامبراطور البيزنطي ضد النورمان (2) . وتلبية لدعوة البابا وافق ميخائيل السابع على منح الجانب البابوى الأموال اللازمة قصد تجهيز جيش لمحاربة النورمانيين .

وقد حدث أثناء هذه الحقبة أن تعرضت مدينة أمالفي Amalfi ـ الواقعة على شاطئ البحر التيراني ـ لاعتداء أمير سالرنو جيزولف ، وكان أن تقدم الى البابا وفد من هذه المدينة حيث طلب منه أن يولي عليهم أميرا يحميهم من شر مضايقات جيزولف الا أن البابا أبى الاستجابة لطلبهم لما كان من حلف بينه وبين جيزولف وتوجه الوفد حينئذ الى جسكارد واستنجد به ضد عدوه جيزولف . وقد وافق جسكارد بسرور كبير على نجدتهم

(1) ـ انظر : Delarc: St Grégoire, t. III, p. 27; Chalondon: op. cit., t. 1, pp. 229-230; Fliche: La réforme, t. II, p. I30.

(2) ـ انظر : Delarc: op. cit., t. III, pp. 26-27; Chalondon: op. cit., t. I: p. 230; Fliche: La réforme, t.II, pp 122, 130-131, 367

لما يكون لمد يتهم من دور حساس في حالة اندلاع الحرب بينه وبين ريتشارد أمير سالرنـــو
على أن النزاع لم يلبث أن اشتد بين جسكارد وجيزولف حول مدينة أمالفي واستطاع جسكارد
في نهايته أن ينتصر على عدوّه وأن يضم مدينة أمالفي الى حوزة أملاكه (1) .

وقد أثار خضوع مدينة أمالفي لسلطة جسكارد غضب واستنكار البابا جريجوري السابع
ومما زاد من نقمته على النورمان شدة انشغاله بمشاكلهم أدى الى صرف نظره عن شـــؤون
الشرق الدينية والسياسية وعلى هذا فقد كان تفرغه لما يصبوا اليه في الشرق يتوقف أساسا
على تصفيته لأمر هؤلاء الغزاة ولذلك قرر البابا مضاعفة جهوده لكسر شوكة النورمانييـــن
وتنفيذا لمشروعه أرسل في بداية شهر جانفي سنة 1074 م رسالة الى الكونتسية متيلـــدة
Mathildé (بشمال ايطاليا) وجودفري اللوريني ، يطلب منهما حشد جيوشهما والاستعداد
للحرب ضد النورمانيين وذلك لحماية استقلال الكنيسة الرومانية وفي 2 فبراير أرسل نفـــس
الطلب الى وليم Guillaume كونت بورغانديه (جنوب فرنسا) وريموند الصنجيلـــي
Raïmond de St Gilles وأميدي كونت سافوا Amede Comte de Savoie . (2)

وأشار البابا في رسائله أن الغاية من هذه الحملة ليس سفك دماء المسيحين وانما
بعث الرعب والهلع في نفس النورمان (3) . وفي الفترة ما بين 9 ــ 15 مارس سنـــة 1074 م
عقد البابا جريجوري مجمعا في روما حضره قادة الحملة البابوية وعمد البابا خلاله الى اصدار
قرار الحرمان ضدّ جسكارد وأتباعه (4) . وتقرر كذلك أثناءه تحديد شهر جوان كموعـــــد
لانطلاق الحمله ضدّ النورمان وفي 12 جوان تجمعت القوات البابوية في مونتشميـــــــو
Montecimino، قرب مدينة فيتاربو Viterbo ولما رأى البابا أن لديه مـــن
القوة مايسمح له باملاء شروطه على جسكارد بادر بمراسلة هذا الاخير يطلب منه لقاءه فـــي

---

1) ــ انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 234; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 262.

2) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t. I, pp. 234-236; Fliche: La réforme, t. II, p. I69.

3) ــ انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 236.

4) ــ انظر : Delarc: St Grégoire, t.III, p. 213; Chalondon: op. cit., t.I, p. 237; Fliche: La réforme, t.II, pp. 134-135; Léo et Botta: op. cit., t.I, p. 257.

مدينة بيفنتو فاستجاب جسكارد لطلبه ومضى هذا الأخير على الفور الى بيفنتو على رأس قواته وانتظر بها حضور البابا ثلاثة أيام غير أن البابا لم يأت الى مكان الموعد بسبب مرض أصيب به كما اندلعت فتنة في صفوف الجيش البابوى مما أدى الى تشتيت شملة وعودة كل فرقة من حيث أتت ، وهكذا فشلت محاولة البابا في تأديب النورمان واخضاعهم لارادته (1)

وأثناء هذه الحقبة بالذات أتيحت لجسكارد فرصة ثمينة للتخلص من البابا جريجورى حيث تقدمت اليه سفارة من قبل سانسيو Cencio زعيم الارسطوقراطية الرومانيـــة والفريق المعارض للبابا وعرضت عليه تتويجه أمبراطورا على أن يساعدها على عزل جريجورى وتعيين أحد رجال الدين الموالين لها محله وقد ردّ جسكارد على هذا الطلب بالرفض البات لما شعرت به الارستقراطية الرومانية من الخيانة وعدم الثقة الا أنه اكتفى بعرض مساعدة تمثلت في المال والجياد (2) .

ومما زاد في تعقيد العلاقة بين جسكارد والبابا هو اصرار جسكارد على رأيـــه وازدياد نقمته على البابا ذلك أن ديديه مقدم ديرمونت كاسينو لما تفطر قلبه لمــــا كان يدور بين جسكارد وريتشارد دى كابوا من حرب ضارية ، تدخل في خريف سنـــــة 1074 م ، لاصلاح ذات البين بينهما وعقد الطرفان بفضله عدّة جلسات في أفرسا Acerra وبيكا Pica بجنوب ايطاليا ، توصلا في نهايتهما الى ايجاد حـــل مرض للنزاعهما غير أن الخلاف لم يلبث أن احتدم بينهما عند صياغة المدنة اذ أراد ريتشارد أن يضيف بندا يقضي بضرورة ابقاء علاقاته مع البابا طيبة وهذا رغم صلته الايجابيـــة

---

1) ــ انظر : Chalondon: op. cit., t.I, pp. 327-238; Fliche; La reforme, II pp. 170-171.

2) ــ انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 238.

مع جسكارد غير أن هذا الاخير أبدى معارضته لهذا البند مما أدى الى توقف المفاوضات بينهما وفشلها .

واستاء البابا كثيرا لما أصاب جهود ديديه من فشل في اعادة الأمن والسلام الى ايطاليا الجنوبية (1) . ومع ذلك فقد أخذ يواصل من جديد نشاطه الرامي الى الحد من نمو خطر النورمان حيث بادر في يوم 25 جانفي من سنة 1075 م ببعث رسالة الى سوينون Suenon ملك الدانمارك يلتمس منه نجدة عسكرية ليحارب بها النورمان ولقاء ذلك عرض عليه تعيين أحد أبنائه أميرا على ايطاليا الجنوبية ولا شك أن هذا التصرف يبين ارادة البابا التي لا تلين ومدى حرصه على تصفية أمر النورمان دون تقدير لثمن ذلك (2) .

لقد شهد ميدان الاحداث في ايطاليا الجنوبية تطورا كبيرا كان له أثر هام وملموس على مجرى العلاقات البابوية النورمانية وسبب ذلك ما تطلع اليه امبراطور الدولة الرومانية المقدسة هنري الرابع * من محاولة بسط نفوذه على ايطاليا الجنوبية وقد حدث في مطلع عام 1076 م ، أن طلب هنري الرابع من جسكارد مساندته في الصراع الذي كان يخوضه مع البابا جريجوري السابع بعد أن تعهد له بالاعتراف بسيادته على الاقاليم التي تم له فتحها غير أن جسكارد ردّ على طلبه بالرفض (3) . وكانت نتيجة مشروع هنري الرابع الرامي الى غزو ايطاليا أن توحدت القوى النورمانية وعاد الوفاق بين جسكارد وريتشارد وجوردان ولعب ديدية باعتباره ممثلا للبابا دورا أساسيا في هذه التسوية النورمانية

---

1) ـ انظر : Delarc: St Grég., t.III, p. I04; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 239.

2) ـ انظر : Chalondon: op. cit., t.I, p. 240.

* ولد في 11 نوفمبر عام 1050 م بجوسلار Goslar الواقعة بالساكسي السفلى (ألمانيا الغربية) ابن الامبراطور الجرماني هنري الثالث (1039 ـ 1056م) توّج امبراطورا سنة 1056 م تميز حكمه بمعارضة البارونات وابنيه له (كونراد وهنري الخامس) كانت أفضح الهزائم التي سجلها مع البابوية هي التي مني بها في كانوسا Canossa في جانفي 1077 م والتي عرفت في التاريخ باسم "اذلال كانوسا" توفي في لياج يوم 7 أوت 1106 أرجع الى : Gde Encyclopedie; t.I9, pp I078-I083; Gay: Les Papes, p. 245.

3) ـ انظر : Chalondon: Hist. de la Dtion, I, p. 242; Fliche: La réforme, t. II, p. 278.

الشاملة (1) . ومن جهة أخرى فلم تلبث أن تأزمت العلاقة بين البابا جريجوري السابع وهنري الرابع في شهر جانفي سنة 1076 م حيث أعلن هنري في ورمز Worms بألمانيا عزله عن كرسي البابوية وكان أن شعر البابا حينئذ بالخطر الالماني الداهم مما جعله يسعى بكل جدّية لكسب النورمان الى صفه (2) . ولذلك أظهر البابا نوعا من اللين والتفتح اتجاههم وقد عبّر عن هذه الرغبة في الرسالة التي بعث بها في يوم 14 مارس 1076 م الى مطران مدينة أسيرانزا Acerenza بايطاليا الجنوبية يطالب منه أن يصدر عفو الكنيسة على الكونت روجر الاول وفرسانه الذين يعدّون العدّه لفتح صقلية وأمره أن يبلغ الكونت اذا حدثه عن أخيه جسكارد بأن الكنيسة مستعدة لتصفح وتعفو على كلّ من يبدي ندمه على ما فعله من شرّ وأن البابا على استعداد تام لرفع قرار الحرمان على جسكارد اذا وافق هذا الاخير على الاذعان لارادة البابوية (3) . ولا شك أن محتوى الرسالة هذه كفيل بمعرفة رغبة البابا الملحة في مهادنة النورمان وتوحيد كل القوى الايطالية لازاحة الشبح الالماني الذي أضحى مخيما على النورمان والبابوية معا (4) .

ولم تجد محاولة البابا لكسب جسكارد اليه نفعا اذ لم يستجب جسكارد قط لعروض البابا السلمي بل لم يتورّع عن مهاجمة آخر من تبقى للبابوية من حلفاء ألا وهو جيزولف . حيث شرع بمساعدة رتشارد في شهر جوان سنة 1076 م في حصار مدينة سالرنو وقد اشتدّ الحصار عليها حتى أكل أهلها ، من شدة المجاعة فيها ، لحم الكلاب والقطط وبينما كان الحصار جاريا هرع جسكارد ورتشارد صوب كامبانيا لتحقيق فتوحات على حساب ممتلكات البابوية وبلغت حينئذ العلاقات البابوية النورمانية القمة في التأزم والتدهور (5) وفي الحقيقة ما كان

---

1) انظر : Chalondon: op. cit., I, p. 243; Gay: Les Papes, p. 266.

2) انظر : Leib (Bernard): Rome Kiev et byzance à la fin du XIe Siècle, p. 314; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 243.

3) انظر : Grégoire VII: Registrum epistolarum, apud Delarc: St Grégoire, III, pp. 213-214; Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 243-244.

4) انظر : Chalondon: op. cit., I, p. 244.

5) لقد حاول ديديه بتحريض من البابا ازالة الخلاف بين جسكارد وجيزولف لكن هذا الاخير تعصب واستعصى مما أفشل المحاولة فشلا ذريعا أرجع الى : Aimé: op. cit., apud Delarc: St Grég., III, pp 324-325; Chalondon: op. cit., I, pp 244-245.

يريد جسكارد نيله من وراء هذه الاستفزازات هو اجبار البابا على الاعتراف بسيادته الشرعية على كلّ فتوحاته دون قيد أو شرط (1) .

ولم يلبث أن عاد جسكارد وريتشارد الى مدينة سالرنو لاستئناف حصارها وفي 13 ديسمبر 1076 م دخل جسكارد المدينة ظافرا كما ألقى القبض على أميرها جيزولف (صيف 1077) بعد أن اعتصم بقلعة المدينة وجرى نفيه الى روما حيث لبث في ضيافة البابوية حينا من الدهر (2) .

وعقد جسكارد بعدئذ العزم على مهاجمة أملاك البابوية من جديد وكانت وجهته مدينة بينفنتو البابوية ذلك أن جسكارد لم يكد يسمع نبأ وفاة لاندولف في يوم 18 نوفمبر 1077 م حتى هرع على رأس قواته صوب بينفنتو للاستيلاء عليها وفي يوم 19 ديسمبر شرع في ضرب الحصار عليها وتعتبر هذه المبادرة في الواقع ايذانا باندلاع الحرب بين جسكارد والبابا الذى استبدت به الدهشة من الانتصارات التي أخذت تتوالى على جسكارد والتي بلغت أقصى حدّها منذ أن طرده من حظيرة الكنيسة (3) . وكان أن استشاط البابا غضبا من هذا الهجوم المفاجئ فعمد على اثر ذلك الى عقد مجمع بروما (من 25 فبراير الى 3 مارس عام 1078 م) أصدر خلاله مرّة أخرى قرار الحرمان ضد جسكارد وأتباعه

---

1) انظر : Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 262.

2) انظر : Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. V, 1ère pa., cha. 2,4, pp. 58-59; Aimé: op. cit., apud Delarc: St Grég. t. III, pp 327-328; Gay: Les Papes, p. 266; Delarc: op. cit., t. III, pp 327-328; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, pp. 245-247; Léo et Botta: op. cit., I, p 262.

3) انظر : Chalondon: op. cit., t. I, p. 248; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 262; Gay: op. cit., p. 266; Fliche: La réforme, t. II, p. 387.

• يشير دلارك الى أن بداية حصار جسكارد لبينفنتو كان في جانفي عام 1078م ويفيد كذلك أنه بعد وفاة لاندولف الذى كان يعتبر تابعا للبابوية ، بادر البابا جريجورى بتعيين ولي من لدنه على مدينة بينفنتو وهذا طبيعي امتلاك البابوية لهذه المدينة – ارجع الى : Delarc: op. cit., t. III, p. 341.

وضدّ كل من يغزو أملاك الكنيسة حيثما وجدت كما أوعز للاساقفة ورجال الدين بعدم السماح للنورمان بالمشاركة في أداء الصلوات بالكنائس وكان يقصد بهذا القرار ديدية مقدم ديرمنت كاسينو الذى كان على صلة طيبة للغاية مع جسكارد وهذا رغم وجود عقوبة الحرمان عليه(1).

وفي الوقت الذى كانت البابوية تعاني من ضيق شديد من جرّاء مضايقات النورمان لها وقع مالم يكن في الحسبان اذ حدث اثر صدور قرار الحرمان ضد النورمان أن توجه جوردان بن رتشارد وخاله روجر كونت صقلية في أفريل سنة 1073 م الى روما والتمسا من البابا جريجورى العفو والغفران كما اظهرا له الولاء والطاعة (2).

1) — انظر: Delarc: St Grégoire, III, p. 432; Chalondon: Hist. de la Dtion: I, p. 248; Gay: Les Papes, p. 265; Léo et Botta: op. cit., I, p. 262; Fliche: La réforme, II, p. 387.

وأشار ايمي الى هذا الحدث بقوله "Et lo Pape pour cette chose et pour autre assembla lo consistoire et excommunia lo Duc et touz ceux qui lo sequtoient"

" ومن أجل هذا الامر —أى حصار جسكارد لبينفنتو— عقد البابا —جريجورى السابع— مجمعا وأصدر خلاله قرار الحرمان ضد الدوق وكل الذين يساندوه في أعماله العدوانية " أنظر: Aimé: op. cit., apud Delarc: op. cit., III, pp 434-435.

2) —انظر: Chalondon: op. cit., I, p. 251; Delarc: op. cit., III, pp. 434-435; Gay: op. cit., p. 276; Fliche: loc. cit.; Léo et Botta: loc. cit.

وعن هذه الحادثة يقول ايمي: " Et Jourdain fill de lo Duc, avec lo Conte Rogier son oncle volant avoir la grâce de l'eglise, alèrent à Rome et furent absolut de la excommuniction et firont ligue de fidelité avec le Pape."

" وتوجه جوردان بن الدوق —وهو رتشارد اميركابوا— وروجر اخو جسكارد —الى روما قصد نيل عفو الكنيسة . ورفع عنهما البابا جريجورى السابع —عقوبة الحرمان ثم تحالفا معه " Aimé: op. cit., apud Delarc: op. cit., III, p. :

ولعل السبب الذي دفع بجوردان الى الاقدام على هذه المبادرة يعود بالدرجة الاولى الى المرض الذى أصاب أباه رتشارد حيث كان جوردان يخشى معارضة البابا جريجورى لتوليته عرش أبيه (1) . لأن أباه سبق له أن اصطدام بأسقف أفرسا ذلك أن رتشارد قبل وفاته في يوم 15 أفريل 1078 ، طلب من هذا الاسقف أن يمنحه بركة وعفو الكنيسة لكنه امتنع عن ذلك الا أن يعيد للبابوية كل ما أخذه منها من الأملاك واضطر رتشارد الى الاستجابة لطلب أسقف أفرسا فأصدر هذا الاخير قرار العفو عنه (2) .

وفي الواقع فان عودة جوردان الى حظيرة الكنيسة الرومانية يعتبر مكسبا ذا أثر فعّال للبابوية اذ كانت نتيجتها أن أرغم جوردان رجال جسكارد على رفع الحصار على مدينة بينفنتو وتهديم الاستحكامات التي أحاطها جسكارد بهذه المدينة كما استطاع جوردان أن يؤلب أمراء النورمان ضد جسكارد مما أدى الى انتشار الفتنة في كل اقليم أبوليا وقد كان للبابا دور ملحوظ في هذه المؤامرة ولعلّ وجوده في كابوا مع جوردان خلال جويلية سنة 1078 لدليل ساطع على مشاركته في ذلك (3) .

وسرعان ما اكتشف جسكارد مدبّر هذه الاضطرابات وهو جوردان وبالتالي لم يكد يكب على عملية اخماد ثورة أتباعه حتى قرر انزال العقاب بأمير كابوا وقد حدث وقتئذاك أن ساءت العلاقة بين البابا جريجورى وجوردان وسبب ذلك ما قام به هذا الاخير من اعتداء على أملاك الكنيسة ومنع أحد أساقفة امارته من المضي الى روما وارغام حماته — اى جوردان — على اعادة الزواج دون موافقة البابوية ومما زاد من غيظ البابا خيبة

---

1) — انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 251.

2) — انظر : Delarc: op. cit., t. III, p. 443; Chalondon: op cit., t. I, p. 251.

3) — انظر : Chalondon: op. cit., t. I, pp. 251-253; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 262; Delarc: op. cit., t. III, pp. 435-436; Fliche: La réforme, t. II, p. 387.

آماله العريضة التي كان يعلقها على جوردان وكان نتيجة هذا التصرف الشائن أن أرسل اليه رسالة شديدة اللهجة يديه فيها على تصرفاته (1) . وعلى اثر هذا الجفاء مع البابا عزم جوردان على مهادنة ومصالحة جسكارد الذى أخذ في السير اليه قصد تأديبه وعندئذ كلّف ديديه ، الذى عانى ديره الامرّين من جراء الحروب النورمانية المحلية ، للقيام بدور الوساطة لدى جسكارد بغية التوصل الى اقرار الهدنة بينهما ولحسن حظ جوردان أن حقق ديديه مهمته بنجاح فعاد الوفاق بين جسكارد وجوردان (2) . ويبدوأن ديديه أثناء هذه المحاولة أثار لجسكارد مسألة عقد هدنة مع البابا جريجورى فأجاب بالموافقة (3) .

على أن الانتصارات التي أحرزها جسكارد على أتباعه الامراء المتمردين أدت الى احباط كل آمال البابا في اضعاف سطوة جسكارد وهذا في الوقت الذى أخذ يتزايد تهديد امبراطور الدولة الرومانية المقدسة هنرى الرابع بالعبور الى ايطاليا ومما زاد من مخاوف البابا ما قد يحدث اليه جسكارد وهنرى من التحالف الذى يؤدى الى القضاء على الصف البابوى واصلاحاته ومن ثم قرر البابا مهادنة جسكارد (4) . وبرزت نيته في ذلك جلية خلال انعقاد المجمع الكنسي بروما في يوم 7 مارس سنة 1080 م حيث اتسمت مواقفه تجاه النورمان بنوع من اللين والاعتدال (5) . وأكثر من هذا بادر البابا بارسال ديديه

---

(1) ـ انظر: Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 255; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 262.

(2) ـ انظر : Chalondon: loc. cit.; Delarc: op. cit., III, pp 520-521.

(3) ـ انظر : Chalondon: loc. cit.

(4) ـ انظر : Chalondon: op. cit., I, p. 256; Delarc: op cit, III, p 521.

(5) ـ أنظر : لم يتخذ جريجورى أى قرار من شأنه أن يثبت قرارات الحرمان السابقة على النورمان بل اكتفى بتهديدهم بطردهم من حظيرة الكنيسة اذا عاودوا الهجوم على أملاك الكنيسة أودير مونت كاسينو أو بينفنتو أرجع الى : Grégoire VII: Registrum, apud Delarc: op cit., III, p 484; Gay: Les Papes, pp 269, 276; Chalondon: op. cit., t.I, p. 257; Delarc: op cit., III, pp. 481-484.

لدى أمراء النورمان للتفاوض مصمم في شأن تسوية العلاقة بين الفريقين البابوي والنورماني (1) . وقد أفلح ديديه في مهمته حيث استقبل البابا في اليوم العاشر من شهر جوان في مدينة كبرانو Ceprano الأمير جوردان وتلقى منه يمين الولاء والطاعة وفي يوم 29 جوان تم اللقاء في نفس المدينة بين جسكارد والبابا جريجوري وخلاله أعلن جسكارد عن ولائه وتبعيته للبابا كما تعهد بحماية أملاك الكنيسة دون هوادة أو تقصير واعترف البابا من جهته بشرعية سيادة جسكارد على كل فتوحاته ماعدا المدن التي احتلها أثناء تأزم علاقاتهما مثل سالرنو وأمالفي حيث ترك أمر البت فيهما لوقت لاحق واعترف البابا كذلك بسيادة روبرت دي لوريتا لو على كل فتوحاته شريطة أن يكف عن اعتداءاته على أملاك الكنيسة (2) .

ويلاحظ من خلال هذه التسوية أن البابا أفرط في الاعتدال وتوسع في تنازلاته للنورمان وان دلّ هذا الموقف على شيء فانما يدلّ على مدى تخوفه من الامبراطور هنري الرابع وحرصه على تعزيز مركزه مماسهل في النهاية لجسكارد الانتصار عليه (3) . ويكشف لقاء كبرانو من جهة أخرى النقاب عن مدى الحنكة السياسية والدهاء اللذين يتمتع بهما جسكارد ذلك أن هذا الأخير في الواقع لم يأت الى كبرانو لمصالحة البابا ونيل بركته وانما جاء للحصول على تأييد البابا جريجوري المعنوي للحملة التي كان ينوي القيام بها ضد الامبراطورية البيزنطية وقد نال جسكارد مبتغاه لأن وليم الأبولي يشير الى أن البابا

---

1) ـ أنظر : Gay: op. cit., p. 276 .

2) ـ أنظر : Grégoire VII; Registrum: apud Delarc: St Grégoire, III, pp. 523-524; Léo et Botta: op. cit., p. 262; Gay: Les Papes, pp. 276-277; Fliche: La réforme, II, pp. 387-388; Idem: Hist. de l'eglise, t. 8, p. 151; Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 257; Mourret: La Chretienneté, p. 201.

حسب رواية موري فان البابا سمح لجسكارد بامتلاك سالرنو وأمالفي أرجع الى : Mourret: Loc. cit.,

عن تفاصيل نفس معاهدة كبرانو أرجع الى : Delarc: op. cit., III, pp 523-524.

3) ـ أنظر : Chalondon: op. cit., t. I, p. 257.

وعد جسكارد تسليمه تاج الامبراطورية (1) .

واعترافا بالدور الذى قام به ديديه في سبيل اقرار الصلح بينه وبين البابا عمد جسكارد الى مكافئته بمنحه دير القديس بطرس الواقع بتارنتو مع اعطائه الحق في الحصول على الرسوم المستخلصة على السلع المتداولة في مدينة تارنتو مثل القمح والشعير والخمور والزيت والاسماك (2) .

ولما شعر البابا بقوة مركزه نتيجة ولاء النورمان له فكر في تجهيز حملة عسكرية في ربيع سنة 1081 م ضد جيبرت مطران رافينا المشهور بولائه الشديد للامبراطور هنري الرابع وعلى هذا أرسل رسالة الى ديديه يطلب منه الاتصال بجسكارد لمعرفة موافقه تجاه الكنيسة الرومانية ومدى استعداداته لنصرتها وألح عليه في ضرورة استقصاء رأى جسكارد لمعرفة من الذى سيقود القوات النورمانية ، هو أم ابنه روجر في حالة ما اذا طلبت البابوية مساعدته لتأديب جيبرت (3) . غير أن ديديه لم يوفق في مهمته اذ أن جسكارد الذى أبدى تحفظا أمام عرض البابا ، لم يعطه اجابة حاسمة وقاطعة بل انكب على مواصلة استعداداته لغزو الامبراطورية البيزنطية دون أن يعير أى اهتمام لطلب البابا (4) .

وفي نهاية شهر أفريل (أو بداية شهر مايو) سنة 1081 م وصلت سفارة من قبل البابا الى جسكارد حيث طلب منه امداد البابوية بالمساعدات العسكرية اللازمة لترد بها الخطر الالماني عليها لكن جسكارد اعتذر عن عدم امكانه التوجه بقواته الى روما قائلا أنه يستحيل عليه تأجيل حملته التي هي على وشك الانطلاق وقد ذكر للسفارة أنه

---

1) ـ ويقصد وليم بهذا التاج ، تاج الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ولكن هذا الأمر مستبعد جدا لأن جسكارد لم يفكر بتاتا في بسط نفوذه على العرش الجرماني ، وأطماعه في هذه الحقبة (سنة 1080 م) كانت جلها موجهة الى الشرق البيزنطي ، أرجع الى : Guillaume de Pouille: op. cit., apud Delarc: op. cit., t. III, p. 525; Delarc: loc. cit.

2) ـ انظر : Chalondon: Hist. de la Dtion, I, p. 257.

3) ـ انظر : Grégoire VII: Registrum, apud Delarc: St Grégoire, III, pp. 556-557.

من تفاصيل الرسالة ارجع الى : Delarc: loc. cit.

4) ـ انظر : Delarc: St Grégoire, III, p. 557.

يستبعد تماما قدوم هنرى ثانيا الى روما في هذه الحقبة كما أضاف أنه لو توقع هـــذا الأمر من الامبراطور الألماني لما قرّر تجهيز هذه الحملة ضد الامبراطورية البيزنطية وفـي النهاية تعهدّ جسكارد بترك الامدادات العسكرية اللازمة لتتكفل بحماية البابوية ابـان غيابه (1) . على أن جسكارد وفّي بعهده حيث أوصى ولده روجر وهو يتأهب للرحيـل الى الشّرق باغاثة البابا اذا التمس منه ذلك (2) . ولعلّ هذا الموقف يبين حســن نيّة جسكارد تجاه البابوية لكن القوات العسكرية التي خلّفها لروجر لا تمكن هذا الأخيـر من مواجهة أي هجوم تتعرض له البابوية من قبل أعدائها (3) .

والواقع أن توقعات البابا الخاصة بقدوم هنرى الرابع الى ايطاليا ، سرعان ما تحققـت ، اذ لم يلبث الامبراطور الألماني أن أخذ في السير الى ايطاليا صحبة جيبرت الذى كان ينوى تنصيبه على كرسي البابوية بعد أن اتخذ اسم كلمنت الثالث Clement (4) .

وفي 21 مايو سنة 1081 م عسكر جيش هنرى بجوار مدينة روما غير أنه لم يلبث أن أزمع الرّحيل الى لمباردیا بشمال ايطاليا تاركا جيبرت في تيفولي Tivoli

---

1) ـ انظر : Delarc: op. cit., t. III, pp. 558-559; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 267.

2) ـ انظر : Guillaume de pouille: Gesta, p. 134, apud Delarc : St Grég., III, pp 562-563.

3) ـ انظر : Delarc: op. cit., p. 563.

4) ـ انظر : Platynaa Historici: Liber de vita christi, t. III, 1, p 194; Malaterra: op. cit., L. III, p. 77; Mourret: op cit., p. 201; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. I50; Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 272; Léo et Botta: op cit., t.I, p. 264.

(ضواحي روما) يواصل حركة التحدي ضد البابا جريجوري وذلك في نهاية جوان من نفس العام (1) .

وفي هذه الاثناء كانت نقمة أمراء النورمان على جسكارد على أشدّها وبالتالي لـم يلبثوا أن أعلنوا تمرّدهم على سلطته مغتنمين فرصة غيابه عن الساحة الايطالية (2). وقد بادر وتحت رئاسة الامير جوردان بالتوجه الى الامبراطور هنري الرابع للتفاوض والتفاهم معه وكان أن نال منه جوردان الاعتراف بسيادته على مدينة كابوا وحولها (3) . وأمـا

---

1) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon, apud Muratori, VII, 1ère pa. p. I94; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 272; Fliche: Hist. de l'eglise t. 8, p. I53; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 265; Bernhart: Le Vatican, p. I55.

على حسب رواية شالندن فان وصول الامبراطور هنري وجبيرت الى روما كان في يـوم 22 مارس سنة 1081 م غير أن هذه الفكرة لا يمكن الاخذ بها لأن الرسالة التـي أرسلها البابا الى جسكارد لاخباره بمشروعه لتأديب جيبرت تعود الى بداية فصـل الربيع والامبراطور الالماني هنري الرابع لم يحل بمدينة راڤينا الا في بحر شهر أفريـل ارجع الى : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 272; Delarc: St Grégoire, t. III, pp. 556-557.

2) ـ كان جسكارد قد توجه على رأس حملة عسكرية الى الشرق الاوربي قصد محاربـة الامبراطورية البيزنطية . أرجع الى : Léo et Botta: op. cit., t.I, p. 265; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. I54; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 272; Mourret: La chrétienneté, p. 20I.

3) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 272; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, p. I54; Gay: Les Papes, p. 279; Delarc: St Grégoire, t. III, p. 576.

ان الامير جوردان قبل أن يعقد المعدة مع الامبراطور سعي لايجاد قاعدة للتفاهم بين البابا والامبراطور لكن هذا الاخير رفض كل تسوية معه رفضا باتا .
أرجع الى : Delarc: loc. cit.

البابا جريجورى فلم يكد يحلم بهذا التحالف حتى أصدر قرار الحرمان ضد جوردان وأتباعه (1).

وفي فبراير من سنة 1082 م عاد هنرى الى روما ليحاصرها مرة ثانية وأمام خطورة الوضع وتفاقم أمر الفتنة المضادة لجسكارد بجنوب ايطاليا أرسل البابا رسالة الى جسكارد ، الذى كان يحارب البيزنطيين في الشرق ، يلتمس منه الاغاثة ويذكره بالتزاماته تجاه الكنيسة ودون انتظار هبّ جسكارد على رأس مركبين لنجدة البابا غير أنه لم يكد يبلغ روما حتى كان هنرى قد رحل صوب لمبارديا تاركا كليمنت الثالث ، منافس البابا في تيفولي ومعه جانب كبير من جيشه وعلى اثر وصوله عمد جسكارد الى تصفية جميع العناصر المعادية للبابا وحينئذ توجه الى مدينة تيفولي وحاول دون جدوى الاستيلاء عليها ثم أمعن في ضواحيها فسادا ودمارا (2) .

وفي مطلع سنة 1083 م ضرب هنرى الرابع الحصار من جديد على مدينة روما واستولى في 2 جوان على حي ليونين Leonine كما وضع يده على كنيسة اللاتران وكنيسة القديس بطرس واضطر البابا جريجورى الى الاحتماء بقصر القدّيس آنج St Ange بروما (3) .
وأقبل البابا عندئذ على الاستنجاد بجسكارد الذى لم يتمكن من نجدته بسبب اشتغاله

---

1) ــ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 272.

2) ــ أنظر : Romualdi: Chronicon, apud Muratori, VII, 1, pp I94-I95; Malaterra: op. cit., L. III, cha. 33, p. 77; Gay: Les Papes, p. 279; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, pp. 272-273; Delarc: St Grég., t. III, p. 583; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 265; Bernhart: op. cit., p. I55.

ولا شك أن الدافع الذى أدى بجسكارد الى الاسراع بقواته الى روما ليس الوضع الحرج والخطير الذى باتت فيه البابوية وانما ماكانت تشكّله حملة هنرى من مخاطر وتهديد على عرشه في ايطاليا الجنوبية لاسيما أن جسكارد لم يكن في عزلة عما كان يجرى من تحالف بين الامبراطوريتين ــ البيزنطية والألمانية ــ ضد دولته الناشئة . أرجع الى : Delarc: St Grég., t. III, p. 582.

3) ــ انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, pp. 274-275; Léo et Botta: op. cit., t.I, p. 265; Delarc: St Grég., t. III, pp. 587, 595; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, pp. I54-I55; Gay: Les Papes, pp. 279-280; Mourret: op. cit., p. 202; Fliche: La réforme, t.II, p. 419; Bernhart: op. cit., p. I55; Arquillere: St Grég., p. 476.

باخماد الفتن في جنوب ايطاليا فضلا عن أن أغلب قواته العسكرية كانت تحارب الجيوش البيزنطية فيما وراء الادرياتي غير أن جسكارد اكتفى بامداد البابا بالمال اللازم حيث استطاع البابا بفضله استمالة الرومانيين اليه (1) .

وفي 21 مارس عام 1084 م وبالتعاون مع الرومانيين دخل هنري مدينة روما ظافـــرا وفي 24 مارس قام بتنصيب كليمنت الثالث على عرش البابوية في حين تلقى منه هنري تـــاج الامبراطورية في يوم 31 مارس بكنيسة القديس بطرس (2) .

وعقب هذه الكارثة التي أصيبت بها أنصار البابوية أنفذ البابا جريجوري وفادة برئاسة جارانتون Jarenton مقدم دير القديس بينيني Bénigne الى جسكارد يطلـــب منه نجدة عاجلة تنقذه من وهدة السقوط في قبضة هنري الرابع وقد كان جسكارد فـــي مستوى الآمال التي علقها عليه البابا اذ لم يكد ينتصف شهر مايو حتى أخبر ديديــــه البابا بقدوم جسكارد على رأس جيش جرار قدر عدده بثلاثين ألف محارب (3) . ولم يلبث أن بلغ جسكارد أسوار مدينة روما في يوم 24 مايو فضرب معسكره بجوار باب القديـــس يوحنا وكان هنري قد غادر روما منذ ثلاثة أيام تاركا جيشه متمركزا في ناحيـــــة

---

1) انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, pp. 274-275; Gay: op. cit., p. 280.

2) انظر : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 276; Delarc: St Grég. t.III, p. 600; Gày: Les Papes, p. 28I;Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. I57; Mourret: op. cit., pp. 202-203; Arquillére: St. Grég., VII, pp. 476,480.

لما علمت الدولة البيزنطية باستعدادات جسكارد لاعادة الكرة على الأراضي البيزنطية عمدت الى ارسال أموال طائلة الى الامبراطور هنري الرابع ليجهز بها حملة عسكريـــة ضد جسكارد وذلك حتى يصرف نظره عن مشروعه المضاد لبيزنطة لكن هنري الرابـــع استخدم هذه الاموال لشئ آخر الا وهو شراء ذمة الرومانيين أرجع الى :
Delarc: St Grégoire, t.III, p. 597; Gay: Les Papes, p. 281; Fliche: op. cit., t.8, p. I54; Mourret: op. cit., p. 203; Léo et Botta:op cit., I, 265.

3) أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. I95; Malaterra: op. cit., t. III, chap. XXXVII, p. 79; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. I58; Mourret: op. cit., p. 203; Gay: Les Papes, p. 282; Delarc: St Grég., t. III, pp. 602-603; Chalondon: Hist. de la domination, t.I, pp. 276-277; Bernhart: Le Vatican, p. I55; Arquillére: op. cit., p. 476.

وعلى حد قول وليم الابولي فان عدد جيش جسكارد بلغ ثلاثين ألفا من المشاة وستـــة الاف من الفرسان . أرجع الى : Guill. de Pouille: Gesta Roberti Wiscardi apud Delarc: St Grég., III, p 603; Léo et Botta: op cit., t.I, p 265.

اللاتران (1) . وما ان أنقضت ثلاثة أيام على حلول جسكارد بروما اندلعت معركة طاحنة بين جيش النورمان* والحامية الألمانية أسفرت في نهايتها عن انتصار قوات جسكارد وتمكن هذا الاخير من الافراج عن البابا جريجوري الذي كان معتصما بقصر القديس آنج ، وذلك بعد أن أضرم النيران في كثير من الاحياء الرومانية ثم تسلم البابا منه كنيستي القديسين بطرس ويوحنا وتوجه حينئذ الى قصر اللاتران تحفه عناصر غفيرة من الجيش النورماني (2) .

وأثناء اقامة جيش النورمان بجوار اللاتران تعاطت عناصره أنواعا عديدة من التخريب والنهب في مدينة روما مما أدى بالأهالي الى اعلان الثورة ضد اتباع جسكارد وقد كاد هذا الهيجان أن يعصف بجيش جسكارد لولا وصول أخيه روجر على رأس النجدات اذ أنقلب جيش النورمان على الرومانيين فأوسع فيهم قتلا وفتكا كما تعرضت أحياء روما بما فيها الكنائس الى أبشع أنواع التخريب والدمار دون أن يستطيع البابا أن يوقفهم على ذلك (3).

---

1) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p 195; Platynaa Historici: Liber de vita christi, t.III, 1ère par., p 195; Malaterra: op. cit., L III, chap. XXXVII, p 79; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 277; Delarc: St Grég., t. III, pp. 604-605; Léo et Botta: op cit., t. I, p 265.

2) ـ أنظر : Platynaa: Historici: Liber de vita, t. III, 1ère par., p 195; Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 195; Malaterra: op. cit., L. III, cap. XXXVII, p. 79; Delarc: St Grég., t. III, pp. 606-607; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 277; Gay: Les Papes, p 283; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 265; Fliche: La réforme, t. II, p. 419; Arquillére: St Grég. VII, pp. 476, 480.

3) ـ أنظر : Malaterra: op. cit., t.III, chap. XXXVII, p. 80; Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 278; Delarc: op. cit., t. III, pp 607-608; Gay: Loc. cit.; Mourret: op. cit., p. 205; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, p. 158; Arquillére: loc. cit.

* وقد تكون شاركت الى جانب جيش جسكارد عناصر اسلامية جلبت من صقلية أنظر : Gay: Les Papes, p. 282; Delarc: op. cit., III, p. 603; Léo et Botta: op. cit., I, p. 265.

على أن جسكارد لم يلبث أن سار رفقة البابا جريجوري الى مدينة تيفولي لتأديب كلمنت الثالث وأنصاره وقد حاول اقتحام أسوار المدينة لكنه فشل في ذلك اذ اكتفى بزرع الدمار والفساد في الجهات المجاورة لها غير أنه تمكن من بسط سيادة البابوية على مدينتي سوتري Sutri ونيبي Nepi شمال روما وفي 2 2 جوان سنة 1034 م دخل جسكارد مدينة روما (1) .

ولما أيقن جسكارد من انتصار الفريق البابوي على أعدائه أزمع الرحيل ليواصل نشاطه العسكري ضد البيزنطيين وأما البابا جريجوري فقد قرر هو الآخر مغادرة مدينة روما بسبب ما يكنه له الأهالي من حقد وكراهية متوجها الى سالرنو حيث استقر بها الى أن وافته المنية في 25 مايو سنة 1085 م (2) . ويفيد وليم الأبولي أن جسكارد لما تناهى اليه وهو في الشرق ، خبر وفاة البابا اشتد به الحزن فبكاه كثيرا (3) .

---

1) ـ أنظر : Delarc: St Grég., t.III, p. 609; Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 278; Gay: Les Papes, p. 283; Mourret: op cit., p. 207.

2) ـ أنظر : Platynaa Historici: Liber de vita, t.III, 1ère partie, p. I95; Guillaume de pouille: op. cit., apud Delarc: op. cit., t. III, pp. 625-626; Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. I95; Malaterra: op. cit., L. III, cap XXXVII, p. 80; Chalondon: op. cit., t.I, p. 278; Délarc: op. cit., t. III, pp. 6I0, 6I4; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 265; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, p. I62; Idem: La réforme, t.II, p. 419; Arquillére: op. cit., pp. 480, 476-477.

3) ـ أنظر : Guillaume de Pouille: op. cit., apud Delarc: op. cit., t.III; p. 626.

د) منذ عهد البابا فكتور الثالث حتى نهاية عهد البابا أوربان الثاني

(1086 ـ 1099 م)

وعلى اثر وفاة البابا جريجوري اجتمع مجلس الكرادلة لاختيار أسقف روما الجديد وبهذه المناسبة حضر جوردان أمير كابوا الى روما في 3 جوان لتوفير الأمن والنظام اللازمين بها وتحت تأثير هذا الأمير النورماني تم اختيار ديديه مقدم دير مونت كاسينو اسقفا على كنيسة روما غير أن هذا الأخير اكتفى عائدا الى ديره (1) . ولعل مرد هذا الامتناع يعود الى شعوره بالضعف وعدم قدرته على ادارة شؤون البابوية وحماية مصالحها ويدل على ذلك انكبابه عقب وصوله الى مونت كاسينو على تجديد جيش من النورمان واللمباردين ورغم ما حشده من المحاربين الذين تدعم بهم مركزه فقد امتنع عن المشي الى روما وربما يعود السبب في ذلك الى تريثه لمعرفة من سيخلف جسكارد دوق أبوليا (2). الذى توفي في 17 جويلية 1085 م بساحة الشرق (3) وفي خريف نفس السنة حاول جوردان جلب ديديه الى روما لكنه رفض ذلك ولعل هذا الاخير اشترط على جوردان عدم استخدام الضغط لتنصيبه على كرسي البابوية الا أن جوردان أبى التعهد بذلك (4) .

---

1) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 290; Poulet: Hist. du christianisme, t.II, p. 370; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. I64; Gay: Les Papes, p. 352; Mourret: op. cit., p. 211; Léo et Botta: op. cit., I, p. 267.

2) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 290.

3) ـ أنظر : Malaterra: op. cit., t. III, chap. 41, p. 82. Platynaa Historici: Liber de vita, t. III, 1ère par., p. I95; Delarc: St Grég. t. III, p. 627; Chalondon: loc. cit.; Gay: Les Papes, p. 351; Léo et Botta: op. cit., t.I, p. 267.

4) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 290.

وقد ظل كرسي البابوية شاغرا حتى شهر مايو سنة 1086 م حيث عقد الكرادلة مجلسا طارئا في الثالث والعشرين من هذا الشهر لاختيار خليفة البابا جريجوري . وفي اليوم التالي (24 مايو) أجمع أعضاء المجلس ولعلّ ذلك تم تحت تأثير الأمير جوردان — على تجديد تعيين ديديه بابا على كرسي البابوية بعد أن اتخذ لنفسه أسم فكتور الثالث Victor III (1) . وقد كان لهذا الحدث الديني وقع الصاعقة على نفس روجر* بن جسكارد الملّقب ببورصا Borsa اذ عزّ عليه أن يتم تعيين بابا جديد دون أن يكون له دور في ذلك في حين أشترك جيزولف ** اشتراكا فعالا ومباشرا في هذه العملية ولم يرض روجر تورصا بدور جوردان في حماية الكنيسة كما أنه أستاء كثيرا للأهمية التي أوليت لجيزولف من قبل البابوية مما يجعله خصما ومنافسا خطيرا له ، وعلى هذا فلم يلق تعيين ديديه استحسانا لدى روجر الذي سرعان مادخل معه في نزاع حول أمر تعيين المشرف على كنيسة سالرنو كانت نتيجته أن عمد روجر الى تأليب المعارضة الرومانية ضد البابوية الأمر الذي جعل البابا فكتور الثالث يلوذ بالفرار الى مونت كاسينو غير أن جوردان لحق به وطلب منه العودة الى روما لكنه رفض ذلك .

---

1) — أنظر : Chalondon: op. cit., t.I, p. 291; Poulet: Hist. du christianisme, t. II, p. 370; Amann (Emile): op. cit., t. XV, 2ème partie, pp. 2266, 2871; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, pp. 164-165; Mourret: op. cit., p. 211.

* عين محل أبيه دوقا على أبوليا في سبتمبر سنة 1085 م ولقب ببورصا لانه كان يكثر من احتساب الأموال المتواجدة عنده . ارجع الى : Platynaa Historici: t. III, 1ère part., p. 195; Yewdale: Bohemond I prince of antioch, p. 25; Gay: Les Papes, p. 351.

** كان البابا جريجوري السابع قد اسند اليه مهمة القيادة العسكرية على اقليم كامبانيا ارجع الى : Chalondon: op. cit., t. I, p. 291.

وقد اشتدت المعارضة ضدّ البابا فكتور حيث توجه أحد المعارضين له اسمه هيّو Hugues بصحبة بعض رجال الدين الآخرين الى روجر يلتمسون منه المساعدة على عزل البابا فكتور وليس معروفا على وجه التحديد ماذا دار بينهم من مفاوضات لكن يحتمل أن روجر وعدهم بالمساعدة ضد خصمهم فكتور شريطة أن يقوم من يتولى منهم كرسي البابوية بتعيين الشخص الذي يروق له على كنيسة سالرنو (1) .

وأمام هذه المشاكل التي كادت تمزق كيان الكنيسة قرر البابا فكتور عقد مجمع قصد ايجاد حلّ شامل لها واختار البابا مدينة كابوا كمقرّ لهذا الاجتماع ولا شك أن اختيار البابا لهذه المدينة يدلّ دلالة واضحة على مدى تأثير جوردان على شخصية هذا البابا . (2)

وفي شهر مارس سنة 1087 م انعقد المجمع وحضرته جميع الاطراف المتنازعة بما فيها روجر وجوردان (3) . وخلال هذا المجمع وافق ديديه تحت تأثير الأميرين النورمانيين على أن يتولى كرسي البابوية وكان أن طلب منه فريق المعارضين تبرير الاتهامات التي وجهت اليه لكنه امتنع عن ذلك مما أدى بهؤلاء المعارضين الى مغادرة مكان الاجتماع وأما روجر فلم يحذ حذوهم حيث جدّد طلبه للبابا بتعيين هالفن Alfan مطرانا على كنيسة سالرنو وكان ردّ البابا الرفض فانسحب روجر هو الآخر من الاجتماع (4) . غير أن البابا سرعان ما أدرك خطأه وما قد ينجرّ عنه من اقدام روجر على نصرة الفريق المعارض له فبادر باستدعائه اليه ثم وافق على تعيين هالفن على أسقفية سالرنو وبعد

---

1) أنظر : Chalondon: Hit. de la domination, t. I, pp. 291-292; Mourret: op. cit., p. 211.

2) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, I, pp 292-293.

3) ـ أنظر : Gay: Les Papes, p. 353.

4) ـ أنظر : Chalondon: op. cit., t. I, p. 293; Gay: loc. cit., Mourret: op. cit., p. 212.

أن ثالث روجر مبتداء أعلن انضمامه الى جانب البابا فكتور الثالث على أن فكتور الثالث لم يكد يشعر بقوة مركزه حتى عمد الى ارتداء الحياة البابوية وبفضل ما كفله له روجر وجوردان من الحماية استطاع أن يدخل روما ظافرا منتصرا وتمكن النورمان عندئذ من افتكاك كنيسة القديس بطرس من أيدي عناصر المعارضة (1) . وفي يوم 9 مايو 1087 م تم تنصيب فكتور الثالث بابا على كرسي البابوية (2) .

ومهما يكن من أمر المساعدة التي بذلها روجر فانها كانت أهم بكثير مما ناله هذا الاخير من البابوية والذي لم يتجاوز موافقتها على تعيين أحد رجال الدين الموالين له على كنيسة سالرنو وفي الواقع فان روجر خدع من طرف جوردان أمير كابوا الذي استطاع اقناعه بضرورة التصالح مع البابا فكتور وما كان يسعى اليه جوردان هو التوصل الى تعيين أحد أتباعه على كرسي البابوية حتى يجد السبيل لتحقيق مآربه (3) . غير أن أطماعه سرعان ما تبخرت اذ لم يلبث أن توفي البابا فكتور الثالث بمونت كاسينو في يوم 16 سبتمبر عام 1087 م بعد أن كان عهده سيئا ثقيل الظل على الكنيسة (4) .

وفي يوم 12 مارس سنة 1088 م اعتلى كرسي البابوية أدون Odon أسقف مدينة أوستي Ostie الواقعة بالقرب من روما ، والذي أخذ اسم أوربان الثاني (5) ولم يشارك النورمان في عملية تعيينه بسبب الحرب الاهلية الدائرة بين الاخوين بوهمند وروجر بورصا دوق أبوليا (6) .

---

1) ــ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 293; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 267; Fliche Hist. de l'eglise, t. 8, p. I76.

2) ــ أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1ère par., p. I97; Fliche: loc. cit.; Mourret: op. cit., p. 212; Amann: op. cit., t. XV, 2ème par., p. 2866; Chalondon: loc. cit.,

3) ــ أنظر : Chalondon: op. cit., t.I, pp 293-294.

4) ــ أنظر : Platynaa Historici: Liber de vita, t. III, 1ère part., p. I95; Poulet: op. cit., t. II, p. 370; Chalondon: op cit., t. I, p. 294; Amann: op. cit., t. XV, 2ème part., p. 2866.

5) ــ أنظر : Romuald :Chronicon, t. VII, 1ère part. p. I98; Amann: op. cit., t. XV, 2ème part., p. 2296; Yewdale: op cit., p. 31; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, pp. I77,201; Hefele: op cit., t.V, 1ère par., p 337.

(6) Malatterra: op. cit., LIII, chap. 12; Chalondon: Hist., I, p. 296; Yewdale: op. cit., p. 25; Fliche: op. cit., t. 8, p. 169.

وتعتبر هذه الحرب الأهلية وما تمخض عنها من اضطراب الأوضاع في جنوب ايطاليا من المسائل التي استقطبت انتباه البابا أوربان الثاني ولذلك استعجل عمده بتنظيم زيارة الى تروينا بصقلية في سنة 1088 م ليطلب من الكونت روجر الاعانة على اعادة الاستقرار في جنوب ايطاليا (1) . وأثناء هذا اللقاء أثيرت مسائل دينية تختص باعادة تنظيم شؤون الكنيسة في صقلية وكانت نتيجة هذا الحوار أن أيد البابا سياسة روجر الدينية كما خوّل له صلاحيات دينية واسعة . على أن البابا كان يصبو الى نيل تأييد ومساعدة روجر لاحباط أطماع الامبراطور الألماني هنري الرابع في بسط نفوذه على ايطاليا لاسيما أن هذا الاخير سبق أن عين بابا آخر امحلّه والمسمى كلمنت غير أن محاولة البابا هذه لم تجد نفعا لأنّ روجر لم يكن في وضع يمكنه من مساعدته بسبب انكبابه على تنظيم فتوحاته وعلى معالجة المشاكل التي كان أقصاله يثيرونها دوما ضدّه ومن جهة أخرى فان ماكان يريد أوربان تحقيقه من وراء الامتيازات المفرطة التي منحها لروجر هو حمل هذا الاخير على عدم عرقلة مشروع التقارب والتسوية بين البابوية والامبراطورية البيزنطية والذي كان يرمي في الواقع الى احباط التحالف الذي جرى بين هنري الرابع وبيزنطة (2) .

وخلال هذه الزيارة حدّث البابا روجر عن مراسلاته مع الامبراطور البيزنطي آلكسيوس كومنينوس Alexieus (1081 ـ 1118م) والتي تناولت مشاكل رجال الدين اللاتين في ربوع الامبراطورية البيزنطية كما أطلعه على مشروع ألكسيوس الذي يقضي بعقد مجمع عام في القسطنطينية لايجاد حلّ للمشاكل التي تمزق الكنيستين (الشرقية والغربية) وخاصة بعد الانشقاق الاكبر وقد استحسن روجر هذه المبادرة وأوصى البابا بالعمل على تحقيقها لكن لم تلبث أن أهملت المسألة على مرّ الأيام رغم ما تم من

1) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 296.

2) ـ أنظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, pp. 235-238, 321; Mourret: op. cit., p. 220.

تقارب بين البابا أوربان الثاني والامبراطور الكسيوس (1) .

وفي هذه الفترة تميزت علاقة البابا أوربان الثاني بالأمير جوردان ، أمير كابوا بالجودة والصفاء ، على أن البابا سرعان ما أتيحت له الفرصة لأداء خدمة هامة للأمير جوردان حيث تدخل لحسم مشكلة عائلية خاصة لصالحه (2) .

على أن الحرب بين أمراء النورمان لم تلبث أن تفاقمت في صيف عام 1089م الأمر الذي أثار قلق وحيرة البابا أوربان الثاني وكان أن عزم البابا عندئذ على ازالة هذا الخلاف القائم بينهم (3) . حيث توجه في سبتمبر من نفس العام الى مدينة ملفي وعقد بها مجمعا دام من يوم 10 الى 15 سبتمبر وحضره العديد من الأمراء النورمان المتخاصمين من بينهم روجر بورصا وبوهمند وأثناء المجمع استطاع البابا أن يوفق بين هؤلاء الأمراء وأن ينال من كل واحد منهم وعدا قاطعا باحترام الهدنة المبرمة بينهم

وخلال ذلك أدى الدوق روجر يمين الولاء والطاعة للبابا الذي اعترف بدوره بسيادة روجر الشرعية على اقليمي أبوليا وقلورية (4) . وقد اهتبل بوهمند فرصة وجود البابا بملفي وألتمس منه القدوم الى مدينة باري للاشراف على تدشين مطرانها الياس (Elie) Elias فاستجاب البابا لطلب بوهمند حيث توجه الى مدينة باري وكرس الياس في يوم 15 أكتوبر من نفس العام (5) .

---

1) أنظر : Gay: Les Papes, p. 358; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, pp. 236-237.

2) أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 296; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 235.

اقر البابا أوربان بطلان العلاقة الزوجية القائمة بين ابن أحد أمراء النورمان وابنة الأمير جوردان ووافق لهذه الاخيرة على اعادة الزواج من رجل آخر أنظر : Chalondon: loc. cit.; Fliche: loc. cit.

3) أنظر : Chalondon: loc. cit.

4) أنظر : Platynaa Historici: Liber de vita, t.III, 1ère par., p. I96; Romualdi: Chronicon, VII,1, p. I99; Yewdale: op. cit., p 31; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 207; Amann: op. cit., t. XV, 2ème par., p. 2272; Mourret: op. cit., p. 220; Hefele: op. cit., t. V, 1ère part., p. 345; Chalondon: op. cit., t.I, pp. 296-297; Gay: Les Papes, p. 359.

5) أنظر : Yewdale: op cit., 31; Chalondon: Hist. de la dtion, I, 297.

وقد حدث في نوفمبر سنة ١٠٩٠ م أن توفي جوردان أمير كابوا مما أدى الى أفول نجم هذه المدينة ردحا من الزمن وكان أن استغل ريلو ريدال سيّد مدينة قايتي وضع مدينة كابوا السيء وهاجم د يرمونت كاسينو واغتصب بعض أملاكه في جانفي من عام 1091 م غير أن ريلو لم يلبث تحت تأثير كونتات آكينو أن مضى الى مدينة كابوا حيث يوجد البابا وأعلن تنازله عما استولى عليه من الأملاك في مونت كاسينو ولا شك أن البابا لعب دورا هاما في عودة الأمور الى مجراها الطبيعي في كل من كابوا ومونت كاسينو وعلى هذا فلم يكد البابا يغادر مدينة كابوا حتى ثار سكانها على أرملة جوردان قايتلغريم Gaitel Grime فغرقت المدينة في فوضى عارمة (1) .

وأما روجر فأغدق المنح والهبات على الأديرة والكنائس بجنوب ايطاليا ورغم هذا فلم يتورع البابا في أوت سنة ١٠٩٢ م من التنديد بما أقدم عليه روجر من اغتصاب بعض الأملاك التابعة لأسقفية سالرنو وأرغمه على اعادتها الى صاحبها ألفان Alfan (2).

ومما ضاعف قلق البابا ازدياد حدّة الحروب الأهلية التي كانت تسود ايطاليا الجنوبية وبالتالي قرر في خريف سنة ١٠٩٢ م المضي الى هذا الاقليم لوضع حدّ لهذه الحرب وفي شهر مارس من سنة ١٠٩٣ م عقد البابا مجمعا في مدينة ترويا * كانت نتيجته أن عاد الوفاق بين الأطراف النورمانية المتنازعة وحتى يضمن البابا احترام هذه الهدنة من قبل هؤلاء الأمراء أمر البابا الاساقفة باصدار قرار الحرمان نيابة عنه ضد كل من ينتهك هذه الهدنة بعد انذاره ثلاث مرات كما ابلغ البابا الامراء والكونتات النورمان بوجوب عدم حماية أو مؤازرة أي طريد من رحمة الكنيسة بل يجب اقرار الحرمان وتأكيده (3) . ومهما يكن .

---

1) – كانت قايتلغريم تدير شؤون كابوا باسم أبنائها الثلاثة وهم ريشارد ، روبرت وجوردان ارجع الى :
Chalondon: Hist., I, p 297; Idem:

2) — Idem: pp. 298-299.

3) — Romualdi: Chronicon, VII,1, p. 200; Fliche: Hist., t. 8, p. 320; Gay: Les Papes, p. 359; Chalondon: op. cit., I, p. 299.

* كان للبابا لقاء مع الكونت روجر في مليطو Mileto في ربيع سنة 1090م كما عقد مجمعا آخر في بينفنتو في مارس (أو فبراير) سنة 1091 م أرجع الى :
Gay: op. cit., p 359; Fliche: op cit., p 244; Hefele: op cit., V,1,1ère part., p 352; Amann: op cit., XV, 2ème part., pp. 2272-2278.

من أمر تدخلات البابا المستمرة في ايطاليا الجنوبية قصد فرض الاستقرار بها . فانها تدل بشكل واضح وأكيد على مدى ضعف قوة روجر بورسا وعجزه عن تحقيق هذه المهمة في دوقيته مما جعل جهود البابا كلها في هذا المضمار تبوء بالفشل الذريع (1) .

وما استقطب كذلك اهتمام البابا في جنوب ايطاليا هو أمر ابعاد أساقفة الاغريق من مناصبهم واحلال آخرين من اللاتين محلهم وبيدو أن البابا أستطاع أن يحمل الكونت روجر على تنفيذ هذه السياسة ويتبين لنا ذلك حينما بادر روجر بعزل أسقفي مدينتي روسانو Rossano وتروبيا Tropea ، وهما من الاغريق وعين محلهما أسقفين من اللاتين غير أن روجر لم يدرك ماذا كان يحمل هذا الاجراء في طياته من بذور الفتنة والاضطرابات اذ لم يلبث أهل مدينة روسانو أن ثاروا عليه ولم تهدأ الأوضاع الا بعد أن وعدهم الكونت روجر باعادة تعيين رجل من الاغريق على أسقفية المدينة (2) .

وقد تبين للبابا اوربان أن روجر دوق ابوليا وقلورية ليس بالحاكم الذي يمكن الاعتماد عليه كلية ولذلك أخذ يعمل جاهدا لنقل دور حماية الكنيسة الى الكونت روجر صاحب صقلية (3) وللتقرب أكثر من الكونت عمد البابا الى التوسط بين هذا الاخير وكونراد * بن الامبراطور هنري الرابع حيث وفق في تحقيق الزواج بين ابنة الكونت وكونراد (4) . على أن هذا التصرف الذي قام به البابا يعتبر اشارة واضحة على ضعف أهمية الدوق روجر

1) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 299.

2) ـ أنظر : Idem: pp. 300-301.

3) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 301; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 320.

4) ـ أنظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 321; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 269; Amann: op. cit., t. XV, 2ème part., p. 273; Chalondon: op. cit., t.I, p. 300; Bernhart: op. cit., p. 158.

* لقد أعلن كونراد خروجه على طاعة أبيه هنري الرابع ، وأضحى يتعامل مع الفريق المعارض له بألمانيا وتمكن من الفرار والتوجه الى امارة الكونتيسية ماتلده بشمال ايطاليا ارجع الى : Léo et Botta: op. cit., t.I, p. 268.

ونمو اعتبار الكونت روجر في البابوية مما جعل اوربان الثاني يرتمي في أحضان هذا الأخير بكلّ ثقلـه (1) .

على أن العلاقة بين الكونت روجر والبابوية لم تلبث أن تأزمت في نهاية سنة 1096 (او بداية) سنة 1097، وسبب ذلك أن البابا أوربان قـرّر ارسال ممثل له الى صقليـة للاشراف على شوءون الكنيسة الكاثوليكية ورعاية حقوقها دون أن يستشير الكونت روجر فـي هذا الأمر علما بأن هذا الدور كان موكلا لهذا الأخير نفسه وعلى هذا فان القرار البابوي يعني سحب هذا الامتياز من الكونت روجر (2) . وقد عهد البابا بهذه المهمة التمثيليـة الى روبرت اسقف سيّنا وترورينا ، الذي كان يحظى بتقدير واحترام روجر ، وكان لهذا القـرار وقع الصاعقة على نفس روجر اذ اعتبره انتهاكا صارخا لسيادته الدينية في صقلية ، وكان أن ردّ روجر على هذا القرار بالعنف حيث أمر بالقاء الأسقف روبرت في السجن ، كمـا استعمل ضمن ألقابه في أحد قراراته لقب ممثل البابا في صقلية وقلورية ، مما يخول له الحق في مدّ نفوذه على جميع أديرة وكنائس هذين الاقليمين . والواقع أن هذه الأزمة لم تـدم طويلا اذ لم يلبث روجر أن أفرج عن الاسقف روبرت كما عقد اجتماعا مع البابا أوربان فـي شهر جوان 1098م ، بمدينة كابوا (+) وكذلك في مدينة سالرنو في 5 جويلية من نفـس السنة (3) ، وخلال اجتماع سالرنو اعترف روجر بسوء تصرفه تجـاه

(1) أنظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 320.; Chalondon: Hist. de la Dtion, I, p. 301.

(2) أنظر : Jordan (E.): La politique écclésiastique de Roger I et Les origines de la légation Sicilienne, p. 35; Fliche: op. cit., t.8, p 321.

(+) كانت مدينة كابوا آنذاك تعاني من حصار شديد نظّمه ضدها الدوق روجر وكونـت صقلية قصد اعادة الوريث الشرعي رتشارد الثاني الى كرسيّها . وقد حاول البابا أوربان اصلاح ذات البين بين المتنازعين لكنّه فشل في ذلك : ارجع الى :
Léo et Botta: op. cit., t.I, p. 269; Chalondon, Hist. de la domination, t.I, pp. 303-304; Hefele: op. cit., V, 1ère par., p. 458.

(3) أنظر : Fliche: Hist. de l'eglise, t. 8, p. 321, Héfele: op. cit., t. V, 1ère part., p. 458; Amann: op. cit., t. XV, 2ème par., p. 2273; Jordan: La politique ecclesiastique de Roger I, pp. 54, 57; Mourret: op. cit., p. 237.

البابا طالبا منه المعذرة عن ذلك كما تعهد الكونت بعدم الاساءة الى رجال الديـــن أو سجنهم دون صدور حكم كنسي في ذلك وأما البابا أوربان فقد أعلن رسميا عن الغـــاء الدور الذي أنيط بمساعدة الاسقف روبرت ثم عيّـــن روجر وخلفاءه ممثلين للبابوية فـــي كامل جزيرة صقلية كما أقرّ البابا بأن يكون استدعاء الاساقفة للحضور في المجامع الدينيـــة بواسطة الكونت روجر هذا بعد أن خوّل له الحق في اختيار العناصر التي سوف تحضـــر في هذه المجامع الدينية (1) . وعلى كل فإن دل اتفاق 5 جويلية على شيء فانما يــدل على حرص البابا أوربان الثاني على استمرار العلاقة بين البابوية والكونت روجر وابقاء هذا الأخير في فلك الكنيسة الرومانية ومن ناحية أخرى فقد أسفرت هذه المعدنة على تدعيـــم الروابط الروحية والسياسية بين البابوية والكونت روجر (2) .

---

1) ـ أنظر : Jordan: La politique, pp. 56, 57, 67; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, pp. 321-322; Amann: op. cit., t. XV, 2ème par., p. 2273; Mourret: op. cit., p. 238; Héféle: op. cit., t. V, 1ère par., p. 458.

2) ـ أنظر : Fliche: op. cit., t. 8, p. 310; Amann: op. cit., t. XV, 2ème par., p. 2273.

هـ) منذ عهد البابا باسكال الثاني حتى نهاية عهد البابا هونوريوس الثاني

(1099 ـ 1130 م)

وهكذا حافظ البابا أوربان على علاقات طيبة مع النورمان الى أن وافته المنيـــة في يوم 29 جويلية من عام 1099 م وحلّ محلّه البابا باسكال الثاني Pascal II (1). وقد كان على هذا البابا الجديد أن يواجه تحرشات منافسه البابا كليمنت الثالـــث الذي لم يكد يسمع نبأ توليته كرسي البابوية حتى عسكر بقواته في مدينة آلب Albe (جنوب شرق روما) وأخذ يهدّد مدينة روما (2). ولم يعبأ الدوق روجر بالتدخل فـــي هذا الظرف العسير لحماية البابوية من أعدائها (3). في حين بادر روجر كونت صقلّيـــة بارسال مبلغ مالي الى البابا باسكال قيمته ألف قطعة ذهبية استطاع بفضله استطالـــة سكان مدينة آلب اليه وإثارتهم ضد كليمنت الثالث الذي اعتصم بأحد القصور الى أن توفي به في نهاية سبتمبر (أو بداية شهر أكتوبر) من عام 1099 م (4) وبالرغم من عدم اكتراث الدّوق روجر لما حام من خطر حول البابوية فقد تميزت العلاقة بين هذا الاخير والبابـــا باسكال * بالجودة والاخلاص وسرعان ما أتيحت الفرصة لروجر لخدمة البابوية اذ حدث

1) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 202; Gde Encyclopédie, t. 26, p. I9; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, pp. 338-339; Mourret: op. cit., p. 276; Héféle: op. cit. t. V, 1ère par., p. 465.

2) ـ أنظر : Gde Encyclopédie: loc. cit.

3) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de domination, t. I, p. 310 .

4) ـ أنظر : Gde Encyclopédie: t. 26 , pp I9-20:

* اشتهر بموقفه الايجابي تجاه بوهمند أثناء صراعه مع الامبراطورية البيزنطيـــة اذ بارك حملته الذي كان يعتزم القيام بها في سنة 1107 م وكلف البابا مندوبة برونو Bruno بموافقة بوهمند في جولته الاوربية وذلك للتبشير بحملة بوهمنـد ومساعدة الاخير في تنظيمها كما أرسل نداء لجميع الرجال اللاتين العاملين فـــي جيش الامبراطورية البيزنطية يحثهم فيه على ترك مناصبهم . ارجع الى : رنسمان : تاريخ الحروب الصليبيـــة. [illegible]
وأيضا : Chalondon: Alexis 1er, p 242; Yendale: op cit., pp I07-108.

في بداية عهد البابا باسكال أن شق سكان مدينة بينفنتو عصا الطاعة في وجه البابوية واستغاث البابا بالدوق روجر الذى سار دون انتظار الى المدينة الثائرة فبسط من جديد سلطة البابوية عليها في سبتمبر سنة 1101م (1) .

وفي الواقع أظهر الدّوق روجر في السنوات الأخيرة من حكمه عطفا كبيرا على رجال الكنيسة حيث أجزل لهم العطاء وتوسع في منح الهبات لهم ويتجلى لنا كذلك الوئام السائد بين الدوق روجر والبابا باسكال من خلال الزيارة التي قام بها الدوق الى بينفنتو حيث يقيم البابا — وما جرى أثناءها بينه وبين باسكال من محادثات في جويلية سنة 1110م ولعل الغرض منها كان ضبط الخطة التي يجب اتخاذها ضد الامبراطور الألماني هنرى الخامس * الذى كان يعتزم غزو ايطاليا في وقت قريب (2) . وفي الحقيقة لم تجد هذه الخطة نفعا اذ أن الامبراطور هنرى الخامس لم يلبث أن بلغ مدينة روما وألقى القبض في يوم 12 فبراير من سنة 1111 م ، على البابا باسكال دون أن يلقي هذا الأخير الدعم المنتظر من النورمان (3) غير أن روبرت * * النورماني ، أمير كابوا سرعان ما أدرك غلطته لعدم

---

1) — أنظر : Romualdi: Chronicon, VII,1, p 203; Chalondon: op cit., t. I, p. 310.

2) — أنظر : Chalondon: Hist. de la d<u>tion</u>, t.I, p. 310-312.

3) — أنظر : Romualdi: Chronicon, VII,1, p 205; Ordric Vital: op cit., IV, p. 04; Héféle: op cit., t.V, 1ère par., pp 538,562; Chalondon: op cit., t.I, p. 313; Bernhart: op cit., pp I60-I6I.

أشار اردريك فيتال أن هذه النجدة انزلت بقوات هنرى الخامس هزيمة نكراء ، أنظر : Ordric Vital: loc. cit.

* ولد سنة 1081 م ، وتوج ملكا سنة 1098 م وعين أمبراطورا سنة 1106م خلفا لأبيه هنرى الرابع ، عرف بحداثه ومقاومته الشديدين لأبيه ، توفي في 23 مايو سنة 1125م . أرجع الى : Gde Encyclopédie, t.I9, p. I083.

* * هو أخو رتشارد الثاني الذى توفي في جانفي سنة 1106 م ارجع الى Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 312.

نجدة البابا فبادر بارسال جيش الى روما قوته ثلاثمائة فارس الا أن قوات الفريق المعارض للبابوية تعرضت له عند فيرانتينو Férentino وردته على أعقابه (1) .

وبعد أن حقق هنري الخامس ما يريده في روما حيث تصالح مع البابا باسكال كما توج امبراطورا في 13 أفريل سنة 1111م بروما قفل عائدا الى ألمانيا لكن (2) سرعان ما أعلن عداءه له حيث عمل في مارس عام 1112م على عقد مجمع بروما حضره عدد كبير من الاساقفة النورمانيين وقرر خلاله سحب كل الامتيازات التي سبق له أن منحها لهنري الخامس في السنة الفارطة تحت الضغط ولا شك أن لاساقفة النورمان دورا فعالا في اتخاذ البابا مثل هذا القرار (3) .

ومما يكن من أمر فان أهم ما كان يشغل بال البابا بسكال هو الخلافات الدموية التي كانت تمزق صفوف النورمان بجنوب ايطاليا وقد كان لزاما على البابا ازالتها وتوحيد شمل النورمان حتى يتعزز بهم كيان البابوية وتتمكن بذلك من مواجهة خطر الامبراطورية الرومانية المقدسة (4) . ولتحقيق هذا الغرض عقد البابا مجمعا في شهر أكتوبر سنة 1114م بمدينة كبرانو وحضره الدوق وليم * وروبرت . أمير كابوا وكذلك العديد من أمراء النورمان وقد حاول البابا خلاله تحقيق الوفاق بينهم كما اعترف البابا بسيادة الدوق وليم على أبوليا وقلورية في حين أدى له وليم يمين الولاء والتبعية (5) .

---

1) ـ أنظر : Ordric. Vital: op. cit., IV, p. 05; Héféle: op cit., t. V, 1ère par., p. 562; Chalondon: op. cit., t.I, p. 314; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 362; Léo et Botta: op. cit., t. I, p. 273;

2) ـ أنظر : Ordric vital: op. cit., IV, p. 05; Gde Encyclopédie, t. I9, p.I083.

3) ـ أنظر : Ordric vital: op cit., IV, p 06; Chalondon: Hist. de la dtion, I, pp 314-315; Bernhart: op cit., p I6I.

4) ـ أنظر : عن تفاصيل هذه الاضطرابات ارجع الى : Chalondon: op cit., I, pp. 315-316, 317.

5) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon, t. VII, 1ère par., pp 207-208; Héféle: op cit., t. V, 1ère par., p. 544; Fliche: Hist. de l'eglise, t 8, p 419; Chalondon: op cit, I, pp 315-316.

* تولى مكان أبيه الدوق روجر الذي توفي في 22 فبراير سنة 1111م . Romualdi: op. cit., VII,1, p. 206; Chalondon: op. cit.I, p. 313.

ويبدو أن البابا فشل في بلوغ غايته اذ عاد في أوت سنة 1115م الى مدينة ثوريا واجتمع مرة أخرى مع أمراء النورمان لاقرار الهدنة بينهم ، ومما زاد مخاوف البابا وحرصه على تحقيق السلم في جنوب ايطاليا وفاة الكونتيسة متيلدة في 15 جويلية 1115م وقد يعمد اليه هنري الخامس من المطالبة بحقه في ارث هذه الكونتيسة. وأثناء هذا الاجتماع تعهد أمراء النورمان باحترام الهدنة لمدة ثلاث سنوات غير أن البابا لم يكد يغادر ثوريا حتى اندلعت الحرب بينهم من جديد (1) .

وفي سنة 1117م شهدت روما وصول الامبراطور الألماني هنري الخامس اليها وهنا لم يحظ البابا بالمساعدة المرجوة من الدوق وليم لتخفيف ضغوط هنري الخامس مما أدى به الى اللجوء الى بينفنتو والاحتماء بها غير أن روبرت ، أمير كابوا لم يلبث أن أنفذ عساكره لنجدته وبعد أن فشلت المحاولة الأولى ، تمكن البابا بفضل قوة النورمان من الدخول الى روما منتصرا في 15 جانفي عام 1118م (2) ، ولم ينعم البابا باسكال كثيرا بهذا الفوز حيث توفي في 21 جانفي 1118م وخلفه على كرسي البابوية البابا باجيلاس الثاني Gelase II (3) .

وقد لقي البابا الجديد معارضة شديدة من قبل أعداء البابوية ومع ذلك فلم يتدخل الدوق وليم لمساندته لكن بفضل الفرق العسكرية النورمانية التي بقيت متمركزة منذ أواخر أيام البابا باسكال استطاع البابا الجديد أن يحرز انتصارا حاسما على المعارضة الرومانية (4) .

---

1) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, pp. 317-318.
عن تفاصيل هذه الفترة ارجع الى : Idem: pp. 318-319.
2) ـ أنظر : Chalondon: op cit., t.I, p. 320; Héféle: op cit., V, 1,p662
3) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon; VII, 1, pp 208-209; Héféle: loc cit. Léo et Botta: op. cit., p. 275; Amann: op cit., t. VI, 1ère par., p. 1180.
4) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 320.

وبالرغم من هذا الانتصار فقد فرّ البابا الى ايطاليا الجنوبية خشية من وقوعه فسي قبضة الامبراطور هنري الخامس واختار البابا مدينتي كابوا وغايتي مقرين له ابان هـذه الهجرة ولا شك أن ارتطاء البابا في أحضان أمير كابوا دليل واضح على مدى تقليل البابـا من شأن الدّوق وليـم وتقلص دور هذا الاخير في حماية البابوية (1) . وفي مدينـة غايتي استقبل البابا الدوق وليسم حيث أدى له هذا الاخيريميـن الولاء والتبعيـة واعترف له البابا بشرعية حكمه على أبوليا وقلّورية (2) . ورغم هذا الولاء فلم يلعـب الدوق وليسم دورا فعالا في اعادة البابا جيلاس الى روما في حين تمكن روبرت أميـر مدينة كابوا على رأس قواته من الدخول الى روما مع البابا دون أن يصوقهما منازع (3) .

ولم يلبث أن توفي البابا جيلاس في يوم 29 جانفي سنة 1119 م واعتلى عـرش البابوية البابا كاليكست Calixte في أول فبراير سنة 1119م (4) .

وعقب توليته توجه الى مدينة بينفنتو وبها تلقى من الدوق وليـم والأمير جوردان الثاني * صاحب كابوا يمين الولاء والتبعية وتعهّد الدوقان بحمايته من شـرّ أعدائه (5) .

---

1) أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, t. I, p. 320.

2) أنظر : Romualdi: Chronicon: VII, 1, pp. 209-210.

3) أنظر : Chalondon: op cit. t.I, p. 320.

4) أنظر : Romualdi: op cit., VII,1, p. 210; Amann: op cit., t.VI, 1ère par., p 1181; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p. 378; Léo et Botta: op cit., t. I, p. 277.

5) أنظر : Romualdi: Chronicon: VII, 1, pp 211; Léo et Botta: op cit., t.I, p. 277; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, p 385; Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 321.

* هو أخو روبرت دي كابوا تولى حكم المدينة خلفا لو تشارد الثالث الـذي مات بعد أيام قليلة من وفاة أبيه ، روبرت ، وكان هذا في عام 1120م ارجع الى : Chalondon: op cit. t.I, p 321.

وكسلفه باسكال فقد استبد به القلق لما ساد من النزاعات بين أمراء النورمان ولذلك أزمع الرحيل الى جنوب ايطاليا للعمل على ازالتها وفي مدينتي ترويا وبينفنتو اجتمع مع أمراء النورمان لهذا الغرض وكان أن تلقى البابا مرّة أخرى من وليم يمين الولاء وكذا من أمراء النورمان الآخرين كما اعترف البابا بسيادتهم على أملاكهم (1). وفي صيف سنة 1121 م كرّر البابا زيارته الى جنوب ايطاليا حيث حلّ بمدينة سالرنو في يوم 5 سبتمبر وبها حاول دون جدوى أن يصلح بين الدّوق وليم وروجر الثاني كونت صقلية . وبعد أن جال بمعظم كبريات مدن هذا الاقليم عاد الى روما دون أن يسقّي الخلاف القائم بين النورمان (2) .

وفي يوم 12 ديسمبر عام 1124 م توفي البابا كاليكست وتولى مكانه هونوريوس الثاني Honorius II (3) . وهذا دون أن يتدخل الدوق وليم في تعيينه ومع ذلك فقد حدث أن تقدم الدوق وليم في شهر سبتمبر 1125 م الى البابا هونوريوس

---

1) ـ أنظر : Romualdi: loc. cit.; Chalondon: loc. cit.;

2) ـ أنظر : Romualdi: op cit., VII, 1ère par., p. 212; Fliche: Hist. de l'eglise, t.8, pp 385, 419; Héféle: op cit., t. V, 1ère, p 608; Chalondon: Hist. de la domination, t. I, pp. 322-323.

3) ـ أنظر : Falconis Beneventani: Chronicon, apud Migne, Patrologia, Portrum, Latinoror, t. I73, p 1191; Romualdi: Chronicon, VII, 1, pp 212-213; Fliche: Hist. de l'eglise, t.9, 1ère par., p. 43; Léo et Botta: op cit., t.I, p. 280.

وأدّى له في بيفنتو يمين الولاء والتبعية في حين اعترف له البابا مرة أخرى بسيادته الشرعية على اقليمي أبوليا وقلورية (1). وقد ظل وليم على اتفاق ووفاق مع البابوية رغم ضعف مساندته لها الى أن توفي في 25 جويلية سنة 1127م بمدينة سالرنو (2).

وكانت نتيجة وفاة الدّوق وليم أن مدّ روجر الثاني كونت صقلية سيطرته على جنوب ايطاليا، فوحدّ كلّ أجزائها تحت صولجانه (3). وهذا رغم مطالبة هونوريوس بحقه في تقرير مصير هذا الاقليم. على أن هونوريوس في الواقع لم يكن يهوى بهذا الموقف ضم تركة وليم الى عرش البابوية وانما كان يريد به منع اجتماع الامارات النورمانية تحت حكم موحدّ وقد علّق البابا آمالا عريضة على كل المعارضين لحكم روجر الثاني لاحباط طموح هذا الأخير غير أنهم فشلوا في تحقيق أمنيته فاضطرّ الى الاذعان للأمر الواقع حيث بادر في شهر أوت من سنة 1128 م بالاعتراف بسيادة روجر الثاني على كل من صقلية وأبوليا وقلّورية ولقاء ذلك أدّى له روجر يمين الولاء والتبعية، كما اعترف له بحق سيادة البابوية على مدينة بيفنتو (4).

---

1) ـ أنظر : Romualdi: op cit., VII,1, p. 213; Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 324.

2) ـ أنظر : Platynaa Historici: op cit., t.III: 1ère par.,p. 208; Ordric Vital: op cit., IV, p. 405; Romualdi: op cit., VII, 1, pp. 213-214; Chalondon: op. cit., t.I, p. 325.

3) ـ أنظر : Romualdi: op cit., VII, 1, p. 214; Platynaa Historici: Liber de vita, III, p. 208.
Ordric Vital: op cit., IV, pp. 405, 449-450. ; Jordan: L'Allemagne et l'Italie, t. IV, 1ère par., p. I7; Chalondon: op cit., t.I, pp 325-326; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 9, 1ère par., p. 49.

4) ـ أنظر : Falconis Benevetani: Chronicon, apud Migne, Patrologie. Latinoror, t. I73, p. 1195; Romualdi: Chronicon, VII,1, pp 216-217, 219; Amann: op cit., t. VII, 1ère par., p. I34; Jordan: op cit., IV,1ère part. pp 17-18; Fliche: Hist. de l'eglise, t.9, 1ère part. pp 49-50.

عادل زيتون : العلاقات، ص، 219.

و) منذ عهد البابا انوسنت الثاني حتى نهاية عهد البابا يوجين الثالث

(1130 ـ 1154م)

ولم يلبث ان اتيحت لروجر الثاني الفرصة للتدخل في شؤون البابوية اذ حدث في ليلة يوم 13 فبراير من عام 1130 م، أن توفي البابا هونوريوس فبادر مجلس الكرادلة باختيار بابا آخر اسمه انوسنت الثاني Innocent II في حين عينت المعارضة الرومانية منافسا له هو أناكليت الثاني Anaclet II (1) وفي الوقت الذى اعترفت كل أوربا الغربية تقريبا بأنوسنت الثاني بابا شرعيا على كرسي البابوية ، أعلن روجر الثاني تأييده المطلق لأناكليت واليه كان يرجع الفضل في صمود هذا الأخير أمام أعدائه بروما مما جعل الرأى العام الكاثوليكي ، يحمله مسؤولية هذا الانشقاق (2) على أن البابا أناكليت لم يلبث أن قابل جميل روجر الثاني بأن أصدر مرسوما بابويا في 27 سبتمبر عام 1130م ، يقضي بتعيين روجر ملكا على جنوب ايطاليا وصقلية ومقابل ذلك أدى له روجر يمين الولاء والطاعة كما تعهد بدفع مبلغ سنوى ، ثم تم تتويجه في كنيسة مدينة بالرمو على يد المندوب البابوى (3) .

كان البابا انوسنت يدرك تماما أنه لا يمكن ازالة هذا الانشقاق مادام منافسه يحظى بتأييد الملك روجر الذى عظم صيته واشتد بأسه بعد الانتصارات التي أحرزها على حساب أفصاله في صيف 1135م ، ولذلك قرر البابا الاستنجاد بالامبراطورية

---

1) ـ أنظر: Falconis: Migne, P.L.T. I73, p. 1203; Ordric Vital: op. cit., IV, p. 423; Romualdi: op cit., VII,1, p. 220; Jordan: L'Allemagne et l'Italie, t.IV, 1ère par. p. I5; Léo et Botta: op cit., t. I, p. 288.

(2 Falconis: Migne, p L,T I73; p. 1210; Ordric Vital: op cit., IV, p 423, 441; Chalondon: Hist. de la Dtion, t.II, p 50; Héféle: op cit., V, 1ère pa., pp 697,700; Fliche: Hist. de l'eglise, t.9, 1ère pa., pp 57-58,60.
يذكر رومووالد السالرني ، أن البابا أناكليت طلب من الملك روجر الثاني السماح له بعقد مجمع في ملفي فرافز لكن لما طلب منه البابا مقابلته رفض ذلك تحسبا لتغيرات المستقبل وهذا رغم تأييد الملك روجر الثاني المطلق له . ارجع الى :
Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 220.

3) ـ أنظر : Falconis: Migne, p. L, T. I73, p. 1204; Ordric Vital: op cit.,V, p. 450; Jordan: L'Allemagne et l'Italie, t.IV, 1ère par., p. I8; Amann: op cit., t.VII, 2ème par., p I957.

الرومانية المقدسة حيث عمد في سنة 1135 م الى ايفاد مندوبه القديس برنـــارد Bernard الى الامبراطور لوثر الثالث Lothaire III * يلتمس منه نجدة عاجلة ضد الملك روجر الثاني (1) . ولم يلبث لوثر أن استجاب لدعوة انوسنت وزحف فــي مطلع سنة 1137 م على ايطاليا الجنوبية تسانده قوات البابوية وقد استطاع لوثـــر والبابا اخضاع العديد من مدن ايطاليا الجنوبية وتشديد الخناق على الملك روجر الثانـي الذي حاول دون جدوى التصدي لهما مما أدى به الى الفرار الى جزيرة صقليـــة (2) . وكانت نتيجة هذا الانتصار أن أراد لوثر السير قدما لملاحقة الملك روجر الثانـي

---

1) ـــ وقد سبق للامبراطور لوثر ، تلبية لدعوة البابا انوسنت ، أن قاد حملة ســة 1133م الى ايطاليا لكن دون أن يحقق أمنية البابوية : أرجع الى : Falconis: Migne P.L, T. I73,p1221; Chalondon: Hist., t.II, p. 53; Jordan: L'Allemagne, t. IV, 1ère par., p. 20-22; Amann: op cit., t. VII, 2e par., p. I757; Mourret: op cit., pp. 346-347; Léo et Botta: op. cit.,I,p. 289.

وفي هذه الاثناء تلقى لوثر من الدولة البيزنطية طلبا تحثه فيه على النزول الى ايطاليا الجنوبية لتقليم أظافر النورمان بعد أن وعدته بالعون والدّعم اللازمين . ارجع الى : Jordan: op cit., pp 24-25; Chalondon: op cit., t. 2, pp. 55-57.

2) ـــ عن تفاصيل هذه الحملة ارجع الى : Falconis: Migne, P.L, T. I73, pp 1234-1240; Romualdi: Chronicon, VII, 1, pp 222-223; Chalondon: op cit., t.II, pp 57-58, 63-69; Fliche: Hist., t.9, 1ère par., p. 67; Héféle: op cit., t. IV, 1ère par., pp. 715-716; Amann: op cit., t VII, 2e par., pp I957-I958; Jordan: l'Allmagne et l'Italie, t. IV, 1ère par., p. 25.

* ولد حوالي سنة 1060 م وقيل 1070 م ، وهو دوق سكسونيا ، عين امبراطورا في أوت 1125 م خلفا لهنري الخامس ، توجه البابا انوسنت الثاني في 4 جــوان 1133 م عرف بعدائه الشديد لأسرة الهوهنشتاوفن الالمانية توفي فــي 4 ديسمبر 1137 م ، ارجع الى : Gde Encyclop., t. 22, pp 597-598; Fliche: Hist. de l'eglise, t.9, 1ère par., p. 44; Mourret: op cit., p. 351.

لكن رجاله رفضوا ذلك بسبب انهيار معنوياتهم ورغبتهم في العودة الى ذويهم وقد بلغ استياء رجال لوثر من الشدة حتى حاولوا قتل الكرادلة والبابا انوسنت الذين حملوا اليهم مسؤولية ما هم فيه من مشقة (1) ، وكان أن قرر لوثر العودة الى ألمانيا بعد أن سلّم بالاتفاق مع البابا ، زمام فتوحاته لرينولف النورماني أحد أعداء الملك روجر الثاني الألداء (2) .

وفي الواقع لم تجد هذه الجهود نفعا اذ أن لوثر لم يكد يغادر أبوليا حتى شرع الملك روجر الثاني في استرجاع أقاليمه وقد تمكن وبمساعدة الفرسان المسلمين وهن بسط نفوذه على جزء هام من أبوليا غير أن رينولف توجه بقواته للتصدي له وبالرغم من تدخل القديس برنارد للتوفيق بين الملك روجر الثاني ورينولف ، فقد دارت معركة كبرى بينهما قرب مدينة رينيانو Rignano انتهت بانهزام الملك روجر وفراره الى سالرنو (3) .

وقد كان لهذه الهزيمة أثر سيء على سمعة ونفوذ الملك روجر الثاني في أبوليا وكان ان استغل العديد من مدن ايطاليا الجنوبية هذه الفرصة لافتكاك قدر هام من الامتيازات (4) . وفي هذه الاثناء حاول القديس برنارد اقناع الملك روجر الثاني

---

1) ـ انظر : Chalondon: Hist. de la dtion, t.II, pp 69-70; Fliche: Hist. de l'eglise, t.9, 1ère par., p. 67; Héféle: op cit., t.V, 1ère part., p. 716.

2) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon, VII,1, p. 223; Falconis: Migne, P.L, t. I73, pp 1238, 1240; Chalondon: op cit., t.II, pp 75-76; Héféle: loc cit.

3) ـ أنظر : Falconis: Migne, P.L, t. I73, pp. 1240-1241; Romualdi: op. cit., VII,1, pp 224-225; Amann: op cit., t.VII, 2e par., p I958; Chalondon: op cit., t.II, p. 80; Jordan: L'Allemagne, t. IV, 1ère par., p 27.

4) ـ أنظر : Chalondon: Hist. de la dtion, II, p 8I.

بالتخلي عن فريق البابا أناكليت وقد رأى الملك روجر من الحكمة اعادة النظر في أمـــر شرعية تعيين البابا انوسنت الثاني ومن أجل ذلك طلب الملك روجر عقد اجتماع يحضـــره ممثلون للمؤيدين لكل من البابوين وذلك لايجاد تسوية عادلة بينهما (1) .

وفي الواقع فان مبادرة الملك روجر الثاني ما هي الا وسيلة لربح الوقت لأن هـــذا الاخير لم يدو بتاتا سحب تأييده لأناكليت (2) . اذ أنه في أواخر سنة 1137 م اجتمع ممثلوا الفريقين المتخاصمين برئاسة الملك روجر الثاني لكن دون أن يصلوا الى حسم النزاع بينهم بل ازدادت هوتها اتساعا وتباعدا (3) ويذكر شالندن أن سبب هذا الفشل يعـــود الى عدم رغبة انوسنت الثاني سحب لقب دوق أبوليا من حليفه رينولف والذى أعتبروا لملـــك روجر الثاني لقبا لا ينازعه فيه أحد (4) .

وفي مطلع سنة 1138 م ازدادت العلاقات البابوية النورمانية سوءا وتأزما اذ حدث في 25 جانفي سنة 1138 م أن توفي البابا أناكليت الأمر الذى أثار غبطة واستبشـــارا كبيرين في أوساط فريق البابا أنوسنت الثاني الا أن الملك روجر الثاني لم يلبث أن ردّ على هذا الشعور بتعيين بابا آخر محله اسمه فكتور الرابع Victor IV (5) . غيـــر

1) ـ أنظر : Falconis: Migne: p.L, t. I73, p. 1243; Chalondon: op cit., t.II, p. 8I; Jordan: L'Allemagne, t.IV, 1ère par., p. 27; Fliche: Hist. de l'eglise, t. 9, 2e par., p. 68.

2) ـ أنظر : Chalondon: loc. cit.

3) ـ أنظر : Falconis: Migne, P.L, t. I73, pp 1243-1244; Chalondon: op. cit., t.II, pp 8I-82; Fliche: loc. cit.

4) ـ أنظر : Chalondon: op cit., t. II, p. 82.

5) ـ أنظر : Falconis: Migne, P.L., t. I73, p. 1245; Romualdi: Chronicon, VII,1, p. 224; Fliche: Hist., t.9, 1ère par., p. 69; Mourret: op. cit., 351; Amann: op cit., t. VII, 2e par., p. I958.

أن البابا فكتور هذا سرعان ما أدرك عدم جدوى معاداته لانوسنت ، وذلك لعدم تمتعه بالشعبية الكاملة في روما عما كانت لدى سلفه أناكليت ، فأعلن ولاءه لانوسنت في يوم 29 مايو سنة 1138 م (1) وقد كان هذا الحدث انتصارا باهرا لانوسنت الثاني الذى لم يلبث أن عقد العزم على اخضاع الملك روجر الثاني نفسه حيث جهز جيشا وسار به الى أبوليا لينضم اليه رايتولف لكن هذه الحملة سرعان ما توقفت بسبب من أصيب به البابا . وعلى حد قول شالندن فان سبب توقف حملة انوسنت يعود الى اعلان الملك روجر الثاني خضوعه له وتعهده بحفظ اتباعه على الاعتراف بسلطته الروحية عليهم (2) . وفي الحقيقة لم يتم أى وفاق بين الملك روجر الثاني والبابا والدليل على ذلك أن انوسنت عقد في شهر أفريل سنة 1139 م مجمعا في روما وخلاله أصدر قرار الحرمان ضد الملك روجر الثاني كما أدان كل الذين ناصروا البابا أناكليت (3) .

وفي يوم 30 أفريل سنة 1139 م وقع ما لم يكن في حسبان البابا أنوسنت الثاني حيث توفي رايتولف بمدينة ثروبا وبالتالي فقد البابا أقوى وأوثق حليف له في حربه ضد الملك روجر الثاني (4) . وكانت نتيجة وفاة رايتولف أن شن الملك روجر الثاني حملة عسكرية على أبوليا تمكن بواسطتها من استرداد العديد من مدنها (5) . على أن أنوسنت

---

1) ـ أنظر : Falconis: loc. cit., Chalondon: Hist. de la dation, t. II, p. 83, Héféle: op cit., t. V, 1, p. 717; Amann: loc. cit.

2) ـ أنظر : Chalondon: op cit., t. II, p. 85.

3) Falconis: Migne, p.L. t I73, p. 1249; Fliche: Hist., t. 9, 1ère par., pp. 86-87; Amann: op cit., t.VII, 2e par., p. I958; Chalondon: op cit., t. II, pp 85-86; Jordan: L'Allemagne, IV, 1, p 28

4) ـ أنظر : Falconis: migne, P.L, t. I73, p. 1249; Jordan: L'Allemagne, IV, 1, p. 27; Mourret: op cit., p. 354; Chalondon: Hist., t.II, p 86.

5) ـ أنظر : Falconis: op cit., t. I73, pp 1249-1250; Chalondon: op cit., t.II, pp. 86-87; Romualdi: Chronicon, t.VII,1, p. 225; Léo et Botta: op cit., t.I, p. 293.

لم يكد يسمع بهذا الغزو حتى جهز جيشا قوامه ألف فارس وعدد غفير من المشاة ، وأخذ في الزحف على أبوليا ليحافظ على الوضع السياسي الذي تركه الامبراطور لوثر قبيل انصرافه الى ألمانيا . وقد أحرز البابا في بداية هذه الحملة انتصارا باهرا حيث استطاع أن يستولي تقريبا على كامل الممتلكات التابعة لدير مونت كاسينو (1) .

ولما تنامى الى الملك روجر الثاني نبأ قدوم الجيش البابوي بادر بعرض الصلح على البابا انوسنت الثاني ، الذي لم يلبث أن استجاب لدعوته ، وقد دارت بينهما مفاوضات في مدينة سان جرمانو ، استغرقت ثمانية أيام دون أن يصل الطرفان الى حسل لنزاعهما وذلك بسبب صلابة موقف الملك روجر الثاني الذي رفض أي تنازل لصالح البابا مهما كان شكله (2) . وعقب هذا الاخفاق انصرف الملك روجر الثاني من سان جرمانو لكنه لم يكد يغادرها حتى شرع البابا في مواصلة نشاطه العسكري ضد ممتلكاته في أبوليا . واستشاط الملك روجر الثاني غضبا لهذا التصرف فانكفأ عائدا بقواته الى سان جرمانو حيث أنزل بالجيش البابوي في يوم 22 جويلية سنة 1139 م هزيمة ساحقة كما ألقى القبض على البابا أنوسنت وجل حاشيته فضلا عن استيلائه على كامل كنز البابوية (3) .

وقد كان لسقوط البابا في أسر الملك روجر الثاني صدى واسع وعميق في جميع أصقاع ايطاليا ، وبالنسبة للملك روجر الثاني يعتبر هذا الحدث فوزا عظيما اذ أصبح

---

1) _ أنظر: Romualdi: op cit., VII,1, p. 225; Falconis: op cit., t. I73, p. 1251; Amann: op cit., t.VII, 2e par., 1958, Fliche: Hist., t.9, 1ère par., pp 86-87.

2) _ أنظر : Chalondon: Hist., t. II, pp. 88-89.

3) _ أنظر : Falconis: Migne, P.L, t. I73, pp 1151-1152; Romualdi: op cit: VII . 1ère par., p. 225; Chalondon: Hist., t.II, p. 89; Léo et Botta: op cit., t.I, p. 293; Amann: op cit., VII, 2e par., p. 1958; Maurret: op cit., p. 354; Fliche: Hist., t.9, 1ère par., p. 87.

البابا في وضع يلزمه قبول كل شروط الملك ليسترجع حريته من جهة هذا فضلا عن تفكك وحدة صفوف حلفاء البابا وانهيارها من جهة أخرى (1) .

على أن البابا أنوسنت رفض بادئ ذي بدء استقبال الملك روجر الثاني رغم ما أبدى له هذا الاخير من مظاهر التقدير والاحترام ، اعتقادا منه أن سمعته الروحية ستقضي بالملك الى الخنوع لكنه سرعان ما تدارك خطأه فوافق على مقابلته وحتى يقلل من أثر الخزي ، ويبرر موقفه الضعيف صرح أنوسنت بأن ما دفع به الى التصالح مع الملك روجر الثاني هو خشيته على مصير رعايا الرومان الذين أصبحوا تحت حكم هذا الملك النورماني (2) . وفي 25 جويلية عقد الصلح بين البابا أنوسنت والملك روجر الثاني في مدينة ميانو Mignano وقد رفع البابا بموجبه عقوبة الحرمان على الملك كما أكد شرعية حكمه على جزيرة صقلية واقليم أبوليا ومدينة كابوا وملحقاتها وأقر كذلك أمر تعيين ابنيه روجر والفوس Alphonse على أبوليا ومقاطعة كابوا كما تقرر جعل نهر غريغليانو Garigliano الحد الذي يفصل بين اقليم أبوليا وممتلكات البابوية جنوبا واما الملك روجر الثاني فقد أدى للبابا يمين الولاء والتبعية كما تعهد بدفع مبلغ مالي سنوي للبابوية (3) .

---

1) ـ أنظر : Chalondon: op cit., t. II, p. 90 .

2) ـ أنظر : Ibidem.

3) ـ أنظر : Falconis: Migne, P.L, t. I73, p. 1153; Romualdi: Chronicon, t. VII, 1ère par., p. 225; Chalondon: Hist., t.II, p. 90; Fliche: Hist., t.9, 1ère par., p. 87; Jordan: L'Allemagne, t. IV, 1ère par., p. 28; Léo et Botta: op cit., t.I, p. 293; Amann: op cit., t. VII, 2e par., p. I958.

وهكذا أحرز الملك روجر الثاني على انتصار حاسم على البابوية ، كانت نتيجته أن أحبطت أطماع الامبراطورية الألمانية في ايطاليا الجنوبية كما خسرت المدن المتمردة على حكم الملك روجر الثاني الدعم المنتظر من البابا انوسنت مما جعل زعماءها يعلنون ولاءهم وخضوعهم للملك المنتصر ماعدا مدينة باري التي استعصت رغم طلب البابا منها الاستسلام للملك دون مقاومة (1) .

واستمر الملك روجر الثاني وابناه روجر وألفونس في عملية تأديب المتمردين دون هوادة . وقد استولى ابناه على مدينتي اركه Arce وسورا Sora وبلغا في زحفهما حتى مدينة كبرانو التابعة لروما (2) . الأمر الذي أثار استنكار رعايا روما والبابا انوسنت على السواء . على أن العلاقة بين البابوية والملك روجر الثاني حتى هذا الحين ظلت طبيعية وقد أبدى البابا حرصا شديدا على عدم تعكير صفوها ، ويبدو ذلك من خلال رفضه لعرض الفريق الروماني الذي يقضي باعلان الحرب ضد الملك والذي أبان كذلك صفاء هذه العلاقة مساهمة هذا الاخير في ترميم كنيسة القديس يوحنا دي اللاتران St Jean de Latran حيث بادر بارسال أعمدة لاصلاح سقف هذه الكنيسة بروما (3) .

والواقع ان النشاط العسكري لابني الملك روجر الثاني ، الفونس وروجر ، وما انجر عنه من تهديد لأملاك البابوية سرعان ما أثار غضب انوسنت الثاني اذ اتصل بكبير نبلاء

---

1) ـ تمكن روجر من فتحها عنوة في 19 اكتوبر بعد حصار دام شهرين كاملين ارجع الى : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 226; Chalondon: op cit., t II, pp. 91-93.

2) ـ أنظر : Chalondon: op cit., t.II, pp 93-95; Falconis: P.L, t.173, p. 1256;

3) ـ أنظر : Chalondon: op. cit., t. II, pp. 95-96.
يذكر فالكون أن البابا رفض الاستجابة لطلب سكان بينفنتو الذي يحثه على قطع علاقاته بالملك روجر الثاني : Falconis: op cit., t. 173, p. 1255.

مدينة روما وهو أويد فرانجيبياني Eude Frangipani وأوعز اليه بتشجيع المتمردين على الملك روجر الثاني وتأليبهم ضده وفي ذات الحين أرسل رسالة الى الفونسو يدين فيها فتوحاته الأخيرة غير أن ابني الملك روجر الثاني أجابا بأن افتتاحه من المدن يتبع من الناحية القانونية أملاك والدهما وعلى اثر هذا الرد أيقن البابا أن أية مساواة محض النورمان على احترام حدود جيرانهم سوف لا تجدي نفعا الأمر الذي جعله يرفض كل تسوية معهم ذلك أنه لما حل الملك روجر الثاني بمدينة سالرنو في منتصف شهر جويلية من سنة 1140م أرسل الى البابا يطلب منه لقاءه ليحسم النزاع الذي دب بينهما حديثا غير أن البابا تجبر واستكبر وأجاب بالرفض البات (1) .

وما زاد تأزم الخلاف بين انوسنت الثاني والملك روجر الثاني السياسة الدينية التي انتهجها هذا الأخير في صقلية وجنوب ايطاليا . وفي الحقيقة سار الملك روجر الثاني وفق سياسة دينية مستقلة استقلالا تاما عن البابوية اذ لم يدر مؤسساته الدينية الا بما يتفق مع رغبته ومصالحه .

وقد تمادى الملك روجر الثاني كثيرا في انتهاك حرمة البابوية اذ كان يمنع على مندوبي البابا الدخول الى ممتلكاته كما لم يسمح لاساقفة مملكته بالذهاب الى روما عند استدعاء البابا لهم وكان ان أدان البابا بشدة هذه التصرفات ورد عليها بأن رفض رفضا باتا تكريس الاساقفة الذين عينهم الملك روجر الثاني في صقلية الأمر الذي أحدث غضبا شديدا في نفس الملك (2) . ولا شك أن هذا الاجراء البابوي كان ايذانا بانفصام أقوى سند لهما مما جعلهما لقمة سائغة أمام أعدائهما المحدقين بهما . ففي سنة 1142م فوجئ انوسنت الثاني بثورة قام بها سكان تيفولي ضده وامتزت من جرائها أركان البابوية ومع ذلك فلم يحرك الملك روجر الثاني ساكنا لانقاذها واضطر البابا الى عقد معاهدة غير مشرفة مع المتمردين عليه بعد أن مني أمامهم بهزيمة نكراء (3) . ومما

---

1) ــ أنظر : Falconis: Migne, P.L, t. I73, p. 1257; Chalondon: Hist. t II: p. 96.

2) ــ أنظر : عن بعض تفاصيل سياسة روجر الدينية ارجع الى : Chalondon: op cit., t II, pp. I08-110.

3) ــ أنظر : Chalondon: op. cit., pp 110-111.

زاد كذلك من سعة هوة الخلاف بين البابوية والنورمان اقدام الملك روجر الثاني على انشاء عملة جديدة في مملكته ومحاولته فرض هذه العملة على مدينة بينفنتواذ أن انوسنت استنكر هذا الاجراء وما أحدثه من مجاعة ومصائب في ايطاليا الجنوبية فأرسل الى الملك سفارة يخبره برفضه لهذه العملة وبأن ايطاليا ليست معنية بما تماما (1) ، وهكذا ظلّ الجفاء سائدا بين الملك روجر الثاني وانوسنت الثاني الى أن توفي هذا الاخير في يوم 24 سبتمبر سنة 1143م .

وفي 26 سبتمبر اعتلى كرسي البابوية أحد الموالين لانوسنت الثاني وهو سلتين الثاني ، Celestin (2) . وفي الواقع لم يكن سلستين أقل عنادا من سلفه اذ لم يكد يتولى منصبه حتى أعلن بكل شدة عن عدم اعترافه بالمعاهدة التي أبرمها انوسنت مع الملك روجر الثاني (3) وكان أن أثار هذا الموقف الجرئ غيظ الملك روجر الذي لم يلبث أن بعث بجيشه لمهاجمة أملاك البابوية فعاث في أراضي د يرمونت كاسينو فسادا وخرابا وبسط يده على أموال رهبان هذا الدير كما أتم عملية اخضاع الاعمال التابعة لامارة كابوا ثم أغار على مدينة بينفنتو وذلك حتى يحمل البابا على طلب الهدنة (4) . وهكذا باتت البابوية في وضع لا تحسد عليه . ولما رأى البابا سلستين الذي أخطأ في تقديره لقواته ، استفحال أمر الفتنة في روما من جهة وعجزه عن مواجهة النورمان من جهة أخرى بادر بارسال سفارة الى بالرمو في شتاء سنة 1144م قصد التفاوض مع الملك روجر الثاني (5) غير أن هذه المفاوضات لم تكد تبدأ حتى تنامى

---

1) ـ أنظر : Falconis: Migne, P.L, t. I73, pp 1258-1260.

2) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon, VII,1, p. 227; Fliche: Hist., t.9, 1ère par., p. 87; Mourret: op cit., pp. 357-358; Amann: op cit., VII, 2e par., p. I959.

3) ـ أنظر : Romualdi: op cit., VII, 1, p; 227; Héféle: op cit., t. V, 1ère, part., p. 796; Mourret: op cit., p. 358; Chalondon: Hist., t.II, p. 112.

4) ـ أنظر : Chalondon: loc. cit.

5) ـ أنظر : Chalondon: Hist., t.II, p. 112.

الى الملك نبأ وفاة البابا سلستين وتعيين شخص آخر محله وهو البابا لسيوس الثاني Lucius II (1).

وقد استبشر الملك روجر الثاني خيرا بهذا التعيين الجديد لما كانت تربطه مع هذا البابا من علاقات طيبة ووطيدة حتى هذا الحين وقد علّق الملك روجر الثاني عليه آمالا عريضة لتصفية الأزمة القائمة بين البابوية والنورمان وعلى هذا أرسل اليه وفدا يلتمس منه عقد لقاء معه . ولم يلبث البابا أن استجاب لطلب الملك فتم اللقاء بينهما بمدينة كبرانو في مطلع شهر جوان وقد استغرقت المحادثات خمسة عشر يوما أظهر كل واحد منهما خلالها تشبثا شديدا بمواقفه مما أدى الى فشل هذه المفاوضات فشلا ذريعا ويذكر رموالد السالرني أن سبب هذا الاخفاق يعود بالدرجة الأولى الى تعصب الكرادلة الذين مارسوا ضغطا شديدا على البابا الأمر الذي أثار ثائرة الملك روجر الثاني فقرّر العودة الى صقلية (2).

كانت نتيجة فشل هذه المفاوضات أن أمر الملك روجر الثاني بمهاجمة الأراضي البابوية وفي هذه الاثناء كانت روما مرتعا لمشاكل خطيرة تسببت فيها الارستقراطية الرومانية وهكذا تعذر على البابا الانصراف الى مواجهة النورمان وأمام خطورة الوضع

---

1) – توفي سلستين في يوم 8 مارس عام 1144م بينما اعتلى لسيوس عرش البابوية في 12 مارس سنة 1144م ارجع الى : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p 227; Héféle: op cit., V, 1, p. 796; Chalondon: op cit., t.II, p. 113; Léo et Botta: op cit., I, pp. 309-310.

2) – أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 228, Héféle: op cit., V,1, p. 796; Chalondon: op cit., t. II, pp. 113-114.

ويشير موري Mourret الى أن البابا لسيوس رغم علاقته الطيبة مع الملك روجر فقد اظهر بادئ ذي بدء نيته في رفض معاهدة ميتيانو المبرمة بين الملك روجر وانوسنت ارجع الى : Mourret: op cit., p. 359.

البابوية التي اضحت بين فكي الكماشة بادر لسيوس بعقد معدنة مع ابني الملك روجــــر الثاني ، ألفونس وروجر (1) ، مدتها سبع سنين وبموجبها تعهد الأميران بعدم غـــزو ممتلكات البابوية كما تم رسم الحدود الفاصلة بين مملكة النورمان شمالا وأملاك البابويـــة بشكل نهائي ، على أن الملك روجر الثاني رفض بادىء ذي بدء التوقيع على هذه المعدنة لكنه لما توفي ابنه الفونس في أكتوبر سنة 1144 م تراجع عن موقفه وأبرم المعاهـــــدة مع البابا لسيوس (2) .

وفي أيام البابا يوجين الثالث Eugene III (3) . تحسنت العلاقة بين البابويـــة والنورمان اذ شهدت سنة 1149 م تقاربا كبيرا بين البابا يوجين والملك روجر الثانـــي ويرجع سبب هذا التطور الى الأخطار التي اضحت تهدد الفريقين البابوي والنورمانـــي فمن جانب البابوية فقد كانت تعاني الأمرين من تمرد الارستقراطية الرومانية عليهـــا وبالتالي كان لزاما عليها أن تحالف النورمان ليزودوا عنها هذا الخطر وأما الملك روجـــر الثاني فكان ينظر الى التحالف الذي تم بين الامبراطوريتين الألمانية والبيزنطيـــة ــ (1143 ــ 1149) بعين ملؤها الحيرة والغضب اذ ايقن هو الآخر أن مصادقـــة البابا يوجين أمر ضروري وأكيد لاحباط هذا التحالف الدولي (4) .

---

1) ــ أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 226; Chalondon: Hist., t. II, pp 114-115; Héféle: op cit., V, 1, p. 796; Mourret: op cit., p 359.

2) ــ عن المكتسبات الاقليمية التي حازها النورمان بموجب هذه المعاهدة ارجع الـــى : Chalondon: op cit., t. II, pp. 115-116.

3) ــ تولي كرسي البابوية في يوم 27 فبراير سنة 1145 م خلفا للبابا لسيوس الذي لقي مصرعــه في يوم 15 فبراير من نفس السنة بعد أن جرح أثناء حصاره لاعدائه في رومـــا . ويفيد هيفال Héféle أن سبب اعلان الاستقراطية الثورة على لسيوس هـــو المعاهدة التي أبرمها هذا الاخير مع النورمان . ارجع الى :

Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 228; Chalondon: op cit., t. II, p. 117; Mourret: op cit., p. 360; Héféle: op cit., V, 1, p. 797; Fliche: Hist., de l'eglise, t.9, 1ère par., p. 88; Léo et Botta: op cit., t. I, p. 310.

4) ــ أنظر : Chalondon: op cit., t.II, pp 117-118; Fliche: Hist., t.9, 1ère part., pp. 88-90; Jordan: L'Allemagne: IV, 1, p. 38.

ويفيد رموالد السالرني أن البابا يوجين استقبل وفدا من قبل الملك روجر الثاني (1) بمدينة تيفولي في ربيع سنة 1149 م وعقد معه هدنة مدتها أربع سنوات وأكد البابا بموجبها حق الملك روجر الثاني في تمثيل البابا في سائر أنحاء مملكة صقلية وجنوب ايطاليا هذا ويتعهد الملك بامداد البابا بالمال والرجال لدحر واخماد المعارضة الرومانية (2) ووفاء بعهده بادر الملك روجر الثاني بارسال كتائب من جيشه الى البابا الذي لم يلبث أن شن هجوما عنيفا على روما فتمكن في يوم 28 نوفمبر عام 1149 م من دحر المعارضة الرومانية والدخول الى المدينة ظافرا (3) وكان الملك روجر الثاني يتوقع أن مساندته للقضية البابوية ستحمل يوجين على ابرام اتفاق نهائي معه يعترف بموجبه بحقه في السيادة على كل فتوحاته في جنوب ايطاليا غير أن البابا خيب ظنه حيث لم يبد أية محاولة في هذا الشأن بل لعله لم يفكر في ذلك تماما (4) .

وفي سنة 1150م قرر الملك روجر الثاني تعزيز علاقاته مع البابا يوجين الثالث ، وسبب ذلك ما كان يجري من تحالف وتشاور بين الامبراطوريتين البيزنطية والألمانية غايته القضاء على مملكته بجنوب ايطاليا وفي شهر جويلية من نفس العام عقد البابا يوجين والملك روجر الثاني اجتماعا في مدينة كبرانو . وقد أظهر الملك روجر الثاني خلاله تساهلا واعتدالا غريبين حيث تنازل عن حقه في تمثيل البابا بجنوب ايطاليا وكذا عن حقه في تعيين الاساقفة داخل مملكته وكان الملك روجر الثاني ، لقاء هذه التنازلات ، يريد نيل اعتراف البابا بحقه في السيادة على ممتلكاته ما يضفي شرعية على حكمه

---

1) ـ أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 230.

2) ـ أنظر : Chalondon: Hist., t.II, p. II9; Fliche: t.9, 1ère par., p 89; Jordan: L'Allemagne, t. IV, 1ère par., p. 39.

3) ـ أنظر : Fliche: op cit., t.9, 1ère par., p. 89; Amann: op cit., t.V, 2 par., p. 1491; Jordan: Loc. cit., Léo et Botta; op. cit., t. I, p. 310; Chalondon: loc. cit.

4) ـ أنظر : Chalondon: op cit., t.II, pp 119-120.

ويرجع سبب الحاحه على نيل هذا الحق ما أفادته الأخبار من عزم الامبراطور الألماني كونراد على شنّ حملة واسعة ضد مملكة النورمان بجنوب ايطاليا غير ان البابا ، الذي كان يأمل زوال سلطان النورمان بهذه المنطقة ، رفض الاذعان لطالبه رفضا باتا وذلك لما قد تحدثه حملة كونراد من تحولات هامة بايطاليا الجنوبية (1) .

كانت نتيجة هذا الرفض أن بادر الملك روجر الثاني في يوم 3 أفريل سنة 1151 بتتويج ابنه وليم دون أن يستشير أو يطالب موافقة البابا (2) . وقد تلقى البابا غيضا لهذا التصرف ورد عليه بأن ألقى كل ثقله على الامبراطور الألماني كونراد معلنا تأييده لسياسة الايطالية والألمانية معا . وعلى اثر ذلك أوفد البابا سفارة الى كونراد يستنجد به لكسر شوكة النورمان ، على أن كونراد لم يلبث أن استجاب لدعوته حيث أخذ يضاعف جهوده لاعداد مستلزمات الحملة ، كما اتصل بالبيزيين (البيزانيين) يطلب منهم امداده بالمعونة اللازمة غير أن الجهود كلها لم تجد نفعا لانه في الوقت الذي كانت فيه الحملة على وشك الانطلاق توفي الامبراطور كونراد (15 فبراير عام 1152 م) فتوقف مشروع الحملة ضد ايطاليا الجنوبية وارتاح الملك روجر الثاني مرة أخرى من شر وثبة البابوية وحلفائها الانقضاض عليه (3) .

وهكذا ضاعت من أيدي البابوية فرصة ثمينة لتأديب الملك روجر الثاني لكنها لم تستسلم للأمر المقضي اذ أنها لم تلبث أن أخذت تعمل على كسب خليفة كونراد وهو فردريك بوبرسا Frederic Barbarousse * . وسرعان ما دخلت البابوية في مفاوضات مع

1) أنظر : Chalondon: op cit., t.II, pp 120-121; Jordan: L'Allemagne, t.IV, 1ère par., p. 41; Fliche: Hist., t. 9, 1ère par., p.90.

2) أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1ère par., p. 231; Fliche: Hist., t.9, 1ère par., p.90. Chalondon: op. cit.,p153;

3) أنظر : Romualdi: op. cit., p 232, Fliche: loc cit.

* ولد في حوالي سنة 1122 م ، ينتمي الى عائلة الهوهنشتاوفن الالمانية سمي بربروسا Barbarousse نسبة الى لحيته الشقراء ، عين ملكا على ألمانيا في 5 مارس سنة 1152 م وتوج في اكس لاشابيل Aix la Chapelle بألمانيا في اليوم التاسع من نفس الشهر ، وتوج كذلك في بافيا (شمال ايطاليا) في يوم 15 أفريل سنة 1155 م وأثناء حكمه سعى جاهدا للتوفيق بين عائلته والاسرة المعارضة لها وولف Welf . وقد غرق في نهر سيلاف Selef بآسيا الصغرى في يوم 10 جوان 1190 م أثناء توجهه على رأس الحملة الصليبية الألمانية . أنظر:
Gde Encyclopédie: t. I8, pp 84-85.

فردريك توجت في يوم 23 طرس من عام 1153 م بعقد اتفاقية سميت في التاريخ الأوربي " بمعاهدة كونستانس "Traite de Constance" كانت نتيجتها تكريس الاتفاق والتحالف بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية ضد مملكة النورمان بجنوب ايطاليا ومن جملة ما نصت عليه هذه المعاهدة أن لا يتعامل الامبراطور فردريك مهما كانت الأحوال مع الملك روجر الثاني دون موافقة البابا على ذلك (1) . وهكذا ظل الصراع سجالا بين البابوية والنورمان الى أن توفي الملك روجر الثاني في يوم 26 فبراير من سنة 1154م .

ومهما يكن من أمر هذا الصراع ، الذي استمر أثناء حكم وليم الأول (1154 — 1156 م) بن الملك روجر الثاني وخليفته ، فانه يعتبر مظهرا من مظاهر الصراع بين السلطتين الزمنية والروحية والذي طبع العصور الوسطى الأوربية بطابعه الخاص . والواقع أن هذا الصراع يبرز من جهة مدى تطلع النورمان الى التحرر من سلطة البابوية التي تعد أقوى السلطات في أوربا آنذاك ومن جهة أخرى فانه يبين مدى اهتمام البابوية بالجوانب السياسية للحياة كما يكشف عن مهارتها الدبلوماسية وحنكتها السياسية وقدرتها على استغلال الظروف الدولية وموازين القوى لصالحها حتى صارت طرفا مهيبا يحسب له ألف حساب .

---

1) — عن بعض تفاصيل هذه المعاهدة ارجع الى :
Chalondon: Hist., t.II, pp. I53-I54; Jordan: L'Allemagne, t. IV, 1ère par., pp. 50-51; Fliche: Hist., de l'eglise, t.9, 1ère par., p. 90; Idem, 2e par., p. 8.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

النورمان وبيزنطة (1018 ـ 1154م)

بداية العلاقة بين النورمان و بيزنطة (1018م).

ـ جسكارد والامبراطور الكسيوس كومنينوس (1081 ـ 1118م).

ـ بوهمند والامبراطور الكسيوس خلال الحملة الصليبية الأولى (1097 ـ 1108م).

ـ العلاقات بين النورمان و بيزنطة حول المسألة الانطاكية (1108 ـ 1154م).

أ) مع الامبراطور الكسيوس كومنينوس (1108 ـ 1118م).

ب) مع الامبراطور يوحنا كومنينوس (1118 ـ 1143م).

ج) مع الامبراطور مانويل كومنينوس (1143 ـ 1154م).

ـ العلاقات بين النورمان و بيزنطة حول جنوب ايطاليا (1118 ـ 1154م).

أ) الامبراطور يوحنا كومنينوس وجنوب ايطاليا (1118 ـ 1143م).

ب) الامبراطور مانويل كومنينوس والملك روجر الثاني (1143 ـ 1154م).

بداية العلاقة بين النورمان و بيزنطة (1018م):

تعتبر العلاقات البيزنطية النورمانية صفحة هامة في التاريخ الاوربي الشرقي والغربي على السواء لما كان لها من انعكاسات كبيرة و عميقة على الصعيدين السياسي والعسكري. وقد تميزت هذه العلاقة بالتقلبات الدائمة واصطدام المصالح والعداء المتبادل بين النورمان والبيزنطيين حتى أضحت نموذجا غريبا في تاريخ العلاقات الدولية في اوربا العصور الوسطى.

و تعود بداية هذه العلاقات الى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى حيث وطئت أقدام النورمان أرض ايطاليا الجنوبية. وقد اعتبرت بيزنطة ظهور النورمان على الساحة الايطالية وما قاموا به من فتوحات بها، اعتداء سافرا على سيادتها مما جعلها تعمد الى مواجهته بكل جدية وفعالية.

وكانت أول معركة اشترك فيها النورمان، الى جانب السكان المحليين، ضد البيزنطيين هي التي وقعت في سهول كان Cannes بأبوليا سنة 1018م، سجل خلالها البيزنطيون انتصارا حاسما. على أن النورمان لم يلبثوا أن تضاعف عددهم على مرّ الايام في ايطاليا الجنوبية فاشتد بأسهم وازدادت أطماعهم التوسعية الأمر الذى أدى ببيزنطة الى تجنيد كل طاقاتها لتقليم أظافرهم. فدخلت بذلك معهم في صراع مرير/ دام قرابة نصف قرن انتهى بانهزام قواتها وسقوط مدينة بارى عام 1071م بيد النورمان، وهي آخر معقل لها بجنوب ايطاليا[1].

(1) لمزيد من التفاصيل عن الحروب التي دارت بين بيزنطة والنورمان في ايطاليا الجنوبية ارجع الى: Chalondon: Hist. de la domination, t. I, pp 42 et sui.; Gay: L'Italie, pp 399 et sui.; Laprimandaie: Arbes et normands, pp 169 et sui.

ولم يؤد استيلاء النورمان على أغلب أجزاء ايطاليا الجنوبية الى القطيعة بين هؤلاء الغزاة والبيزنطيين اذ كان لذيوع صيت النورمان في مجال الحرب والطعان أن أقنعت بيزنطة على استخدامهم في صفوف جيشها علّهم يساعدونها على محاربة أعدائها وفي مقدمتهم الأتراك السلاجقة(*).

واشتهر من بين هؤلاء النورمان المرتزقة رجل اسمه روسل باليل Roussel de Bailleul (Urselle) الذي عرف بشجاعته الباهرة وطموحاته الواسعة حتى نال منزلة عالية في بلاط وجيش الامبراطورية البيزنطية(1)، على أن روسل لم يلبث أن سوّلت له نفسه العمل على اقامة امارة مستقلة لنفسه في الأناضول (آسيا الصغرى) مستغلا في ذلك الحرب الدائرة بين السلاجقة والبيزنطيين .

وفي سنة 1073م ثار روسل على بيزنطة فبسط نفوذه على المناطق المحيطة بتوقية وأنقرة وكان أن غضب الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع Michel VII (1071-1078م) لهذا العصيان فأنفذ لتأديبه جيشا بقيادة يوحنا دوقاس Jean Doucas غير أن روسل استطاع أن ينزل بالجيش البيزنطي هزيمة نكراء وأن

---

(1) عاشور : الحركة الصليبية ، ج 1 ، ص 95 ، الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص 335 ، وأيضا : Schlumberger (Gustave): Deux Chefs normands des armées byzantines au 11e Siècle, in Revue Historique, t. 16, pp 292-298; Grousset: Hist. des croisades et du royaume franc de Jérusalem, introduction, t. I, p. XXXIV.

(*) السلاجقة فرع من الاتراك الغز نسبوا الى جدهم الاول سلجوق بن تقاق ، كان موطنهم الاول تركستان ثم استقروا قرب بخارى ، حيث اعتنق سلجوق الاسلام ، وتبعه قومه ونجح أحد أفراد هذا البيت وهو سليمان بن قتلمش في اقامة دولة سلجوقية على حساب البيزنطيين في آسيا الصغرى منذ عام 1078م/470 هـ وسميت دولة سلاجقة الروم . ارجع الى : عاشور : الحركة الصليبية ، ج 1 ، ص 73-74 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ص 47 ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج 12 ، ص 24-37 .

بأسر القائد يوحنا نفسه (1). وكانت نتيجة هذه المعركة أن استفحل أمر روسل وبلغ من القوة ما جعله يفكر في مهاجمة القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية نفسها .

ولما كان روسل في حاجة الى من يعترف بشرعية فتوحاته بادر بتعيين يوحنا دوقاس امبراطورا على بيزنطة ومقره في نيقوميديا Nicomedie بآسيا الصغرى. وقد أوجس الامبراطور ميخائيل خيفة من هذه المبادرة فاستنجد بالسلاجقة الذين أبرموا معه اتفاقية سنة 1073م كان لها أثر كبير في تدعيم نفوذ واقدام السلاجقة في آسيا الصغرى. وسرعان ما أخذ السلاجقة في تطويق روسل فاستطاعوا كسر شوكته والقبض عليه مع يوحنا دوقاس(*)، غير أن روسل لم يلبث أن افتدى نفسه بالمال لكن بعدما فقد جميع فتوحاته ما عدا رقعة ضيقة من الارض قرب سواس Siwas (2).

ورغم هذا كله فقد واصل روسل هجوماته على أراضي الامبراطورية مما جعل ميخائيل السابع يكلف أحد قواده اللامعين ألا وهو الكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus بالقضاء عليه ، غير أن روسل لم يلبث أن وقع

---

(1) عاشور: الحركة ، ج 1 ، ص 35 ، الباز العريني : نفس المرجع ، ص 385 . وايضا
Brehier (L.): Vie et mort de byzance, pp 233-234; Grousset: op cit., t.I, intrd., pp XXXIV-XXXV; Chalondon: Essai sur le regne d'Alexis 1er, p. 28; Schlumberger: Deux Chefs normands, in Revue Hist., t. 16, pp. 298-299.

(2) عاشور: الحركة الصليبية ، ج 1 ، ص 36 ، وانظر أيضا :
Schlumberger: Deux Chefs normands, in Revue Hist., t. 16, pp. 299-300; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 234; Chalondon: Essai sur le regne d'Alexis 1er, p. 29.

(*) اشترى سراحه الامبراطور ميخائيل من السلاجقة . انظر :
Schlumberger: Deux Chefs normands, in Revue Hist., t.16, p. 300.

في قبضة السلاجقة ومقابل مبلغ معتبر من المال تسلم الكسيوس روسل منهم فساقه الى القسطنطينية مغلولا مخذولا . ودون قائد أتبل رجال روسل على الاستسلام لبيزنطة دون قيد أو شرط(1).

وفي الحقيقة تعتبر حركة روسل وما أحدثته من قلاقل لبيزنطة أول محاولة نفذها رجال من الغرب للاستيطان في الشرق الادنى ابان القرن الحادي عشر الميلادي(2).

جسكارد والامبراطور الكسيوس كومنينوس (1081-1118م):

ولم تكن ثورة روسل خاتمة المتاعب التي كان يثيرها النورمان في وجه بيزنطة ذلك أن النورمان لم يقنعوا بطرد البيزنطيين من جنوب ايطاليا بل أخذوا يتطلعون الى مدّ نفوذهم الى ممتلكاتهم الواقعة وراء بحر الادرياتي(3) واكثر من هذا كان زعيمهم جسكارد يطمح الى الاستيلاء على عرش القسطنطينية ذاته(4). ولا شك ان لأطماع

---

(1) محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص 256، عاشور: الحركة، ج 1، ص 56، وأيضا: Brehier: Vie et mort de byzance: p. 234; Grousset: op cit., I, introd., p. XXXV; Chalondon: Alexis 1er, pp. 29-31; Schlumberger: Deux Chefs normands, in Revue Hist., t. I6, pp 300-30I.

يشير برهييه Brehier الى أن روسل بالرغم زج به في السجن ولبث فيه الى أن وافته المنية في حين يؤكد شالاند وشلومبيرجير ان ثورة قام بها احد قادة جيش الامبراطورية فافرج عنه ميخائيل السابع ليساعد الكسيوس على اخمادها: ارجع الى:
Brehier: loc. cit., Chalondon: op. cit., p. 34; Schlumberger: Deux Chefs normands, in Revue Hist., t. I6, p. 30I;

(2) عاشور: الحركة، ج 1، ص 57، وانظر ايضا: Grousset: loc. cit.

(3) أنظر: Yewdale: Bohemond I prince of autioche, p. 9; Chalondon: Hist. de la domination, t.I, p. 258; Idem: Alexis 1er, p 59.

(4) الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص 876-877، وانظر ايضا: Leib: op cit., p. I72.

جسكارد في أملاك بيزنطة دافعا سياسيا هاما .وقد كان جسكارد يرى أن بيزنطة تشكل المصدر الأساسي للاضطرابات المستمرة التي صارت ايطاليا الجنوبية مرتعا لها لأن بيزنطة ، بحكم تمسكها بحقها في ايطاليا الجنوبية ، لم تدخر جهدا لمساعدة المتمردين على سلطته ومن ثم غدت شواطئ ايليريا Illyrie (*) مأوى للخارجين عليه وعلى هذا اعتقد جسكارد انه لا يمكنه الحد من هذه الفتن الداخلية الا اذا استولى على هذه الشواطئ[1]، وثمة عامل آخر شجع جسكارد على التطلع نحو عرش الامبراطورية البيزنطية هو سعي بيزنطة الى التقرب من جسكارد . وكانت بيزنطة ترمي من وراء هذه المحاولة الى تحقيق هدفين أساسيين ، أولهما ابعاد خطر جسكارد عن أراضي الامبراطورية ، وثانيهما الاستعانة بسواعد النورمان لمحاربة السلاجقة في آسيا الصغرى[2].

وقد اختارت بيزنطة ، لكسب ودّ وصداقة النورمان ، أسلوب المصاهرة . وكان أول من انتهج هذه السياسة هو الامبراطور رومانوس الرابع ديوجينيوس Romainus Diogenius IV (1068-1071م) حيث طلب من جسكارد يد ابنته للزواج من أحد ابنائه لكن المشروع باء بالفشل بمجيء الامبراطور ميخائيل السابع الذي أمر بايقاف المفاوضات بين النورمان والبيزنطيين[3] الا أن ميخائيل

---

(1) الباز العريني :الدولة البيزنطية، ص 877، وانظر أيضا : Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 258-259.

(2) عادل زيتون :العلاقات السياسية والكنيسة، ص52-53، الباز العريني :الدولة البيزنطية ، ص 877، وايضا : Leib: op. cit., p. I74; Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 260; Idem: Alexis 1er, p. 61.

(3) عادل زيتون : نفسه ، ص 52 ، وانظر أيضا : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 260; Idem: Aexis 1er, pp. 61-62.

(*) الشواطئ الشرقية لبحر الادرياتي .

لم يلبث أن سار على منوال سلفه حيث بادر في حوالي عام 1073م بارسال وفادة الى جسكارد يطلب منه يد ابنته للزواج من ابنه قسطنطين Constantin لكن جسكارد أجاب بالرفض (1)، على ان ميخائيل لم يلبث أن جدّد طلبه لجسكارد ، لكن هذه المرة التمس يد العروس لابنه قسطنطين . فاستجاب جسكارد لطلبه وأبرمت بينهما معاهدة في شهر اوت سنة 1074م تضمنت خطبة ابنة جسكارد كما كرّست التحالف السياسي بين ميخائيل وجسكارد حيث تعهد هذا الاخير بموجبها بعدم الاعتداء على الامبراطورية وكذلك بحمايتها ضد اعدائها اذا طلبت منه ذلك وعلى كل فان هذه المعاهدة تدل بشكل واضح على اعتراف بيزنطة ضمنيا بشرعية فتوحات جسكارد بجنوب ايطاليا وتنازلها عن حقوقها بهذا الاقليم كما تبين من جهة أخرى الضعف الذي في جسم الامبراطورية البيزنطية في هذه الحقبة . وبين سنتي 1075ـ1076م التحقت بنت جسكارد وهي صغيرة السن ببلاط القسطنطينية كخطيبة لقسطنطين ، بعد أن أخذت اسما اغريقيا هو هلانه Helene (2).

اعتقدت بيزنطة انها اكتسبت بفضل هذه المصاهرة حليفا قويا دون أن تعمل أي حساب لنوايا جسكارد التوسعية . وفي الواقع ان هذه السلالة الحسيمة

---

(1) عن فحوى الرسالة التي أرسلها ميخائيل في هذا الشأن الى جسكارد ارجع الى :
Leib: op cit., p. I72; Chalondon: Hist., de la domination, I, pp. 260-263; Yewdale: op cit., p. IO.

الباز العريني : الدولة البيزنطية، ص 277ـ378 .

(2) أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1ère par., p. I89 .

عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنيسة ، ص 53، الباز العريني : الدولة البيزنطية، ص 378، وانظر أيضا ; Leib: op. cit., pp. I72-I74; Yewdale: Bohemond, p. IO; Chalondon: Hist., de la domination, I, p. 264; Idem: Alexis 1er, pp. 61-62; Delarc: St Grégoir, III, p. I47.

أوجدت لجسكارد مبررا قويا لمدّ يده الى عرش الامبراطورية البيزنطية . وقد تهيأت له هذه الفرصة حينما أطاح القائد بوتانياتس Botaniates في مارس عام 1078م بالامبراطور ميخائيل وأرسل هلانه ابنة جسكارد الى أحد الاديرة . وقد قرر جسكارد عندئذ ، بحجة انقاذ ابنته وصهره قسطنطين ، التوجه بقواته الى بيزنطة لكن تمرد بعض مدن ايطاليا الجنوبية عليه أدى به الى تأجيل رحيله (1).

وفي الوقت الذي كانت فيه التحضيرات للحملة ضد بيزنطة تجري على قدم وساق أي في نهاية عام 1080م وبداية 1081م أرسل جسكارد الكونت راوول Comte Raoul الى بوتانياتس ليقدم له احتجاجا عما أصاب ابنته وصهره قسطنطين من اهانة وجور . على ان هذا الاحتجاج (2) في الواقع ما هو الا تمويه على الغرض الحقيقي من زيارة الكونت لأن ما كلّف به هذا الاخير كان محاولة كسب تأييد أحد الموظفين السامين في ادارة الامبراطورية وهو الكسيوس كومنينوس ، ولعلّ ذلك كان أيضا لاستمالة القادة النورمان الذين هم في خدمة الامبراطورية البيزنطية . غير أن جهود الكونت في هذا المضمار انتهت الى الفشل (3).

---

(1) أنظر: Romualdi: Chronicon, VII, 1ère par., p. I90; Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, p. 326; Leib: op cit., p. I74; Yewdale: op cit., p I0; Chalondon: Alexis, p. 63; Idem: Hist. de la domination, I, p. 265; Delarc: St Grégoire, III, p. 526.

(2) عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنيسة، ص 55 ، وانظر أيضا : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 265.

(3) أنظر: Chalondon: Hist. de la domination, I, pp. 265-266; Idem: Alexis, p. 64.

ولتعزيز شرعية هجومه على القسطنطينية اخترع جسكارد قصة في غاية الدهاء والمكر، اذ أحضر رجلا اسمه راكتور Rector الى ابوليا وادّعى انه الامبراطور ميخائيل السابع جاء اليه ليستعين به على استرجاع عرشه المغتصب وكان ان قدّمه جسكارد الى البابا جريجوري السابع الذي لم يلبث ان بارك مشروعه فأمر أساقفة ابوليا بالتبشير بحركته وهذا في جويلية عام 1080م، عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنيسة، ص 54-55، الباز العريني : الدولة البيزنطية، ص 379، وأيضا : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 265; Idem: Alexis, p. 63; St Gregoire, t. III, p. 528.

وفي مطلع عام 1081م شهدت بيزنطة انقلابا عسكريا أدى الى عزل الامبراطور بوتانياتس واعتلاء القائد الكسيوس كومنينوس(*) عرش الامبراطورية. وقد استبشرت به الأوساط السياسية البيزنطية خيرا لما رأت فيه من الكفاءة والقدرة على تحسين الأوضاع المأساوية التي باتت فيها الامبراطورية(1).

وعلى اثر هذا الانقلاب تلقى جسكارد خبرا يفيده بأن ابنته هلانه وصهره قسطنطين يحظيان بالاحترام اللائق بهما في بيزنطة كما أخبره رسوله راوول أن ميخائيل السابع الذي لجأ اليه واستنجد به ضد المغتصبين لعرشه ما هو الا ماكر ومحتال وانه شاهد بأم عينيه ميخائيل الحقيقي في أحد الاديرة بالقسطنطينية وكانت نتيجة هذه الأخبار أن غضب جسكارد، لأنها تقضي على

---

(1) الباز العريني : الدولة البيزنطية، ص 598، وانظر أيضا :
Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 266; Yewdale: op cit., p. I3.

(*) ولد الكسيوس عام 1048م وهو من قرية كومنه Comne الواقعة بقرب أدرنه Andrinople (في تركيا) ينحدر من احدى كبريات الاسر الاقطاعية بآسيا الصغرى درس في القسطنطينية فنال حظا وافرا من العلوم الانسانية والدينية. وقد أظهر شجاعة ومهارة حربية فائقتين خلال المعارك التي خاضتها الامبراطورية البيزنطية ضد الاتراك السلاجقة لا سيما ضد النورماني روسل. تولى الحكم في ظروف صعبة جدا خلفا للامبراطور نقفور الثالث بوتانياتس، ويعتبر اعتلاؤه العرش انتصارا للارستوقراطية العسكرية تميز بصفات أثلجت صدور معاصريه اذ كان رجلا وسيما ماكرا وعنيدا شديدا على معانديه ضابطا لأموره. وكان على جانب كبير من المهارة الدبلوماسية والحنكة السياسية فضلا عن كفاءته الفائقة في تدبير شؤون الحكم والادارة.

أنظر: Matlhew d'Edesse: Chronique in R.H.C., arm, I, p. 124; Diehl: Histoire de l'empire byzantin, p. I40; Chalondon: Alexis, pp. 21-22, 24-25; Gde Encyclopédie, t. 2, p. 136.

محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص 256.

المبررات التي تكفل له الحق في التدخل في شؤون بيزنطة(1).

وبالرغم من هذه التطورات فقد واصل جسكارد استعداداته للحملة . وتمهيدا لهذه الحملة أنفذ ابنه بوهمند في مارس عام 1081 على رأس جيش عتيد لاحتلال المواقع المتواجدة على الشاطئ الشرقي للادرياتي وذلك لتحضير نقاط ارتكاز الحملة الرئيسية . وفي وقت وجيز استطاع امتلاك افلونا Avlona وكانينا Canina وهيريتشو Hiericho . ثم خرج جنوبا فبسط يده على مدينة بوترانتو Butrinto الواقعة على البحر البيزنطي المقابل لجزيرة كورفو الواقعة على الساحل الغربي لليونان (2).

وفي منتصف شهر مايو من نفس العام أبحر جسكارد من ميناء اوترانتو على رأس اسطول هائل يقل على ظهره الفا وثلاثمائة محارب ، متوجها به صوب ميناء افلونا القاعدة العامة لنزول القوات (3). ولما علم الامبراطور الكسيوس بمشروع جسكارد أقبل بسرعة على اعداد العدّة للدفاع عن ممتلكاته ، وكانت مدينة دورازو الساحلية Durazzo (Durrachium) هي الموقع الذي حرص الامبراطور

---

(1) أنظر : Chalondon: Alexis, p. 64.

(2) أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. I9I.

وأيضا : عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنيسة ، ص 55 ، وانظر أيضا :
Yewdale: op cit., p. 11; Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 266; Idem: Alexis, p. 72.

(3) ترك حملته في ابوليا ابنه روجر بورصا . ارجع الى : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. I92; Yewdale: op cit., p.11; Diehl: Hist. de l'empire byzantin, p. I50; Chalondon: Alexis, pp. 72-73.

الكسيوس على حمايته ، وذلك الدور الاستراتيجي الذي قد تلعبه في حالة نشوب الحرب بينه وبين جسكارد . وقد عهد بالدفاع عنها الى أحد قادته اللامعين وهو جورج باليولوج Georges Paleologue كما أوعز الى قادته المتواجدين بآسيا الصغرى بحشد جميع قواتهم والمضي بها الى بيزنطة [1].

وفي الحقيقة لم تكن الامبراطورية البيزنطية في وضع يمكنها من مقاومة جيش النورمان وذلك بسبب المشاكل التي كانت تعاني منها في هذه الحقبة[*]، ولذلك بادر الكسيوس بعقد اتفاق مع امبراطور الدولة الرومانية المقدسة الالماني هنري الرابع[**] تعهد بموجبه الكسيوس ، وبصورة عاجلة بدفع مائة قطعة من الحرير الارجواني ومائة واربع واربعين قطعة ذهبية للامبراطور هنري الرابع ومقابل هذه الثروة قطع هذا الاخير عهدا لاكسيوس بغزو ايطاليا الجنوبية وعقب اجتياحه ابوليا سيحصل على مائتين وست عشرة الف قطعة ذهبية أخرى[2] ، ومن جهة أخرى عمد الكسيوس الى تحريض بعض أمراء النورمان ضد جسكارد . وكان ان استجاب لدعوته أميران هما ابيلار Abelard وهرمان Hermann [***]

---

(1) كان يحكم مدينة دورازو قائد اسمه مانوماك Monomaque سحب الكسيوس ثقته منه لانه رفض مساعدته أثناء ثورته ضد بوتانياتس .أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 267; Idem: Alexis, p. 66.

(2) عادل زيتون :العلاقات السياسية والكنسية ، ص 57 ، وانظر أيضا :
Vasiliev: Histoire de l'empire byzantin, t. II, p. 08; Chalondon: Alexis, p. 69; Idem: Hist. de la domination, I, p. 267.

(*) عن المشاكل التي كانت تهدد الامبراطورية البيزنطية وقتذاك ارجع الى :
Chalondon: Alexis, pp 65-67.

(**) كان هنري الرابع يضمر حقدا دفينا لجسكارد لانه سبق أن طلب من هذا الاخير يد احدى بناته للزواج من ابنه كونراد في افريل عام 1080م فرد عليه جسكارد بالرفض. أنظر : Chalondon: Hist. de la dtion, I, p. 267; Idem: Alexis, p. 68.

(***) هما ابنان لهمفري اخي جسكارد ، وقد ثارا ضد عمهما عام 1078م فتوجه ابيلار الى بيزنطة حيث أكرمت مثواه بينما مكث هرمان في ايطاليا الجنوبية، وقد ظل الاميران يترصدان الفرصة لاسترداد حقهما من عمهما جسكارد .ارجع الى : Chalondon: Alexis pp. 67-68; Idem: Hist. de la domination, I, p. 267.

(1)
حيث أخذ منوما وعدا باضرام نار الثورة في ايطاليا الجنوبية حينما يغادرها جسكارد وفضلا عن هذا كله استنجد الكسيوس بمدينة البندقية التي رأت في هذه النجدة فرصة لا تعوض للقضاء على خطر النورمان في بحر الادرياتي (*). وقد تعهدت هذه المدينة بتأييد قوات الامبراطورية بأساطيلها عند الحاجة، ولقاء ذلك نالت من الكسيوس امتيازات واسعة في ربوع الامبراطورية، واخيرا حاول الكسيوس كسب البابا جريجوري السابع لكنه فشل في ذلك بسبب الصلة الوثيقة التي كانت قائمة بين البابوية والنورمان وقتذاك. وهكذا نجح الامبراطور الكسيوس بفضل حنكته السياسية ومهارته الدبلوماسية في تشكيل حلف قوي ضد الدوق النورماني جسكارد (2).

على ان جسكارد اما بلغ ميناء افلونا وجد ابنه قد توجه صوب الجنوب ليحاول الاستيلاء على جزيرة كورفو Corfou لكنه فشل في ذلك. ولم يلبث جسكارد ان التحق به في مدينة بوترانتو، وسارا معا نحو جزيرة كورفو فاستطاعا فتحها دون مشقة كبرى (3). ولعل سهولة وقوع هذه المواضع في ايدي جيش النورمان تجحسل

(1) أنظر: Yewdale: op cit., p I3; Chalondon: Alexis, pp 67-68; Idem, Hist. de la domination, I, p 267.

(2) محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص 225 وايضا: Malaterra: Historia Sicula, apud Muratori, t. V, 1ère par., chap. 26, p. 72; Diehl: op cit., p I50; Yewdale: op cit., p I3; ; Vasiliev: op cit., II, pp. 8-9; Chalondon: Alexis 1er, pp. 68-70; Heyd: Histoire du commerce du Levant, t. I, pp. 116-117.

(3) عادل زيتون: العلاقات السياسية والكنسية، ص 35، وأيضا: Malaterra: Historia Sicula, apud Muratori, t. V, 1ère par., cha. 24, p. 71; Yewdale: op cit., p. I3; Chalondon: Alxis 1er, pp. 72-73; Delarc: St Grégoire III, p. 580.

(*) تعد مدينة البندقية أهم وسيط تجاري بين بيزنطية والغرب الاوربي. وقد ظلت هذه المدينة تنظر بقلق وحذر شديدين تطور خطر النورمان على سواحل بحر الادرياتي والتي عاث فيها النورمان نهبا وخرابا الامر الذي أدى بحاكمها (الدوج Doge) دومينيكو سالفو Dominico Selvo الى اصدار امر حاسم لمدن دالماشيا عام 1075م يقضي بعدم استقبال أو مساعدة اي عنصر نورماني يأوي اليها وكان تجار البندقية يعتقدون ان سيطرة النورمان على شواطئ ايبيريا وبخاصة مدينة دورازو سيؤدي حتما الى غلق باب الادرياتي في وجه اساطيلهم التجارية او على الاقل الى خلق متاعب خطيرة لتجارتهم: عادل زيتون: العلاقات السياسية والكنسية، ص 58 وارجع ايضا الى: Heyd: Histoire du commerce du Levant, t. I, pp. 116-117; Chalondon: Alexis 1er, pp. 70-71.

الباحث ربما يقرّ بوجود تواطؤ بين جسكارد وأهالي هذه المواقع[1].

ومن كورفو اتجه جسكارد بحرا الى مدينة دورازو في حين سلك بوهمسند طريق البر اليها. ومدينة دورازو تعتبر عاصمة اقليم ايليريا ونافذة مفتوحة على اوربا الغربية واحتلال النورمان لها سيضمن لهم السيطرة التامة على شواطىء الادرياتي[2]. وفي يوم 17 حزيران عام 1081م شرع الجيش النورماني في فرض الحصار برا و بحرا على مدينة دورازو[3] على أن قائد المدينة جورج باليولوج سرعان ما اخبر الامبراطور الكسيوس بهذا الخطر لكن الامبراطور في هذه الآونة لم يكن قد أنهى استعداداته ، و بالتالي استغاث الامبراطور بسليمان شاه السلجوقي الذي لم يلبث أن أنفذ اليه قوة عسكرية قوامها سبعة آلاف محارب[4]، وفي هذا الوقت بالذات فوجىء الكسيوس بخبر يفيد بأن جيش جسكارد حلت به هزيمة نكراء امام أسطول البندقية وحامية مدينة دورازو وذلك في حزيرانية عام 1081م وكانت نتيجة هذا الانتصار المفاجىء أن غادر الامبراطور الكسيوس بقواته القسطنطينية في اوت من نفس العام متوجها الى مدينة دورازو لمهاجمة قوات جسكارد من البرّ[5].

---

(1) أنظر: Chalondon: Alxis 1er, p. 73.

(2) أنظر: Heyd: op cit., I, p. 117; Yewdale: op cit.,p. 13; Chalondon: Alexis 1er, p. 73; Delarc: St. Greg., III, p. 580.

(3) أنظر: Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. I92; Heyd: loc. cit.; Chalondon: op. cit., p. 74.

(4) Chalondon: Alexis 1er, p; 74.

(5) Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. V, 1 ère par., cha. 26, p 73; Chalondon: op. cit., pp. 74-75; Heyd: op. cit., I, p; 118.

أشار مالاتيرا الى أن المعركة كانت متكافئة: انظر:

Malaterra: loc. cit.

وكانت هذه الهزيمة بالنسبة للنورمان ضربة قاصمة لما قد يجرّ عنها من عواقب وخيمة لمصالحهم وجهودهم ذلك أن هذه الهزيمة مكّنت البنادقة من قطع خط الرجعة على النورمان ومنع وصول النجدات الآتية من ايطاليا من جهة ومن جهة أخرى أدت الى تدهور سمعة جسكارد في أوساط سكان هذه الجهة باعتباره رجلا شجاعا وقويا مما أدى بهم الى الامتناع عن دفع الجزية التي فرضها عليهم(1).

على أن جسكارد واصل ، رغم هذه الكارثة ، حصاره المدينة مدة ثلاثة أشهر أخرى أصيبت خلالها آلات جيشه الحربية بأضرار جسيمة ، واستبسلت حامية المدينة في الدفاع عنها(2).

ثم ان الكسيوس لم يلبث أن وصل بقواته في 15 اكتوبر عام 1081م الى مرج شرزان Charzane القريب من مدينة دورازو لانجادها . وكان الامبراطور يأمل في بغت جيش الحصار النورماني ولكن جسكارد أخبر بقدومه فأعد عدته للقتال .

وقد اختلف قادة الجيش الامبراطوري في تحديد الاسلوب الناجع لمنازلة جيش جسكارد حيث رأى فريق منهم انه يجب ضرب حصار شديد على معسكر الجيش النورماني آخذا في الحسبان موقعهم السيء بين البحر والمدينة في حين نصح الفريق الثاني بضرورة قتالهم دون تريث . وانصاع الكسيوس للرأى الثاني فأمر جيشه بالتأهب للنزال بعد أن أوعز لقائد المدينة جورج باليولوج بالانضمام الى المعركة اثر اندلاعها(3).

---

(1) عادل زيتون : نفس المرجع ، ص 60 وايضا : Chalondon:Alexis 1er, p. 75.

(2) أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 270; Yewdale: op. cit., p. I5.

(3) أنظر : Yewdale: op. cit., p. I5; Chalondon: Alexis 1er, pp. 78-79.

وفي يوم 18 اكتوبر اندلعت المعركة بين الجيشين الامبراطوري والنورمساني ، بشكل طاحن ، وكان جسكارد قد لجأ الى احراق جميع مراكبه حتى يقضي على كل آمال جنوده في الانسحاب مما جعلهم يبدون بسالة نادرة فتمكنوا اثرها من انزال هزيمة ساحقة بالجيش الامبراطوري الذي فقد ألمع قادته ومن بينهم جورج باليولوج ولاذ الكسيوس بالفرار بعد أن عهد بحماية قلعة المدينة لفريق من البنادقة وبقية المدينة لقائد ألباني (1).

وعلى اثر هذا الانتصار استأنف جسكارد حصاره للمدينة التي يئس سكانها من قدوم أية نجدة من الخارج لاسيما ان الكسيوس فشل في محاولة حشد جيش آخر لاعادة الكرة على جيش النورمان ، وبفضل خيانة أحد البنادقة (*) دخل جسكارد المدينة في 21 فبراير عام 1082م دون أن يتحمل أدنى جهد أو مشقة (2).

(1) أنظر : Malaterra: Historia Sicula, apud Muratori, t. V, 1ère par., cha. 27, pp. 73-74; Guill de Jumiège: op. cit., p. 219;

عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية، ص 60-61 ، وانظر أيضا : Chalondon: Alexis 1er, p. 79; Heyd: op. cit., I, p. 118; Diehl: op. cit., p. I50; Yewdale: op. cit., p. I5; Ostrogorsvy: Histoire de l'Etat byzantin, p. 379.

(2) أنظر : Malaterra: op. cit., apud Muratori, V, 1, chap. 28, p. 74; Yewdale: op. cit., p. I6; Diehl: op. cit., p. I50; Chalondon: Alexis 1er, pp. 83-84; Delarc: St Grég., III, p. 58I; Ostrogorsvy: loc. cit.

(*) اسمه دومينيك Dominic كان مسؤولا عن حراسة أحد أبراج المدينة ولقاء تمكين جسكارد من الدخول الى المدينة تعهد له هذا الاخير بتزويجه من احدى بناته :
ارجع الى : Yewdale: op. cit., p. I6; Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 271; Idem: Alexis 1er, p. 84.

وقد انفتح، بعد سقوط دورازو، طريق التوغل في داخل الاراضي البيزنطية امام جسكارد . وفي مطلع ربيع عام 1082م انطلق شطر القسطنطينية لاحتلال عرشها وبعث خبر هذه المسيرة رعبا وذعرا شديدين في نفوس رعايا الامبراطورية وانضم العديد من الجنود ، والضباط البيزنطيين الى صفوف الجيش النورماني واثناء زحفه ملك جسكارد بكل سهولة العديد من المواقع البيزنطية ، ومن بينها مدينة كاستوريا Kastoria احدى مدن اقليم مقدونيا (1) .

وفي الوقت الذي اعتقد الناس ان سقوط القسطنطينية صار أمرا قريبا ومحتوما وصل رسول من ايطاليا الى جسكارد ، وهو بكاستوريا ، يخبره بتمرد افصاله على حكمه في ايطاليا الجنوبية وفي نفس الحين تلقى من البابا جريجورى السابع رسالة يحثه فيها على القدوم الى روما لمساعدته في صد قوات الامبراطور الالماني التي بلغت أسوار المدينة . وفي الواقع ما صارت تعاني منه ايطاليا الجنوبية في غياب جسكارد لم يكن الا ثمرة لجهود دبلوماسية كان قد قام بها الكسيوس آنفا . وقد اضطر جسكارد الى العودة الى ايطاليا الجنوبية في شهر افريل — او في شهر مايو — من عام 1082م بعد أن عهد بقيادة الحملة الى ابنه بوهمند (2)، وأوصاه بعدم المجازفة بملاقاة البيزنطيين في معركة حاسمة (3) .

---

(1) أنظر: Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 271; Yewdale: op. cit., p16; Grousset: Hist. des croisades, t. I, p. LXI; Delarc: St Grég., t. III, pp. 580-581; Ostrogorsky: op. cit., p. 379.

(2) أنظر: Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. V, 1ère. par., chap. 33, p. 77.

عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية، ص 63—64، وانظر ايضا : Chalondon: Alexis 1er, p. 84; Yewdale: op. cit., p. 17; Grousset: loc. cit., Delarc: op. cit., III, pp. 580-582; Ostrogorsky: loc. cit.

(3) أنظر: Yewdale: op. cit., pp. 17-18.

وقد رأى بوهمند أن الظرف يقتضي الكف عن توغل الجيش شرقا والاقتصار على محاولة اخضاع المواقع البيزنطية المتبقية في الجهة الغربية من الامبراطورية الى حين عودة أبيه جسكارد [1].

وكان أن زحف بقواته من كاستوريا صوب الجنوب الغربي على أمل العثور على قاعدة اسناد شبيهة بدورازو . وفي شهر مايو بلغ مدينة يوانينة Joannina فضرب الحصار عليها ، وحينما علم الكسيوس الذي انكب منذ شهر مارس الفارط على اعداد جيش لمقاومة النورمان صوب وجهتها لكنه انكسر بجيشه أمام أسوارها وتقهقر الى مدينة اشريد Ochride ولم يلبث الكسيوس بعد أن جمع شمل جيشه أن عاود الهجوم على جيش النورمان بقرب مدينة ارطا Arta فمني في نهايته بهزيمة أخرى ساحقة اضطر على اثرها الى الانكفاء عائدا الى القسطنطينية [2].

ولا شك في أن الهزائم التي توالت على جيش الكسيوس قد أدت الى اضعاف هيبته وقوة الامبراطورية البيزنطية وكذلك الى تدهور معنويات الاهالي الذين أصبحوا يتوقعون في كل آونة سقوط عرش آل كومنين الامر الذي دفع الكثير من

---

(1) أنظر : Chalondon: Alexis 1er, p. 85.

(2) أنظر : Malaterra: op. cit., t. V, 1ère par., chap. 39, p. 8I.

عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية ، ص 64 ، وانظر أيضا :
Grousset: op. cit., I, p. LXI, Yewdale: op. cit., pp. I8-I9;
Chalondon: Alexis 1er, pp. 85-87.

يودال Yewdale و عادل زيتون يؤكدان سقوط يوانينة في ايدي بوهمند في حين أن شالندن يشير الى فرض الحصار فقط.

عادل زيتون : نفس المرجع ، ص 64 . وايضا : Yewdale: op. cit., p. I8;
Chalondon: loc. cit.

الرعايا البيزنطيين الى اظهار الولاء لبوهمند وحتى مدينة اشريد ذاتها، وهي مركز الثقافة الشرقية بهذه الجهة ومقر مطران بلغاريا Bulgarie أبدت له الخضوع والطاعة(1).

وفي الواقع انّ بوهمند استفاد فائدة كبرى من هذا الوضع السيء الذي باتت فيه الامبراطورية البيزنطية حيث استطاع بمساعدة قائديه ، بطرس الابوسي Pierre d'Aulps وراوول دي بانتواز Raoul de Pantoise تحقيق انتصارات باهرة اذ تمكن من اخضاع مدن فيريا Veria وسرفيا Servia وبودينا Bodena وموقلينا Moglena كما داهم بيلاغونيا Pelagonia وتزيبسكون Tzibiscon وتريكالا Trikala (2)، ولكنه عجز عن اقتحام مدينة لاريسا Larissa واكتفى بأن حاصرها لمدة ستة أشهر الى ان وصل الكسيوس في ربيع عام 1083م على رأس قواته ونحو سبعة آلاف مقاتل أمده بهم السلطان سليمان السلجوقي فدحر جيش بوهمند وأجبره على رفع الحصار عن لاريسا والانسحاب الى كاستوريا(3)، وتمكن الكسيوس من استرجاع جميع مدن تيساليا Thessalie التي كانت بحوزة الجيش النورماني .

---

(1) أنظر : Chalondon: Alexis 1er, p. 87.

(2) أنظر : Grousset: op. cit., I, p. LXI; Yewdale: op. cit., p. I9; Diehl: op. cit., p. I50; Chalondon: op. cit., pp. 87-88; Halphen : L'essor de l'Europe, p. 50.

(3) منادل زيترن : العلاقات السياسية والكنسية ، ص 65 ، وانظر أيضا : Chalondon: Alexis 1er, pp. 88-90; Yewdale: op. cit., pp. 20-21; Grousset: op. cit., I, p. LXI; Diehl: op. cit., p. I5I; Halphen: L'essor de l'Europe, p. 50.

ولم يحاول الكسيوس استغلال هذا الانتصار الباهر ويعمل على سلانة جيش النورمان في معركة حاسمة(1) حيث آثر استخدام موهبته الدبلوماسية للتوصل الى استمالة عناصر جيش بوهمند اليه وهو اسلوب أكثر نجاعة(*) وأقل تكلفة. على أن الكسيوس كان يدرك جيدا الاستياء الذي كان يسود صفوف جيش النورمان بسبب عدم قبض الجنود رواتبهم منذ شهور عديدة وكذلك عدم حصولهم على الغنائم المرجوة من حملاتهم المتعبة. ومن ثم انفذ الكسيوس رسله الى جنود جيش النورمان يطلب منهم احراج بوهمند ليدفع لهم رواتبهم كما عرض عليهم الخدمة في الجيش الامبراطوري بعد أن وعدهم بالمال والجاه(2)، وسرعان ما أعطت مساعي الكسيوس ثمارها اذ لم يلبث أن بادر جنود الجيش النورماني بطلب رواتبهم المتأخرة من بوهمند غير أن هذا الاخير لما عجز عن تلبية طلبهم توجه الى ايطاليا الجنوبية لجلب الأموال اللازمة لسدها بعد أن عهد بقيادة الحملة الى بريابنوس Bryennus أشهر قادة جيش النورمان(3).

---

(1) أنظر: Chalondon: Alexis 1er, p. 90; Idem: Hist. de la domination, I, p. 281.

(2) عادل زيتون: العلاقات السياسية والكنسية، ص 55، وأيضا:
Chalondon: Alexis 1er, p. 90; Yewdale: op. cit., p. 21.

(3) عادل زيتون: نفس المرجع، ص 55-56، وايضا:
Yewdale: loc. cit.; Grousset: op. cit., I, p. LXI.

(*) وتجدر الاشارة الى أنه أثناء الفتوحات التي كان يحققها جيش النورمان اتصل الكسيوس بقادة بوهمند العسكريين ونجح في استمالة البعض منهم اليه امثال راوول دى بانتواز، وزينود ووليم، ولكن بوهمند تمكن من اكتشاف المؤامرة فأنزل بزينود ووليم عقابا شديدا واستطاع راوول الفرار والالتحاق بجيش الامبراطورية البيزنطية، أنظر:

Yewdale: op. cit., p. I9; Chalondon: Alexis 1er, p. 88;
Idem: Hist. de la domination, I, p. 280.

على أن الكسيوس لم يكد يسمع بخبر انصراف بوهمسند حتى شرع ، على رأس قواته ، في استعادة أملاكه من قبضة النورمان . وفي اكتوبر (أو نوفمبر) عام 1083 م بسط يده على مدينة كاستوريا كما آلت اليه في صيف نفس العام ، بمساعدة أسطول البندقية ، مدينة دورازو ، ولم يأت عام 1083م على نهايته حتى كان البيزنطيون قد استعادوا جميع المدن والمواقع التي استولى عليها النورمان ، ما عدا افلونا وجزيرة كورفو وقلعة مدينة دورازو التي اعتصمت بها حامية نورمانية[1].

و بالرغم من هذه الكارثة التي حلت بحملة النورمان في البرّ البيزنطي فلم يتراجع جسكارد قيد أنملة عن مشروعه لغزو القسطنطينية . ذلك أنه لم يكد يفرغ من مهمة اخماد ثورة أتباعه في ايطاليا الجنوبية حتى أبحر في اكتوبر عام 1084م من ميناء اوترانتو على رأس اسطول عسكري قوامه مائة وخمسون مركبا متوجها الى الشرق مستصحبا معه ابناءه الثلاثة وهم روجر و بوهمسند وجاى Guy [2].

وكانت أول خطة نفذها جسكارد انه أنفذ ابنيه روجر وجاى لاحتلال مدينة

---

(1) عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية ، ص 56 ، وأيضا :
Chalondon: Alexis 1er, p. 9I; Yewdale: op. cit., pp. 21-22.

تفيد بعض الروايات أن جانبا كبيرا من حامية كاستوريا انضم الى جيش الكسيوس واما قائدهم بريانوس فانه رفض في اول الامر الاستسلام لكنه سرعان ما تصالح مع الكسيوس وتعهد له بعدم حمل السلاح ضده في المستقبل ومنحه الامبراطور لقاء ذلك حرية الانصراف الى ايطاليا ، غير ان هذه الرواية تتناقض مع التي أوردها يودال التي تفيد بأن بريانوس لاذ بالفرار فألقت عليه فرقة من الجيش الامبراطوري القبض في أحد مراسىء البانيا : أنظر :

Chalondon: Alexis 1er, p. 9I; Yewdale: op. cit., p. 21.

(2) أنظر : Malaterra: op. cit., V, 1, chap. 40, pp. 8I-82;
Chalondon: Alexis 1er, pp. 9I-92; Yewdale: op. cit., p. 22.

افلونا ،التي استرجعها البيزنطيون في أوائل عام 1084م[1]، فاستطاعا الاستيلاء عليها بسهولة[2]، بينما سار جسكارد مع بقية الجيش الى بوترانتو فاحتلها هي الاخرى، ثم توجّه الى جزيرة كورفو لفك الحصار البيزنطي عليها ،ولم يكد يبلغ كورفو في شهر نوفمبر حتى لاحت أمامه طلائع أسطول البندقية الذي كان قد استشاث به الكسيوس فدارت بين الاسطولين النورماني والبندقي معركتان ضريتان مني النورمان خلالها بهزيمتين ساحقتين[3]، لكن في الوقت الذي تأكد البنادقة من نصرهم وأخذوا ينشرون خبره كرّ جسكارد عليهم كرة عنيفة فأنزل بهم هزيمة منكرة وانقلب عندئذ على جزيرة كورفو فبسط نفوذه عليها[4].

وفي بداية صيف عام 1085م أرسل جسكارد ابنه روجر على رأس جيش لاحتلال جزيرة كيفالونيا Kephalonie ثم لم يلبث أن قرّر اللحاق به ليعينه على فتحها[5]، ولكن بينما هو في طريقه اليه ألمّ به مرض فأودى بحياته يوم 17 جويلية من عام

---

(1) أنظر: Chalondon: Alexis 1er, p. 92.

(2) عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية، ص 67، وأيضا :
Yewdale: op. cit., p. 22.

(3) عادل : العلاقات السياسية والكنسية ، ص 67، وأيضا :
Yewdale: op. cit., pp. 22-23; Chalondon: Alexis 1er, p. 92; Idem: Hist. de la domination, I, p. 282.
ان شالندن يذكر أن جزيرة كورفو كانت قد آلت الى ايدي البيزنطيين ،أنظر:

(4) أنظر: Chalondon: Alexis 1er, pp. 92-93; Yewdale: op. cit., pp. 22-23; Delarc: St Grégoire, III, p. 620.

(5) عادل زيتون :نفس المرجع ، ص68 ، وانظر ايضا :
Yewdale: op. cit., p. 23; Chalondon: Alexis 1er, p. 93; Delarc: op. cit., III, p. 627.

1085م بمنيناء كسيوبى Cassioppe (*)(1) .

وكانت نتيجة وفاة جسكارد أن اشتد الذعر في أوساط جيش النورمان فسادته الفوضى والاضطراب ، مما جعله يقرر العودة الى ايطاليا الجنوبية ولحق به روجر حاملا معه جثمان ابيه جسكار بعد أن ترك جميع مكتسباته في الاراضي البيزنطية مما أدى بجيش الكسيوس الى استعادتها بكل يسر وسهولة(2) .

بوهمسند والامبراطور الكسيوس خلال الحملة الصليبية الأولى (1097ـ1118م) :

ارتاح الامبراطور الكسيوس من خطر جسكارد وتمكن من استرداد مدينة دورازو وتحصينها تحصينا محكما ومن طرد آخر فلول الجيش النورماني من سواحل الادرياتي(3) .

والواقع ان النورمان لم يتوقف تفكيرهم في أمر التوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية لأن مجال ايطاليا لم يعد يكفي لطموحاتهم التوسعية ونزعات الفروسية عندهم(4) .

وقد جاءت الحملة الصليبية الأولى ، والتي انطلقت سنة 1096م من ربوع اوربا الغربية(**)

---

(1) أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. I96; Malaterra: op. cit., V, 1, chap. 41, p. 82; Yewdale: loc. cit.; Chalondon:Alexis 1er; Delarc: loc. cit.

(2) عادل زيتون : نفس المرجع ، ص 68ـ69 ، وانظر ايضا :
Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 286; Idem: Alexis 1er, p. 95; Yewdale: op. cit., p. 24; Grousset: op. cit., I, p. LXI.

(3) أنظر : Chalondon: Alexis 1er, p. I63.

(4) أنظر : Chalondon: Alexis 1er, p. I83; Idem: Hist. de la 1ère croisade, p. I32.

(*) ميناء احدى مدن جزيرة كورفو . مؤلف مجهول :
(**) عن مقدمات وظروف هذه الحملة ارجع الى أعمال الفرنجة، ص 1ـ27 ، رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية، جـ 1 ، الكتاب الثاني ، الفصل الثالث ، باركر : الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني ، ص 25ـ38 ، جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص 111ـ140 .

لتتيح للنورمان الفرصة لتحقيق أطماعهم التوسعية ولتفتح حلقة جديدة في العلاقات البيزنطية النورمانية .

وكان أول من استبشر بهذه الحملة الصليبية من بين أمراء النورمان هو بوهمند ابن جسكارد ذلك انه لم يكد يسمع خبر انطلاقها حتى نادى في رجاله بوجوب المشاركة فيها [1] . وكان بوهمند ينوي من وراء هذه المشاركة تأسيس مملكة خالصة له في ربوع الشام معتمدا في ذلك على ما تقدمه له بيزنطة من مساعدات [2] .

وفي نوفمبر عام 1096م غادر بوهمند ايطاليا الجنوبية على رأس قواته متوجها الى الشرق ، و بميناء اقلونا نزلت قواته ثم أخذت في السير نحو القسطنطينية ، وكان بوهمند شديد الحرص على أن لا تتوتر علاقاته مع الامبراطور الكسيوس حتى ينال مبتغاه [3] ، ولذلك أوعز الى جنوده بعدم القيام بأعمال النهب والتخريب داخل أراضي البيزنطيين [4] . و بالرغم من هذا الأمر هاجم جيشه احدى القرى البيزنطية وخربها [5] . وعندما حاولت فرقة من الجيش الامبراطوري في يوم 18 فبراير عام 1096م

---

(1) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشي ، ص 25 ، وانظر أيضا :
Robert le Moine: Historia hierosolymitana, pp. 316-318; Ordric Vital: Historia ecclesiastica, t. III, pp. 425-426; Grousset: op. cit., I, p. 20; Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, pp. I31-I32.

(2) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم نقلا عن آنا : الكسياد ، ص 325-326 ، وأيضا : رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص 236 ، وأيضا :
Chalondon: Alexis 1er, pp. I83-I84; Idem: Hist. de la 1ère croisade, p. I32.

(3) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص 195 ، وأيضا :
Chalondon: Alexis 1er, p. I84.

(4) أنظر : Robert le Moine: op cit., p 321; Chalondon: Alexis 1er, p. I84.

(5) أعمال الفرنجة ، ص 27 ، وانظر أيضا : Robert le Moine: loc. cit., Chalondon: loc. cit.

يذكر شالندن استنادا الى كتاب الكسياد Alexiad لآنا كومنينوس Anne Commene ان اسطول ==

مهاجمسته تصدى لها بوهمسند وابن اخسته تانكريد وأرجعها على أعقابها . وقد تم أسر عدد من الغزاة غير أن بوهمسند سرعان ما أطلق سراحهم(1)، وذلك التزاما بخطته الرامية الى مداراة الكسيوس ومجاملته .

على أن الكسيوس بمجرد أن تنامى الى أسماعه نبأ قدوم جيش بوهمسند (*) الى القسطنطينية بادر بايفاد سفار لملاقاته والسهر على توفير المؤن له ومنعه من دخول مدن الامبراطورية(2). وقد تلقى جيش النورمان في مدينة سيرا Serra الواقعة بمقدونية الشرقية من المؤن ما يزيد عن حاجاته مما ضاعف من حرص بوهمند

== النورمان تعرض أثناء عبوره بحر الادرياتي لهجوم القوات البيزنطية فدارت بينهما معركة طاحنة لكنه ليس ثمة مايثبت صحة هذه الرواية لأن جميع المصادر امتنعت عن ذكرها ، انظر :
Chalondon: Alexis 1er, p. 184.

(1) اعمال الفرنجة : ص27ـ28 ، وانظر أيضا :
Guill de Tyr: Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, t. I, p. I05; Raoul de Caen: Gesta Tancredi siciliae Regis in expeditione hierosolymitana, pp. 11-I7; Robert le Moine: op. cit., pp. 321-322; Chalondon: Alexis 1er, p. I85; Idem: Hist. de la 1ère croisade, p. I35.

(2) أنظر : Chalondon: Alexis 1er, p. I85 .

(*) يفيد البرت داكس ان بوهمند أرسل وهو في أبوليا رسالة الى جودفرى بوايون دوق اللورين الذى حل بالقسطنطينية يحذره فيها بمكر وخداع الامبراطور الكسيوس وعدم التصالح معه كما أنهى اليه انه سيلحق به على رأس قواته ليهاجما معا القسطنطينية ، لكن جودفرى أجاب بالرفض . وعلى اية حال فان هذه الرواية لا يمكن اعتبارها صحيحة لانها تتنافى تماما مع السلوك المستقيم الذى تحلى به بوهمند تجاه الكسيوس ورعاياه اثناء عبوره اراضي الامبراطورية ، ومما يؤكد كذلك عدم صحة هذه الرواية ما ذهب اليه حسن حبشى استنادا الى المؤرخ شالندن في القول أن اتفاقية لا بد وانها ابرمت بين الكسيوس وبوهمند في اواسط شهر مايو عام 1097م مما يفسر حسن تصرف بوهمند تجاه البيزنطيين حتى سقوط نيقية على الاقل :
ـ اعمال الفرنجة ، ص 28 (الهامش) ، وانظر ايضا :

Albert d'Aix: Historia hierosolymitana, t. I, pp. 62-64.

على المحافظة على جودة هذه العلاقات الأمر الذي أدى به الى الاصطدام بتانكريد ، الذي يختلف عنه في النية والهدف ، اما أراد هذا الاخير غزو أحد حصون البيزنطيين فمنعه بوهمند من ذلك(1).

وفي مدينة سيرا استقبل بوهمند سفارة من قبل الكسيوس فعقدت معه اتفاقية سلام(2)، ثم حثته على القدوم بمفرده الى القسطنطينية بعد أن تعهدت له بمنحه الهبات والهدايا الكثيرة . وقد أغرت الوعود بوهمند فأذعن لطلبها وحتى ينال سكوت ورضا تانكريد على هذا التصرف أسند له قيادة الجيش المعسكر بمدينة روسه Rusa (*) ثم سار الى القسطنطينية صحبة وفد قليل (**) في يوم 9 افريل عام 1097م(3).

(1) اعمال الفرنجة : ص 22-23 ، رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص239-240 ، وأيضا : Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, pp. I35-I36 .

(2) تعهد بوهمند بعدم الدخول الى مدينة من المدن التابعة للامبراطورية البيزنطية ، كما وعد بارجاع ما استولى عليه رجاله من اسلاب اثناء سيرهم . رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ج 1 ، ص 239-240 .

ويفيد حسن حبشي ان بوهمند اثناء عبوره سالونيك (اليونان) ارسل الى الكسيوس وفادة يطلب منه تحسين علاقاته معه فسادت اليه وهو في مدينة سيرا ومعها موظفان بيزنطيان كسيران . اعمال الفرنجة ، ص 22 (الهامش) .

(3) اعمال الفرنجة ، ص 23 ، جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين نقلا عن آنا : الكسياد ، ص 323 ، وانظر ايضا : Raoul de Caen: op. cit., p. 23; Guill de Tyr: op. cit., I, I, p. I06; Robert le Moine: op. cit., p. 323; Chalondon: Alexis 1er, p. I85; Grousset: Hist. des croisades, I, p. 22.

رنسمان : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 240 .

لقد رفض بوهمند في اول الامر الامتثال الى الكسيوس لولا أن تدخل جودفري فأقنعه بضرورة الاستجابة لطلب الكسيوس : انظر :
Albert d'Aix: op. cit., I, p. 67; Guill de Tyr: op cit., pp. I06-I07.

(*) تسمى كوشان Keshan حاليا تقع في تراقيا Thrace بلغها بوهمند في اول افريل عام 1097م ، أنظر : Chalondon: op cit., p. I85.

(**) كان عدد رجال الوفد عشرة : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم نقلا عن آنا : الكسياد ، ص 323 .

وقد نزل بوهمند بدير القديسين كوزمان وداميان Kosmidion خارج أسوار القسطنطينية .وفي اليوم التالي استقبله الامبراطور الكسيوس استقبالا حارا ثم بدأت المفاوضات بينهما [1]. وفي الواقع أن الاخلاص الذي كان يبديه كل منهما للآخر ما هو الا مكر وخداع اذ كان كل واحد منهما ينظر الى الآخر نظرة يشوبها الحذر وسوء الاطمئنان ولا سيما أن الكسيوس ما زالت ذكرى غزوات جسكارد المروّعة على أملاك الامبراطورية ماثلة في ذهنه كما انه لم تخف عنه نوايا بوهمند العدوانية تجاه الإمبراطورية ،ومن ثم فرض عليه رقابة خاصة مما جعله يسخّر امكانيات هامة في سبيل ذلك [2]. و تروي آنّا كومنينوس بنت الامبراطور الكسيوس قصة عن بوهمند تبدي خلالها عدم اطمئنان بوهمند وحذره الشديد تجاه الكسيوس ذلك أن بوهمند أثناء اقامته بالقسطنطينية تلقى من الكسيوس قطعا من اللحم هدية منه غير أنه لم يتناولها في حين سمح لرفقائه بذلك خشية أن يكون الكسيوس قد بث فيها سمّا قاتلا . وفي صباح اليوم التالي تفقد أصحابه ليرى مدى أثر اللحم على صحتهم [3].

على أن المفاوضات بين الكسيوس و بوهمند لم تدم طويلا بسبب عدم تعصب بوهمند لرأيه اذ أن بوهمند لم يلبث أن وافق على شروط الكسيوس وقدم له يمين الولاء

---

(1) أعمال الفرنجة ، ص 30 ، وانظر أيضا : Anna Comnena: Alexiade, in R.H.C., Grecs, liber X, pp. 30-31; Guill de Tyr: op. cit., I, p. I07; Albert d'Aix: op. cit., I, p. 67; Chalondon:Alexis 1er, p. I86.

(2) أنظر: Anna Comnena: Alexiade, in R.H.C., Grecs, liber X, p. 30; Guill de Tyr, op. cit., I, pp. I03, I05.
رنسمان : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 240 .
رنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 240 ، جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص 195 ، وأيضا : Chalondon: op. cit., pp. I84, I86; Grousset: op. cit., I, p. 21.

(3) أنظر: Chalondon: Alexis 1er, p. I86 .

والتبعية ولقاء ذلك كافأه الكسيوس بمنحه هدايا ثمينة[1] . وتفيد آنا كومنين أن الكسيوس قد جال ببوهمند في القصر الامبراطوري وساقه الى احدى غرفه وكشف له كنوزا مذهلة ثم عرض عليه أخذها فوافق على ذلك بعد أن تردد في بادئ الأمر . وعلى اية حال فان هذه الرواية تتميز بالمبالغة الواضحة لكنها تكشف النقاب عن التقارب الذي تمّ بين الكسيوس وبوهمند وسعي كل واحد منهما الى مهادنة الآخر[2] .

ولم يكد يتم الاتفاق بين الكسيوس وبوهمند حتى أسدل هذا الاخير الستار عن بعض نواياه الخفية اذ طلب من الكسيوس وبجرأة عجيبة أن يمنحه لقب " كبير خدام الامبراطورية في الاقاليم الشرقية" Grand Domestique d'Orient (*)
وكان بوهمند يطمح بهذا الامتياز الى كسب تأييد البيزنطيين ومساعدتهم في تحقيق مشروعه التوسعي في الشرق على أن الكسيوس لم يرد عليه باجابة صريحة بل أخذ يماطل ويؤجل رده لأن طلب بوهمند وضعه في موقف حرج ذلك أنه اذا رفض التماسه سيعكر صفو العلاقة القائمة بينهما كما أنه اذا استجاب لرغبته سوف يقدم

---

(1) جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم نقلا عن أنا :الكسياد ، ص 324 . وانظر أيضا :
Foulcher de Chartres: Gesta francorum Iherusalem peregrinantium, p. 27. Guill de Tyr: op. cit., I, p. I07; Raoul de Caen: op cit., p. 24; Albert d'Aix: op cit., I, p 68; Grousset: op cit., I, p 22; Chalondon: Alexis 1, p. I86.
رنسمان :نفس المرجع ، جـ1 ، ص 242 .

ويذهب صاحب كتاب اعمال الفرنجة الى ان الكسيوس أقطع في هذه المناسبة أرضا وراء انطاكية لبوهمند في حين يذكر راوول دي كان منطقة رومانية Romania . اعمال الفرنجة ص 31 . وأيضا : Raoul de Caen: op cit., p. 24.

ويعتقد أن هذه الرواية أضيفت الى محتوى كتاب "اعمال الفرنجة" بأمر من بوهمند حتى يبرر أطماعه في الشرق .

(2) جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم نقلا عن آنا :الكسياد ، ص 324ـ325 ، وانظر أيضا :
Chalondon: Alexis 1er, p. I86.

(*) ترجمها الباز العريني في كتاب رنسمان تاريخ الحروب الصليبية، جـ1 ، ص242 ، باسم "دمستق الشرق" اي القائد الاعلى للقوات الامبراطورية في آسيا .

له الوسيلة لينقلب ضده وضد مصالحه في الشرق(1). ويعتقد المؤرخ شالندن أنه بهذه المناسبة تعهد الكسيوس لبوهمند، كرها منه ، بمنحه اقطاعا في اقليم انطاكية بالشام(2).

وقد ظل بوهمند ينتظر في القسطنطينية وصول الامراء الصليبيين(*) اليها . وهكذا وصل الى القسطنطينية أحد الامراء الصليبيين وهو ريموند الصنجيلي(**) Raimond de St Gilles كونت تولوز ، وكان ريموند شديد البأس والعناد حيث رفض أداء يمين الولاء للامبراطور الكسيوس لكن تدخل بوهمند أجبره على الخضوع وحينئذ قطع عهدا بأن لا يقدم على أي تصرف يمس حياة الامبراطور الكسيوس وشرفه (3).

---

(1) جوزيف نسيم : العرب والروم نقلا عن آنّا : الكسياد ، ص 326 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 37-33 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 242 . وانظر ايضا : Grousset: op. cit., I, p. 23; Chalondon: Alexis 1er, p. I86.

(2) أنظر : Chalondon: loc. cit.; Grousset: loc. cit.

(3) أعمال الفرنجة ، ص 31-32 . وأيضا : Foulcher de Chartres: op. cit., p. 28; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 115-119; Chalondon: Alexis 1er, p. I87; Robert le Moine: op. cit., p. 326; Raoul de Caen: op cit., p. 28.

(*) عن هؤلاء الامراء ارجع الى : اعمال الفرنجة ، ص 31 ـ 32 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 243 ـ 252 .

(**) ويعرف كذلك بريموند الرابع .

على أن تانكريد ، الذى التحق بالامراء الصليبيين في القسطنطينية ، أبدى هو الآخر رفضه لتقديم يمين الولاء والطاعة للامبراطور ، ولم يمكث طويلا بالقسطنطينية حيث قرّر مغادرتها دون أن يستأذن الكسيوس ولما علم به هذا الاخير غضب عليه غضبا شديدا(*)(1).

ولم يلبث أن ابرمت معاهدة بين الكسيوس والامراء الصليبيين . ولا شك أن بوهمند كان له دور فعال في حمل هوءلاء الامراء على عقد هذه الاتفاقية . وقد تعهد الكسيوس بموجبها بحمل الصليب والسير على رأس الجيوش الصليبية وكذلك بتوفير المؤن لها وحمايتها أثناء عبورها أراضي الامبراطورية في حين قطع الامراء الصليبيون وعدا بتسليمهم الكسيوس كل المدن التي سيتم لهم فتحها في آسيا الصغرى والشام وعلى اثر ذلك غادر الصليبيون القسطنطينية في نهاية افريل عام 1097م متوجهين الى نيقية Nicee بآسيا الصغرى بينما تأخر بوهمند شيئا من الوقت للتشاور مع الكسيوس(2).

---

(1) اعمال الفرنجة ، ص 32 ، وانظر أيضا: Guill de Tyr: op. cit., I, p. 107; Albert d'Aix: op. cit., I, p. 68; Raoul de Caen: op. cit., p. 27; Grousset: op. cit., I, p. 23; Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, p. 137.

(2) اعمال الفرنجة ، ص 31-32 ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 135 ، ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 186 ، وانظر أيضا : Robert le Moine: op. cit., pp. 325-326, 329; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 69-70; Mattew d'Edesse: chronique, in R.H.C., arm, I, p. 27; Chalondon: Alexis 1er, p. 188; Grousset: Hist. des croisades, I, p. 27.

وايضا : ماجد عبد المنعم : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 143 . العرب والروم وعن ظروف تأدية الولاء من قبل الامراء الصليبيين لآلكسيوس ارجع الى : جوزيف نسيم/نقلا عن آنا : الكسياد ، ص 318-322 .

(*) يشير راوول دوكان الى ان بوهمند وعد الكسيوس بأنه سيحضر له تانكريد فيما بعد ليقسم له يمين الولاء . انظر : Raoul de Caen: op. cit., p. 28.

وقد باشر الصليبيون نشاطهم الحربي ضد السلاجقة في آسيا الصغرى وكانت أول مدينة سقطت بيدهم هي نيقية(*) وذلك في يوم 19 جوان عام 1097م(1). وقبل استئناف زحفهم بادر الامبراطور الكسيوس ، وهو ببيلكان Pelekan قرب خليج نيقوميديا ، باستقدام أمراء الحملة اليه ليجددوا له يمين الولاء مستعهدا بمنحهم الهبات والهدايا الثمينة ، وأول من استجاب لهذه الدعوة هو بوهمند ، واكثر من ذلك فقد عمد الى اقناع الامراء الاخرين بأن يحذوا حذوه . وتفيد آنا كومنينوس ان بوهمند لم يتسرع في قبول دعوة الكسيوس الا بدافع حبه للمال ولعل بوهمند يريد بهذا الاخلاص المفرط كسب رضا وود الامبراطور الكسيوس فينال بذلك لقب " كبير خدام الامبراطورية " والذي رفض الكسيوس منحه اياه حتى هذا الحين(2).

ولم يتمرد من بين الامراء الصليبيين سوى تانكريد الذي استعصى وابى تقديم يمين الولاء لالكسيوس وعلى حد قول آنا كومنينوس فان تانكريد تقدم بطلبات مالية مفرطة لالكسيوس مما جعل هذا الاخير يستنكرها(3). واما راوول دي كان Raoul de Caen فيذكر أن تانكريد طلب خيمة الامبراطور، آلكسيوس ، رمز الكيان الامبراطوري ، كشرط

---

(1) اعمال الفرنجة ، ص 32-37 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 135 ، وايضا :
Matthew d'Edesse: Chronique, in R.H.C., arm, I, pp. 27-29; Grousset: Hist. des croisades, I, pp. 27-30; Chalondon: Alexis 1er, pp. I9I-I92.

الواقع ان المدينة استسلمت بعد أن تفاوض الكسيوس سرا مع أهلها مما أغضب الرأي العام الصليبي . انظر : Michaud: Hist. des croisades, I, p. 115 .

(2) أنظر : Chalondon: Alexis 1er, p. I93; Grousset: op cit., I, p. 31.

(3) أنظر : Chalondon: loc. cit.; Grousset: loc. cit.
على حد قول راوول دي كان فان تانكريد رفض المال رفضا باتا ، انظر :
Raoul de Caen: op. cit., pp. 42-43.

(*) تسمى كذلك ازنيق .

لخضوعه غير أن الكسيوس الذى تلظى غيظا رد بشدة هذا الالتماس.ويشير راوول كذلك الى أن بوهمند وفى بعوده فأحضر لالكسيوس تانكريد الذى وافق على أداء يمين الولاء له (1).

وفي الواقع لم يلبث أن ظهر بوهمند هو الآخر على حقيقته ذلك أنه لما وصلت الجيوش الصليبية اما أسوار مدينة انطاكية قرر قطع عهد الصداقة والولاء الذى يربطه بآلكسيوس (*) وبدأ يعمل على تأسيس امارة شاسعة مستقلة بالشام تكون قاعدتها مدينة انطاكية(2)، غيران وجود ممثل الامبراطور البيزنطي وهو القائد تاتيكيوس Tatikios — Tanine — مع فرقه ضمن جيش الحملة الصليبية الاولى أثار قلقه لما يشكله من عائق حساس أمام أطماعه التوسعية اذ أدرك أن مشاركة تاتيكيوس في فتح مدينة انطاكية سيؤدى حتما بالامراء الصليبيين الى تسليمها اياه خشية احتدام نزاع لا مبرر له بينهم وبين الكسيوس. وقد اعتقد بوهمند أن غياب تاتيكيوس عن ميدان انطاكية سيمكنه من امتلاك المدينة والاحتفاظ بها ومن ثم أخذ يعمل لابعاد تاتيكيوس من انطاكية(3)، فكان أن لجأ الى مكيدة محكمة ،فبينما كان حصار الصليبيين لأنطاكية

---

(1) أنظر: Raoul de Caen: op. cit., pp. 40-45; Michaud: Hist. des croisades: I, p. 115.

شالندن يفند بشكل قاطع فكرة تقديم تانكريد يمين الولاء لآلكسيوس ،أنظر: Chalondon: loc. cit.

وفي الواقع ان نص راوول ديكان يسوده نوع من الغموض.

(2) رنسمان: نفس المرجع، ج1، ص327، عادل زيتون: العلاقات السياسية، ص 153، وايضا: Grousset: op. cit., I, pp. 79-80; Chalondon: op. cit., p. 201.

(3) عادل زيتون: العلاقات السياسية والكنسية، ص154، وايضا: Chalondon: Alexis 1er, pp. 201-202; Grousset: op. cit., I, pp. 80-81.

(*) على حد قول شالندن استنادا الى راوول ديكان فان تدهور العلاقة بين بوهمند والكسيوس يعود الى الوقت الذى ستحط فيه نيقية في ايدى الصليبيين وامتناع تانكريد عن اداء يمين الولاء لآلكسيوس .انظر: Chalondon: Alexis 1er, p. 200.

على أشده اتصل بوهمند بتاتيكيوس وأخبره أن الصليبيين ينوون الفتك به بسبب نكث الكسيوس لعهده وتآمره مع السلاحقة ضد الصليبيين وكانت نتيجة ادعاء بوهمند (1) أن استبد بتاتيكيوس الخوف فانسحب من المعسكر الصليبي الى قبرص بحجة الذهاب لجلب المساعدات اللازمة وهذا بعد أن تنازل لبوهمند عن مدن طرسوس وأدنه والمصيصة بآسيا الصغرى، وهكذا نجحت خطة بوهمند في ابعاد تاتيكيوس عن حصار انطاكية فخلا له الجو لامتلاكها (2).

وفي اليوم الثالث من شهر جوان عام 1098م سقطت مدينة انطاكية بأيدى الصليبيين (3) ودبّ نزاع حاد حول امتلاكها بين ريموند الصنجيلي وبوهمند، والتي يعود اليه الفضل الكبير في اقتحامها، ولما تعذر الوصول الى ايجاد تسوية ترضي الطرفين أجل حل القضية الى وقت لاحق وعلى اثر ذلك أرسل الصليبيون الى الكسيوس يطلعونه على استعدادهم لتسليم انطاكية له اذا ابدى نية صادقة في الالتزام بتعهداته السابقة تجاههم (4).

---

(1) عادل زيتون: العلاقات السياسية والكنسية، ص 154، وايضا:
Chalondon: Alexis 1er, pp. 201-202; Grousset: op. cit., I, pp. 80-81.

(2) أعمال الفرنجة، ص 56، وانظر أيضا: Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 225-226;
Robert le Moine: op. cit., pp. 362-363; Grousset: op. cit., I, p. 81;
Chalondon: op. cit., p. 202.

(3) أعمال الفرنجة، ص 64-70. لمزيد من التفاصيل ارجع الى الفصل الرابع من هذا البحث. ص 233-238.

(4) تنازل بوهمند لريموند عن الجزء الجنوبي الغربي، بينما اخذ باقي اجزاء المدينة انظر:
Guill de Tyr: op. cit., I, p. 343; Ordric Vital: op. cit., III, pp 504-505.
اعمال الفرنجة، ص 97-98، 101-102، عادل زيتون: العلاقات السياسية ص 157-159، عاشور: الحركة الصليبية، ج1، ص 213-216، رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 385-386، باركر: نفس المرجع، ص 35
Chalondon: Alexis 1er, pp. 204-205; Grousset:
op. cit., I, pp. 110-111; Hagenmeyer: op. cit., pp. 287-288; Chalondon:
Hist. de la 1ère croisade, p. 245; Cahen: La Syrie du Nord à l'époque des croisades
pp. 219-220.
يفيد وليم الصوري ان الامراء الصليبيين تنازلوا عن المدينة وفاء بعهدهم واطلقوا عليه لقب "امير انطاكية". انظر:
Guill de Tyr: op. cit., I, p. 343.

واستاء الكسيوس كثيرا لما آلت اليه مدينة انطاكية نتيجة عدم ايفاء بوهمند بوعده لأن ما كان لديه من معرفة بشخصية بوهمند وما امتازت به من حنكة ومكر وصمود أمام الشدائد أقنعته بأنه ليس بالرجل الهين الذي سيتنازل بسهولة عن مدينة انطاكية وما أثار حزن وأسف الكسيوس اكثر هو ضياع الأموال التي صرفها من أجل توفير الراحة للصليبيين وكسبهم اليه وبقاؤه حتى هذا الحين ملتزما تقريبا بكل التعهدات التي قطعها للصليبيين وفي مقدمتهم بوهمند (1).

ورغم تنكر بوهمند لمعاهدة القسطنطينية فلم ييأس الكسيوس من امكانية ايجاد تسوية بينهما حيث انفذ في عام 1099م احد قادته وهو بوتوميتس Boutoumites الى بوهمند ليتفاوض معه بشأن انطاكية لكن بوهمند استقبله بجفاء وزج به في السجن بتهمة التآمر عليه . ثم أطلق سراحه بعد خمسة عشر يوما ورده الى القسطنطينية(2).

وقد أيقن الكسيوس اثر هذه المحاولة الفاشلة ان سبيل السلم لا يجدي نفعا مع بوهمند . وفي صيف عام 1099م ازداد تأكدا من ذلك حينما هاجم بوهمند مدينة اللاذقية الواقعة على ساحل الشام في مواجهة مدينة انطاكية على وجه التقريب والخاضعة وقتذاك للبيزنطيين ، وحاصرها على أمل احتلالها لولا انسحاب حلفائه البيزانيين ، فارتد عائدا الى انطاكية وكان هذا الهجوم في الواقع ايذانا باندلاع الحرب بين الامبراطورية البيزنطية والكيان النورماني الناشيء بانطاكية(3).

---

(1) أنظر: Chalondon: Alexis 1er, p. 206.

وفي الحقيقة فان الكسيوس ابدى تخاذلا تجاه الصليبيين ذلك انه لما كان في طريقه الى انطاكية لمساعدة الصليبيين على محاربة السلاجقة التقى باسطفان — اواتيان — دي بلوا de Blois Etienne احد الامراء الصليبيين الذي فر من معسكره واخبره بان الصليبيين يعانون من ضيق شديد وان حامية اسلامية عظيمة قادمة من الموصل لتفك الحصار على انطاكية ثم تسير بعد ئذ الى القسطنطينية ولسماعه هذا الخبر استبد الفزع به فعاد اي الكسيوس الى العاصمة تاركا الصليبيين دون مدد .اعمال الفرنجة، ص 37— 38، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 309-314 .

(2) عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 161، وايضا : Chalondon: op cit., p 216.

(3) أنظر: Albert d'Aix: op. cit., I, pp 376-382; Grousset: Hist. des croisades, I; pp. 371-374; Chalondon: op. cit., pp. 216, 218.

رنسمان : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 445—447 .

وبعد أن استتب الأمر لبوهمند بأنطاكية وقام بزيارة بيت المقدس شرع في توسيع امارته على حساب البيزنطيين ، وكانت مدينة مرعش ، التي تسلمها الكسيوس من الصليبيين ، أولى مدينة أغار عليها وذلك في صيف عام 1100م، غير أنه فشل في اقتحامها واكتفى بأن عاث في ضواحيها نهبا ودمارا [1] على ان بوهمند لم يستمر في هذا النشاط اذ لم يلبث أن وقع في أسر السلاجقة قرب مدينة مسلطية في بداية شهر جويلية من نفس العام وحلّ محله ابن اخته تانكريد الذى لم يكن أقل قدرة منه في تحمل أعباء الحكم كما سيأتي فيما بعد [2].

وقد انتهج تانكريد سياسة خاله المعادية للبيزنطيين والتي تقوم على أساس التوسع على حساب أملاكهم [3]، وتنفيذا لهذه السياسة عمد الى تدعيم مركزه فعقد تحالفا في صيف عام 1101م مع الجنوية احدى القوى الايطالية البارزة(*) ، وفي هذه

---

(1) استعادت بيزنطة هذه المدينة بموجب اتفاقية القسطنطينية : ارجع الى : عاشور : الحركة، ج1، ص 384، وايضا : Mattew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 50-51; Chalondon: Alexis 1er, pp. 220-221;

(2) ابن الاثير : الكامل، ج8، ص 195، وانظر ايضا :
Mattew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 51-52; Foulcher: op. cit., pp. 89-90; Raoul de Caen: op. cit., pp. 262-263.

(3) أنظر : Foulcher: op. cit., p. I08; Chalondon: Alexis 1er, p. 223.

عاشور : الحركة، ج1 ، ص 389-390 .

(*) نالت جنوه بموجب هذا الاتفاق امتيازات معتبرة في شمال الشام اذ حازت بمقتضاه الحق في استخلاص ثلث دخل ميناء السويدية وفي امتلاك شارع في انطاكية يمارس الجنويون نشاطهم التجارى :
عاشور : الحركة ، ج 1 ، ص 390 . وارجع ايضا الى :

Grousset: op. cit., I, p. 383.

الحتبة لم تكن بيزنطة في وضع يسمح لها باستغلال أسر بوهمند والقيام بمحاولات القضاء على نفوذ النورمان بالشام بسبب المشاكل الداخلية والاخطار الخارجية التي كانت تعاني منها (1). وقد اهتبل تانكريد هذه الظروف الحالكة فزحف بقواته على اقليم قليقية البيزنطي بآسيا الصغرى في أواخر عام 1101م، وتمكن بسهولة من بسط نفوذه على مدن المصيصة Mamistra وأدنه Adana وطرسوس Tarse . وسار تانكريد عندئذ الى مدينة اللاذقية فضرب الحصار عليها الا أن اللاذقية لم تكن سهلة المرام بسبب مناعة أسوارها ووفرة عدد رجالها فدام الحصار سنة ونصف سنة وأثناء قام تانكريد بمحاولة فاشلة لاحتلال مدينة جبلة الواقعة جنوب اللاذقية ، وفي أواخر عام 1102م، أو أوائل عام 1103م، وبفضل ثبات جيش النورمان ومساعدة الاسطول الجنوي له وضع تانكريد يده على مدينة اللاذقية (2). وقد يكتسي هذا الانتصار أهمية بالغة بالنسبة لتانكريد حيث أوجدت له هذه المدينة بواسطة مينائها نافذة أخرى حساسة تمكنه من ربط صلة مستمرة بالغرب الاوربي (3).

ومهما يكن من أمر هذه الانتصارات التي سجلها النورمان على حساب البيزنطيين والمسلمين على السواء فانها اكسبت تانكريد صيتا كبيرا وقدرة ملحوظة على المناورة والضغط في بلاد الشام . وقد عرفت امارة انطاكية ابان غياب بوهمند نموا وتوسعا ملموسين اذ صارت حدودها تتاخم حدود الامبراطورية البيزنطية ذاتها مما جعل

---

(1) عاشور: الحركة، جـ1، ص 390-392. وايضا : Chalondon: Alexis 1er, pp. 222,224-227.

(2) أنظر: Raoul de Caen: op. cit., pp. 266-269, 273-275; Grousset: Hist. des croisades, I, pp. 383-385; Heyd: Hist. du commerce du Levant au M.- Âge, t. I, p. I45; Chalondon: Alexis 1er, p. 223;

عاشور: الحركة، جـ1 ، ص 391-392 .

(3) أنظر: Grousset: op. cit., I, p. 385; Chalondon: Alexis 1er, p. 233.

الكسيوس يوجس خيفة ويحاول التصالح مع تانكريد ولكن المساعي التي تكلف بها ريموند الصنجيلي لهذا الغرض توجت بالفشل[1].

على ان العداء الذي كان يضمره تانكريد للبيزنطيين انعكس على الحياة الدينية بامارة انطاكية اذ أنه أمعن في تطبيق سياسة دينية معادية للعنصر الارثودوكسي . فاسوة بخاله بوهمند دأب على ابعاد رجال الدين الارثودوكس من مناصبهم واحلال الكاثوليك محلهم مما أدى الى اثارة استنكار الامبراطور الكسيوس والكنيسة الارثودوكسية على السواء[2].

وكانت نتيجة هذه المتاعب كلها التي أثارها النورمان البيزنطيين أن فكّر الكسيوس في الانتقام من زعيمهم بوهمند الاسير . وكان أن أرسل الى الملك السلجوقي غازي الدانشمند يطالب منه تسليم بوهمند اياه وعرض عليه لقاء ذلك مبلغا ماليا قيمته مائتان وستون الف دينار لكن الملك غازي أجاب عن طلبه بالرفض في حين نجح بوهمند في اقناعه باطلاق سراحه مقابل مال يقبضه من الصليبيين بالشام[3].

---

(1) عاشور: الحركة، ج1، ص 393 . وانظر ايضا: Chalondon: Alexis Ier pp. 232-233; Grousset: op. cit., I, pp. 385-386.

(2) عاشور: الحركة، ج1، ص383، رنسمان: نفس المرجع، ج2، ص 51 .
لما توترت العلاقة بين بوهمند والكسيوس قام بوهمند هو الآخر بعزل يوحنا الرابع Jean IV بطريرك انطاكية وعين محله برنارد دي فالنس Bernard de Valence بتهمة التعامل مع الكسيوس : عاشور: الحركة، ج1، ص 393، وايضا :
Grousset: Hist. des croisades, I, p. 385.

(3) أنظر : Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 72-77; Raoul de Caen: op. cit., p. 376; Foulcher: op. cit., p. I43; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 97-93; Matthew d'Edesse: Chronique, in R.H.C., arm, I, PP. 69-70; Vasiliev: Hist. de l'empire byzantin, II, p. 46.

وام يكد بوهمند يباشر حكم امارته من جديد حتى أعلن مواصلته لسياسته المعادية للبيزنطيين . وفي ذات الحين تلقى بوهمند رسالة من الكسيوس يلتمس منه احترام معاهدة عام 1097م وطالبا فيها كذلك تسليمه كل المدن التي تم للنورمان فتحها بما فيها انطاكية[1]، ورد بوهمند على طلبه بالرفض البات بحجة عدم التزام الامبراطور الكسيوس بتعهداته وخيانة القائد البيزنطي تاتيكيوس وذلك لما انسحب من الجيش الصليبي اثناء حصاره لمدينة انطاكية[2].

وفي الحقيقة فان الكسيوس كان يتوقع هذه الاجابة من بوهمند ولذلك جهّز مسبقا اسطولا عتيدا وسيره تحت قيادة القائدين بوتوميتس ومناستراس (Boutoumites) و(Monastras) الى قليقية لاسترداد المدن التي ملكها النورمان ، غير ان القائدين لم يوفقا في مهمتهما وقفل بوتوميتس عائدا الى القسطنطينية في نهاية عام 1103م تلبية لدعوة الكسيوس[3].

وقد بدأ بوهمند نشاطه الحربي ضد البيزنطيين أثناء ولايته الثانية بالاجهاز على مدينة مرعش ، بمساعدة جوسلين دي كورتناي Josselin de Courtenay أمير تل باشر، فملكها في خريف عام 1103م دون مشقة كبرى ، وبعد أن تنازل بوهمند عن هذه المدينة لجوسلين توجه صوب الشمال من مرعش فبسط يده على مدينة البستان[4]، واما

---

(1) عادل زيتون :العلاقات السياسية والكنسية، ص 137، عاشور: الحركة، جـ1، ص 401 ، وأيضا : Chalondon: Alexis 1er, p. 233.

(2) عادل زيتون : نفس المرجع ، ص 137 ، وايضا : Chalondon: loc. cit.

(3) رنسمان :تاريخ الحروب الصليبية، جـ2، ص 69، عادل زيتون :العلاقات السيسة والكنسية، ص 138، عاشور :الحركة، جـ1، ص 402 . وايضا : Chalondon: Alexis 1er, pp 233-234.

(4) رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ 2 ، ص 69 ، وأيضا :
Chalondon: op. cit., p. 234.

الكسيوس فلم يلبث أن اتيحت له الفرصة للاجهاز على النورمان بالشام . ولقد كان عام 1104م مرحلة حاسمة بالنسبة للنورمان لما بذله السلاجقة من نشاط عسكري مكثف ضد مكتسباتهم في شمال الشام ، وكان على بوهمند وتانكريد أن يلقيا بكل ثقلهما لرد هذا الخطر السلجوقي الداهم واهتبل الكسيوس فرصة انشغال النورمان [1]، وارسل قواته صوب شرقي قليقية فاسترد دون عناء مدينة طرسوس واذنه والمصيصة [2]، كما توجه كونتاكوزين Cantacuzene قائد الاسطول البيزنطي بسواحل آسيا الصغرى الى اللاذقية فضرب عليها حصارا شديدا . غير أن بوهمند سرعان ما قاد جيشا صغيرا لانقاذها وتمكن من امدادها بالمؤن اللازمة الا أنه تعذر عليه فك الحصار عليها على أن كونتاكوزين لم يلبث أن استولى عليها ما عدا القلعة التي اعتصمت بها حامية نورمانية كما سقطت بيده عدة مواقع هامة تقع بين اللاذقية وطرسوس [3].

وهكذا بات بوهمند بين عدوين لا يرحمان - السلاجقة والبيزنطيين - وأمست امارة انطاكية ومصالحها في وضع لا تحسد عليه [4]، ولما أدرك بوهمند خطورة الموقف وعجزه عن مواجهته قرر الذهاب الى الغرب الاوربي للاستنجاد بملوكه [5]. وفي الواقع فان هذا القرار ينبني على أساس تحليل عميق لاحداث الساحة الشرقية ذلك ان بوهمند ، بعد أن بلغ تأزم العلاقات النورمانية البيزنطية ذروته أيقن بأنه يستحيل أن يعود التفاهم في المستقبل بينه وبين الكسيوس كما كان بوهمند ، الذي انكشفت له حقيقة شخصية الكسيوس يعلم أن هذا الاخير لن يفوت اية فرصة ولن يدخر أي جهد

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 79 ، وايضا : Chalondon: Alexis 1er, p. 235; Grousset: op. cit., t.I, p. 413.

(2) أنظر : Raoul de Caen: op. cit., p. 283.

(3) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 79 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 163 ، وايضا : Grousset: op. cit., I, p. 414; Chalondon: Alexis 1er, pp. 235-236; Heyd: op. cit., I, p. I45.

(4) عن هذا الوضع الحرج بالنسبة لامارة انطاكية يشير ابن العديم بقوله "واتصلت غارات عسكر حلب الى بلد انطاكية وعرف بيمند ضعفه عن حفظ البلد وانه لم يفلت من وقعة سكمان الا في نفر قليل ، وخاف من المسلمين ." ابن العديم : زبدة 2 ، ص 149 ، Grousset: op cit., I, p. 415.

(5) أنظر : Raoul de Caen: op. cit., p. 285; Matthew d'Edesse: p. 73.

لاعادة فرض حقوق الامبراطورية على الشام . وقد رأى كذلك ان الانتصارات التي سيحرزها على الكسيوس لن تنال بتاتا من عظمة الامبراطورية البيزنطية اذ اعتقد أن السبيـــل الوحيد لكسر شوكة هذه الامبراطورية والنيل من عظمتها هو ضرب عاصمتها القسطنطينية والظفر بها ، غير أن هذا المشروع يستلزم وجود قوات عسكرية هائلة ولذلك كان لزامـــا عليه أن يرحل الى اوربا الغربية ليحشد ما يكفيه من الجند والعتاد لانجاز هذا المشروع الهام[1].

وبعد أن أوكل بوهمند ادارة شؤون انطاكية الى تانكريد (*) أبحر من ميناء انطاكية ـــ السويدية ـــ في أواخر عام 1104م مستوجها الى ابوليا . وقد حمل معه كمل الغنائم التي جمعها من أصقاع الشرق فضلا عن نسخ من الكتاب المسمى أعمال الفرنج لمؤلف مسجهول . وفي جانفي عام 1105م حلّ بوهمند باقليم ابوليا ومكث بها حتى شهر سبتمبر دائبا على تجنيد الفرق العسكرية اللازمة[2] ثم سافر الى روما حيث قابل البابا باسكال Pascal II الذي أعلن تأييده لمشروعه ثم أمر البابا مندوبه برونو Bruno بمصاحبة بوهمند في رحلته لمساعدته على تجنيد الناس واقناعهم بالمشاركة

---

(1) أنظر: Vasiliev: op. cit., II, p. 47; Chalondon: Alexis 1er, p 236

(2) ابن العديم :زبدة الحلب ، 2 ، ص 140، وايضا: Raoul de Caen: op cit., p. 288; Foulcher: op cit., p. I45; Guili de Tyr: op cit., II, p. 111; Matthew d'Edesse: Chronique, in R.H.C., arm, I, p. 73.

وانظر أيضا : رنسمان :نفس المرجع ، ج2 ، ص 87ـ81وأيضا :
Yewdale: op. cit., p. I06; Grousset: op. cit., I, pp. 415-416; Chalondon: Alexis 1er, pp. 236-242.

وقد عمد بوهمند الى نشر خبر وفاته حتى لا يلفت ذهابه الى الغرب انتباه احد .رنسمان :/ نفس المرجع ، ج 2 ، ص 80، وايضا : Vasiliev: op. cit., II, p. 47.

(*) كان تانكريد يتولى الوصاية على امارة الرها لان اميرها بلدوين الثاني (دي بورج) وقع في اسر سكمان وجكرمش اتابكي ماردين والموصل اثناء معركة حرّان عام 1104م ومن ذلك بادر تانكريد باستدعاء ابن عمه وصهره , تشارد السالرني ليخلفه على امارة الرها : عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 173 ، رنسمان :نفس المرجع ، ج2 ، ص 74، ص 80 .

في حربه المقدسة ضد الامبراطورية البيزنطية ولا شك أن تأييد البابا لمشروع بوهمند جاء نتيجة للوصف الذي قدمه له هذا الاخير عن الكسيوس باعتباره العدو اللدود للعنصر اللاتيني والعقبة الكؤود ضد انتصار الحملات الصليبية في الشرق. والى جانب مساعدة البابا نال بوهمند تأييدا معتبرا من قبل فيليب الاول Philippe 1er (1060ـ1108م) ملك فرنسا ، كما ظفر بوعد بالمساعدة من ملك انكلترا هنري الاول Henri 1er (1100ـ1135م) . وفي اواخر عام 1105م قفل بوهمند عائدا الى ابوليا بعد أن أثمرت دعوته المعادية للبيزنطيين في ربوع اوربا الغربية[1]، ومكث في ابوليا عاما كاملا يواصل فيها استعداداته بكل راحة وهدوء وذلك لسماعه بعدم قيام البيزنطيين بأية حملة خطيرة على انطاكية اثناء غيابه[2].

ولما علم الكسيوس بمشروع حملة بوهمند على ممتلكاته وما قام به من ترويج الدعايات ضده في غرب اوربا عمد الى اتخاذ عدة تدابير لمواجهة خطر هذا الائتلاف الصليبي الداهم ، وكان أول ما فعله انه استقدم الجيوش المرابطة في قليقية

---

(1) ابن القلانسي : ذيل ، ص 164 ، وانظر أيضا : Foulcher: op. cit., p. I59; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 111-112; Albert d'Aix:op. cit., II, p. I26; Yewdale: op. cit., pp. I06-111.

رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 31ـ32 .

في فرنسا تزوج بوهمند من ابنة الملك الفرنسي ، فيليب الاول ، اسمها كونستانس ، واما اختها سيسليا Cecile فقد خطبها تانكريد : أنظر :
Guill de Tyr: op. cit., II, p. 111; Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 203; Ordric Vital: op. cit., t. 4, pp. I85-I87;

وحتى يثير ثائرة البابا ضد الكسيوس قدم له بوهمند عددا من الاسرى البشناق Petchenegues تم اسرهم اثناء هجوم دبره الجيش البيزنطي على ابوليا : ارجع الى :
Yewdale: op. cit., p. 113, Chalondon: Alexis 1er, p. 243.

(2) رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 33 ، وايضا : Chalondon: Loc. cit ,

ويفيد المؤرخ يودال Yewdale انه يحتمل ان بوهمند زار حتى بلد اسبانيا مضيفا ان بوهمند حتى يبرر حملته ضد بيزنطة أحضر معه شخصا ادعى انه ابن الامبراطور رومانوس ديوجينيس انظر : Yewdale: op. cit., pp. I09-112 .

واللاذقية (1)، كما عقد هدنة مع السلطان السلجوقي قلج ارسلان الذي أمده، بموجبها، بفرق عسكرية لتسانده في حربه ضد بوهمند (2)، ثم اتصل بالجمهوريات الايطالية ـ جنوه، بيزا والبندقية ـ يلتمس منها عدم تأييد بوهمند في مشروعه، وحتى يدحض ويفند الادعاءات التي روّجها بوهمند ضده في غرب أوربا والتي حطّت من سمعته في نظر كل المسيحيين قام بمساع دبلوماسية لدى الخلافة الفاطمية بمصر فتمكن بفضلها من الافراج عن ثلاثمائة من الأسرى الفرنج ثم أرسلهم الى بلادهم بعد أن أحسن ضيافتهم وأجزل لهم العطاء وأمرهم بابلاغ المسيحيين في أقطارهم بصدقه وحسن نيته تجاه رعايا المسيح. وكان أن أمر الكسيوس كذلك بتحصين مدينة دورازو وجميع مدن ساحل ابليريا وبتشديد الرقابة على جميع الممرات الرابطة بين ابوليا وابليريا وكذلك على سواحل ابليريا حتى لا يجد بوهمند السبيل للعبور. وهكذا اطمأن الكسيوس لفعالية امكانياته الدفاعية فقرر المشاركة بنفسه في عملية مواجهة الغزاة النورمان (3).

---

(1) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 178.

(2) قال ابن القلانسي في هذا الشأن : " كان قلج ارسلان قد انفذ بعض مقدمي أصحابه الى بلاد الروم في خلق كثير من التركمان لانجاد ملك القسطنطينية على بيمند (بوهمند) ومن معه من الافرنج. " ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 158.

ويؤكد ابن الاثير هذه الحقيقة بقوله : " وفي هذه السنة (500 هـ/ 1106 م) كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجي ..... فأرسل ملك الروم الى الملك قلج ارسلان بن سليمان صاحب قونية .... يستنجده فأمده بجمع من عسكره فقوى بهم. " ابن الاثير : الكامل، ج 8، ص 239ـ240.

(3) رنسمان : نفس المرجع، ج2، ص 83، عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 177ـ 178. وايضا : Chalondon: Alexis 1er, p. 243; Yewdale: op. cit., pp. 112-113.

وفي شهر سبتمبر عام 1107م أقلع اسطول بوهمند من جنوب ايطاليا قاصدا افلونا [1]، وحينما وصل بوهمند امام المدينة كان قائداها - كونتوستيفانوس ولاندولف Cantostephanos و Landulphe - قد انسحبا منها وتمكن بوهمند من بسط سيطرته عليها بكل سهولة في يوم 9 اكتوبر وسار بوهمند حينئذ نحو دورازو حيث بلغها في يوم 13 من نفس الشهر فشرع في نصب الحصار عليها [2]. وكان بوهمند ينوي اتباع نفس الخطة التي نفّذها أثناء حملة عام 1081م والتي أعطت نتائج لامعة، اذ كان يريد احتلال دورازو مفتاح شبه جزيرة البلقان ثم يمضي قدما الى سالونيك Salonique ومنها يتجه الى القسطنطينية التي يكمن فيها سر انتصاره على الامبراطورية البيزنطية [3].

وأثناء حصار مدينة دورازو أغار جيش النورمان على الجهات المجاورة لها، فاستولى على بيترولا Petrula وميلوس Milos فحولهما الى قاعدتين أساسيتين [4]. واما الكسيوس فلم يلبث أن نهض من مدينة سالونيك على رأس قواته

---

(1) اختلف المؤرخون في تقدير حجم قوة اسطول النورماني، فالمؤرخ العربي ابن القلانسي يقول: " وفي هذه السنة -502 هـ- وصل صاحب انطاكية من بلاد الافرنج عائدا الى مملكته في خلق كثير." ويقول ابن العديم: " وخرج بيمند (بوهمند) من بلاده ومعه خلق عظيم." واما المؤرخ وليم الصوري فقد قدّرها بخمسة آلاف من الفرسان واربعين الفا من المشاة، والبرت دايكس فيذكر أنها تتألف من 12 الفا من الفرسان و60 الفا من المشاة، واما فولشر فيقدرها بخمسة آلاف من الفرسان وستين الفا من المشاة: ابن القلانسي: ذيل، ص 164، ابن العديم: زبدة، 2، ص 154-155. وانظر ايضا:
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. I25-I26; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I27; Foulcher: op. cit., p. I59.

(2) أنظر: Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I26-I27; Guill de Tyr: op. cit., II, p. I26; Ordric Vital: op. cit., t. 4, p. 209; Foulcher: op. cit., p. I58; Grousset: op. cit., I, p. 4I7; Chalondon: Alexis 1er, p. 243.

(3) أنظر: Vasiliev: op. cit., II, p. 47; Chalondon: op. cit., pp. 243-244.

(4) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, p. I26; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I26-I27; Chalondon: loc. cit.; Yewdale: op. cit., p. 118.

في ربيع عام 1108م متوجها لملاقاة بوهمند و بناء على معرفته الجيدة باستراتيجية النورمان في المعارك حرص الكسيوس على تجنب كل اصطدام مباشر وحاسم مع جيش بوهمند اذ لجأ الى تنفيذ خطة تقوم على أساس تشديد الخناق عليه و تجويعه حتى يستسلم كلية[1]، ولذلك لم يكد يصل الكسيوس الى نهر ديابوليس Deabolis — ديفول — قرب دورازو، حتى أمر بنصب معسكره بجواره والشروع في ضرب الحصار على دورازو[2]. و على اثر ذلك راح الكسيوس يدبر مكيدة لحمل بوهمند على سحب ثقته من قادة جيشه حيث أنفذ اليهم رسائل تكشف عن اشتراكهم مع الكسيوس في مؤامرة ضد بوهمند وانتهت الرسائل، بقصد من الكسيوس، الى ايدي بوهمند لكن هذا الأخير تفطن لهذه الحيلة و بالتالي لم يعرها اي اعتبار[3].

وقد اشتد الحصار الذي ضربه الكسيوس على جيش النورمان ، فقاسى هذا الاخير من جرّائه كربا ثقيلا بسبب انتشار المجاعة ومرض الدوسنطاريا والملاريا في أوساطه . ويفيد البرت دايكس ان بوهمند تلقى من قادته نصيحة تحثه على المبادرة بفتح مفاوضات مع الكسيوس لكنه ضرب بنصيحتهم عرض الحائط اذ آثر محاولة فك

---

(1) أنظر: Chalondon: Alexis 1er, pp. 243-244; Yewdale: op. cit., p. 119.

(2) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, p. I26; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I28; Foulcher: op. cit., p. I59, Yewdale: Loc. cit.

أشار ابن الاثير الى الاصطدامات العنيفة التي دارت بين بوهمند و عسكر الكسيوس، ابن الاثير: الكامل، جـ8 ، ص 240 .

(3) رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 83 ، وانظر أيضا :
Yewdale: op. cit., p. I20; Chalondon: Alexis 1er, p. 245.

لقد توصل الكسيوس الى استمالة ابن بوهمند المدعو جاي Guy. أنظر:
Yewdale: loc. cit.; Leib: op. cit., p. I74; Chalondon: op. cit., p. 92.

الحصار على جيشه ومن ثم قام رجاله في هيرتشو وكانينا Canina واربان Arban بسلسلة من الهجومات على مواقع الجيش الامبراطوري توجست كلها بالفشل الذريع مما يدل على تحول ميزان القوى لصالح البيزنطيين .

وكانت نتيجة تطرف بوهمند أن ازدادت أحوال معسكره سوءاً واستبد الوهن والقنوط برجاله الذين تحول منهم الكثير الى صفوف جيش الكسيوس ، غير أن بوهمند لم يلبث أمام تردي الاوضاع داخل صفوف جيشه أن أعلن عن رغبته في التفاوض مع الكسيوس[1]، وبعد أن تبادل السفراء مع الكسيوس استقبله هذا الاخير في معسكره الواقع على مدخل الوديان التي يجري فيها نهر ديابوليس وذلك في شهر سبتمبر عام 1108م[2].

وفي الواقع أن المفاوضات لم تجر بينهما حيث اكتفى الكسيوس بأن أملى عليه بنود المعاهدة دون أخذ رأي بوهمند في الاعتبار . وقد أبدى بوهمند بادىء ذي بدء اعتراضه لهذه المعاهدة لما اتسمت به من الاجحاف غير أن نقفور بريانيوس Nicephore Bryennus ، زوج آنا كومنينوس ، تدخل وأجبره على الانصياع لارادة الامبراطور الكسيوس[3].

---

(1) أنظر: Anna: Alexiad, in R.H.C., Grecs, I, lib XIII, pp. I56-I57; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I29; Ordric Vital: op. cit., t.4, pp. 210-211; Chalondon: Alexis 1er, p. 245; Yewdale: op. cit., p. I23.

(2) ابن القلانسي :ذيل ، ص 164 . وانظر أيضا : Anna: Alexiad, in R.H.C., Grecs, I, XIII, pp. I59-I60; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I29; Guill de Tyr: op cit., II, p. I26; Foulcher: op. cit., p. I59; Ordric Vital: op. cit., t. 4, p. 211; Vasiliev: op. cit., II, p. 47.
رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص 84، عادل زيتون :العلاقات السياسية، ص 183 .

(3) أنظر: Anna: Alexiad, in R.H.C., Grcs, I, XIII, p. I69; Yewdale: op. cit.; p. I27; Chalondon: Alexis 1er, p. 246.

وبمقتضى هذه المعاهدة تم بطلان معاهدة القسطنطينية التي أبرمت بين بوهمند والكسيوس عام 1097م وأعلن بوهمند ندمه لعدم وفائه بتعهداته السابقة تجاه الكسيوس . كما أدى يمين الولاء والتبعية مجددا لالكسيوس ولابنه يوحنا ايضا فضلا عن تعهده باجبار تانكريد واتباعهما على أداء هذا القسم الاقطاعي ، وسوف يعلن الحرب على كل من يرفض ذلك ، وبموجبها وافق بوهمند على عدم القيام بأي نشاط عسكري مضاد للامبراطورية وعلى سد كل طريق في وجه المعارضين لالكسيوس بل سيعمل على ارجاعهم بالقوة الى طاعة الامبراطور . ونصت المعاهدة على أن يسلم بوهمند لالكسيوس جميع مدن قليقية وساحل اللاذقية وأن يحتفظ كفصل اقطاعي لالكسيوس بانطاكية ، وميناءها السويدية ، وبكل الجهات الواقعة الى الشمال الشرقي من البلاد حتى مرعش بالاضافة الى كل المدن التي سينتهي أمرها اليه . وقد قضت المعاهدة كذلك بعزل البطريرك اللاتيني من كرسي انطاكية وتعيين محله بطريرك يوناني والذى سيختاره الكسيوس نفسه [1]. واما الكسيوس فقد تعهد بتوفير ظروف أحسن للحجاج المسيحيين الذين سيسلكون أراضيه متوجهين الى بيت المقدس [2]، وحاول بوهمند دون جدوى اسقاط هذا البند من وثيقة المعاهدة حتى يوحي لغيره بأن ما قام به

---

(1) عن تفاصيل محتوى هذه المعاهدة ارجع الى : Anna: Alexiad, in R.H.C., Grecs, I, lib. XIII, pp. 169-185; Foulcher: op. cit., p. 160; Albert d'Aix: op. cit., II, p. 129; Chalondon: Alexis 1er, pp. 246-249; Yewdale: op. cit., pp. 128-129; Grousset: op. cit., I, pp. 418-419; Vasiliev: op. cit., II, p 48.

رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، 34-35 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص183-185 .

تتضمن هذه المعاهدة وثيقتين احداهما بتوقيع الكسيوس ، استلمها بوهمند ، وهي تحتوى على الامتيازات التي منحها الكسيوس لبوهمند بينما الوثيقة الثانية والتي وقع عليها بوهمند ، واستلمها الكسيوس ، فانها تتضمن تعهدات والتزامات بوهمند تجاه الكسيوس : عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 183 ، وايضا : Yewdale: op cit., p. 127.

(2) أنظر : Foulcher: op. cit., pp. 159-160; Guill de Tyr: op. cit., II, p. 126; Yewdale: op. cit., p. 129; Chalondon: Alexis 1er, p. 249.

من عدوان على بيزنطة لم يكن بدافع شخصي وانما هو رد فعل للسياسة السلبية التي مارسها الكسيوس تجاه الصليبيين (1).

واختتمت وثيقة المعاهدة بأن اقسم بوهمند بأشد الايمان وأوثقها بأنه سوف يحترم كل شروط الاتفاقية ثم وضع توقيعه في اسفل الوثيقة ، وكان ممن حضر مراسيم توقيع هذه المعاهدة ممثلون لملك المجر Hongrie والمندوب البابوي موروس Mouros الذي اختير كشاهد على ما اتفق عليه آلكسيوس وبوهمند وعلى اثر ذلك بادر آلكسيوس بمنح بوهمند بعض ألقاب التشريف كما غمره بالمال والهدايا (2).

ومهما يكن من أمر هذه المعاهدة فانها تشكل منعطفا تاريخيا هاما في تاريخ العلاقات البيزنطية - النورمانية حيث تمثل من وجهة نظر خاصة انتصار آلكسيوس على خصمه بوهمند الذي طالما زلزلت له أركان الامبراطورية البيزنطية . وتعبر آنـا كومنينوس عن هذه المعاهدة بأنها انتصار كبير للاغريق على اللاتين . وقد أدت هذه المعاهدة الى وضع حد نهائي لأطماع بوهمند في الشرق والى ضياع كل مكاسبه التي أجهد نفسه من أجل تحقيقها ، ومن جهة أخرى أدت الى اذلال بوهمند - القائد الجسور - وكسر غروره . وقد عبّرت آنا كومنينوس عن أهمية شخصية بوهمند الذي أعجبت بها ايما اعجاب بقولها ان الامبراطورية البيزنطية لم يسبق لها أن عرفت مثل هذا الخصم (3). وتبين هذه المعاهدة مدى حرص آلكسيوس على ايجاد مخرج

---

(1) عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 135 ، وايضا : Yewdale: loc. cit.

(2) أنظر : Anna: Alexiad, in R.H.C., Grecs, I, lib., XIII, p. 186; Albert d'Aix: op. cit., II, p. 129; Chalondon: Alexis 1er, p. 249.

(3) رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 84 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 135 ، وايضا : Chalondon: Alexis 1er, pp. 246, 249; Diehl: op. cit., p. 151.

لمشكلة بوهمند وانطاكية ذلك أنه لم يجد بدا من منح بوهمند اقطاعات واسعة بما فيها انطاكية ذاتها ما دام هذا الاخير مستعدا لأن يبقى في ظل سيادة الامبراطورية البيزنطية ، وعلى اية حال فان دلت هذه المعاهدة وما حققه آلكسيوس بموجبها من كسب مادي ومعنوي على شيء فانما يدل على القوة العسكرية والهيبة العظيمة التي أضحت تتمتع بهما الامبراطورية البيزنطية اثناء حكم آلكسيوس (1).

وأثارت هذه المعاهدة خيبة أمل وحزن شديدين في نفس بوهمند الذي عزّ عليه أن يرى آماله العريضة في الشرق تذهب سدى ولذلك لم يفكر في العودة الى انطاكية بل توجه الى ابوليا واستقر بها محتجبا عن الناس الى أن وافته المنية في يوم 7 مارس عام 1111م (*)(2).

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 34-35 ، عاشور : الحركة الصليبية ، ج1 ، ص410.

(2) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 154 ، وايضا : Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 74; Foulcher: op. cit., p. I60; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I29, I77, Guill de Tyr: op. cit., p. I27; Vasiliev: op. cit., II, p. 48; Chalondon: Alexis 1er, p. 249.

رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 86 ، عاشور : الحركة ، ج1 ، ص 410 .

يفيد وليم الصوري ان بوهمند رغم الكارثة التي حلت به في البر البيزنطي فقد دأب بعد عودته الى ابوليا على اعداد حملة أخرى لغزو الاراضي البيزنطية مرة أخرى. انظر : Guill de Tyr: loc. cit.

(*) يشير وليم الصوري الى أن بوهمند توفي عام 1109م ويذكر البرت دايكس انه مات في باري لكن هذا يبدو خطأ فبوهمند مات في مدينة فينوزا Venosa التابعة لملحقات باري حيث دفن بها عام 1111م، ارجع الى : Guill de Tyr: loc. cit.; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I77; Yewdale: op. cit., p. I33.

واما ابن العديم فيشير الى عام 504 هـ/1110م.

العلاقات بين النورمان و بيزنطة حول المسألة الانطاكية(1108-1154م):

أ) مع الامبراطور آلكسيوس كومنينوس(1108-1118م):

على أن تانكريد الذى تولى الوصاية على انطاكية منذ عام 1104م لم يكن يحفل بما كان يجرى من أحداث هامة في غرب الامبراطورية البيزنطية ، فأثناء الصراع المرير الذى دار بين الكسيوس و بوهمند أمام دورازو وما تلاه من اتفاق بينهما شن تانكريد سلسلة من الهجومات على ممتلكات البيزنطيين في شمال الشام وقليقية مستغلا انصراف معظم حاميتها لمحاربة بوهمند . وفي ربيع عام 1108م استولى ، بفضل مساعدة البحرية البيزية(*) على مدينة اللاذقية ووضع يده في أواخر عام 1108م (اوائل عام 1109م) على مدن ادنه والمصيصة وطرسوس ، كما بسط سيطرته عام 1109م على جبلة و بلنياس وقلعة المرقب بأقصى الجنوب(1).

وكانت نتيجة اختفاء بوهمند من ساحة الشرق أن اتيحت لتانكريد الفرصة لنقض معاهدة ديابراليس وجعلها مجرد حبر على ورق ، وفي الواقع فان عدم اعترافه بهذه المعاهدة نصا وروحا كان أمرا طبيعيا لسببين : اولهما ان انطاكية في ايام تانكريد

---

(1) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ، ص 199 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص90-91 ، عاشور: الحركة، ص 413-414 . وايضا : Grousset: op. cit., I, pp. 419-420, 427-429; Chalondon: Alexis 1er, p. 250; Yewdale: op. cit., p. 131; Diehl: op. cit., p. 156; Heyd: Hist. du commerce de Levant, I, p. 145; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 260.

(*) كان ثمن مكافأة تانكريد للبيازنة لقاء مساعدتهم له أن منحهم شارعا في انطاكية وحيا باللاذقية وهذا فضلا عن بعض الامتيازات الاقتصادية مثل حرية التجارة في جميع موانىء امارة انطاكية : عاشور: الحركة، جـ1، ص 413 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2، ص 90 ، وانظر أيضا : Heyd: Hist. du commerce du Levant, I, pp. 145-146.

بلغت من السلطان والقوة ما يكفل لها القدرة على مواجهة تحديات الامبراطورية البيزنطية . وثانيهما : ان تانكريد لم يكن اقل رغبة من بوهمند في تأسيس امارة خالصة له فكانت انطاكية مجالا خصيبا لتجسيد احلامه ، ولذلك نظر تانكريد الى ابتعاد خاله عن ساحة الشرق بنظرة ملؤها الفرح والارتياح (1).

وقد انتاب القلق والفزع الامبراطور الكسيوس لما احرز عليه تانكريد من انتصارات على حساب البيزنطيين والمسلمين على السواء (2). وحدث في عام 1109م أن انفذ الكسيوس سفارة الى تانكريد يحثه على اعلان التبعية له وتنفيذ كل الالتزامات التي تعهد بها بوهمند الا أن تانكريد رد على التماسه برفض بات بعد أن أظهر الخشونة والجفاء لسفرائه (3). وهكذا اقتدى تانكريد بخاله بوهمند لما ضرب عام 1099م بعرض الحائط معاهدة القسطنطينية المبرمة عام 1097م ورفض التنازل عما للامبراطورية البيزنطية من حقوق في انطاكية (4).

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 86 ، 91 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 136 ، وأيضا : Chalondon: Alexis 1er, p. 251; Brehier: Vie et mort de Byzance, p. 260.

(2) أنظر : Chalondon: Alexis 1er, p. 251.

لقد سك تانكريد عمله باسمه " Tankridos " مما يدل على امتلاك امارة انطاكية لنفسه : عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 145 ، وايضا : Schlumberger: Les principautés franques du Levant, p. 14.

(3) أنظر : Anna: Alexiad, in R.H.C., Cregs, I, XIII, pp. 188-189; Vasiliev: op. cit., II, p. 48; Chalondon: Alexis 1er, p. 252.

رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 91 .

(4) عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 136 .

وامام تطرف تانكريد كان لزاما على آلكسيوس استخدام القوة لاستعادة حقوق بيزنطة لكن آلكسيوس شعر بسأم الرأي العام من الحرب فبادر حينئذ باستشارة مجلس الشيوخ في شأن مشروع حملة عسكرية ضد تانكريد واستقر رأي المجلس على وجوب سلوك السبيل الدبلوماسي لحل المسألة الانطاكية و على عدم المجازفة في حملة عسكرية ضد تانكريد الا اذا تأكدت مساعدة الامراء الصليبيين لبيزنطة في هذه الحرب .

ولم يلبث أن أوفد آلكسيوس عام 1111م مانويل بوتوميتس الى الشام ليطلب من الأمراء الصليبيين الاعانة العسكرية ضد تانكريد لكن بوتوميتس عاد دون أن يحقق نجاحا في مهمته [1]. وفي نفس العام كرّر آلكسيوس المحاولة مع الخليفة العباسي المستظهر (487ـ512 هـ/1094ـ1118م) حيث التمس منه مساعدة عسكرية للاجهاز على تانكريد وعلى الصليبيين " والايقاع بهم والاجتماع على طردهم واستعمال الجد والاجتهاد في الفتك بهم ." [2] غير أن هذه المساعي آلت هي الأخرى الى الفشل [3].

و يشير كذلك ابن الاثير الى رسالة قد بعث بها آلكسيوس الى السلطان السلجوقي يحذره فيها بنمو قوة الصليبيين في الشام و عواقبها الخطيرة ولا يستبعد أن يكون مضمون هذه الرسالة هو الذي جعل السلطان يبعث مردود اتابك الموصل عام 1111م

---

(1) أنظر: Anna: Alexiad, in R.H.C., Grecs, I, lib., XIV, pp. I90-I92; Chalondon: Alexis 1er, pp. 252-253; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 260.

(2) ابن القلانسي : ذيل ، ص 173 .

(3) عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 187 .

على البلاد بصعوبة واسعة ضد الحلب بين لكنها انتهت بالفشل [illegible]
المسلمين له (1).

ب) مع الامبراطور يوحنا كومنينوس (1118-1143م):

على أن تانكريد لم يلبث أن أصابه مرض أودى بحياته في يوم 12 ديسمبر عام 1112م، وكان أن تولى مكانه ابن أخته روجر السالرني، بعد أن تعهد بالتنازل عن العرش للوريث الشرعي بوهمند الثاني بن بوهمند الاول عند وصوله من أبوليا بجنوب ايطاليا حيث كان صغير السن في حضانة أمه كونستانس(2)، ولا شك أن وفاة تانكريد حدث له جانب كبير من الأهمية اذ أنهى مرحلة هامة من الصراع بين امارة انطاكية والامبراطورية البيزنطية. وفي الواقع لم يحاول آلكسيوس استغلال وفاة تانكريد وما تركه من فراغ في شمال الشام لفرض سيادته بالقوة على انطاكية وذلك بسبب انشغاله بمقاتلة السلاجقة في آسيا الصغرى حتى غدا هذا الاهتمام

---

(1) ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 262، وايضا: Chalondon: Alexis 1er, p 252.

عن الحملة التي قام بها مودود انظر: ابن الاثير: الكامل، جـ 8، ص 262-263، ابن العديم: زبدة، 2، ص 108 وما بعدها، أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، ص 63-69 رنسمان: نفس المرجع، جـ2، ص 196-201، وايضا: Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 96-97.

(2) أنظر: Ordric Vital: op. cit., t. 4, pp. 212, 233; Foulcher: op. cit., p. I71; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. I56-I57; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I86; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. I03-I04; Samuel d'Ani: Chronologie In. R.H.C arm, I, p. 449; Grousset: op. cit., I, p. 476, 645-646.

يذكر متى الرهاوي يوم 5 ديسمبر كتاريخ لوفاة تانكريد. ويتفق متى الرهاوي وصمويل داني Samuel d'Ani على ان تانكريد مات مسموما وعلى حد قول صمويل داني فان برنارد دي فالنز Bernard de Valence بطريرك انطاكية هو الذي دبّر هذا الاغتيال. انظر: Samuel d'Ani: in R.H.C., arm, I, p. 449; Matthew d'Edesse: loc. cit.

الطابع المميز لاواخر عهده (1)، لكن آلكسيوس لم يهمل كلية المسألة الانطاكية حيث قرر استخدام " الدبلوماسية " في معالجتها مستخدما في ذلك أسلوب المصاهرة غير أن آلكسيوس لم يقدر له تحقيق هذا المشروع (2) حيث وافته المنية عام 1118م.

وقد تولى مكان آلكسيوس ابنه يوحنا (*) Jean Comnenus في ظروف جدّ حرجة (3) ولم يلبث يوحنا أن سار على نهج أبيه لحل المسألة الانطاكية اذ بادر عام 1119م بارسال رسول اسمه رفنديونس Ravendinos الى روجر السالرني يطلب منه يد ابنته للزواج من أحد ابنائه وكان الغرض من هذه المحاولة هو الحاق انطاكية بتاج الامبراطورية البيزنطية بحكم حق هذه الوريثة في الامارة، وقد استقبل الرسول

---

(1) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 187، وايضا : Chalondon: Alexis 1er, p. 253; Vasiliev: op. cit., II, p. 48.

أنظر عن أواخر عهد الكسيوس في : Chalondon: op. cit., p. 254 et suiv.

(2) أنظر : Ordric Vital: op. cit., t. II, p. 230; Chalondon: Jean II Comnene et Manuel I Comnene, p. II9.

(3) أنظر : Foulcher: op. cit., p. I89; Guill de Tyr: op. cit., II, p. 200; Samuel d'Ani: in R.H.C., arm, I, p. 450.

عن ظروف تولية يوحنا العرش ارجع الى : Chalondon: op. cit., pp. 06-09.

(*) يسمى يوحنا الوسيم Kalo Jean ولد عام 1088م هو الابن البكر لالكسيوس، تولى العرش رغم معارضة امه ايرين Irene واخته آنا Anna نشأ نشأة قاسية خشنة كان كثير الاعراض عن البذخ والملذات كما اشتهر بالشجاعة والبسالة، اهتم بتوسيع حدود الامبراطورية البيزنطية التي تركها له ابو الكسيوس، انظر :

Vasiliev: op. cit., II, p. 2; Diehl: op. cit., p. I4I; Gde Encyclopédie, t. 21, p. 87.

البيزنطي بحفاوة في انطاكية ولكن لم يستجب فيها لطلبه (1).

وأثناء خروجه مع روجر السالرني في جولة عسكرية وقع في اسر السلاجقة بينما لقي روجر مصرعه على أيديهم في يوم 28 حزيران من نفس العام (2) وسلّم انفصال انطاكية حكم الامارة لبلدوين الثاني ملك بيت المقدس لحمايتها حتى قدوم الوريث الشرعي من ابوليا كما سبق وذكرنا (3).

وفي اوائل اكتوبر عام 1126م تسلم بوهمند الثاني (*) زمام حكم انطاكية من

---

(1) عادل زيتون: العلاقات السياسية، ص 120، وانظر أيضا :
Chalondon: **Jean II** , pp. II9-I20.
على حد قول اوردرك فيتال Ordric Vital فان الكسيوس هو الذي أوفد رفند ينوس ليطلب من روجر السالرني يد احدى بناته لابنه يوحنا. الواقع ان أوردرك اخطأ حينما ذكر ان رفند ينوس راح الى انطاكية ليخطب ليوحنا لان هذا الاخير كان متزوجا وقتذاك. ولعل البنت التي ينوي رفند ينوس طلب يدها كانت معدة لأحد أمراء العائلة الحاكمة في بيزنطة، ويبدو أن هذه السفارة ارسلت في اخريات ايام الكسيوس ولما فاضت روح هذا الاخير كان رفند ينوس موجودا في انطاكية. انظر: Ordric Vital: op. cit., t. IV, pp. 230-231;
Chalondon: loc. cit.
(2) أنظر: Foulcher: op. cit., p. I93; Guill de Tyr: op. cit., II, pp 208-210;
Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 123; Samuel d'Ani: in R.H.C., arm, I, pp. 450-451; Chalondon: Jean II Comnene, p. I20; Ordric Vital: op. cit., II, p. 231, IV, pp 212-213.
وبعد أن أفرج عن رفند ينوس عرض هذا الاخير على بلدوين الثاني ملك بيت المقدس مشروع زواج بين ابنته اليكس A Lix واحد افراد عائلة يوحنا لكن بلدوين الثاني رفض، ولعله كان قد قرر تزويج ابنته ببوهمند الثاني الوريث الشرعي لبوهمند الاول اميرأنطاكية السابق.
أنظر: Chalondon: op. cit., p. I20; Ordric Vital: op. cit., IV, p. 231.
(3) اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار، ص 120 وايضا : Ordric Vital: op. cit., IV, p. 214.
(*) كان يعيش في أحضان امه كونستانس في ابوليا ولما وصل الى انطاكية تزوج من اليكس ابنة بلدوين الثاني ملك بيت المقدس : انظر: Foulcher: op. cit., op. cit., pp I94, 269-274; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 211, 294-295; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. I47; Ordric Vital: op. cit., t. 4, pp. 233-234.

بلدوين الثاني ، غير أن ولايته على انطاكية لم تدم طويلا حيث قضى نحبه قرب المصيصة أثناء معركة مع السلاجقة في شهر فبراير عام 1131م[1] . وكان أن لحق به بلدوين الثاني في يوم 21 اوت من نفس العام وانتقل عرش بيت المقدس الى الملك فولك(*) Foulque (1131ـ1143م) كونت انجو Comte d'Anjou الذي لم يلبث أن قبل الوصاية على امارة انطاكية[2] .

على أن اليكس Alix ، ارملة بوهمند الثاني سرعان ما أعلنت رغبتها في مباشرة حكم الامارة بنفسها و بالتالي سعت لتحريرها من وصاية الملك فولك ولتحقيق هذه الغاية أرسلت في نهاية صيف عام 1135م وفادة الى الامبراطور البيزنطي يوحنا تعرض عليه خطبة ابنتها كونستانس Constance لابنه مانويل Manuel [3] غير أن هذه المبادرة قوبلت باستنكار شديد من قبل النبلاء ورجال الدين في انطاكية الذين أبوا تدخل بيزنطة في حل المسألة الانطاكية و تراءت لهم عندئذ ضرورة ايجاد عريس لكونستانس كمخرج لهذا المأزق فاختار لها الملك فولك ريموند دى بواتيه

---

(1) اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار، ص 121، ابن الاثير : الكامل، ج 8، ص 332، وايضا :
Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. I47; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 294, 309-310; Grousset: op. cit., I , pp. 645-647, 671-672; Orderic Vital: op. cit., t. 4, pp 215, 234-236
رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2، ص 230ـ231، 232ـ233 .

(2) انظر : Orderic Vital: op. cit., t. 4, p. 423.
رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، 295، 299، 302 ، وايضا : Chalondon: Jean II Comnene, p 121.
اختير فولك ليخلف بلدوين الثاني من طرف ملك فرنسا لويس السادس Louis VI (1108ـ1137م) : رنسمان : نفسه ، ص 233ـ234 .

(3) انظر : Cinnamos: Epitome historiarum, in R.H.C., Grecs, I, pp. 211-212; Chalondon: Jean II Comnene, p. 122

(*) ذكره ابن القلانسي ـ ذيل، ص 259 ـ باسم كند أياجور ، وابن العديم ـ زبدة ، 2، ص 262 ـ باسم كند ياجور .

Raimond de Poitier (*)، وتم الزواج بينهما في عام 1136م في حين اعتزلت اليكس الساحة السياسية لتنتهي أيامها في اللاذقية(1).

وقد أثار هذا الزواج ضجة واستنكارا كبيرين في الأوساط السياسية البيزنطية لما كان له من أثر سيء على مشروعهم الرامي الى الحاق انطاكية بحوزة الامبراطورية واعتبرت بيزنطة هذا الزواج اهانة لها ومساسا بحقوقها على انطاكية، كما هو انتهاك لمعاهدة دي يابوليس التي ابرمت بين آلكسيوس و بوهمند بن جسكارد عام 1108م(2). وترتب على هذه الاهانة أن قرر الامبراطور يوحنا تأديب ريموند ورجاله النورمان ، ولذلك جهز جيشا ضرب به الحصار على انطاكية في أواخر اوت عام 1137م(3)، ولكن سرعان ما عقدت اتفاقية صلح خارج أسوار انطاكية بين يوحنا وريموند تعهد ريموند بموجبها ليوحنا بتسليم انطاكية له والعمل على تيسير أمر دخوله اليها في كل الظروف كما تعهد بأن يكون تابعا له ، وان يقوم بتعيين بطريرك من طائفة الروم الارثوذوكس

---

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, p. 357-358, 360; Chalondon: Jean II, pp. 121-122.

(2) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, p. 366; Chalondon: op. cit., p. 122.

عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 102.

(3) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 365-366, 368; Gregoire le Prètre: Chronique, in R.H.C., arm, I, p. I53; Grousset: op. cit., II, pp. 86, 92; Cinnamos: Epitome historiarum, in R.H.C., Grecs, I, p. 213; Orderic Vital: op cit., t.4, p. 502.

رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص 339.

(*) اثناء هذه الحملة استعاد يوحنا من الارمن اهم مدن قليقية وهي المصيصة وادنه ، وطرسوس. وكانت هذه المدن قد افتكها ملكهم ليو الاول Leon 1er (1129-1137م) عام 1131 من ايدي البيزنطيين الذين كانوا قد اخذوها من تانكريد مابين عامي 1104-1108م انظر: Grousset: op cit., II, 51-52, 36. في حين يذكر رنسمان ، نفس المرجع ، ج2، ص319، ان هذه المدن اخذها الملك ليو الاول عقب وفاة بوهمند عام 1131م، في حين يشير وليم الصوري وشلومبيرجير Schlumberger ان يوحنا اخذ كل سهل قليقية ليس من الارمن وانما من ريموند وهذا بعد ان كان تابعا لانطاكية مدة اربعين سنة : انظر:
Guill de Tyr: op. cit., II, pp 367-368; Schlumberger: Renaud de Chatillon, p 08.

===

محل البطريرك اللاتيني على كرسي بطريركية انطاكية كما وافق على المشاركة معه في منازلة المسلمين في الشام وذلك كله مقابل اعتراف الامبراطور البيزنطي لأمير انطاكية بمدن حلب وشيزر وحمص وحماه الاسلامية الواقعة شمال الشام اذا تمكن من احتلالها . وقد أورد وليم الصوري انه لم يكد يوقع الطرفان على هذه المعاهدة حتى أخذت أعلام الامبراطورية ترفرف على البرج الرئيسي لقلعة انطاكية ، وعندئذ قفل ريموند عائدا الى المدينة انطاكية وفي حوزته هدايا ثمينة تلقاها من الامبراطور يوحنا (1).

وما ان حل شهر فبراير من عام 1136م حتى زحف يوحنا بجيشه على ممتلكات المسلمين في شمال الشام . ووفاء بعهده انضم اليه ريموند بقواته العسكرية كما لحق بهما جوسلين أمير الرها . وفي بحر هذا الشهر استطاع يوحنا انتزاع العديد من المدن الاسلامية ، غير أن مدينة شيزر أوقفت زحفه اذ فشل في اقتحامها رغم

(*) ولد عام 1099م بتولوز ، جنوب فرنسا ، ينتمي الى عائلة ذات جاه وثراء عرف بالاندفاع والتهور الشديدين كما كان على جانب كبير من المهارة في استعمال الاسلحة فضلا عن ولعه الشديد بالفروسية والعلم كان يقيم عند استدعائه الى انطاكية في بلاط ملك انكلترا هنري الاول (1100-1135م) . ابو شامة : كتاب الروضتين في : R.H.O., IV-V, p 62. وانظر ايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 361-362, III, p. 21; Schlumberger: Renaud de Chatillon; pp. 7-8.

(1) ابن القلانسي : ذيل ، ص 263 ، وانظر أيضا : Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 380-382; Cinnamos: Epitome histriarum, in R.H.C., Grecs, I, p. 213; Nicetas Choniates: Historia, in R.H.C., Grecs, I, p. 216; Orderic Vital: op. cit., t.4, pp. 504-505.

ورنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 340-341 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 194-195 ، وايضا : Diehl: op. cit., pp. 156-157; Vasiliev: op. cit., II, pp. 54-55; Grousset: op cit., II, pp 91-97;

وعلى حد قول اردريك فيتال فان ريموند قد تمكن من انزال هزيمة بيوحنا ، ثم طالب هذا الاخير الهدنة . انظر : Orderic: op cit., t 4, pp. 502-504.

الحصار الشديد الذي ضربه عليها مما أدى به الى عقد هدنة مع أميرها من بني منقذ ورفع بموجبها الحصار عليها في يوم 21 مايو عام 1138م ونال لقاء ذلك هدايا ثمينة ومالا وافرا (1).

على أن ريموند الذي كانت عساكره تمثل جانبا معتبرا ضمن الجيش الفرنجي المتحالف لم يبذل أثناء هذا الحصار من الجهود ما يساعد يوحنا على اخضاعها (2)، اذ تراءى له أن سقوط شيزر في ايدي يوحنا سيؤدي حتما الى ضياع انطاكية منه وهذا فضلا عن خشيته من الدور الحساس الذي سوف يناط بشيزر في محاربة المسلمين باعتبارها جبهة متاخمة للقوى الاسلامية في الجنوب (3). واما يوحنا فقد اغتاظ كثيرا لهذا التقاعس الذي أبداه ريموند اذ اعتبره نكثا للعهد الذي قطعه له في السنة الفارطة سـ 1137م ـ ولذلك لم يكادا يصلان الى انطاكية حتى طلب يوحنا من ريموند السماح للجيش الامبراطوري بالدخول الى مدينة انطاكية مع تسليم قلعتها له .

على أن طلب يوحنا أثار ضجة كبيرة وخطيرة في مدينة انطاكية ، اذ ثار الأهالي

---

(1) عن هذه الحملة أنظر: اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص 02 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 264ـ265 ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 265ـ268 ، وانظر ايضا :
Cinnamos: op. cit., in R.H.C., Grecs, I, p. 214; Nicetas Choniate: Historia, in R.H.C., Grecs, I, pp. 217-221; Gregoire le Prêtre: chronique /in R.H.C., arm, I, p. 153; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 383-387; Gousset: op. cit., II, pp 100-111; Diehl: op cit., p. 157.
رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 344ـ347 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 195ـ 196 .

(2) أنظر : Guill de Tyr: op. cit., II, pp 385-386.

(3) رنسمان : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 345ـ346 .

تأوسموا في جنود البيزنطيين قتلا واستبد الخوف بيوحنا ، فبادر باخبار ريموند ووجوه المدينة برغبته في العدول عن مطالبه ومغادرة المدينة حينما تهدأ خواطر سكانها لكنه اشترط عليه احترام معاهدة عام 1137م، ولما عادت أمور المدينة الى نصابها جرى اللقاء بين يوحنا وريموند بحضور جوسلين ومن ثم غادر يوحنا انطاكية عائدا الى القسطنطينية بعد أن وعد بالعودة لمقاومة المسلمين كما نصت عليه معاهدة عام 1137م[1].

وفي الواقع أن هذه الحملة ، التي توجت بالفشل ، تركت جرحا غائرا في نفس يوحنا ولذلك لم يكد يدخل عام 1142م حتى شرع في الرحيل بقواته الى انطاكية للثأر من ريموند واسترداد حقوقه في انطاكية ، ولما حل يوحنا بحصن بغراس(*) ارسل الى ريموند انذارا عاجلا يطالب منه تسليم انطاكية وقلعتها كما وعده بالتنازل عن الفتوحات المستقبلة لتكون نواة امارة له ، وقد أدرك ريموند أن يوحنا كان جادا في انذاره وطلبه وانه مستعد لاستخدام القوة ضده فبادر باستشارة مجلس المدينة الذي أصرّ على ريموند بعدم الاذعان لمطالب الامبراطور بحجة أنه لا يملك الحق في تقرير مصير انطاكية باعتباره وصيا عليها فقط .

ولم يلبث ريموند أن أخبر يوحنا بعدم قبول رعماء المدينة النورمانيين لطلبه مما أثار في نفس يوحنا غيظا شديدا فأخذ يستعد للاجهاز على المدينة لكن

---

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 387-396 ;

ورنسمان : نفس المرجع ، ج 2، ص 347 ـ 348 ، عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 193 ـ 196 ، وانظر ايضا : Grousset: op. cit., II, pp. 112-121; Chalondon: Jean II comnene, pp. 146-151.

(*) يقع في شمال الشام بين انطاكية ومدينة اسكندرونة .

حلول فصل الشتاء(1) اجبره على مغادرة انطاكية مستوجهاً الى اقليم قليقية لقضاء هذا الفصل به واكتفى بأن عاث نهبا وفسادا في الاطراف المجاورة لانطاكية على أن يوحنا لم تكتب له بعد هذا العام العودة الى انطاكية للظفر بها اذ أصابه جرح أثناء جولة صيد في غابات قليقية أودى بحياته في يوم 8 افريل عام 1143م ، وهذا دون أن يصل الى حل حاسم المسألة الانطاكية(2).

---

(1) أنظر: Nicetas Choniates: Historia, in R.H.C., Grecs, I, p. 222; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 428-431; Gregoire le Prêtre: in R.H.C., arm, I, p. 156; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 187-190; Grousset: op. cit., II, pp. 145-150.

وأيضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 355 ، 357 .

يشير جريجوري الراهب ان يوحنا فتح انطاكية وتصالح مع ريموند وهذا على عكس جميع المصادر . واما ابن القلانسي فيذكر ان ريموند " برز اليه . . . وخدمه واصلح امره معه وطيب نفسه وعاد عنه الى انطاكية ." ابن القلانسي : ذيل ، ص 276 .

(2) ابن القلانسي ، ذيل ، ص 277 ، وايضا: Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, p. 233; Nicetas: in R.H.C., Grecs, I, p. 225; Guill de Tyr: op cit., II, pp. 433-436; Gregoire le Prêtre: in R.H.C., arm, I, pp. 156-157; Michel le Syrien: Chron. in R.H.C., arm, I, p. 338; Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 227; Chalondon: Jean II, comnene, pp. 190-193.

ورنسمان : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 358 ـ 359 .

اشار جريجوري الراهب الى يوم 4 افريل كتاريخ لوفاة يوحنا .

ج) مع الامبراطور مانويل كومنينوس (1143–1154م):

استفاد ريموند كثيرا من الظروف التي اعقبت وفاة يوحنا ذلك أنه لم يكد يسمع بخبر وفاة هذا الاخير ونقل ابنه مانويل Manuel لجثمانه الى بيزنطة حتى سيّر جيشا الى اقليم قليقية وتمكن من بسط نفوذه على بعض مواقعه البيزنطية (1) لكن الامبراطور مانويل (*) الذي تولى مكان ابيه يوحنا (2) سرعان ما أرسل حملة عسكرية استطاعت استردادها والاجهاز على انطاكية ذاتها وحصر قوة أميرها ريموند (3).

على ان العلاقة البيزنطية النورمانية لم تلبث أن أخذت مجرى جديدا بسبب ما

---

(1) أنظر: Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, p. 228; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 198, 239; Diehl: op cit., p. 157.

ذكر كيناموس ان سكان انطاكية ارسلوا وفدا الى مانويل ليخبروه برغبتهم في الحفاظ على استقلالهم لكن مانويل ردّ على الوفد بأن بيزنطة ستفرض سيادتها على انطاكية بالقوة. انظر: Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, p. 227.

(2) انظر: Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, p. 223; Gregoire le Prêtre: in R.H.C., arm, I, p. 156; Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, p. 338; Guill de Tyr: op cit., II, p. 437; Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 227.

(3) أنظر: Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, pp 228-229; رنسمان: نفس المرجع، ج2، ص 377–378، وايضا: Chalondon: Jean II Comnene, pp. 240-241; Schlumberger: Renaud de Chatillon, p. 57; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 269.

(*) ولد عام 1122م هو أصغر ابناء يوحنا اختاره ابوه وهو على فراش الموت خليفة له في افريل عام 1143م. اشتهر بثقافته المتينة لا سيما في الجانب الديني ومهارة سياسية ملحوظة مما جعله بحق رجل دولة يدير شؤون دولته بتفان كبير. وقد دعا الى فكرة انشاء امبراطورية عالمية تكون قاعدتها بيزنطة. توفي يوم 24 سبتمبر عام 1180م. انظر: Nicetas: Historia, in Patrologie Grecque, t. I39; pp. 389-390, para. 79-80; Chalondon: Jean II Comnene, pp. I92-I93; Diehl: op. cit., p. 141; Gde Encyclopédie, t. 22, p. 1189; Ostrogorsvy: Histoire de l'Etat byzantin, p. 40I.

كان يعرفه بالشام والعراق من ازدياد سلطان القوى الاسلامية كنتيجة لسقوط امارة الرها الصليبية بأيدي المسلمين عام 539 هـ/1144م[1].

ان ريموند لما علم بما آلت اليه امارة الرها استبد به الذعر والفزع الأمر الذي أدى به الى الحصول على التقرب من بيزنطة ذلك أنه توجه في عام 1145م الى بيزنطة وطلب من مانويل الغفران وأعلن عن تبعيته له كما زار قبر والده يوحنا ومجده وأما مانويل فقد عفا عنه كما وعده بالمساندة ضد السلاجقة في الشام[2].

على أن ريموند لم يلبث أن لقي حتفه في يوم 29 جوان عام 1149م وهو يحارب المسلمين بشمال الشام[3]، وآلت ولاية امارة انطاكية الى أرملته كونستانس باعتبارها وصية على ابنها بوهمند الثالث بن ريموند ، وكان أن أتيحت الفرصة لمانويل لوضع يده على انطاكية ، ولبلوغ غايته اتبع أسلوب المصاهرة اذ بعث بأحد أفراد عائلته وهو القيصر يوحنا[*] الى انطاكية ليطلب من كونستانس يدها للزواج اكسن

---

(1) عن نشاط الاتابك عماد الدين زنكي العسكري المضاد للصليبيين انظر: رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص 308 وما بعدها .

(2) أنظر: Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, p. 230; Schlumberger: Renaud de Chatillon, p. 08; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 241-242; Diehl: op. cit., p. 157.

(3) ابن القلانسي : ذيل ، ص 304-305 ، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 207، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 299 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., III, p. 20; Gregoire le Prêtre: in R.H.C., arm, I, p. 161; Nicetas: in R.H.C., Grecs, I, pp. 266-267.

اشار وليم الصوري الى يوم 27 جوان عام 1148م كتاريخ لوفاته .

(*) هو زوج شقيقة مانويل السابق .

كونستانس رفضت عرضه بسبب تقدمه في السن [1].

وقد أثارت هذه المبادرة البيزنطية انفعال واستنكار زعماء انطاكية لما كان للامبراطور مانويل من نوايا تؤدي الى بسط نفوذه على امارة انطاكية ولذلك سارعـــوا الى اختيار زوج لكونستانس اسمه رينود دي شاتيون Renaud de Chatillon [*]، والمعروف لدى المسلمين باسم ارناط. وفي اوائل عام 1153م تمّ الزواج بينهما [2].

وكان لهذا الزواج وقع الصاعقة على الدوائر السياسية البيزنطية مما جعل رينود دي شاتيون يرتاب ويخشى انتقام مانويل منه ولذلك لم يكد يتولى عرش امـــارة انطاكية حتى أرسل رسالة الى الامبراطور مانويل يطيب خاطره ويسترضيه كما أعلن بواسطتها عن ولائه له واستعداده لخدمته فيما يشاء [3] وكان أن رد عليه مانويل

---

(1) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 204، وانظر ايضا :
Nicetas: in R.H.C., Grecs, I, p. 268; Grousset: op. cit., II, p. 327; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 426-427.

(2) ابن العديم : زبدة، 2، ص 302، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص 207، وايضا :
Nicetas: in R.H.C., Grecs, I, p. 268; Guill de Tyr: op. cit., III, p. 58; Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, p. 344; Grousset: op. cit., II, pp. 327-329.

(3) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 205، وأيضا :
Schlumberger: Renaud de Chatillon, p. 62; Grousset: op. cit., II, p. 334; Chalondon: Jean II Comnene, p. 435.

(*) هو فارس فرنسي شاب انتقل الى الشرق في اطار الحملة الصليبية الثانية، دخل في خدمة الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (1137-1180م) اثناء تواجده فـي الشام : عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 204، وايضا: Grousset: op. cit., II, pp. 327-328; Schlumberger: Renaud de Chatillon, pp. 3-5.

بتكليفه بتأديب الزعيم الارمني ثوروس Thoros (*)، وهذا بعد تزويده بكل ما تتطلبه الحملة من المال . وقد لبى رينود طلب مانويل حيث جهّز حملة عسكرية قوية وتوجه صوب قليقية واستطاع أن ينزل بالزعيم الارميني ثوروس هزيمة نكراء قرب اسكندرونة بشمال الشام (1) . وهكذا تمكن رينود من النجاح في مواجهة عدو سبق لبيزنطة أن فشلت عدة مرات في دحضه وكسر شوكته . وعلى كل فان دلت هذه الخدمة التي بذلها رينود لمانويل وما أسفرت عليه من تأمين ممتلكات بيزنطة في ربوع قليقية فانما تدل على خضوع رينود ظاهريا لبيزنطة وتثبيت هذه الاخيرة حقها على امارة انطاكية ردحا من الزمن (2) .

---

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., III, pp. 98-99; Schlumberger: Renaud de Chatillon, pp. 62-65; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 435-436; Grousset: op. cit., II, pp. 334-335.

على حد قول ميخائيل السرياني فان ثوروس هو الذي انزل الهزيمة برينود ، انظر: Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, p. 349.

في الواقع كان طلب مانويل فرصة مناسبة قدمت لرينود للاجهاز على ثوروس لانه كان على خلاف معه بسبب محاولة كل واحد منهما امتلاك بعض المواقع المتواجدة على الطريق الرابط بين انطاكية وقليقية . انظر: Chalondon: Jean II Comnene, p. 436; Grousset: op. cit., II, p. 334.

(2) وعلى كل فان الخلاف لم يلبث أن دب بين رينود ومانويل بعد هذه المعركة ، ويعزو وليم الصوري سببه الى امتناع مانويل عن دفع الاموال التي وعد بها رينود . ارجع الى Guill de Tyr: op cit., III, pp 99-100; Schlumberger: op cit., pp 67-68.

(*) هو ابن ليو الاول حمل لواء المقاومة ضد البيزنطيين في جبال ارمينيا وتمكن من بسط نفوذه على معظم اقاليم قليقية البيزنطي كما افشل جميع المحاولات التي قامت بها بيزنطة القضاء عليه . انظر: Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, p. 345; Gregoire le Prêtre: in R.H.C., arm, I, pp. 167-168; Schlumberger: op. cit., pp. 58-61; Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, p. 270.

العلاقات بين بيزنطة والنورمان حول مملكة جنوب ايطاليا (1118-1154م):

أ) الامبراطور يوحنا ومملكة جنوب ايطاليا (1118-1143م):

يعتبر ظهور النورمان في ايطاليا الجنوبية وما حققوه من فتوحات بهذا الاقليم من المسائل التي شغلت بال الامبراطورية البيزنطية[1]. ولقد كان الاباطرة البيزنطيون يعتبرون أنفسهم الحكام الشرعيين على ايطاليا الجنوبية رغم اقتطاع النورمان لمعظم أجزائها ولذلك كان كل انتصار يحققه النورمان في هذا الاقليم يعد جرحا غائرا في الامبراطورية[2]. وقد برزت مخاوف بيزنطة بشكل جلي حينما اعتلى روجر الثاني كرسي دوقية ابوليا وقلورية وصقلية عام 1127م وأخذ يسعى لتوحيد ممتلكات ايطاليا الجنوبية تحت صولجانه . ومما زاد من قلق وغضب بيزنطة ما اقبلت عليه البابوية من الاعتراف بسيادة روجر الثاني على جنوب ايطاليا وصقلية وتتويجه ملكا عليهما عام 1130م اذ اعتبرت بيزنطة هذا التصرف تحديا صارخا لها ومساسا بسيادتها على هذا الاقليم وعبر المعاصرون عن مبادرة البابوية بأنها اشارة بتكريس ضياع جنوب ايطاليا من أيدي البيزنطيين[3].

وفي الواقع لم تتخل بيزنطة قط عن حقوقها في ايطاليا الجنوبية حيث باتت

---

(1) أنظر: Chalondon: Jean II Comnene, p. I65 .

(2) أنظر: Vasiliev: op. cit., II, pp52-53; Chalondon: loc. cit.

(3) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 220 ، وانظر: Vasiliev: loc. cit.; Chalondon: op. cit., pp. I65-I66.

مشروع استرداد هذا الاقليم الى حوزتها يراودها طوال القرن الثاني عشر الميلادي وقد ظلت تعمل في سبيل تحقيق هذا الحلم كلما وجدت سبيلا لذلك . على ان بيزنطة اذا كانت لم تعمد الى استخدام القوة ضد مملكة روجر الثاني الناشئة في ايام الامبراطور يوحنا فانها لم تدخر جهدا في تقديم العون والدعم اللازمين لاتباع الملك روجر الثاني العصاة اللاجئين اليها ، وكان ان رد الملك روجر الثاني على هذه السياسة البيزنطية (1) بمهاجمة الشواطئ الغربية للامبراطورية البيزنطية مرات عديدة (2)، وسرعان ما أدركت بيزنطة أن الملك روجر الثاني لن يقنع ببسط نفوذه على الجزء الغربي من البحر الابيض المتوسط وانما يتطلع الى مد نفوذه على الجزء الشرقي منه (3). وبالفعل فقد ظل مشروع ضم مملكة بيت المقدس وامارة انطاكية الى تاج صقلية يداعب مخيلة الملك روجر الثاني طوال فترة حكمه اذ كان يعتبر نفسه الممثل لبيت النورمان والوريث الشرعي لهذين التاجين ، ولذلك لم يغفر لنبلاء انطاكية (*) و بلدوين الاول (**) ، ملك

---

(1) أنظر: Chalondon: Jean II , p. I66.

(2) عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 83 وايضا : Chalondon: loc. cit.

وهاجم الملك روجر الثاني كذلك البنادقة بسبب تحالفهم مع يوحنا كومنينوس .

(3) أنظر: Chalondon: Jean II Comnene, p. I66.

(*) لما بلغ الى اسماع الملك روجر الثاني نبأ استدعاء نبلاء انطاكية الامير ريموند دي بواتييه ليخلف بوهمند الثاني على عرش امارة انطاكية استشاط غضبا حيث اعتقد انه احق واحد لوراثة ابن عمه ، ولذلك بادر بتشديد الرقابة على كل القادمين من اصقاع اوربا الغربية ، وهذا حتى يضع يده على ريموند لكن هذا الاخير نجح في المضي الى انطاكية بعد ان تنكر في زي حاج تارة وخادم لاحد التجار تارة اخرى : انظر: Guill de Tyr: op cit., II, pp. 358-359.
رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 317 .

(**) يعتبر الملك روجر الثاني نفسه الوريث الشرعي لمملكة بيت المقدس وان الملك بلدوين الاول مغتصب لهذا العرش ذلك ان بلدوين الاول لما تزوج بوالدة روجر الثاني ادليدا Adelaïde عام 1113م اشترط عليه انه في حالة ما اذا لم يترك وريثا سوف ينتقل عرش بيت المقدس الى روجر الثاني ، غير ان بلدوين الاول ضرب بعرض الحائط هذا الشرط وطرد ادليدا عام 1117م ثم استولى على كل ثروتها وعلى هذا فقد تأثر الملك روجر الثاني ايما تأثر لخيانة بلدوين الاول ولم ينقطع بتاتا عن التفكير في فرض سيادته على عرش بيت المقدس
===

بيت المقدس ، ما فعلوه لاضاعة حقه في الشرق(1) .

وقد نظرت بيزنطة الى تطلعات الملك روجر الثاني في الشرق بعين مملوءها القلق والفزع وأيقنت انها ستعرقل مشروع اعادة سيادتها على ممتلكات الشام من جهة كما ستتعرّض الامبراطورية البيزنطية ، شرقا وغربا ، لهجمات النورمان من جهة أخرى . ولاحسبا لأطماع الملك روجر الثاني التوسعية على الاقل في الشرق رأى الامبراطور يوحنا ضرورة تنفيذ سياسة مرنة محكمة(2) ، اذ بادر بعقد حلف مع الامبراطور الالماني لوثر الذي كان يتحرق شوقا الى استئصال شأفة النورمان في ايطاليا وتثبيت مصالحه فيها . واقتضى الحلف ان يسيّر لوثر حملة على ايطاليا الجنوبية قصد شغل الملك روجر الثاني وتصريف نظره عن أطماعه في الشرق خاصة وان يوحنا كان ينوي تدبير هجوم على امارة انطاكية(3) .

على ان لوثر لم يلبث أن جاز بقواته الى ايطاليا الجنوبية عام 1135م وحقق بها انتصارات باهرة بعد أن أوقع الملك روجر الثاني في ضيق شديد ، غير أن لوثر لم يكـد

=== وفي الواقع ان ما شغله عن السير الى الشرق لاثبات حقه فيه هو مشاريعه التوسعية في حوض البحر الابيض المتوسط . انظر: Guill de Tyr: op cit., II, pp. I62-I63; Foulcher: op. cit., pp. I76, I89; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 204-205; Chalondon: Jean II Comnene, p. I67.

رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 156—157 ، 404—405 .

(1) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 317 ، 321 ، 404—405 .

(2) أنظر: Chalondon: Jean II Comnene, pp. I66-I67 .

(3) محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص 271 ، وايضا : Chalondon: Jean II Cmnene, pp. I67-I68; Vasiliev: op. cit., II, p. 53; Diehl: op. cit., p. I5I; Ostrogorsky: op. cit., pp. 400-40I.

يغادر ايطاليا الجنوبية حتى زحف الملك روجر الثاني بقوته واسترد جميع فتوحات لوثر في ابوليا وكمبانية(1). وفي الحقيقة اذا كانت حملة لوثر فاشلة في أسسها فانها حققت ليوحنا أغراضه في الشرق حيث سلمت بفضلها أراضي الامبراطورية من غارات جيش النورمان من جهة كما سمحت ليوحنا بغزو انطاكية عام 1137م دون أن يحركه الملك روجر الثاني عن ذلك من جهة أخرى(2).

ولم يلبث أن عقد يوحنا العزم على غزو انطاكية مرة ثانية فبادر في عام 1140م بارسال سفارة الى الامبراطور الالماني كونراد الثالث (1138-1152م) يطلب تجديد التحالف الذي تم عقده مع سلفه لوثر آملا في ان يساعده على مواجهة خطر النورمان وتعزيز هذه الروابط التمس منه يوحنا يد احدى بنات الاسرة الحاكمة للزواج من ابنه مانويل وقد رد كونراد الثالث على هذين الطلبين بالموافقة وبالتالي تم تجديد التحالف بين الامبراطوريتين البيزنطية والالمانية على أساس المصاهرة ، وكان الدافع الاساسي مواجهة النورمان وكسر شوكتهم(3). وواقع الامر ان هذا التحالف لم يمس الملك روجر الثاني بأدنى ضرر أو أذى لكنه لم يكن عديم الجدوى حيث استطاع يوحنا أن يدبر

---

(1) انظر: Guill de Tyr: op. cit., II, p. 292.

ان وليم الصوري يضع هذه الاحداث في عام 1127م. لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة ارجع الى الفصل الثاني من هذا البحث.

(2) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 224 ، وايضا : Chalondon: Jean II Comnene, p. 169; Ostrogorovy: op. cit., p. 401.

(3) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 355 ؛ محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص 271 ، وانظر ايضا : Vasiliev: op. cit., II, pp. 56-57; Chalondon: Jean II Comnene, pp 169-172; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 268.

قبل الوصول الى اتفاق نهائي تبودلت عدة سفارات بين كونراد ويوحنا ، وفي عام 1142م عادت السفارة البيزنطية برفقة برثا سولتسباخ Berthe Sulzbach شقيقة زوجة الملك كونراد لتكون زوجة لمانويل بن يوحنا وأخذت اسم ايرين Irene : رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 355 . وايضا : Chalondon: loc. cit.

حملة ثانية في عام 1142م ـ 1143م ضد امارة انطاكية دون أن يحاول الملك روجـــر الثاني الاجهاز على ممتلكات الامبراطورية البيزنطية[1].

وسرعان ما أدرك الملك روجر الثاني الخطر الذي يشكله هذا التحالف الدولي على مستقبل مملكته ، ولذا رأى من الحكمة العمل على التقرب من بيزنطة ومهادنتها وعملا بهذه الخطة عمد الى ارسال سفارة الى بيزنطة عام 1142ـ1143م اتطلب يد اميرة بيزنطية للزواج من أحد اولاده . غيران الوفادة لم توفق في مهمتها بسبب وفاة يوحنا ورفض مانويل ، ابنه وخليفته ، عرض الملك روجر الثاني . ولعل مانويل كافأ السفارة بالقائها في السجن[2].

ونستنتج مما سبق أن يوحنا بدا رجلا سياسيا ماهرا اذ استطاع أن يوجه سياسة بيزنطة الخارجية توجيها محكما كان أساسها العمل على مواجهة خطر مملكة النورمان الناشئة الذي صار مصدر تهديد لمصالحها في الشرق والغرب . وقد كرّس كل جهوده لافشال مشاريع الملك روجر الثاني الرامية الى غزو اراضي الامبراطورية وحقق مبتغاه بفضل ما سلكه من سياسة التحالف مع الامبراطورية الالمانية[3].

---

(1) أنظر : Chalondon: Jean II Comnene, pp. I72, 258.

(2) عادل زيتون : العلاقات السياسية ، ص 224ـ225 ، وأيضا : Brehier: Vie et mort de Byzance, p. 269.

ويعزو رموالد السالرني هذه المبادرة الى الامبراطور مانويل ويذكر شالندن ان مانويل ردا على طلب الملك روجر الثاني ، بعقد صلة مصاهرة بين العائلتين النورمانية ـ البيزنطية ارسل سفارة من لدنه الى بالرمو لتتفاوض مع روجر الثاني في شأن هذا الزواج غير أن روجر الثاني استطاع ان يشتري سفير يوحنا ، وهو بازيل كزيروس Basile Xeros وحمله على ابرام اتفاق معه اعترف بموجبه بلقبه "ملك صقلية" وبانه ند للامبراطور البيزنطي ، ولما عاد بازيل الى القسطنطينية رفقة وفد نورماني بادر مانويل الذي تولى مكان ابيه يوحنا بالقائهم في الحبس جميعا : ارجع الى : Romualdi: Chronicon, VII, 1,p. 227; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 258-259; Idem: Hist. de la domination, II, p. I29.

(3) ارجع الى : Chalondon: Jean II Comnene, p. 173.

ب) الامبراطور مانويل والملك روجر الثاني (1148-1154م):

وفي الواقع ان التحالف البيزنطي - الالماني (*) وما نتج عنه من ابعاد الملك روجر عن ساحة أحداث الشرق لم يؤد بهذا الاخير الى التخلي عن تطلعاته نحو الشرق. اذ ظل يتربص بشغف شديد الفرصة الملائمة للاجهاز على أراضي الامبراطورية البيزنطية . وقد اتيحت له هذه الفرصة حينما تحركت الحملة الصليبية الثانية عام 1145م تحت قيادة الملك الفرنسي لويس السابع (1137-1180م) وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة الالماني كونراد الثالث حليف بيزنطة[1] . وقد انشغل الامبراطور مانويل بمراقبة الجيوش الصليبية على أراضيه مما ادى به الى تجريد سواحله الغربية من حاميتها .

(1) نودي بهذه الحملة الصليبية نتيجة سقوط امارة الرها بأيدي المسلمين عام 539 هـ/ 1144م وما بعثه من رعب وهلع في الاوساط المسيحية في الشرق والغرب ودعا الى هذه الحملة البابا يوجين الثالث وساعده في ذلك القديس برنارد رئيس دير كليرفو Clairvaux (جنوب فرنسا)، وكان قوامها اثنين من اقوى ملوك غرب اوربا هما ملك فرنسا لويس السابع والامبراطور الالماني كونراد الثالث: ارجع الى : Guill de Tyr: op cit., II, pp 481-490. ايضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص 237-239 ، عبد المنعم ماجد :العلاقات بين الشرق والغرب ، ص157، وارجع أيضا : Schlumberger: Les principautés franques du Levant, pp. 13-14.

ومن يوم 16 الى 18 فبراير عام 1147م عقد اجتماع بمدينة ايتامبس Etampes (شمال فرنسا) تحت رئاسة لويس السابع بحضور وفد الملك روجر الثاني وذلك لدراسة خطة الحملة وتحديد امكانياتها واثناءه تعهد الوفد النورماني بأن يقدم للصليبيين ما يحتاجون من المؤن والذخيرة ويزودهم بالمراكب اللازمة لنقلهم الى الشام كما وعد الوفد المشاركين بان الملك روجر الثاني او ابنه سيشترك في هذه الحملة اذا مرت الجيوش الصليبية على اراضيه واخيرا حذّر الوفد النورماني الصليبيين من خداع البيزنطيين وتضليلهم ومن مغبة الانسياق وراء وعودهم : ارجع الى Odon de Deuil: De profectione Ludovici VII, in Orientem, pp. 286-288; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 265-266; Idem: Hist. de la domination, II, pp. 133-134.

(*) ارسل مانويل سفارة اخرى في نهاية عام 1144م الى كونراد الثالث لتلتمس منه مساعدة عسكرية وكذلك لتطالب من جديد يد الاميرة برثا التي تم طردها من البلاط البيزنطي ، وقد استجاب كونراد الثالث لطلب مانويل فوعده بامداده بقوة تقدر بثلاثة آلاف فارس وعادت برثا الى القسطنطينية : انظر: Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 130; Idem: Jean II Comnene, pp. 259-262.

وكان ان اهتبل الملك روجر الثاني فرصة انشغال مانويل فجهز اسطولا ضخما في خريف عام 1146م وسيره صوب الشواطىء الغربية للامبراطورية البيزنطية ، وقد تمكنت القوات النورمانية وبسرعة فائقة من بسط نفوذه على عدد من المدن والمواقع البيزنطية الساحلية(*) ومن بينها جزيرة كورفو ثم لم تلبث ان توغلت داخل البرّ البيزنطي واحتلت بسهولة مدينة طيبة Thebes اليونانية وكانت مدينة طيبة قد اشتهرت آنذاك بوفرة خيراتها و بصناعة الحرير ونسيج الاقمشة الملوّنة و براعة رجالها في هذا الميدان ، وبعد أن نهب جيش النورمان خيراتها ساق معه جماعة وافرة من أبرع صناع الحريـــر و بعث بهم الى مدينة بالرمو واستولى كذلك على مدينة كورنثة Corinthe احد المراكز التجارية والصناعية الهامة في بلاد اليونان بعد أن ضرب عليها حصارا شديدا ، ومن كورنثة توجه جيش النورمان الى مدينة اثينا فسلب و غنم فيها ثم قفل عائدا الى جزيـرة كورفو التي قرر الاحتفاظ بها و بالتالي عمد النورمان الى توطيد حكمهم بها فتركـــوا فيها حامية عسكرية ثم انطلق أسطول النورمان راجعا الى صقلية محملا بالغنائـــم والاسلاب الوافرة(1)

(1) ارجع الى: Nicetas: Historia, in Patrologie Greque, t. I39, pp 405-4I0; para. 97-I02; Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 227; Odon de Deuil: op. cit., p. 336; Vasiliev: op. cit., II, p. 61; Diehl: op. cit., pp. I5I-I52; Heyd: op. cit., t. I, pp. I98-I99; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 318-320; Idem: Hist. de la domination, II, pp. 135-137; Gde Encyclopédie, t. 22, p. 1189; Brehier: Vie et mort de byzance, pp. 270-271; Ostrogosky: op. cit., p. 404.

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان صناع الحرير الاغريق الذين سيقوا الى صقلية لم يتسببوا في تأسيس صناعة الحرير بهذه الجزيرة لان هذه الحرفة كانت موجودة قبل وصولهم اليهـا غير ان هذا القطاع بفضل مهارتهم وتفانيهم عرف تقدما وانتعاشا كبيرين : انظر : Vasiliev: op. cit., II, p. 61; Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. I36-I37, 703.

(*) هي مدينة ميثون Methon ونوبليه Nauplie وجزيرة ايوبيه Eubee ونيغروبونت Negropont وجزيرة سيرجو Serigo ومدينة خريسون Khrisson : ارجع الى : عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 222-223 .

كانت هذه الحملة النورمانية على اراضي الامبراطورية البيزنطية وما حققته من نجاح ساحق ضربة قاصمة تلقاها البيزنطيون في صميم كبريائهم ، على ان مما أثر كثيرا على مانويل هو سقوط جزيرة كورفو في أيدي النورمان الامر الذي جعله يقرر استعادتهـــا بسرعة ثم توجيه حملة عسكرية واسعة الى ايطاليا الجنوبية لتأديب النورمان واعادة بسط سيادة بيزنطة على هذا الاقليم المفقود [1].

وكان مانويل يعرف جيدا القوة التي يملكها النورمان ، ومن ثم تقدم الى العاهلين كونراد الثالث ولويس السابع ، ملك فرنسا ، اثناء اقامتهما بالقسطنطينية ، وهما في طريقهما الى الاراضي المقدسة ، وطلب منهما مساعدة عسكرية لمقاومة الملك روجر الثاني ، الا أن العاهلين رفضا هذا الطلب [2] رغم الاموال الطائلة التي عرضها مانويل على لويس السابع [3]، واما قنط مانويل من مساعدتهما عقد صلحا مع جيرانه من امراء السلاجقة كما ابرم معاهدة تحالف مع البندقية عامي 1147-1148م ، والتي أدركت ما قد ينجر عن استقرار النورمان بجزيرة كورفو من مخاطر وتهديد لتجارتها في بحر الادرياتي [4].

---

(1) أنظر: Nicetas: Historia, P. G.T. 139, pp. 409-410, para. 102; Chalondon: Jean II Comnene, p. 321.
عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 230 .

(2) أنظر: Chalondon: loc. cit.

(3) أنظر: Odon de Deuil: op. cit., p. 336.

(4) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 444-445 ، وانظر ايضا : Chalondon: Hist. de domination, II, pp. 137-138; Heyd: op. cit., I, p. 198; Diehl: op. cit., p. 153; Vasiliev: op. cit., II, p. 63; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 271;

يشير هايد Heyd ان وفدا من البندقية سار الى القسطنطينية للتفاوض مع مانويل ونال هذا الوفد كل ما طلبه من مانويل من امتيازات تجارية . لمزيد من التفاصيل ارجع الى:
Heyd: op. cit., I, p. 200.

وفي ربيع عام 1148م سير مانويل اسطولا عتيدا تحت قيادة كونتو ستيفانوس صوب جزيرة كورفو قصد استرجاعها ، وفي شهر اوت عام 1148م ضرب الاسطول البيزنطـــــي بمساعدة البنادقة الحصار على جزيرة كورفو ، وقد استبسلت الحامية النورمانية استبسالا عظيما فتمكنت من احباط هجومات البيزنطيين عدة ما وقتل خلالها القائد البيزنطـي كونتو ستيفانوس وحل محله قائد آخر هو يوحنا اكسوخ Aksouch [1]، وبينمـا كان الحصار يجري على جزيرة كورفو حقق مانويل نجاحا دبلوماسيا باهرا في القسطنطينية حيث استطاع أن يعقد معاهدة تحالف مع الامبراطور الالماني كونراد الثالث وهو عائد من الشام و بموجبها تعهد كونراد بغزو ايطاليا الجنوبية في العام المقبل [2].

وكان رد فعل الملك روجر الثاني امام تحركات مانويل الدبلوماسية أن وجّهـه اسطولا ضخما قوامه ستون مركبا الى سواحل اليونان لمهاجمتها وما كان يريد الملك روجر الثاني تحقيقه كذلك من هذه الحملة هو حمل مانويل على تجنيد جميع قواتـه لمواجهته في اليونان مما يؤدي به الى رفع الحصار على جزيرة كورفو غير أن مانويل الذي صار يشرف على أعمال هذا الحصار اكتفى بارسال قسم من اسطوله تحت زعامـة القائد كوريوبوس Churupes, Chouroupes المتصدي للاسطول النورماني [3]، ولم يلبـث

---

(1) أنظر: Nicetas: Historia, P.G.T. I39, pp. 411-418, para. I03-I09; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 322-323, 328-329; Idem: Hist. de la domination, II, pp. 138-139, 142.

كان من المقرر أن يشارك مانويل نفسه في هذه الحملة لكن اجتياح عنصر الكومان Coumans لاراضيه اجل رحيله. عن تفاصيل نشاطه في هذا المجال انظر: Chalondon: Jean II Comnene, pp. 323-325.

(2) رنسمان: نفس المرجع ، ج2، ص 459، وانظر ايضا: Chalondon: Jean II Comnene, pp. 326-327; Idem: Hist. de la domination, II, p. 141; Vasiliev: op. cit., II, p. 62; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 271; Ostrogorsky: op. cit., p. 404.

(3) عادل زيتون: العلاقات السياسية، ص 233.

أن اصطدام الاسطولان ، البيزنطي والنورماني ، عند رأس مالي Malee ، جنوب البيلوبونيز ، مني الاسطول النورماني خلالها بالهزيمة(1) الا أن الملك روجر الثاني لم يتأثر بها حيث بادر بتوجيه حملة عسكرية اخرى ضد القسطنطينية ذاتها التي جردت من معظم حاميتها ، وقد تمكن جيش النورمان من بلوغ العاصمة " ودخل أسطول النورمان فم الميناء وأخذ عدة شواني الروم وأسر جمعا منهم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب. "(2) غير أن الاسطول البيزنطي سرعان ما ثأر لهذه الانتكاسة حيث التقى بأسطول النورمان اثناء عودته فأنزل به هزيمة ساحقة و فقد الاسطول النورماني

---

(1) أنظر : Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 227; Chalondon: Jean II Comnene, p. 330; Idem: Hist. de la domination, II, p. 143.

ان رموالد السالرني ينسب الانتصار الى الاسطول النورماني ذاكرا بأن النورمانيين حملوا معهم الى صقلية الكثير من الاسرى ومن بينهم أحد اقارب مانويل . انظر : Romualdi: loc. cit. وقد اقترن بهذه المعركة البحرية حدث هام كان له صدى عميق وواسع في ايطاليا وفرنسا على السواء ذلك ان الملك الفرنسي لويس السابع اثناء عودته من الشام على سفينته فيأوائل صيف عام 1149م التقى بأسطول النورمان الذي كان يجوب المياه الشرقية للبحر المتوسط فانحازت اليه ، وفي هذه الآونة بالذات هاجمتهم سفن الاسطول البيزنطي ولم ينج الملك لويس الا بأعجوبة في حين وقع معظم أتباعه في الاسر كما ضاعت منه جل امتعته ولم يرجع له الامبراطور مانويل اياها الا بعد انقضاء شهور عديدة . ومهما يكن هذا الحدث فانه غرس في نفس لويس السابع الكراهية لمانويل كما ادى الى تدعيم اواصر الصداقة بينه وبين الملك روجر الثاني اذ انه لم يكد يصل الى ميناء برنديزي حتى عقد لويس وروجر حلفا يقضي بتوجيه حملة صليبية تكون وجهتها القسطنطينية : ارجع الى : Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, p. 250.

رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 460 ، وانظر ايضا : Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. 143-144; Vasiliev, op cit, II, p 64.

(2) ابن الاثير : الكامل ، ج9 ، ص26 ، اماري : المكتبة العربية الصقلية ، ص 657 ، نقلا عن الصفدي : الوافي بالوفيات . واشار الى هذه الاحداث : Nicetas: Historia, P.G.T. I39: pp 435-436, para. I30-I3I.

ذكر Nicetas ان ما قام به مانويل من تأليب أفصال النورمان بايطاليا الجنوبية ضد الملك روجر الثاني هو الذي دفع بهذا الاخير الى القيام بهذه الحملة ، انظر : Nicetas: loc. cit.

لقد اورد لنا Nicetas نصا غريبا يفيد ان مانويل ابرم معاهدة سلم مع الملك روجر

===

معظم مراكبه (1).

واما مانويل فانه عجز عن فتح جزيرة كورفو ولجأ الى التواطؤ مع عناصر الحامية النورمانية ، وقد نجح في استمالة قائد الحامية واسمه ثيودور Theodore وبفضل خيانة هذا الاخير دخل مانويل في صيف عام 1149م جزيرة كورفو وكما اتفق عليه مانويل وثيودور غادرت الحامية النورمانية الجزيرة في حين انضم ثيودور الى الجيش الامبراطوري (2).

وعلى اثر استرجاع جزيرة كورفو قرّر مانويل مهاجمة ايطاليا الجنوبية معتمداً على ما قد يبذله له كونراد الثالث من مساعدة عسكرية وفقاً للمعاهدة المبرمة بينهما عام 1148م غير انه وقع ما لم يكن في الحسبان اذ ان القوات الالمانية التي كان مانويل ينتظر قدومها الى ايطاليا لم تتمكن من الحضور بسبب انشغال كونراد باخماد ثورة احد دوقات المانيا كما ان مانويل في الوقت الذي كان يتأهب للرحيل بجيشه لغزو مملكة روجر الثاني اندلعت فتنة شعبية تزعمها العنصر الصربي ضد حكمه الامر الذي جعل مانويل يتوجه بجزء من الجيش الامبراطوري للقضاء على هذه الفتنة ويوكل قيادة

=== الثاني الا انها سرعان ما انفرط عقدها : انظر :
Nicetas: Historia, P.G.T. I39, pp. 433-436, para. I28-I30.

(1) أنظر : Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. I44-I45.

أشار الصفدي الى ان الملك روجر الثاني هو الذي كان ينصر في جميع الحروب التي يخوضها مع صاحب القسطنطينية ، اماري : المكتبة العربية الصقلية، ص 557، نقلا عن الصفدي : الوافي بالوفيات.

(2) أنظر : Nicetas: Historia, P.G.T. I39, pp. 417-420, para. I09-II3; pp.423-426, para. 116-118; Heyd: op. cit., I, p. I99; Diehl: op. cit., p. I52; Vasiliev: op. cit., II, p. 63; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 332 - 333; Idem: Hist. de la domination, II, p. I45.

الحملة ضد الملك روجر الثاني الى ميخائيل باليولوج Michel Paleologue
ولا شك ان هاتين الثورتين اللتين اعترضتا الامبراطوريتين كانتا من صنع الملك روجر الثاني
لان هذا الاخير لم يبق مكتوف الايدي امام التحالف البيزنطي الالماني ، ومن ذلك
سارع الى تأليب المعارضة ضد كونراد الثالث ومانويل كما امدها بالمال والدعم
اللازمين(1).

على ان الاسطول البيزنطي لم يلبث رغم ضعف قواته ان توجه الى ايطاليا
الجنوبية بقيادة ميخائيل باليولوج وتمكن من تحقيق بعض الانتصارات بعد أن جعل من
مدينة باري مركزا له ، ثم عمل مانويل على تعيين قائد آخر على هذه الحملة ، وهو ابن
عمه ، الكسيوس كومنينوس(*) . وقد نجح هذا الاخير في التضييق على الجيوش النورمانية
بعد أن أجبرهم على التقهقر الى مدينة برنديزي غير ان الملك روجر الثاني سرعان ما
رجح كفة الحرب لصالحه واسترد جميع المواقع التي استولى عليها الجيش البيزنطي(2)
وهكذا استطاع الملك روجر الثاني بفضل دهائه ومهارته الدبلوماسية أن يحبط محاولة
مانويل لنقل الحرب الى ايطاليا الجنوبية وذلك بعد أن أفشل التحالف البيزنطي الالماني(3).

---

(1) أنظر: Nicetas: Historia, P.G.T. I39, pp. 425-428, para. 118-121;
عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 232-234، وايضا :
Vasiliev: op. cit., II, pp. 63-64; Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. I45-I47; Ostrogorsky: op. cit., p. 404.

(2) أنظر: Nicetas: Historia; P.G.T. I39, pp. 427-432, para. 121-125.
ولعل سبب فشل هذه الحملة على ايطاليا الجنوبية يعود الى ما ابداه البنادقة من
تخاذل وعدم القيام بما عليهم من جهد عسكري وذلك بسبب ادراكهم لما وراء استيلاء
البيزنطيين على الساحلين الغربي والشرقي لبحر الادرياتي من خطر على حرية تجارتهم
خاصة ومصالحهم الاقتصادية عامة، انظر: Diehl: op. cit., p. I53;
Chalondon: Jean II Comnene, pp. 333-334.

(3) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 234 .

(*) هو ابن القيصر بريينوس .

وقد تفاقمت الازمة السياسية بين الملك روجر الثاني ومانويل بشكل خطير منذ عام 1150م حتى أضحت اوربا على حافة حرب شاملة اذ أخذ كل واحد من العاهلين، البيزنطي والنورماني، يسارع الى كسب الحلفاء ضد خصمه، فمن جانب الملك روجر الثاني فقد نجح في تشكيل حلف يتكون من ملك فرنسا لويس السابع وكبار رجال الدين الغربيين أمثال القديس برنارد وكذلك الامراء الالمان المعارضين للامبراطور كونراد الثالث ومما ساعد الملك روجر الثاني على تحقيق هذا الحلف الاعتقاد السائد في غرب اوربا بأن ما أصاب الحملة الصليبية الثانية من فشل انما يعود الى تخاذل وخيانة الامبراطور البيزنطي مانويل [1]، واما مانويل فقد دأب هو الاخر الى كسب تأييد جمهوريتي البندقية وبيزا كما جدّد تحالفه مع الامبراطور كونراد الثالث الذي تعهد له مرة أخرى بغزو ايطاليا الجنوبية في وقت قريب.

وقد تراءى للملك روجر الثاني ان ما يحول بينه وبين غزو القسطنطينية هو التحالف الذي يربط بين مانويل وكونراد الثالث ولذلك أخذ يسعى جاهدا لفسخ هذا التحالف، لكنه توجت كل مساعيه بالفشل الذريع بسبب اصرار كونراد الثالث على وفائه لمانويل [2]. وكان رد مانويل على مساعي الملك روجر الثاني بأن قام بمحاولة دبلوماسية

---

(1) أنظر: Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. 148-149; Vasiliev: op. cit., II, pp. 61-62; Brehier: Vie et mort de byzance, p. 271; Ostrogorsky: op. cit., p. 404.

انظر عن علاقة مانويل والصليبيين اثناء الحملة الصليبية الثانية في:
Nicetas: Historia, P.G.T. 139, pp. 391-404, para. 81-96; Cinnamos: in R.H.C., Grecs, I, pp. 232-249.
ورنسمان: نفس المرجع، جـ2، ص 425 وما بعدها.

(2) عادل زيتون: العلاقات السياسية، ص 235-236، وانظر ايضا:
Vasiliev: op. cit., II, p. 65; Chalondon: Jean II Comnene, pp. 337-338; Idem: Hist. de la domination, II, p. 150; Ostrogorsvy: op. cit., p. 405.
وفي هذه الاثناء كانت المفاوضات تجري في القسطنطينية حول مشروع الزواج بين ابن كونراد الثالث واحدى بنات القصر الامبراطوري. انظر: Chalondon: Hist. de la domination, II, p. 150.

ترمي الى كسب مساندة البابا يوجين الثالث ضد الملك روجر الثاني لا سيما ان البابا وقف موقفا غامضا ومستحفظا تجاه مشروع الملك روجر الثاني لغزو القسطنطينية ولم يلبث كونراد الثالث أن وفق في مهمته فأعلن البابا يوجين(*) موافقته على مشروعه الرامي الى غزو ايطاليا الجنوبية (1). وعلى اية حال فان هذه الجهود الدبلوماسية المبذولة سواء من طرف مانويل او الملك روجر الثاني لم تعط اية نتيجة ملموسة ذلك انه في الوقت الذي كان مانويل يتوقع ظهور كونراد الثالث على الساحة الايطالية بلغت الانباء الى القسطنطينية التي تفيد بوفاة هذا الاخير(**)، وذلك في يوم 15 فبراير عام 1152م وبالتالي راحت آمال مانويل في الاستعانة بالامبراطورية الرومانية المقدسة ادراج الرياح كما ان الملك روجر الثاني لم يلبث ان وافته المنية في مطلع عام 1154 فارتاحت الامبراطورية البيزنطية من شر ألدّ أعدائها وأشدهم خطورة على مصالحها في الشرق والغرب(2).

---

(1) عادل زيتون : العلاقات السياسية، ص 236، وانظر : Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. I5I-I53; Idem: Jean II Comnene, pp. 341-342.

(2) عادل زيتون : نفس المرجع، ص 236-237، وايضا : Vasiliev: op. cit., II, p. 65; Ostrogorsky: op. cit. p. 405.

(*) ساءت العلاقة بينه وبين الملك روجر الثاني بسبب ما أقبل عليه هذا الاخير من تتويج ابنه وليم دون استشارته أو اخذ موافقته : انظر: Romualdi: Chronicon, VII, 1, p. 231; Chalondon: Hist. de la domination, II, pp. 152-153.

(**) وقد شاعت الاخبار في المانيا ان كونراد مات مسموما ولما كان اطباء كونراد قد قدموا من مدرسة سالرنو الطبية اتهم الملك روجر الثاني بانه المدبّر لهذه المؤامرة : انظر؛ Vasiliev: op. cit., II, p. 65; Chalondon: Hist. de la domination, II; p. I53.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

النورمان والقوى السياسية بالمشرق العربي :

(491 ـ 543هـ / 1097 ـ 1154م)

ـ نشاط الحملة الصليبية الاولى في آسيا الصغرى .

ـ الصليبيون ومجموعة النورمان أمام انطاكية

ـ سقوط انطاكية بأيدي الصليبيين (النورمان)

ـ حصار كربوغا لانطاكية

ـ نشاط الصليبيين بعد سقوط أنطاكية

ـ أنطاكية أثناء حكم بوهمند الاول النورماني

ـ أنطاكية أثناء حكم تانكريد النورماني

ـ أنطاكية أثناء حكم روجر السالرني

ـ حكم بوهمند الثاني النورماني ـ بن بوهمند ـ لانطاكية

ـ وصاية رينالد مازوار وريموند دي بواتييه على أنطاكية .

شهدت اوربا في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي انطلاق حركة بشرية تحت الزعامة الروحية للبابا ، هدفها انتزاع بيت المقدس والاراضي المقدسة وبلاد الشام عموما من المسلمين وفرض السيطرة الغربية عليها . وقد سميت هذه الحركة باسم الحركة الصليبية ، نسبة الى شارة الصليب التي وضعها المشاركون فيها على اكتافهم وصدورهم ، وكانت عائلة هوتفيل النورمانية حين تقرر أمر انطلاق هذه الحركة قد أتمت فرض سيطرتها على كل أجزاء صقلية وجنوب ايطاليا ومن ثم فقد رحبت بها ترحيبا كبيرا لما تراءى لها من وراء مشاركتها من أسباب النفع والكسب . وقد لعبت هذه العائلة تحت زعامة بوهمند (بيمند) امير تارنتو Bohemond de Tarente وهو ابن روبرت جسكارد Robert Guiscard ، وابن اخته تانكريد (طنكري) Tancrede دورا بارزا في هذه الحملة ، كانت نتيجته تأسيس امارة زاهرة في الشام ، هي امارة انطاكية ، شهد لها بالريادة في الصراع الاسلامي الصليبي قرابة قرن من الزمن .

نشاط الحملة الصليبية الاولى في آسيا الصغرى :

لقد خرجت الحملة الصليبية الاولى تحت قيادة مجموعة من كبار الامراء الاقطاعيين باوربا[1] ، وتشكلت من أربع مجموعات بارزة تكونت الاولى من فرسان اللورين Lorraine

(1) سبقتها حملة اخرى عرفت بالحملة الشعبية بقيادة بطرس الناسك والمدعو ولتر المفلس Walter (Goutier) Sans-Avoir . وقد اتسمت هذه الحملة بالفوضى وعدم التنظيم مما جعلها تفشل فشلا ذريعا امام قوات السلاجقة . عن هذه الحملة انظر : اعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشي ، ص 1-22 ، جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين نقلا عن انا كومنينوس : الكسياد ، ص 313-317 ، وانظر ايضا : Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 9-27; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 55-69; Brehier: L'eglise et l'Orient, pp 66-70.
وهناك دراسة قيمة ووافية عن بطرس الناسك ، شخصيته ونشاطه الصليبي، للمؤلف :
Hagenmeyer (Henri): Le vrai et le faux sur Pierre l'Ermite, pp. I7-240.

بقيادة جودفري (كندفري) بويون Godefroi de Bouillon واخيه بلدوين (بغدوين) Baudouin . والثانية من فرسان جنوب فرنسا اي البروفنساليين بقيادة ريموند امير تولوز Raymond de Toulouse المعروف ايضا باسم ريموند الصنجيلي Raymond de St Gilles برفقة ادهمار Adhemar اسقف بوى Puy وممثل البابا اوربان الثاني . والثالثة من فرسان النورمان لجنوب ايطاليا بقيادة بوهمند بن روبرت جسكارد ، وابن اخته تانكريد ، والرابعة من النورمان الفرنسيين بقيادة روبرت النورماني Robert de Normandie امير اقليم نورمنديا بشمال غرب فرنسا ، ومن فرسان شمال ووسط فرنسا بقيادة روبرت الثاني Robert de Flandre أمير فلاندر[1] . وفي الواقع كانت فرق النورمان تشكل حجر الزاوية بالنسبة للجيش الصليبي وذلك لبسالة رجالها وحسن تجهيزاتها وتسلّحها[2] .

وكان بوهمند وقت علمه بنبأ الحملة قائما على حصار مدينة امالفي الخارجة عن طاعة اسرة هوتفيل فلم يتوان عن رفع الحصار عن هذه المدينة للاشتراك في الحملة . وبعد تحضيرات عسكرية سريعة اقلع أسطول النورمان من مبناء مدينة باري في نوفمبر سنة 1096م متجها الى القسطنطينية[3] . وقد قدّر المؤرخ ميشود Michaud قوام جيش النورمان

---

(1) اعمال الفرنجة، ص 22-24 ، باركر : نفس المرجع ، ص 26-27 ، وايضا : Brehier: L'eglise et l'Orient, pp. 70-73; Hagenmeyer: op. cit., p. 244.

(2) عاشور: الحركة الصليبية، ج1 ، ص 155 ، رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج1 ، ص 240 .

(3) اعمال الفرنجة، ص 25-26 ، وايضا : Orderic Vital: op. cit., t. III, pp 425-426; Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, pp. 131-132; Michaud: op. cit., I, pp. 92-93; Huillard Breholles: op. cit., pp. 13-14; Brihier: op. cit., p. 73.

عن عدد واسماء أمراء النورمان الذين انضموا مع بوهمند وتانكريد الى الحملة الصليبية ارجع الى اعمال الفرنجة، ص 25 ، وايضا : Orderic Vital: op. cit., t. III, p. 426; Guill de Tyr: op. cit., I, p. I02; Michaud: op. cit., I, pp. 93.

بعشرة آلاف فارس و عشرين الف راجل (1) .

وفي مدينة القسطنطينية التقى جميع الامراء الصليبيين (2)، ثم انطلقوا زاحفين نحو مدينة نيقية لاسترجاعها من أيدي الاتراك السلاجقة . والواقع ان هذه المدينة كانت طعمة سائغة بالنسبة للجيش الصليبي بسبب غياب صاحبها، قلج ارسلان (*)، عنها واستهانته بقوة الصليبيين . وهكذا لم تلبث ان استسلمت حاميتها للامبراطور البيزنطي الكسيوس عام 491 هـ/ جوان 1097م بعد أن دام حصار الصليبيين لها سبعة أسابيع وثلاثة ايام . وقد لعب النورمان خلال هذا الحصار دورا عسكريا لا يستهان به (3) . ويفيد

---

(1) أنظر : Michaud: op. cit.I, pp. 92-93
لا شك ان هذا العدد يتسم بالمبالغة اذا قارناه بالعدد الذي تقدم به شالندن وهو خمسمائة فارس ، ويرجّح رنسمان هذا التقدير استنادا الى رواية آنا كومنينوس القائلة ان بوهمند لم يصحب معه جيشا ضخما لافتقاره الى المال اللازم . ارجع الى جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين ، نقلا عن آنا : الكسياد ، ص 323 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 505
وانظر ايضا : Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, p. 133.
(2) عاشور : الحركة الصليبية ، ج1 ، ص145-150 ، نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص13
عن مجموع عدد الجيش الصليبي فيقدره فولشر بنحو 600 الف محارب في حين يرجح باركر عدد 150 الفا ، وفي الواقع ناقش رنسمان الآراء المختلفة حول قوة الجيش الصليبي العددية في الملحق الثاني من كتابه عن الحروب الصليبية : ارجع الى : Foulcher: op cit., p 25.
ورنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 508-511 ، باركر : نفس المرجع ، ص 27 .
(3) اعمال الفرنجة ، ص 33-37 . وانظر ايضا : ابا المحاسن : النجوم الزاهرة، ج5، ص 146
سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في : R.H.O., III, p. 517 ;
Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 121, 129-150; Raoul de Caen: op. cit, pp 37-40; Robert le Moine: op. cit., pp. 329-333; Foulchr: op. cit., pp. 24-27; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 69-95; Orderic Vital: op. cit.,III pp. 438-442.
وايضا عاشور : الحركة الصليبية ، ج1 ، ص161-163 ، ورنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص263-270 ، وايضا : Yorga: Hist. des croisades, pp. 54-55; Michaud: op cit., I, PP. 108-115.
يذكر رنسمان ان المصادر الغربية لم تشر الى فكرة استسلام مدينة نيقية لآلكسيوس . وفي الحقيقة يبدو ان المصادر الغربية تقرّ حقيقة الاستسلام بكل وضوح وجلاء . ارجع الى المصادر المذكورة اعلاه .
(*) كان مشغولا بخلافه مع بني دانشمند في قبادوقيا Capadoce بآسيا الصغرى : عاشور : نفس المرجع ، ج1 ، ص 152 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 264 .

راوول دي كان ان تانكريد هو الذي قتل اول جندي سلجوقي اثناء الحصار (1).

وعلى اثر سقوط المدينة اخذ الجيش الصليبي يتوغل داخل اراضي السلاجقة عبر فريجيا في اواخر شهر حزيران ولأسباب استراتيجية انقسم الى مجموعتين كبيرتين على اساس أن تلتقيا في ضوريليوم Dorylaeum (*) . وقد اتجهت احداهما نحو الجهة الجنوبية الشرقية (**) بينما تقدمت المجموعة الثانية نحو الجهة الشمالية بقيادة بوهمند وتانكريد وروبرت كونت نورمنديا زعيم الفرق النورمانية الفرنسية .

وفي الواقع لم يكن السلاجقة في غفلة عن هذا الزحف الصليبي اذ اتجهت أنظارهم بصورة خاصة الى بوهمند (***) فأخذوا يراقبون تحركاته بدقة . ولما وصل بوهمند بجيشه الى سهول ضوريليوم انقض عليه السلاجقة (****) وحاصروه حصارا شديدا وكاد

---

(1) أنظر: Raoul de Caen: op. cit., P. 39

(*) تسمى كذلك اسكي شهر .

(**) كانت بقيادة المندوب البابوي ادهمار والامير جودفري بويين وريموند الصنجيلي وهيو وروبرت كونت فلاندر .

(***) يبدو أنه بلغتهم الاخبار عن شخصيته وأطماعها من خلال مشاركته مع جيسكارد في الحملة العسكرية ضد الامبراطورية البيزنطية ما بين سنتي 1081 – 1085م .

(****) لقد تفطن السلاجقة لما وراء هذه الحملة من خطر على سلطانهم في آسيا الصغرى والشام ، مما أدى بالبيتين السلجوقي وبني دانشمند الى عقد هدنة لصد هذا الخطر الدائم .

– ارجع الى : عاشور : الحركة الصليبية ، ... جـ1، ص 165 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ 1 ، ص 278 .

جيش النورمان أن ينهزم لولا أن استنجد بوهمند بالجيوش الصليبية الاخرى المتواجدة في آسيا الصغرى فتمكن بذلك من انزال هزيمة ساحقة بالجيش السلجوقي عام 491 هـ/ اول جويلية عام 1097م ، وكان من بين الذين لقوا مصرعهم ولـيم اخـو تانكريد (1).

وقد بعث هذا الانتصار حماسا عظيما في نفوس الصليبيين مما جعلهم يقررون مواصلة زحفهم دون انتظار ، وفي يوم 4 جويلية قصدوا مدينة قونية الواقعة بالجنوب الشرقي من آسيا الصغرى فاستولوا عليها في شهر اوت ثم انتقلوا الى مدينـة هرقلة فوضعوا أيديهم عليها بعد أن حاولت حاميتها عبثا مقاومتهم ، وبعـد فترة من الراحة قضاها الصليبيون في مدينة هرقلة انفصل تانكريد بجنوده عن الجيش الصليبي واتجه نحو منطقة قليقية (2) ثم سار وراءه بلدوين أخو جودفرى بويون

(1) اعمال الفرنجة ، ص 38-42 ، وانظر ايضا : Foulcher: op. cit., pp. 28-31; Raoul de Caen: op. cit., pp. 47-68; Robert le Moine: op. cit., pp. 334-339; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 150-156; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 96-102; Orderic Vital: op. cit., t. III, pp. 443-446.

وايضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 276-281 ، عاشور الحركة الصليبية ، جـ1 ، ص 155-156 . وايضا : Hagenmeyer: op. cit., p. 250; Yorga: op. cit., p. 56; Michaud: op. cit., I, pp. 116-123.

(2) اعمال الفرنجة ، ص 44 ، وايضا : Guillaume de Tyr: op. cit., I, pp. 159-160, 163; Albert d'Aix: op. cit., I, p. 105; Robert le Moine: op. cit., pp. 344-345; Orderic Vital: op. cit., t. III, pp. 448-449.
وايضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 284-285 ، 297 ، وايضا : Hagenmeyer: op. cit., p. 250; Brehier: op. cit., p. 76;

يشير البرت دايكس ووليم الصوري الى ان مدينتي قونية وهرقلة وقعتا في قبضة الصليبيين بعد ان انفصلا هذان الاميران عن الجيش الصليبي الكبير في حين يفيد صاحب كتاب اعمال الفرنجة وهو الاكثر ترجيحا لكونه رافق الحملة الصليبية وروبرت الراهب وارد ريك فيتال بان انفصال الاميرين تم بعد سقوط هاتين المدينتين . واما راوول دي كان فلم يأت بذكر عن احتلال الصليبيين لهاتين المدينتين .
وفي الواقع تعود سهولة هذه الفتوحات الى ما سلكه قلج ارسلان من خطة اساسها :

في حين اتبعت بقية الجيش الصليبي – وهي الغالبة – القائد بوهمند الذى لم يلبث أن أمر بالسير نحو مدينة قيصرية . وفي يوم 27 سبتمبر من نفس العام وقعت هذه المدينة في قبضة الجيش الصليبي ، وكان ان استأنف زحفه صوب مدينة كومانا Comana الواقعة بالجنوب الشرقي من آسيا الصغرى . وكانت مدينة كومانا حينذاك محاصرة من طرف الترك الدانشمنديين لكن لم يكد يصل الى اسماعهم نبأ قدوم الجيش الصليبي حتى رفعوا الحصار عنها مما دفع بسكان كومانا الى فتح ابواب المدينة لبوهمند وأصحابه وذلك في اوائل اكتوبر من نفس العام (1) .

" فلما كانت الليلة الثالثة علم بوهمند أن الترك الذين كانوا يحاصرون هذه المدينة قد سبقوا الصليبيين – في كل ناحية فما لبث بوهمند أن تأهب هو وفرسانه وحدهم دون سواهم لمطاردتهم أنى كانوا ، الا انه لم يتهيأ له مصادفتهم . " (2) .

وعقب سقوط كومانا انطلق الجيش الصليبي نحو الشام مارا بمدينة مرعش الارمينية – 13

== اجلاء المدن والانسحاب الى الداخل : ارجع الى : Guill de Tyr: op. cit. I, p. I63.
وايضا : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ1 ، ص 157 .

(1) اعمال الفرنجة ، ص 46 ، عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 167–169 ، رنسمان : تاريخ ، جـ1 ، ص 237 .
(2) اعمال الفرنجة ، ص 45 .

اكتوبـــــر ، فبسط نفـــــوذه على قلعة ارتاح – اعمال حلب –
وفي حتى يوم 20 اكتوبر بلغ جسر الحديد (*) على نهر العاصي الواقع شرقي مدينة انطاكية وبذلك بدأ الغزو الصليبي للشام (1).

واما من جانب تانكريد فلم يلبث أن وصل على رأس قواته في يوم 21 سبتمبر عام 1097م امام أسوار مدينة طرسوس – بقليقية – الواقعة تحت نفوذ السلاجقة. وكان ان بادر بعقد صلة مع سكانها الارمينيين ليساعدوه على احتلالها لكن حاميتهـــا السلجوقية بدلا من أن تحاول مقاومة جيش النورمان آثرت الفرار سرا تحت جنح الدجى مما سمح لتانكريد بالاستيلاء عليها بكل يسر وسهولة.

على ان بلدوين الذي شارك هو الآخر في حصار المدينة لم يلبث أن أخـــذ ينازع تانكريد في رئاستها الامر الذي أدى بهذا الاخير الى مغادرة طرسوس والتوجـــه الى مدينة ادنة الواقعة هي الاخرى بمنطقة قليقية (2). على ان كتيبة نورمانية أرسلها بوهمند لتشد أزر تانكريد ، لم تلبث أن وصلت امام أسوار مدينة طرسوس الا أن بلدوين لم يسمح لها بالدخول الى المدينة فاضطرت الى قضاء الليل خارج أسوارها. وفي وسط

---

(1) أعمال الفرنجة، ص 47–48 ، عاشور: الحركة، جـ1، ص 128، وأيضا :
Foulcher: op. cit., p. 37.

وأيضا : عاشور: الحركة ، جـ1، ص 142 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 239 ،
وأيضا : Hagenmeyer: op. cit., p. 250; Brehier: L'eglise et l'Orient, p. 77;
Michaud: op. cit., I, pp. 133, 141-143.

(2) يفيد راوول دي كان وروبرت الراهب بأن الحامية السلجوقية لمدينة طرسوس خرجـــت لتصد جيش تانكريد لكنها قهرت فسارعت أدراجها الى المدينة واما البرت دايكس فيكشف عن اتفاق ابرم بين تانكريد والاتراك – اصحاب المدينة – والذي يقضي بتنازل الاتراك عن طرسوس. ارجع الى :
Raoul de Caen: op. cit., pp. 71-79; Robert le Moine : op. cit., pp. 345-346; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 108-115; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 164-168; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 349-350; Michaud: op. cit., I, pp. 427-429; Yorga: op. cit., p. 57; Brehier: op. cit., 76-77.

(*) وهو على مسيرة ثلاث ساعات من انطاكية، رنسمان : نفس المرجع ، جـ1، ص 239.

الليل دبّر السلاجقة ضد الكتيبة النورمانية(*) ، وعلى حين غفلة منها ، هجموا عنيفا فأوقعوا بها هزيمة نكراء وهذا دون أن يحرك بلدوين(**) ساكنا لاغاثتها(1).

على ان تانكريد لم يبال بهذه الضربة القاصمة التي تلقاها من السلاجقة حيث واصل زحفه العارم فتمكن من اخضاع مدينة ادنة دون مشقة كبرى كما فتح مدينة المصيصة ، بعد أن ضرب الحصار عليها ، في اوائل اكتوبر عام 1097م(2) (***) ثم وضع يده ، قبل أن يلتحق بالجيش الصليبي الرئيسي في نواحي انطاكية ، على مدينة اسكندرونة وعدد من الحصون المنتشرة في منطقة قليقية(3).

---

(1) ارجع الى : Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 116-118
وايضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 293 ، عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 175 ، وايضا :
Michaud: op. cit., I, p. 129.

يذكر البرت دايكس ان بلدوين تصرف هذا التصرف لانه تعهد للاتراك السلاجقة بعدم فتح ابواب المدينة لاية قوة عسكرية ما عدا عساكره وذلك حتى وصول الامير جودفري . انظر:
Albert d'Aix: op. cit., I, p. 117.

(2) ارجع الى : Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 168-169; Raoul de Caen: op. cit., pp. 79-86; Robert le Moine: op. cit., p . 346
Orderic Vital: op. cit., III, p. 450; Albert d'Aix, op cit., I, pp 114-115, 121

وايضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 292 ، عاشور : الحركة الصليبية ، جـ1 ، ص 175 .

(3) انظر: Orderci Vital: op. cit., III, p. 450; Michaud: op. cit., I, pp. 431-432.

(*) تعدادها مائة فارس و200 من الرجالة : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 297 ، وايضا :
Albert d'Aix: op. cit., I, p. 116 .

(**) في فبراير عام 1098م استقبل بلدوين سفارة من حاكم الرها الارميني ، اسمه ثوروس Thoros ، يطلب منه عن طريقها منه القدوم الى الرها Edesse لمساعدته في الدفاع عنها ضد غزوة متوقعة لها من جانب امير الموصل التركي قوام الدولة كربوقا مقابل أن يتبناه ويجعل منه وريثا له ، وبالفعل توجه بلدوين الى الرها وقبل التبني من ثوروس ثم دبر مؤامرة ضد ثوروس انتهت بمصرع هذا الأمير الارميني وتولية بلدوين الحكم على الرها في 10 مارس 1098م ، وكانت الرها بذلك اول امارة يكونها الصليبيون في الشرق . ارجع الى :
Brehier: L'eglise et l'Orient, p. 77.

(***) يشير راوول دي كان الى ان تانكريد دخلها بعد أن غادرها السلاجقة ليلا . ارجع الى :
Raoul de Caen: op. cit., pp. 86-87.

الصليبيون ومجموعة النورمان أمام أنطاكية :

لا شك في ان الاستيلاء على مدينة أنطاكية الواقعة بشمال الشام هو من الأهداف الأساسية التي حرص الصليبيون على تحقيقها . وفي الواقع ان هذا الحرص له ما يبرره اذ تعتبر انطاكية من أعظم المدن في العالم أثناء فترة العصور الوسطى وذلك لما كانت تتمتع به من شهرة دينية وحضارية تكاد أن تنافس مدينة القسطنطينية نفسها (1).

وكانت مدينة انطاكية حينما وصل الصليبيون ، وعلى رأسهم بوهمند ، اليها — 21 اكتوبر — تحت حكم الامير السلجوقي باغي سيان (*)(2) ، واما عن الظروف السائدة

---

(1) عاشور : الحركة الصليبية ، ج1 ، ص 203 ، 205 . ويبين ياقوت الحموي الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية لمدينة انطاكية بقوله "ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . . . . . وانطاكية عامرة لا خراب فيها اصلا ولكنها ارض تزرع للحنطة والشعير . . . وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل ولسوره ثلثماية وستون برجا يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس . " ياقوت : معجم البلدان ، ج1 ، ص 332—333 . ووليم الصوري يعطي وصفا دقيقا عن عظمة هذه المدينة : انظر : Guill de Tyr: op cit., I,pp 195-202.
ويزودنا كاهين Cahen بمعلومات هامة عن موقعها وجغرافيتها . ارجع الى : Cahen: op cit., pp 127-176.

(2) ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 186 ، وايضا : Guill de R Tyr: op. cit., I, p. 202.

(*) يذكره ابن الاثير — الكامل ، ج8 ، ص 186 — باسم باغيسيان وسماه ابو المحاسن — النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 145 — شعبان ، واما المصادر الغربية فقد ذكرته بأسماء مختلفة مثل : Acien و Darsien و Gratien و Cassien ، ويشير ميخائيل السوري الى ان انطاكية كانت تحت زعامة اميرين هما غيسان واغيسان Aghican , Guican
انظر : - Michel le Syrien: R.H.C. (arm), t. I, p. 328.

وكذلك في الشام فقد كانت المصالح الصليبيين تماما وذلك أن حروبا طاحنة كانت تدور رحاها على أراضيها بين ابني السلطان السلجوقي تتش، وهما رضوان صاحب حلب ودقاق ملك دمشق وبينهما يوجد ياغي سيان الذي كان يميل احيانا الى هذا وأحيانا الى ذاك(1). واخيرا أدت هذه الانشغالات العسكرية الى صرف انظار حكام السلاجقة عن الاستعداد لصد الخطر الصليبي الذي أخذ يبعث الرعب والهلع في نفوس المسلمين في الشرق عامة(2).

على ان الصليبيين لم يلبثوا اثر بلوغهم أسوار انطاكية أن شرعوا في نصب الحصار عليها واختار بوهمند وفرقة النورمان الناحية الشمالية للمدينة اى عند باب بولس وتمركزوا فيها واحتلت بقية الجيش الصليبية المواقع الاخرى المحيطة بالمدينة(3).

واما ما من جانب ياغي سيان فانه اعد ما استطاع من قوة ذلك انه حصن المدينة تحصينا محكما وجمع الميرة اللازمة كما أوفد رسلا ، من بينهم ابنه شمس الدولة ، الى

---

(1) ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 184، ابو الفداء: المختصر، المجلد الاول، ص 209-210، رنسمان: نفس المرجع، جـ1، ص 320، عاشور: الحركة، جـ1، ص 139.

(2) يبين ابن القلانسي شدة الهول الناجم عن الزحف الصليبي " في عالم لا يحصى عدده كثرة وتتابعت الانباء بذلك فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها " : ابن القلانسي : ذيل، ص 134.

(3) اعمال الفرنجة، ص 49-50، وايضا :

Foulcher: op. cit., p. 37; Raoul de Caen: op. cit., pp. I03-I04; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 208-209; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. I5I-I52; Robert de Moine: op. cit., p. 351; Orderic Vital: op. cit., III, p. 453.

حكام المدن الاسلامية المجاورة مثل حمص ودمشق والموصل(*) يطلب منهم النجدة العاجلة لمواجهة الخطر الصليبي الداهم(1).

ومهما يكن من أمر فان اقتسام مدينة انطاكية لم يكن امرا هينا بالنسبة للصليبيين بسبب سيطرة الاطماع الشخصية على عقول القادة الصليبيين ولا سيما بوهيمند الذي كان يبذل قصارى جهده ، منذ بدء عملية حصار المدينة حتى وصول كاتكريت الذي كان قد بعث يستقدمه من اسكندرونة حتى يوجد وسيلة تمكنه من فتحها لحسابه الخاص وتعطيه الاحقية في امتلاكها . ويبدو أن ريموند الصنجيلي ، امير تولوز ، قد [illegible] بوهيمند النورماني [illegible] بسرعة العمل على مهاجمة أسوار المدينة واقتحامها ، غير أن بقية الأمراء الصليبيين رغبوا في نهاية الأمر رأي بوهيمند بالانتظار(2).

ولما طال الحصار على المدينة ووصلت نفوس الصليبيين من شدة التعب والعوز قام بوهيمند بجولة عسكرية في نواحي انطاكية واثناءها أدرك حصن حارم ، وهو حصن

---

(1) ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 185 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 134 ، [illegible] ابن خلدون : العبر ، جـ5 ، ص 14 ، وايضا :
Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 203-205.
" والى سائر البلاد والاطراف بالاستصراخ والاستنجاد والبعث على الخوف الى الجهاد وقصد تخليص انطاكية . " ابن القلانسي : نفسه ، ص 134 ، وارجع ايضا الى عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 158 - 162 .

(2) رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ1 ، ص 297 ، حسن حبشي : الحملة الصليبية الاولى ، ص 121 - 124 .

(*) وهم على التوالي جناح الدولة امير حمص وقاق ملك دمشق وكربوقا اتابك الموصل : ابن القلانسي : ذيل ، ص 134 ، عاشور : الحركة الصليبية ، جـ1 ، ص 182 .

سلجوقي يربط بين انطاكية وحلب ، وسرعان ما وثب برجاله عليه ففتك ببعض عناصر حاميته كما أسر سريا منها ساقه الى انطاكية وأعدمه بها[1].

وعلى اثر عودة بوهمند الى انطاكية عقد القادة الصليبيون اجتماعا للنظر في مشكلة قلة المؤن الناجمة عن سياسة الانتظار . وكانت نتيجة هذا الاجتماع أن أجمع الرؤساء على ارسال جيش يتزعمه بوهمند ، ويساعده كونت فلاندر ، الى نواحي نهر العاصي قصد الحصول على المؤن الضرورية للصليبيين . ولم يلبث بوهمند أن خرج على رأس قوة صليبية الى نهر العاصي لكن بينما كان يبحث عن ضالته في القرى الاسلامية كانت النجدة الاسلامية(*) ـ التي كان قد طلبها من قبل ياغي سيان ـ قد حطت رحالها قرب شيزر . ولما علمت هذه النجدة بمقدم بوهمند ورجاله بادرت بملاقاتهم . وهكذا التقى الجيشان الصليبي والسلجوقي في قرية البارة(**) عام 491 هـ/ 29ـ31 ديسمبر عام 1097م ، ودارت بينهما معركة طاحنة انتهت بانكسار الجيش السلجوقي وبالتالي حرمت انطاكية من النجدة المنتظرة[2]. وقد أمر بوهمند

---

(1) أعمال الفرنجة ، ص 50ـ51 ، وأيضا : Orderic Vital: op. cit., III, p. 454; Robert le Moine: op. cit., pp. 354-355.

وايضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 327 ، حبشي : نفس المرجع ، ص 115ـ116 .

(2) أعمال الفرنجة ، ص 51ـ53 ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ2 ، ص 131 ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 134 . Robert le Moine: op. cit., pp. 356-358; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 166-167; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 220-224.

وأيضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 329ـ331 ، حبشي : نفس المرجع ، ص 117ـ119 ، وأيضا : Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, pp. 188-189.

يشير وليم الصوري الى احتلال بوهمند لضيعة اسلامية قبل اصطدامه بالجيش السلجوقي ، كما قتل حوالي خمسين من رجال السلاجقة . انظر : Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 222-223.

(*) كان يقود هذه الحملة دقاق امير دمشق ويرافقه طغتكين اتابك والامير العربي لمدينة حمص جناح الدولة بن ملاعب : ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 131 .

(**) تقع في نواحي حلب.

بعد ئذ رغم هذا الانتصار الساحق بالتقهقر والعودة الى قاعدتهم بأنطاكية دون أن يحصل على قدر كبير من المؤن والعلوفة وذلك خوفا منه من أن يقوم زملاؤه باقتحام أسوار المدينة في غيابه [1]. ولقد استاء الصليبيون كثيرا لهذه النتيجة اذ بلغت المجاعة وشعور اليأس ذروتهما حتى تخلى الكثير من الصليبيين عن هذه الحملة كارهين [2].

وكان لهزيمة القوات الاسلامية وقع سيء في نفس رضوان امير حلب الذى أخذ يفطن لعواقب تقاعسه عن مساعدة ياغي سيان ، وكان أن تقدم على رأس جيوشه في فبراير عام 1098م صوب انطاكية صحبة صاحب سنجار وبعض الحاميات الوافدة من شيزر وحماه وحمص. وقد حلّ هذا الجيش بمرج دابق، شرقي انطاكية انطاكية ووضع به رحاله .على ان بوهمند لم تخف عليه هذه التحركات العسكرية (*)

(1) يفيد البيرت دايكس — وهو الوحيد — أن بوهمند لم يعد أدراجه الى انطاكية وانما خاض في اليوم التالي معركة أخرى ضارية مع قوات السلاجقة فأحرز على نصر ثان. وتفيد المصادر العربية أن حملة بوهمند هذه مكنت الصليبيين من جمع غنائم وافرة لكنها لم تسد حاجياتهم الا أياما معدودات: اعمال الفرنجة، ص 52، وأيضا:
Albert d'Aix: op. cit., I, p. I68; Guill de Tyr: op. cit., I, p. 224.

(2) اعمال الفرنجة، ص 54—57، وانظر أيضا: Robert le Moine: op. cit., pp. 360-36I; Foulcher: op. cit., pp. 42-43; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. I69-I72; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 227-228; Hagenmayer: op. cit., pp. 251-252.
وكان من بين الذين غادروا المعسكر الصليبي اتيان دى بلوى Etienne de Blois وبطرس الناسك ووليم النجار Guill le Charpentier الا أن تانكريد اقتفى آثار بطرس ووليم فأعادهما الى المعسكر: اعمال الفرنجة، ص 55.

(*) أطلعه على هذه التحركات المسيحيون السريان والارمن المقيمون في حلب وحارم وكان حصن حارم قد استرده السلاجقة قبل هذه المعركة في اوائل شهر فبراير: أنظر: Guill de Tyr: op. cit., I, p. 236.
وايضا: رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية، جـ1، ص 328.

ولذلك لم يكد جيش رضوان يعسكر في مرج دابق حتى قام بتنظيم كتائبه ونصب له كمينا (*) بين نهر العاصي و بحيرة العمق . وفي يوم 9 فبراير زحف الجيش الاسلامي صوب انطاكية عبر جسر الحديد لكن لم يلبث أن باغته جيش بوهمند ودارت بينهما معركة حاسمة أظهر خلالها السلاجقة شجاعة فائقة الا أن بوهمند استطاع ترجيح الكفة لصالحه ، فأوقعت قواته في نهايتها بالجيش السلجوقي هزيمة نكراء كما استولت على حصن حارم وذلك بفضل خطة بوهمند المحكمة في القتال و بحث الحماس في نفوس رجاله (1) .

ولا شك أن هذه الهزيمة برهنت مرة أخرى على عدم قدرة القوى الاسلامية — وهي على خلافها — على مواجهة الغزو الصليبي ، ولم يحاول المسلمون توحيد صفوفهم وتقويتها وانما عملوا على توسيع هوة الخلافات بينهم . ولعل أبلغ دليل على تخاذل المسلمين وخيانتهم لواجبهم المقدس هو ما اقبل على صنعه الافضل الوزير الفاطمي المستحكم في شؤون مصر (**) ، ذلك انه بادر بعد الهزائم التي

---

(1) اعمال الفرنجة ، ص 57—59 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 235-238; Robert le Moine: op. cit., pp. 363-366; Raoul de Caen: op. cit., pp. 119-121; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 179-184; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 455, 457-461.
حبشي : نفس المرجع ، ص 125—126 ، رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص 338—339
وقد اهتبل ياغي سيان صاحب انطاكية فرصة غياب بوهمند وقواته ، فزحف ضد الجيش الصليبي المرابط حول مدينة انطاكية . وكاد الصليبيون ، الذين استبسلوا استبسالا عظيما ، أن ينهزموا لولا أن لحقت قوات بوهمند فأجبرت ياغي سيان على الانسحاب والعودة الى المدينة : اعمال الفرنجة ، ص 59 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 238-239.
ورنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 339 .
(*) شارك في هذه العملية العسكرية جودفري واتيان دي بلوا .
(**) استولى جيش الافضل على بيت المقدس منتهزا فرصة انشغال السلاجقة بمواجهة الصليبيين في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي" وملكه وتسلم محراب داود من سكمان ": ابن القلانسي : ذيل ، ص 135 ، وانظر ايضا : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص 197 ، ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 189 . ذكر ابن القلانسي عام 490 هـ واشار ابن العبري الى عام 492 هـ في حين ذكر ابن الاثير عام 489 هـ .

توالت على السلاجقة في الشام بارسال سفارة في عام 491 هـ/ شهر جانفي 1098م الى الصليبيين امام انطاكية يطلب عقد صلح معهم[1]. وقد دامت المفاوضات بينهم حوالي شهرين تم بمقتضاها الاتفاق على أن تبقى فلسطين في حوزة الفاطميين وأن تكون انطاكية من نصيب الصليبيين[2]. ولا شك أن ابوهمند دورا أساسيا في هذه المفاوضات لأن مستقبل انطاكية بالنسبة له هو أهم ما يفكر فيه أثناء هذه الحملة.

سقوط أنطاكية بأيدي الصليبيين النورمان :

وكان الصليبيون قد سدوا تقريبا جميع منافذ المدينة " الا ناحية النهر التي كان بها حصن ودير منفرد ولو كان هذا الحصن تحت حراستنا - الصليبيين - القوية لما جرؤ أحدهم على مغادرة أي باب من أبواب المدينة ولسدّت جميعها في وجوههم." وكان أن عهد زعماء الحملة باحتلاله لتانكريد بعد أن أمدوه بأربعمائة قطعة من الفضة " وبادر تانكريد فرحل مع فرسانه وجنوده الأبطال وسرعان ما أخذ جميع السبل على الأتراك حتى انهم لم يجرؤوا على فتح أحد أبواب المدينة لجمع الكلأ والخشب. . . . . وبقي تانكريد هنالك مع رجاله وبدأ في

(1) أعمال الفرنجة ، ص 59 ، وأيضا : Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 232-233; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. I77-I78.

وعلى حد قول روبرت الراهب فان زعماء الحملة الصليبية خاطبوا الوفادة الفاطمية بخشونة ورفضوا عرضها . ارجع الى : Robert le Mone: op. cit., pp. 373-376.

(2) حبشي : نفس المرجع ، ص 126-128 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 343 - 344 .

محاصرة المدينة من جميع النواحي ... ذلك أنه قبل سقوط انطاكية سد جميع المخارج امام الترك واحتلها ."(1)

وقد تحرك ياغي سيان مرة أخرى امام هذا الوضع الخطير وما سببه من ضيق شديد لأهل المدينة فكرّر طلب النجدة من قوام الدولة كربوغا صاحب الموصل الذى تنبه هو الآخر للخطر الصليبي في المنطقة . ولم يلبث كربوغا أن استجاب لنداء ياغي سيان فهب لاغاثته على رأس جيش عتيد (2). وفي الواقع كان لنبأ قدوم كربوغا وقع شيء على نفوس الصليبيين مما أدى بقادة الحملة الصليبية الى البحث عن أسرع وسيلة لاحتلال انطاكية(3). ورأى بوهمند في هذا الظرف الحرج أن الفرصة مواتية لتنفيذ مشروعه الرامي الى كسب انطاكية للنورمان وحدهم .

وكان بوهمند منذ وصوله امام انطاكية يبذل كل ما في طوقه لعقد صلة مع أحد جنود السلاجقة ليساعده على فتح انطاكية وتمكّن في كتمان كامل من

---

(1) أعمال الفرنجة ، ص 64-65 ، وارجع ايضا الى : Robert le Moine: op. cit., p. 337; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 252-253.

ورنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص 342 .

(2) أنظر : Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 193-203; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 256, 264-265.

كان قد انضمت اليه فرق أخرى من جيش بغداد وفارس وأمراء الارتقة بشمال الجزيرة : رنسمان : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 345 .

(3) أنظر : Guill de Tyr: op. cit., I, p. 266.

عاشور : الحركة الصليبية ، ج1 ، ص 201 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 345 .

كسب صداقة حارس تركي لثلاثة أبراج من أبراج الحراسة على أسوار المدينة اسمه فيروز Phirous (*) . وكان بوهمند قد "وعده بالترحيب به ان هو اعتنق النصرانية وراح يغريه بالشرف العظيم والثروة الوافرة ، فوثق فيروز بتلك الاقوال وهاتيك العهود وقال — في رسالة بعث بها الى بوهمند — وانني أعده بها عن طيب خاطر وسأسلمه اياها يوم يشاء وسأرحب به فيها."(1) ثم بعث فيروز ابنه رهينة الى

(1) أعمال الفرنجة، ص 66 . وتشير المصادر العربية الى هذا الحدث فيقول ابن الاثير مثلا : " فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا أحد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروز به وبذلوا له مالا واقطاعا . " (الكامل، ج8 ، ص 186). ويفيد ابن العديم :ج2 ، ص 134، بقوله : " فحمله الحنق — اى فيروز — على ان كاتب بيمند وقال له أنا في البرج الفلاني وانا أسلم اليك انطاكية ان أمنتني وأعطيتني كذا وكذا ، فبذل له ما طلب." واشار الى ذلك ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة، ج5، ص 146، بقوله : " فنافق رجل من انطاكية يقال له فيروز."

وقد اشارت المصادر الغربية الى كيفية اجراء هذه العلاقة : انظر:

Raoul de Caen: op. cit., pp. 131-134; Foulcher: op. cit., pp. 44-45; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 260-264; Robert le Moine: op. cit., pp. 380-383; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 210-212; Orderic Vital: op cit, III, 466-467

يبدو وأن فيروز أقدم على هذا التصرف انتقاما من سيده ياغي سيان الذى أساء اليه بمصادرته ماله وقتله " وأخذ ماله وقتله وحمله الحنق على ان كاتب بيمند — بوهمند — ابن العديم : زبدة الحلب ، ج 2 ، ص 134 وايضا :

Raoul de Caen: op. cit., p. 131.

واما البرت دايكس فانه يفيد ان اثناء المناوشات التي كانت تحتدم بين الصليبيين وعساكر انطاكية وقع ابن فيروز في قبضة بوهمند وبالتالي حتى يحافظ على سلامة هذا السجين تآمر فيروز مع بوهمند ضد سيده ياغي سيان : انظر:

Albert d'Aix: op. cit., I, p. 212.

(*) اختلفت المصادر حول أصل فيروز اذ يذكر ابن القلانسي انه من اصل ارميني واسمه نيروز ، ويشير صاحب اعمال الفرنجة وروبرت الراهب والبرت دايكس وفولشر الى انه من أصل تركي ، واما راوول دى كان فيقول انه مسيحي اعتنق الدين الاسلامي وهو من اصل ارميني ويذكر وليم الصورى فيروز باسم Emir Feir — الامير فيير — ويعطيه البرت دايكس اسم بوهمند ويرفعه الى اصل تركي وينسبه ادريك فيتال الى نفس الاصل :ارجع الى المصادر المذكورة في هامش هذه الصفحة رقم 1 .

بوهمند ، اشارة باخلاص نيته فيما عاهده به [1].

ولما تأكد بوهمند من نجاح مساعيه راح يشيع بين الامراء الصليبيين الأقوال الباعثة على الخوف واليأس وعندئذ أخذ يساوم ويطالب منهم تنازلهم له عن انطاكية لقاء اخراجهم من المأزق الرهيب الذي باتوا فيه . وقد لقي عرضه قبولا وترحيبا لدى الامراء الصليبيين لأن الظروف لم تسمح بالانتظار لا سيما ان عناصر كثيرة من الجيش الصليبي فرّت من المعسكر خوفا من بطش جيش الموصل ولم يبق لبوهمند امام موافقة الامراء على رغبته الا الشروع في تنفيذ الخطة التي رسمها له فيروز [2].

وفي اليوم الثاني من شهر جوان تظاهر بوهمند بالخروج بعد الظهر مع رجاله كعادته الى ضواحي انطاكية لضرب أصحابها من المسلمين وهذا حتى يبعث

(1) أنظر: Foulcher: op. cit., p. 45; Raoul de Caen: op. cit., p. 134; Robert le Moine: op. cit., p. 383; Orderic Vital: op. cit., III, p. 467.

(2) أعمال الفرنجة، ص 56_57 ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج 2 ، ص 134، وايضا : Raoul de Caen: op. cit., pp. 134-137; Robert le Moine: op. cit., pp. 383-384; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 268-271; Albert d'Aix: op. cit., t. I, pp. 268-271; Orderic Vital: op. cit., III, p. 467.

وأيضا : عاشور : الحركة الصليبية ، ج 1 ، ص 203 _ 204 ، وايضا : Cahen: op. cit., p. 215; Yorga: op. cit., p. 59; Brehier: L'eglise et l'Orient, pp. 78-79; Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, p. 201.

وقد سبق أن عرض عليهم هذا الرأي ورفضه زعماء الحملة الصليبية ويعتبر ريموند كونت تولوز هو الزعيم الوحيد الذي تمسك بمعارضته لمشروع بوهمند . اعمال الفرنجة ، ص 56 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., I, p. 270.

ورنسمان : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 245 _ 246 .

الاطمئنان في نفس حراس المدينة ، ولما أوشك الفجر على الانبلاج عاد بوهمند وجنوده الى انطاكية متجهين الى ناحيتها الغربية حيث كان فيروز ينتظرهم ليسلّم لهم الابراج التي اسندت اليه حراستها[1]. ولم يلبث أن " جاءوا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة ."[2] وكان ان " انطلقوا سراعا الى الابراج الاخرى وهم يقتلون كل من يعثرون عليه ."[3] " ولم يضع بوهمند اية دقيقة بل أمر برفع رايته المجيدة على رابية مواجهة للقلعة" أما الصليبيون الآخرون فقد اندفعوا " مسرعين ودخلوا المدينة من أبوابها وذبحوا من صادفوا بها من الاتراك والمسلمين .ولم ينج من القتل سوى من تهيأ لهم الفرار الى القلعة وخرج جماعة آخرون من الترك من الابواب ورأوا سلا مستهم في الهروب."[4] واما ياغي سيان " فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه ."[5] ونظرا لتعب جيادهم فقد انكفأوا الى احدى الدساكر ببيت من بيوتها ولم يلبث سكانها ,الارمن والسريان أن عرفوا خبرهم وسرعان ما قبضوا على ياغي سيان وقطعوا رأسه وحملوه الى بوهمند لينالوا

---

(1) أنظر: Robert le Moine: op. cit., p. 385; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 468-469; Chalondon: Hist. de la 1ère Crois, p. 202.

(2) ابن الاثير : الكامل ، ج 8 ، ص 186 .

(3) أعمال الفرنجة، ص 69 .

(4) أعمال الفرنجة ، ص 69ـ70 .

(5) ابن الاثير : الكامل، ج 8 ، ص 185 .

حربيتهم . وقد جرت هذه الاحداث في اليوم الثالث من شهر يونيو — جوان — " رجب عام 491 هـ/ 1098م[1] . وهكذا سقطت مدينة انطاكية بفضل دهاء وشجاعة بوهمند ، بأيدي الصليبيين . بيد أن قلعتها ظلت في حوزة شمس الدولة بن ياغسي سيان . وقد حاول بوهمند اقتحامها لكنه فشل فعاد أدراجه بعد أن أصابته جروح خفيفة[2] .

---

(1) أعمال الفرنجة، ص 70 .

أورد ابن الاثير في هذا الأمر رواية يقول فيها : " فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الأرض أراد أصحابه أن يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قاربه الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان ارميني كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه الى الفرنج بأنطاكية ." (ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 186 .

عن عملية فتح الصليبيين لمدينة انطاكية ارجع الى : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 135—136، ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 134—135، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص 196 ، ابي الفداء : المختصر ، المجلد الاول ، ص 210 ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 145—147، ابن خلدون : العبر، ج5 ، ص 41 . وانظر ايضا : Robert le Moine: op. cit., pp. 384-389; Raoul de Caen op. cit., pp. 138-144; Foulcher: op. cit., pp. 44-46; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 277-287; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 212-224; Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, PP. 327-328; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, 40-41; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 469-472.

واما عن المراجع فيمكن العودة الى : رنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 349—351، باركر : الحروب الصليبية ، ص 34—35 ، وانظر ايضا : Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, pp. 202-204; Brehier: L'eglise et l'Orient, p. 79; Michaud: op. cit., I, pp. I70-I74; Yorga: op. cit., p. 59; Cahen: op. cit., p. 215.

(2) رنسمان : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 251 . وايضا :

Robert le Moine: op. cit., p. 390.

حصار كربوغا لانطاكيـة :

لم يكد الصليبيون ينتهون من تنظيم شؤون انطاكية[1] حتى بلغت النجـدة الاسلامية، بقيادة كربوغا ، مشارف مدينة انطاكية وذلك في يوم 5 جوان وبعد يومين[*] شرع كربوغا في ضرب الحصار على المدينة [2]. وكان اول عمل قام بتنفيذه هو افتكاك قلعة المدينة من أيدي شمس الدولة بن ياغي سيان وولى عليها احمد بن مروان احد خواصه [3]. وكان الغرض من هذه المبادرة هو اكتساب نقطة ارتكاز

(1) عاشور : الحركة الصليبية ، ج 1 ، ص 205 ـ 206 .

(2) أعمال الفرنجة، ص 71ـ72 .

" فوصلوا الى انطاكية سحرة يوم الثلاثاء سادس رجب" ، ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 135 ، ذكر ابن الاثير حجم قوة جيش كربوغا " واجتمعت معه ـ أي كربوغا ـ عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن ارتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم ." ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 187 ، ويشير اليها كذلك ابن القلانسي : " وتواصلت الاخبار بصحة ذلك تجمعت عساكر الشام في العدد الذي لا يدركه حصر وحزر ." ابن القلانسي : ذيل ، ص 136 . وانظر ايضا : ابا الفداء : المختصر المجلد الاول ، ص 210 ، ابن خلدون : العبر ، ج5 ، ص 41 ، وايضا : Foulcher: op. cit., p. 48; Robert le Moine: op. cit., p. 392; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 292-296; Albert d'Aix: op. cit., t. I, p. 228; Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, p. 329; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 41.

(3) اعمال الفرنجة، ص 72ـ73 ، ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 135 ، وايضا : Robert le Moine: op. cit., pp. 393-394.

(*) يذكر وليم الصوري اربعة أيام .

تمكنهم من التوغل داخل المدينة[1]. وقد عمدت اثر ذلك قوات كربوغا الى تشديد الحصار على الصليبيين، بمساعدة حامية القلعة، اذ دأبت على شن غارات عنيفة على أسوار المدينة تمكنت في نهايتها من الاستيلاء على أحد أبراجها في يوم 12 جوان وهذا بالرغم مما أبداه الصليبيون من استماتة في مقاومة المغيرين[2].

على أن الوضع داخل المدينة لم يلبث أن أخذ في التدهور من جراء شدة الحصار اذ استبدّ الخوف واليأس بالصليبيين كما تفشت مجاعة رهيبة " حتى عدم القوت عندهم حتى أكلوا الميتة ."[3] ويؤكد ابن العديم هذه الحقيقة " وأكل الفرنج بأنطاكية الميتات والدواب"[4].

---

(1) رنسمان : نفس المرجع، ج 1 ، ص 355 .

(2) أنظر : Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 296-297; Foulcher: op. cit., p. 48; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 230-234, 236-237.

وأيضا : حسن حبشي : نفس المرجع، ص 134، 137، رنسمان : نفس المرجع، ج 1 ، ص 356، 350 .

على حد قول البرت دايكس فان الصليبيين استعادوا البرج .

(3) ابن القلانسي : ذيل، ص 136، ابن الاثير: الكامل، ج8، ص 187، وايضا :

Foulcher: op. cit., pp. 48-49; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 234-235; Raoul de Caen: op. cit., pp. 160-161; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 296-297; Hagenmeyer: op. cit., p. 266.

(4) ابن العديم : زبدة الحلب، 2، ص 137 .

ويذكر ابو المحاسن انهم" أكلوا ورق الشجر" ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة، ج 5، ص 147 .

وكانت نتيجة هذه المحنة أن غادر الكثير من الصليبيين المدينة مما أدى ببوهمند الى القيام بدوريات ليلية قصد القبض على الخونة الفارين(1). وكان أن لاحظ بوهمند كذلك اعتصام الصليبيين بمنازلهم مما أضعف خط دفاع المدينة وحينئذ أقبل على اضرام النيران في الناحية التي يقع فيها قصر ياغي سيان وذلك حتى يجبر المتقاعسين عن المقاومة على الالتحاق بفرقهم المختلفة(2).

ولم تجد هذه الأعمال القاسية نفعا بل ازدادت أحوال الصليبيين سوءا ورداءة(*). وامام هذه الطامة الكبرى تراءى لبعض الزعماء الحملة ضرورة تدبير قصة خيالية يتم بفضلها بعث الشجاعة والأمل في نفوس الصليبيين الواهنة

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 298-299, 302-307; Raoul de Caen: op. cit., pp. I58-I59; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 237-240.
وايضا: حسن حبشي: نفس المرجع، ص 135.

(2) اعمال الفرنجة، ص 84، وايضا: Robert le Moine: op cit., p. 410; Raoul de Caen: op cit., p. 153.
وحسن حبشي: نفس المرجع، ص 138.

(*) والواقع ان ما ضاعف من شدة الهول السائد في أوساط الصليبيين ما تناهى الى أسماعهم من نبأ عودة الامبراطور البيزنطي الكسيوس بعد أن اعتزم امدادهم، ويرجع سبب هذا التقهقر الى ما قدمه اتيان دي بلوا للامبراطور اثناء مصادفته في الطريق، من وصف بشع للحالة التي باتت فيها الصليبيون المحاصرون في انطاكية وكذلك الى مبالغته في تقدير قوة كربوغا وما تشكله من خطر على العالم المسيحي كله: اعمال الفرنجة، ص 86 ــ 88، وانظر ايضا:
Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 244-246; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 309-315; Robert le Moine: op. cit., pp. 403-405; Orderic Vital: op cit, III, 481-482.
وحسن حبشي: نفس المرجع، ص 136 ــ 137.

وكانت هذه القصة هي معجزة الحربة المقدسة(1).

وفي الواقع لم يكن الجيش الاسلامي المحاصر أكثر التئاما وقوة من عدوه لما كان يشهده من توتـر وحزازات بين مختلف الفرق المكوّنة له . ويوضح لنا ابن العديم هذا الشقاق بقوله : " وجرت بين الاتراك والعرب الذين مع وثاب بن

---

(1) حبشي : نفس المرجع ، ص 138 .

لقد ذكر ابن الاثير الرواية الخاصة بمعجزة الحربة المقدسة حيث يقول : " وكان معهم راهب بطرس بارتلميو مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كانت له حربة مدفونة بالقسيان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق ، وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفا اثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر . . . " ، ابن الاثير: الكامل ، ج 8 ، ص 187 .

وتفصيل هذه الرواية أن بطرس زعم أن القديس اندرواس ظهر له في المنام وقص عليه هذه القصة ثم أمره بالتوجه الى ريموند كونت صنجيل ليطلعه على هذا السر . وتشير المصادر الغربية أن الحربة المشار اليها هي التي طعن بها المسيح . ومهما يكن من أمر هذه الرواية فان بوهمند لم يستسغها بتاتا بل أنكرها تماما ، لما توفره لخصمه ومنافسه ريموند من فرصة تكسبه الزعامة على الصليبيين مما يحول بينه - أي بوهمند - وبين نيل مبتغاه ألا وهو امتلاك انطاكية لنفسه : حسن حبشي : نفس المرجع ، ص 138 - 139 ، 141 .

لمزيد من التفاصيل عن قصة الحربة المقدسة ارجع الى : اعمال الفرنجة ، ص 82-83 ، 89-90 ، وايضا : ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 147-148 ، وايضا :
Robert le Moine: op. cit., pp. 406-411; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 318-319; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 248-249; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 477-478, 483; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 41-42.

وارجع ايضا الى : رنسمان : نفس المرجع ، ج1 ، ص 361-368 ، باركر: نفس المرجع ، ص 85 .
Cahen: op. cit., p. 217; Brehier: L'eglise et l'Orient, p.79.

محمود ـ منافرة عادوا لاجلها وتفرق كثير من التركمان بتدبير الملك رضوان ورسالته ."(1) ويفيد ابن الاثير ذاكرا سبب تفكك وحدة الجيش الاسلامي بأن "كربوغا أساء السيرة فيمن معه من المسلمين وأغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه أنهم يقيمون معه على هذه فأغضبهم ذلك وأضمروا له في أنفسهم الغدر."(2)

وفي هذه الظروف بالذات حاول بوهمند فتح باب المفاوضات مع كربوغا. اذ أوفد سفارة الى القائد الاسلامي في يوم 27 حزيران يحثه على رفع الحصار على مدينة انطاكية الا أن كربوغا استكبر وتعنت وأصرّ على أن تفتح له أبواب المدينة دون شرط(3).

فهم بوهمند جيدا نوايا كربوغا الحقيقية وأدرك أن القتال هو الوسيلة

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب، 2، ص 136 ـ 137 .

(2) ابن الاثير: الكامل، ج 8، ص 187 .

ويرجع ابو الفداء سبب الفرقة التي دبت في صفوف جيش كربوغا الى أن "كربوغا أساء السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والامراء المذكورين، وتكبّر عليهم، فخبثت نياتهم على كربوغا ." ابو الفداء : المختصر، المجلد الاول، ص 211 .

(3) أعمال الفرنجة، ص 90 ـ 91 ، وأيضا :

Robert le Moine: op. cit., pp. 411-414; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 320-324; Raoul de Caen: op. cit., pp. 161-163; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 249-251; Foulcher: op. cit., pp. 50-51; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 483-484; Cahen: op. cit., p. 217; Hagenmeyer: op. cit., pp. 268-271; Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, p. 220.

الناجحة والوحيدة لفك الحصار ، وكسر غرور كربوغا لا سيما ان بوهمند كان على بيّنة بالوضع المضطرب داخل الجيش الاسلامي . على ان بوهمند لم يلبث أن أمر الصليبيين بالاستعداد لقتال جيش كربوغا ، وبادر بوهمند بتقسيم القوات الصليبية الى ست كتائب رئيسية يكوّن اثنين منها نورمان ايطاليا ، أولهما بقيادته ، والثاني بزعامة تانكريد . ويبدو أن كربوغا استهان كثيرا بقوة الجيش الصليبي وخطته الحربية اذ لم يبادر بالهجوم على الصليبيين حين خروجهم من المدينة رغم الحاح بعض الأمراء على ضرورة الاجهاز عليهم وهم متفرقون . ويبين ابن الاثير الخطأ الاستراتيجي الذي ارتكبه كربوغا بقوله : " فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون (لكربوغا) ينبغي أن تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يكن من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم ، فلما تكامل خروج الفرنج (*) ولم يبق بانطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوغا أولا من الاستهانة بهم والاعراض عنهم ، وثانيا من منع عن قتل الفرنج ، وتمت الهزيمة عليهم ."(1) وحينما شعر كربوغا بحتمية هذه الهزيمة

---

(1) ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 187 . وانظر ايضا : اعمال الفرنجة ، ص 92-94 ، ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 137 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص136 ، ابا الفداء : المختصر ، المجلد الاول ، ص 211 ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص196 ، ابا المحاسن : النجوم الزاهرة جـ5 ، ص 148 ، ابن خلدون : العبر ، جـ5 ، ص41-42 ، 387 ، وارجع ايضا الى :

Robert le Moine op. cit., pp. 414-416; Foulcher: op. cit., pp. 52-54; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 326-337; Raoul de Caen: op. cit., pp. 164-175; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 252-260; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 484-490; Matthew d'Edesse: in R.H.C., I, pp. 42-43; Michel le Syrien: in R.H.C. arm, I, p 329; Cahen: op cit, pp 217-218; Hagenmeyer: op cit, pp 285-286

وباركر : نفس المرجع ، ص 35 ، وايضا :

دارت المعركة يوم 28 جوان ، ويشير ابن القلانسي يوم الثلاثاء السادس من رجب .

(*) انظر كيف توزعت الفرق الصليبية الاخرى في اعمال الفرنجة ، ص 92 . ويشير وليم الصوري الى وجود 12 فرقة ، ويفيد البرت دايكس بأن فرقة بوهمند هي اقوى الفرق الصليبية واكثر عددا ، انظر :

Guill de Tyr: op cit, I, pp 326-328; Albert d'Aix: op cit, I, p 253

انسحب من المعركة وانسال هاربا مع أعوانه صوب الموصل[1]. وهكذا " قتل الفرنج منهم ـ السلاجقة ـ ألوفا و غنموا ما في المعسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة ."[2] وأما تانكريد فلم يتوقف عند هزيمة العدو بل أخذ في مطاردته حتى جسر الحديد حيث أدركه الليل فعاد أدراجه الى معسكره محملا بالغنائم الوافرة [3].

على أن احمد بن مروان الذى ظل معتصما بقلعة المدينة سرعان ما أعلن عن رغبته في مقابلة بوهمند ليعرض عليه شروط الاستسلام واستجاب بوهمند لطلب احمد بن مروان ، فعقدت اتفاقية بينهما سمحت لبوهمند بامتلاك القلعة دون أدنى مشقة أو تعب ونصت الاتفاقية على أن تخرج حامية القلعة من المدينة سالمة وأن يسمح لمن يعتنق المسيحية بالبقاء مع بوهمند . و تشير المصادر المختلفة أن بوهمند وفّى بعهده ونفذ بنود الاتفاقية بحذافيرها[4].

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., I, p. 337; Foulcher: op. cit., p. 54; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 260-261;

ورنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 371 ، عاشور: الحركة ، جـ1 ، ص 211 .

(2) ابن الاثير: الكامل ، جـ8 ، ص 187 .

" ونهب من المسلمين من الالات والخيام والكراع والغلات ما لا يحصى." ابن العديم: زبدة الحلب ، 2 ، ص 137 .

(3) أعمال الفرنجة ، ص 94 ، وانظر ايضا : Raoul de Caen: op. cit., pp. 175-176; Robert le Moine: op. cit., pp. 422-423; Guill de Tyr: op. cit., I, p. 338 Michaud: op. cit., I, p. 189.

(4) أعمال الفرنجة ، ص 95-96 ، ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 137-138 ، وانظر ايضا : Guill de Tyr: op. cit., I, p. 340; Robert le Moine: op. cit., pp. 424-425; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 490-491.

على حد قول صاحب أعمال الفرنجة وروبرت الراهب ان احمد بن مروان اعتنق المسيحية مع عدد لا يستهان به من رجاله ، ويفيد المؤرخان كذلك ان احمد بن مروان رفض بادئ ذى بدء التفاوض مع ريموند الصنجيلي وآثر عنه بوهمند .

نشاط الصليبيين ومجموعة النورمان بعد سقوط انطاكية :

سبق وأشرنا الى الخلاف الذى وقع بين بوهمند وريموند الصنجيلي ، امير تولوز(*) بعد سقوط انطاكية في يد الصليبيين حول امتلاكها . ولقد أدى هذا الخلاف الى تعطيل الزحف الصليبي على بيت المقدس بتسعة أشهر غير أن الجيش الصليبي لم يبق جامدا ابان هذه الحقبة الطويلة بل دأب بين الفينة والأخرى على شن حملات عسكرية ضد المناطق الاسلامية المجاورة لانطاكية[1]، وفي هذا الصدد توجه بوهمند الى منطقة قليقية حيث قام بتحصين وتنظيم المدن التي كان تانكريد قد استولى عليها آنفا مثل أدنه والمصيصة[2]، وبعدئذ التحق بوهمند في عام 492 هـ/ 28 نوفمبر 1098م بمدينة معرة النعمان ليساعد الجيش الصليبي الذى كان يشارك فيه ابن اخته تانكريد ، على احكام الحصار حولها . وعندما طال الحصار بلا نتيجة لجأ بوهمند مرة أخرى الى الحيلة اذ أوفد سفارة الى اهل المدينة يطلب منهم التنازل له عن المدينة وتعهد مقابل ذلك بتأمينهم على أنفسهم وأموالهم كما نصحهم بالتوجه الى القصر الواقع بجنوب ميناء المدينة للاحتماء به . ولاقت دعوة بوهمند ترحيبا كبيرا لدى سكان المدينة مما أدى بهم الى الامتثال الى نصائحه . وتمكن الصليبيون من الدخول الى المدينة بكل يسر وسهولة في 24 محرم / 11 ديسمبر من نفس العام . واما بوهمند فلم يف بوعده اذ عمد الى اخراج اللاجئين من القصر وجردهم من كل أرزاقهم ثم قتل الرجال وسبى النساء والأطفال

---

(1) حسن حبشى : نفس المرجع ، ص 149 .

(2) رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية، جـ 1 ، ص 380 .

(*) انظر الفصل الثالث ، ص 172 .

وساقهم الى انطاكية ليباعوا بها (1).

وعلى أثر سقوط معرة النعمان دبّ الخلاف من جديد بين بوهمند وريموند الصنجيلي، أدى الى خلق شعور بالاستياء والتذمر في صفوف الصليبيين، الأمر الذي دفع بالعساكر الى ممارسة الضغط على ريموند كيما يقرر أمر الزحف على بيت المقدس، وهكذا أخذ الجيش الصليبي في السير الى بيت المقدس آخر رجب 492 هـ/ 13 جانفي عام 1099م. وقد اشترك (*) في هذا الزحف فرقة من نورمان جنوب ايطاليا بقيادة تانكريد قوامها اربعون فارسا ومجموعة من المشاة، وأما بوهمند فانه آثر البقاء في انطاكية لتأمين مصالحه فيها لأنها أصبحت ملكا خالصا لا ينازعه فيها أي منازع (**)(2).

---

(1) أعمال الفرنجة، ص 104_106، ابن الاثير: الكامل، ج8، ص 187، ابن العديم: زبدة الحلب، 2، ص 142، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، في: R.H.O., III, p 519. ابو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج5، ص 145_147، ابو الفداء: المختصر، م. الاول، ص 211.

ويذكر ابن القلانسي في شأن سقوط معرة النعمان " وانهزم الناس الى دور المعرة للاحتماء بها فأمنهم الفرنج وغدروا بهم. " ابن القلانسي: ذيل، ص 136، وانظر ايضا: Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 362-364; Robert le Moine: op. cit., pp. 340-346; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 506-509; Cahen: op. cit., p. 220.

وايضا حبشي: نفس المرجع، ص 159_160، رنسمان: نفس المرجع، ج1، ص 386، 1, 381.

(*) وكان ممن سار مع ريموند روبرت النورماني، وجودفري اللوريني، وكذلك صاحب كتاب أعمال الفرنجة.

(**) استطاع بوهمند طرد اتباع ريموند من الاماكن التي تحصنوا بها في انطاكية. انظر: Guill de Tyr: op. cit., I, p. 366; Albert d'Aix: op. cit., I, pp 291-292.

وباركر: نفس المرجع، ص 35.

(2) يعود سبب هذه الازمة الى ان بوهمند ابى أن يجلو رجاله عن معرة النعمان ما لم يتخل عساكر ريموند عن النقاط التي استولوا عليها في انطاكية. ويبدو أن ريموند رفض طلب بوهمند بدعوى انه أقسم للامبراطور البيزنطي الكسيوس انه سوف يعيدها له اذا تم للصليبيين فتحها، في حين يردّ راوول دي كان سبب هذا الجفاء الى الموقف السلبي الذي وقفه بوهمند تجاه قصة الحربة المقدسة. عن هذه الازمة ارجع الى: اعمال ===

في عام 492 هـ/ اليوم السابع من شهر جوان عام 1099 م بلغ الجيش الصليبي بيت المقدس وشرع على الفور في محاصرتها من كل نواحيها . وقد نصب تانكريد خيامه عند الناحية الغربية لها الى جانب الدوق جودفري[1]. استغرق هذا الحصار الى نهاية شعبان غاية يوم الخميس 14 جويلية حيث تمكن جودفري من التوغل الى داخل المدينة وتبعه تانكريد الذي لم يلبث أن زج برجاله في القتال . وحينما

=== الفرنجة ، ص 106–107 ، ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 143 ، وانظر ايضا :
Raoul de Caen: op. cit., pp. I86-I96; Robert le Moine: op. cit., pp. 440-442; Guill de Tyr: op. cit., I, pp. 366-37I; Orderic Vital: op. cit., III,p 5IO.
ورنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 391–394 ، عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 224 ، حبشي : نفس المرجع ، ص 162 ، باركر : نفس المرجع ، ص 35 ، وايضا :
Brehier: L'eglise et l'Orient, pp. 80-8I; Yorga: op. cit., p. 62.
انظر نشاط تانكريد الى جانب ريموند ضد بعض المواقع الاسلامية ابان الزحف على بيت المقدس عند :
Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 299-316;

كان بوهمند قد قرر اللحاق في نهاية فبراير بجيش ريموند لكنه لما بلغ مدينة اللاذقية ارتد عائد الى انطاكية لما تراءى له من ضرورة توطيد اركان امارته الفتية : انظر :
Albert d'Aix: op. cit., I, p. 299; Guill de Tyr: op. cit., I, p. 376; Robert le Moine: op. cit., p. 447;
وايضا : رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 404 .

(1) اعمال الفرنجة ، ص 114 ، وايضا :
Guill de Tyr: op. cit., I, p. 419; Robert le Moine: op. cit., pp. 452-453; Raoul de Caen: op. cit., pp. 216-217; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 317-318.

كان يدير شؤون بيت المقدس الحاكم الفاطمي افتخار الدولة الذي اتخذ جميع التدابير اللازمة لمقاومة الحصار : اعمال الفرنجة ، ص 115 ، ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص ...

وحينما شهد أهل المدينة تدفق عساكر الصليبيين أخذوا يلوذون بالفرار الى الحرم الشريف وكان أن عمد تانكريد الى مطاردتهم موسعا اياهم قتلا وتنكيلا حتى بلغ المسجد الأقصى ومسجد عمر، وحينئذ داخل تانكريد مسجد عمر فجمع الكنوز المتواجدة به ثم وضعها في مأمن ليحتفظ بها لنفسه (*) .

وعندما انبلج صباح يوم السادس عشر من شهر جويلية استأنف تانكريد عمله التقتيل والتنكيل وتوجه الى هيكل سليمان حيث اعتصم به كثير من سكان المدينة، وكان تانكريد قد تعهد لهم بعدم الاساءة اليهم الا أنه لم يكد جنوده يدخلون الهيكل حتى أمرهم بالفتك بهم دون التمييز بين الرجال والنساء. وكان أن ألقى الكثير من الرجال بأنفسهم من فوق سطح الهيكل على الارض خشية الوقوع في قبضة تانكريد السفاح . وبهذه الصورة البشعة تم للصليبيين الاستيلاء على آخر معقل لأهل بيت المقدس وذلك بعد أن مارسوا أفظع أنواع التقتيل والفتك التي تقشعر لها الأبدان (1) .

(*) يفيد فولشر أن تانكريد لم يلبث أن أعادها الى موضعها بينما يشير البرت دايكس الى انه اقتسمها مع جودفري : انظر : Foulcher: op. cit., p. 74; Albert d'Aix: op. cit., I, p. 342.

(1) " وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من ائمة المسلمين . . . وأخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلا من الفضة . . . واخذوا تنورا من فضة وزنه اربعون رطلا بالشامي وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا ما لا يقع عليه الاحصاء ." ابن الاثير : الكامل ، ج8، ص 189 .

لمزيد من التفاصيل عن ظروف الحصار وسقوط بيت المقدس في ايدي الصليبيين ، ارجع الى : اعمال الفرنجة، ص 117_120 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 135_137 ، ابن العديم : زبدة الحلب ، 2، ص 143 ، ابي المحاسن : النجوم الزاهرة، ج5، ص 148_149 ابي الفداء : المختصر ، م. الاول ص 211 ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في H.O., III p. 518-520 ، ابن خلدون : العبر، ج5، ص 43_44 ، وايضا :
oulcher: op. cit., pp. 72-75; Robert le Moine: op. cit., pp. 452-460; uill de Tyr: op. cit., I, pp. 433-464; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 324-352;
===

وما ان استراح الصليبيون من عناء الحرب حتى تلقى تانكريد طلبا من جودفرى(*) ، زعيم الحملة ، في بداية شهر أوت يدعوه فيه الى المضي الى مدينة نابلس لاستلامها من أهلها . وقد استجاب تانكريد لهذا النداء فتوجه الى نابلس على رأس جند غفير مستصحبا معه الكونت استاش Eustache أخا جودفرى، وعلى اثر وصوله اليها ألقى الحصار عليها الا أن المدينة لم تلبث أن أعلنت استسلامها له (1).

وكان أن مرع تانكريد عندئذ صوب مدينة عسقلان ليساعد أهلها على مواجهة الهجوم الذى كان الافضل ، وزير مصر الفاطمية ، ينوى شنه عليها . وحينما بلغ تانكريد مدينة الرملة(**) تم له القبض على فئة من رجال الحرب أرسلت من قبل المصريين قصد استكشاف المنطقة . وتمكن تانكريد بواسطتها من معرفة كل استعدادات الافضل وخططه ومن ثم بادر تانكريد باخبار جودفرى بتفاصيل مشروع الافضل كما حثه على سرعة القدوم الى عسقلان(***) . وهكذا لم تمض ايام قليلة حتى التقى الجيشان المصرى(*) والصليبي في احدى نواحي

Raoul de Caen: op. cit., pp. 236-242; Orderic Vital: op. cit., III, === pp. 522-531; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 44-45; Michel le Syrien: in R.H.C., arm, I, p. 329; Samuel d'Ani: in R.H.C., arm, I, p. 448.

وانظر ايضا : حبشي : نفس المرجع ، ص 178ـ179 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 426 ـ 427 ، عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 241ـ245 ، باركر : نفس المرجع ، ص 36 .

(1) اعمال الفرنجة ، ص 120 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, p. 21; Robert le Moine: op. cit., pp. 461-462; Orderic Vital: op. cit., III, p. 536.

(*) اختار زعماء الحملة جودفرى امير اللورين حاكما على المدينة ، وقد رفض جودفرى حمل لقب ملك وفضل عليه لقب حامي او وكيل القبر المقدس ،انظر: Brehier: L'eglise et l'Orient, p. 82.

(**) شمال غرب بيت المقدس .

(***) غرب بيت المقدس .

(*) يقدر البرت دايكس عدد الجيش الاسلامي بثلاثمائة الف محارب والجيش الصليبي بعشرين الف جندى وهذا التقدير بطبيعة الحال يفوق المبالغة .انظر: Albert d'Aix: op. cit., I, p. 370.

عسقلان ، ودارت بينهما معركة طاحنة في شهر رمضان / يوم 12 اوت عام 1099م أبدى خلالها رجال تانكريد بسالة عظيمة انتهت بانتصار الصليبيين وانهزام جيش الافضل هزيمة نكراء (1)" وغنموا ما في المسكر من مال وسلاح ." " ثم نازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين الف دينار ثم عادوا الى القدس ." (2)

وعقب هذا الانتصار أنفذ جودفرى فريقا من الجند بقيادة تانكريد الى اقليم الجليل قصد الاستيلاء عليه وكان جودفرى قد أقطعه اياه اعترافا بنشاطه الحربي وفي الجليل احتل تانكريد بكل سهولة مدينة طبرية كما بسط نفوذه على حيفا عام 504 هـ/ 20 اوت عام 1110م وبلدة بيسان التي عمل على تحصينها وطرد جماعات البدو المقيمين بجوارها (3)، ودأب تانكريد حينئذ على تدبير غارات سريعة ومفاجئة

---

(1) أعمال الفرنجة، ص 121_125 ، ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 190، ابن القلانسي: ذيل، ص 137 . وانظر ايضا : سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، في: R.H.O., III, pp 520-519; وانظر ايضا : Guill de Tyr: II, pp. 21-24; Raoul de Caen: op. cit., p. 258; Robert le Moine: op. cit., pp. 462-474; Foulcher: op. cit., pp. 78-80; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 359-371; Orderic Vital: op. cit., III, pp. 536-543.

وانظر: حبشي : نفس المرجع، ص 193 ، وايضا: Brehier: L'eglise et l'Orient, p. 83; Hagenmeyer: op. cit., pp. 320-321.

(2) ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 190، وايضا : Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 372-373.

لم يظفر جودفرى بالمدينة بسبب ما دار بينه وبين ريموند من خلاف حول شروط استسلام أهل المدينة : ابن القلانسي : ذيل، ص 137، رنسمان : نفس المرجع ، جـ1، ص 441_442 وايضا : Raoul de Caen: op. cit., p. 259.

(3) انظر: Raoul de Caen: op. cit., pp. 260-261; Guill de Tyr: op. cit., II, p. 27; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 403-404;

وحبشي : نفس المرجع، ص 194، رنسمان : نفس المرجع ، جـ1، ص 451، عاشور: الحركة ، جـ1، ص 251، 275_276 ، وايضا : Grousset: Hist. des croisades: I, p. 200.

على الاراضي المجاورة والتابعة للسلاجقة والفاطميين على السواء ، ولم يجن تانكريد الغنائم الوافرة من خلال هذه الاستفزازات فحسب بل أثبت سيادته المطلقة على هذا الاقليم الواسع وهو الجليل[1].

أنطاكية أثناء حكم بوهمند الأول النورماني :

بعد أن أدى بوهمند زيارة لبيت المقدس[2] واستتبت له الأمور في أنطاكية وتوطد سلكه بها أخذ يتطلع الى مد نفوذه الى المناطق المجاورة لامارته . وكانت قلعة أفامية[*] الواقعة في حوض نهر العاصي هي أول موقع شرع بوهمند في الاغارة عليه مستغلا الخلاف السائد بين صاحب هذه القلعة الامير العربي سيف الدولة بن ملاعب وغيره من الأمراء المسلمين[3]، غير أن بوهمند قوبل بمقاومة عنيفة أرغمته على العودة الى انطاكية بعد أن "أفسد زروعها ." وهذا في رجب عام 493 هـ/ شهري مايو - حزيران عام 1100م[4]، ولكن لم يلبث أن تمكن من اخضاع

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، جـ1 ، ص 451 .

(2) أنظر : Raoul de Caen: op. cit., pp. 261-262; Foulcher: op. cit., p. 83; Chalondon: Hist. de la 1ère croisade, p. 293.

عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 384 .

(3) ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 195 ، عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 384 - 385 .

(4) ابن الاثير : الكامل ، جـ 8 ، ص 195 - 196 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 137 - 138 .

(*) كورة من كور حمص .

الاقليم الواقع من الجزر حتى سرمين[1].

وفي هذه الاثناء شن امير حلب رضوان السلجوقي هجوما على حامية النورمان المرابطة بمدينة كلاّ الواقعة شرقي العاصي(*) فتمكن من الاستيلاء عليها وطرد النورمان منها[2]، لكن لم تلبث ان هبت لانقاذها الفرق النورمانية الأخرى المتمركزة في المدن المجاورة مثل زردنا وسرمين واستطاعت أن تستردها في يوم 5 جويلية عام 1100م بعد أن كبّدت جيش رضوان خسائر فادحة[3] ودفعت نشوة هذا الانتصار بالنورمان الى مواصلة زحفها الى أن بسطت سيطرتها على برج الحاضر قرب قنسرين -- وكفر طاب شمالي شيزر[4].

كانت نتيجة هذه الهزيمة أن استنجد رضوان بالامير العربي جناح الدولة صاحب حمص واستجاب جناح الدولة لنداءه فنهض لنجدته "وقد عاد الفرنج الى انطاكية فأقام جناح الدولة بظاهر حلب أياما ثم ياقفت اليه رضوان فعاد عنه الى حمص."[5]

---

(1) أنظر: Cahen: La Syrie du Nord à l'époque des croisades, p. 228.

(2) ابن العديم: زبدة ، 2 ، ص143-144 ، عاشور: الحركة، ج1، ص 385 .

(3) يشير ابن العديم بقوله " فانهزم رضوان واستبيح عسكره وقتل خلق كثير وأسر قريب من خمسمائة نفس وفيهم بعض الامراء." ابن العديم: زبدة الحلب ، ج2 ، ص 143-144 .

(4) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2 ، ص 144 .

(5) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2 ، ص 144 ، عاشور: الحركة، ج1، ص 385-386 .

(*) في منتصف الطريق بين انطاكية وحلب . عاشور : الحركة ، ج 1 ، ص 385 .

على أن بوهمند لم يخلد لليأس بعد فشله في اقتحام قلعة أفامية اذ جهّز جيشا عتيدا وسار صوب مدينة حلب قصد الاستيلاء عليها وبينما هو في ضواحي المدينة(1) تلقى رسالة من جبريل(*) صاحب ملطية، الواقعة غربي الفرات، يستحثه فيها على القدوم اليه ليفك عنه الحصار الذي ضربه عليه الامير السلجوقي غازي كمشتكين(**) الدانشمند امير سواس وليقضي كذلك على خطر السلاجقة عامة الذي قاسى منه الامرين طوال أمد طويل، وفي حالة نجاحه في اخراجه من هذا المأزق المستحكم وعده جبريل بالتنازل له عن المدينة. ولم يتقاعس بوهمند أمام فرصة جبريل اذ سرعان ما أمر بالمضي الى ملطية.

على أن بوهمند لم يحسب حسابا لقوة السلاجقة في الشرق الأدنى الأمر الذي جعله لا يستعد لعملية النجدة بكل ما يملكه من قوة. وصحب معه فئة قليلة من رجاله قدّر عددها بخمسمائة فارس(***). وفي الواقع لم يكتسب

---

(1) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في: R.H.O., III, p. 522
"ووصل بيمند وطنكريد الى قرب حلب فنزلوا المشرفة – من الجانب القبليّ على نهر قويق – لما بلغهم من ضعف رضوان وتمزيق عسكره، وعزموا أن يبنوا مشهد الجفّ ومشهد الدّكّة ومشهد قرنبيا حصونا، وأن يقيموا على حلب ويستغلوا بلدها."
ابن العديم: زبدة الحلب، 2، ص 144.

(*) ارميني الاصل ساعد الصليبيين كثيرا أثناء الحملة الصليبية: عاشور: الحركة، جـ1، ص 387

(**) ذكره ابن العديم باسم انوشتكين الدانشماند، في حين كتبه ابن الاثير كمشتكين ابن الدانشمند: ابن العديم: زبدة، 2، ص 145، ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 195.

(***) يشير ابن الاثير الى خمسة آلاف، وهو عدد مبالغ فيه، ويثبت ذلك سهولة وقوع بوهمند في الاسر وانكسار جيشه: ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 195.

لبوهمند بلوغ غايته ،اذ بينما هو زاحف نحو مدينة ملطية في ذي القعدة 493هـ/ اوائل شهر اوت عام 1100م في لامبالاة تامة تعرّض لهجوم الجيش السلجوقي أدى الى وقوعه في الأسر وهلاك كافة رجاله (1). وهكذا تمّ للملك السلجوقي غازي تحطيم النجدة المنتظرة في ملطية وسيق بوهمند الى قلعة نيكسار الواقعة بقرب شاطىء البحر الاسود حيث زجّ به في غياهب سجونها (2).

ومهما يكن من أمر فان أفول نجم بوهمند من مسرح أحداث الشام قد أثار صدمة عنيفة في نفوس الصليبيين عامة اذ حرموا من شجاعة واقدام قائد كثيرا ما زرع الخوف في قلوب المسلمين في الشرق الادنى والشام على وجه الخصوص . ويذكر متى الرهاوي Matthew d'Edesse "ان اسم بوهمند كان يبعث الهلع في نفوس المسلمين حتى خراسان ."(3)

---

(1) ابن الاثير : الكامل ، ج8، ص195 ، ابن العديم :زبدة الحلب ، 2، ص145، ابن القلانسي :ذيل، ص133، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في : R.H.O., III, p. 522؛ ابن خلدون : العبر، ج5، ص344 . وانظر ايضا : Foulcher: op. cit., pp. 89-90; Raoul de Caen: op. cit., pp. 262-263; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 42-43; Albert d'Aix: op. cit., I, p. 414; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 51-52; Grousset: op. cit., I, pp. 378-379.

رنسمان : نفس المرجع ، ج1، ص473-476 .

يذكر راوول دي كان، وهو الوحيد، ان بوهمند بلغ مدينة ملطية ، وكان الاتراك قد رفعوا عنها الحصار ثم أخذ في اقتفاء آثارهم فاصطدم بهم : انظر :

Raoul de Caen: Loc. cit.

(2) أنظر : Albert d'Aix: Loc. cit.; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 52; Cahen: op. cit., pp. 228-229.

(3) أنظر : Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 52; Foulcher: op. cit., p. 90.

رنسمان : نفس المرجع، ج1، ص476 .

لقد أثار أسر بوهمند قلقا كبيرا في نفوس الأمراء النورمان في انطاكية بسبب ما لمسوه من خطر على مصير المدينة ومستقبلهم ذاته وبالتالي بادروا بتوجيه طلب الى تانكريد، المقيم في الجليل، يدعونه فيه الى القدوم الى انطاكية لادارة شؤونها نيابة عن خاله بوهمند، واستجاب تانكريد على الفور لهذا الالتماس فغادر اقليم الجليل(*) في أواخر شهر مارس عام 1101م، قاصدا انطاكية ليتولى مهامه الجديدة(1).

ومهما يكن من أمر فان تانكريد سلك نفس سياسة خاله بوهمند تجاه السلاجقة في الشام حيث دأب طوال ولايته على انطاكية على غزو ممتلكات السلاجقة الواقعة في الجزء الأوسط من وادي نهر العاصي(2).

وعلى كل حال لم يلبث الملك غازي أن افرج عن بوهمند(**) في عام 495 هـ/ اوائل شهر مايو عام 1103م(3)، بعد أن سارا معا الى مدينة ملطية وتبادلا يمين

---

(1) أنظر: Foulcher: op. cit., p. I08; Guill de Tyr: op. cit., II, p. 65; Albert d'Aix: op. cit., I, pp. 436-437; Grousset: op. cit., I, pp. 382-383; Cahen: op. cit., pp. 229-230.

(2) عاشور: الحركة الصليبية، جـ1، ص 390، وأيضا: Grousset: op cit, I, p 383.

(3) عن ظروف اطلاق سراح بوهمند ارجع الى: Foulcher: op. cit., p. I43; Raoul de Caen: op. cit., p. 376; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 72-77; ; Matthew d'Edesse: in R.H.C., I, p. 69; Grousset: op. cit., I, pp. 396-397; Cahen: op. cit., pp. 234-235.
رنسمان: نفس المرجع، جـ2، ص 65، عاشور: الحركة الصليبية، جـ1، ص 399.
" وفي هذه السنة اطلق الدانشمند بيمند الفرنجي صاحب انطاكية، وكان قد اسره ... واخذ منه مائة الف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة ياغي سيان ... وكانت في اسره " ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 211.

(*) يفيد البرت دايكس ان تانكريد عند مغادرته الجليل برّا اشترط على الملك بلدوين الاول، خليفة جودفرى المتوفى يوم 18 جويلية عام 1100م، اذا عاد في خلال سنة وثلاثة اشهر ترجع له املاكه واذا فاقت اقامته في انطاكية هذا الاجل فقدها، انظر: Albert d'Aix: op cit, I, p. 437.

(**) على حد قول البرت دايكس فقد افتدى بوهمند بمبلغ قيمته مئتان وستون بيزنتا. انظر: Albert d'Aix: op cit, II, p. 72.

الولاء والاخلاص ، وأما بوهمند فقد تمسك بعهده حيث عمد اثر وصوله الى مدينة انطاكية الى جمع المبلغ المالي اللازم ثم دفعه الى الملك غازى الدانشمند [1].

وقد أثار اطلاق سراح بوهمند وعودته الى انطاكية موجة كبيرة من الفرح والابتهاج في أوساط النورمان بأنطاكية وهذا بعد أن استقبل استقبالا منقطع النظير [2] ، في حين تلقى السلاجقة في الشرق هذا النبأ بأسف شديد ، مما زاد من اتساع هوة الخلاف بين الملك غازى الدانشمند وقلج ارسلان والقوى المؤيدة له في فارس والعراق [3].

ولم يكد بوهمند يعود الى انطاكية حتى أخذ في الاستعداد من جديد لمهاجمة الأراضي التابعة لامارة حلب السلجوقية ، ويشير ابن الاثير الى أن بوهمند " لم يستقر حتى أرسل الى أهل العواصم وقنسرين (*) وما جاورها يطالبهم بالاتاوة [4]

---

(1) أنظر: Albert d'Aix: op. cit., II, p. 77; Grousset: op. cit., I, p. 397.
رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 68 .
ذكر البرت دايكس ان المال لافتداء بوهمند جمع من سائر الاقطار المسيحية قبل اطلاق سراحه ويضيف كذلك ان الدانشمند خفض الى النصف مبلغ الفداء اى الى مائة الف بيزنتا :
أنظر: Albert d'Aix: op. cit., II, p. 76.
وتجدر الاشارة الى ان تانكريد لم يشارك في هذه الفدية .

(2) أنظر: Albert d'Aix: op cit., II, p. 77; Foulcher: op. cit., p. I43; Guill de Tyr: op cit, II, p 98.
ويعبر ابن الاثير عن ارتفاع معنويات اهل انطاكية بقوله :
" عاد الى انطاكية ، اى بوهمند ، فقويت نفوس أهلها به ." ابن الاثير : الكامل ، 8/211 .

(3) أنظر: Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 77-78.
وعاشور : الحركة ، ج1 ، ص 400 . اشار ابن القلانسي الى الخلاف المستحكم بين الملك غازى وقلج ارسلان : ابن القلانسي : ذيل ، ص 143 .

(4) ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 211 .

(*) جنوب حلب .

ثم سار عام 499 هـ/ صيف عام 1105م الى مدينة المسلمية الواقعة على نهر قويق شمالي حلب فوضع يده عليها بعد أن حاول أهلها الوقوف في وجهه . ويذكر ابن العديم انه " خرج عساكر انطاكية و عساكر الرها (*) فنزلوا المسلمية وقتلوا بعض أهلها وقطعوا على عدة مواضع قطائع أخذوها ."(1)

وحينما علم رضوان صاحب مدينة حلب بزحف جيش النورمان وأدرك عجزه على ردّ عاديته أرسل الى بوهمند يطلب منه عقد هدنة معه وبالفعل فقد أبرم اتفاق بين بوهمند ورضوان دفع هذا الاخير بمقتضاه لبوهمند سبعة آلاف دينار وعشرة رؤوس من الخيل ، وتعهد بوهمند من جهته بالافراج عن الاسرى " ما خلا من أسروه على المسلمية من الأمراء ، وذلك في سنة ست وتسعين ."(2)
ولا شك ان بوهمند كان يريد من وراء فرض هذه الاتاوات على المسلمين تعويض الاموال التي استدانها من المسيحيين سابقا ليدفعها الى الملك غازي الدانشمند(3)

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 147 .

(2) ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 148 .

(3) عاشور : الحركة ، ج 1 ، ص 402 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 68 ،
وايضا : Cahen: op. cit., p. 236.

(*) أشار رنسمان ، نفس المرجع ، ج2 ، ص 68 ، ان الذى شارك بوهمند في هذه الحملة هو جوسلين كورتيناى امير تل باشر.

وفي شهر مارس عام 1104 م أغار بوهمند على بلاد حلب التابعة لرضوان ويشير ابن العديم الى هذا الغزو بقوله : " وتكرر ذلك منهم ونزلوا علـى حصن بسرفوت(*) ، وفتحوه بالامان ، ووصلوا الى كفرلاتا(**) فكبسهم بنو عليم فانهزموا الى بسرفوت ."(1)

وفي عام 497 هـ/ ربيع 1104م عقد بلدوين الثاني ، امير مدينة الرها العزم على مهاجمة حصن حرّان(***) بكل ما يملكه من قوة . ولم يلبث بوهمند وجوسلين ، حاكم تل باشر ، أن انضما اليه برجالهما(2)، لما أدركاه من أهمية استراتيجية في الاستيلاء عليه . والواقع ان مدينة حرّان تحظى بموقع حساس لا سيما في الظروف الراهنة اذ تستطيع أن تلعب دورا فاصلا في الصراع القائم بين الصليبيين والمسلمين في الشرق اذ أن وقوعها في ايدي الصليبيين يؤدي حتما الى عزل مسلمي العراق وفارس والشام عن بعضهم(3) .

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب ، 2، ص148، رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص69-70 .
وايضا : Cahen: op. cit. p. 236.

(2) أنظر : Guill de Tyr: op. cit., II, p. 104; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 78-79; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 71.
ورنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص71-72.
في الواقع ان بلدوين الثاني هو الذي استنجد ببوهمند وكذا جوسلين حاكم تل باشر لما رآه من تهديد السلاجقة لعاصمة امارته الرها . رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص72 .

(3) عاشور : الحركة الصليبية، جـ1، ص403، رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص70 .

(*) الواقع على الطريق الممتد من انطاكية الى حلب .

(**) تقع الى جنوبي حلب .

(***) يقع بشمال الجزيرة بين الرها ونهر الفرات اي على الضفة الشرقية لنهر البليخ الى جنوب شرق الرها .

ولما علم الاميران السلجوقيان ، شمس الدولة جكرمش ، أتابك الموصل ، ومعين الدولة سكمان ، صاحب ماردين (*) في ديار بكر بهذا المشروع الصليبي استعدا لاحباطه بكل جدّ وشجاعة ولم يلبث أن التقى الجيشان الصليبي والسلجوقي عند ضفة نهر البليخ في مطالع شعبان / مطلع شهر مايو ودارت بينهما معركة طاحنة انتهت بانهزام الجيش الصليبي وفرار بوهمند ورجاله من ساحة المعركة واسر بلدوين الثاني ومعه جوسلين حاكم تل باشر (1) .

وفي الواقع أشاد البرت دايكس كثيرا بدور بوهمند وتانكريد في هذه المعركة . وقد قسم الجيش الصليبي الى جناحين ، ايسر وايمن ، والجناح الايسر الذي ترأسه بلدوين هو الذي خاب وانهزم . ومن المعروف أن تانكريد هو الذي اختير ليتولى أمر الرها في غياب صاحبها . ويفيد البرت دايكس انه بعد

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 ، ص 148 .

لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة ارجع الى : ابن الاثير : الكامل ، ج 8 ، ص 221 -222 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 143 ، وايضا :

Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 79-81; Raoul dd Caen: op. cit., pp. 277-282; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 105-109; Matthew d'Edesse: in R.H.C., I, p. 72; Cahen: op. cit., pp. 237-238; Grousset: op. cit., I, pp. 404-407.

وايضا : رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 71-84 ، عاشور : الحركة ، ج 1 ، ص 404 ،

(*) " وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد . " ابن الاثير : الكامل ، ج 8 ، ص 221 .

و يقدر البرت دايكس قوة الجيش الصليبي بثلاثة آلاف فارس وسبعة آلاف من المشاة : انظر :

Albert d'Aix: op. cit., II, p. 79.

مضي ثمانية أيام من انهزام الصليبيين في حرّان وصلت قوات سلجوقية أمام أسوار الرها فألقت الحصار عليها غير أن تانكريد بشجاعته واقدامه وبمساعدة بوهمند له أوقع بها هزيمة ساحقة. ومن الاسرى الذين قبض عليهم تانكريد أميرة سلجوقية. وقد حاول جكرمش افتداءها بخمس عشرة ألف بيزنتا او مبادلتها ببلدوين الثاني لكن حاجة بوهمند وتانكريد الى المال جعلهما يردّان فكرة المبادلة فتم الاتفاق على تأدية مال الفدية ومن ثم بقي بلدوين الثاني في الاسر(1).

وقد كان لهذا الانهزام وما ترتب عنه من تدهور معنويات جيش بوهمند اثر سيء على مكتسبات النورمان في الشام اذ قام رضوان، امير حلب، عقب هذه الكارثة بهجوم مفاجيء في شهر جوان على قلاع ومدن النورمان القريبة من حلب وتمكن من استرجاع مدن سرمين ومعرة مصرين، جنوب حلب، والبارة(*) والمعرة وكفر طاب(**) ولطمين(***) واضطر النورمان الى التوجه الى مدينة انطاكية حيث يوجد مركزهم(2).

(1) أنظر : Albert d'Aix: op cit,II, pp 82 - 88.
وايضا : ابن الاثير: الكامل، ج8، ص 222، رنسمان : نفس المرجع، ج 2، ص 75 ـ 77، وايضا : Cahen: op. cit., pp. 238, 246; Grousset: op. cit., I, pp. 407-409.

(2) ابن العديم : زبدة الحلب، 2، ص 148 ـ 149، رنسمان : نفس المرجع، ج 2، ص 77، عاشور : الحركة، ج 1، ص 405، وايضا : Cahen: op. cit., p. 239.

(*) من نواحي حلب.
(**) بين المعرة وحلب.
(***) كورة بحمص قريبة من افامية.

ومما زاد من حرج النورمان سقوط قلعة ارتاح(*) الحساسة في أيدي رضوان. ويعزو ابن الجوزي، وابن العديم وابن القلانسي سبب تمكن رضوان من هذه القلعة الى تمرّد أهلها الارمن على النورمان الذين مارسوا تجاههم سياسية القهر والتعسف(1). ولم يلبث شمس الخواص، امير مدينة رفنية، أن نهض بقواته هو الآخر فأخذ من النورمان مدينة صوران شرقي شيزر(2). وفي هذه الظروف الحرجة والتي جسد فيها بوهمند كل قواه للدفاع عن ممتلكاته في الشام قامت القوات البيزنطية كما سبق وذكرنا من قبل، بحملة عسكرية مضادة له من الجهات الساحلية لأنطاكية، فاضطر ازاءها الى السفر الى اوربا عام 1104م لجمع القوات اللازمة لمواجهتها بعد أن أناب عنه تانكريد في حكم انطاكية(3).

---

(1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، في: R.H.O., III, p.259

" وكان الارمن الذين في حصن ارتاح قد سلموه الى الملك رضوان لجور الفرنج ."

ابن العديم: زبدة الحلب، 2، ص 150 .

واما ابن القلانسي فيذكر ما يلي: " وكان الارمن الذين في حصن ارتاح قد سلموا اليه ـ رضوان ـ لما شملهم من جور الفرنج وتزايد ظلمهم." ابن القلانسي: ذيل، ص 148 .

(2) ابن العديم: زبدة، 2، ص 149، عاشور: الحركة، 1، ص 405، وايضا: Grousset: op. cit., I, p. 410.

(3) انظر الفصل الثالث، ص 178-180 .

(*) من اعمال حلب. كان الصليبيون قد سيطروا عليها في اكتوبر عام 491 هـ/1097م، عاشور: الحركة، جـ 1، ص 188 .

ولاية تانكريد النورماني على أنطاكية :

لم يسبق تانكريد -- الذي تولى حكم أنطاكية المرة الثانية خلفا لبوهمند -- مكتوف الايدي أمام التطورات الخطيرة التي صارت امارة أنطاكية مرتعا لها في أخريات أيام حكم بوهمند . ذلك انه استطاع رغم الحالة الاقتصادية والعسكرية السيئة للامارة أن يعد جيشا قويا لاسترجاع ما فقده النورمان من نفوذ في المنطقة[1] . وفي شعبان عام 498 هـ/ ربيع 1105م أغار تانكريد على قلعة ارتاح لكن لم يلبث أن اصطدم بجيش رضوان الذي هب لنجدتها من موقع تيزين -- شرقي ارتاح -- وتمكن تانكريد بعد معركة ساخنة من دحر جيش رضوان والاستيلاء على قلعة ارتاح[2] .

وكان أن أخذ تانكريد في التوغل داخل أراضي حلب الى أن وضع رجالــه

(1) أنظر: Raoul de Caen: op. cit., pp. 288-290; Grousset: op. cit., I, p. 420.
وعاشور: الحركة، جـ1 ، ص 411 .
وعد تانكريد بالتنازل عن الرها عندما يتم الافراج عن بلدوين دي بورج -- أي بلدوين الثاني -- وريثما يتحقق ذلك عين تانكريد على الرها ابن عمه وصهره رتشارد كونت سالرنو كيما يدبر شؤونها نيابة عنه . رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص 30 .

(2) ابن العديم :زبدة الحلب ، 2، ص 150-151، ابن القلانسي :ذيل ، ص 148، ابن الاثير: الكامل، جـ3 ، ص 222 ، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، في R.H.O., III: p. 529.
وايضا : Raoul de Caen: op. cit., pp. 290-291; Albert d'Aix, II, pp. 89-90; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 115-116; Foulcher: op. cit., p. I46.

يشير وليم الصوري ان المعركة وقعت في وقت كانت ارتاح بيد تانكريد . انظر: Guill de Tyr: Loc. cit.

عند تل اغدي ـ من أعمال ليلون عند جبل البركات ـ وأضحى بذلك يسيطر على أهم طريق يربط بين انطاكية وحلب مما كفل له القدرة على تهديد حلب وضواحيها ومراقبة كل تحركاتها [1]، ومن ذلك نجح تانكريد في استرجاع مدينة سرمين [2] وكذلك أفاميـة في 13 محرم عام 500 هـ/14 سبتمبر 1106م [*] . وكان تانكريد قد وعد أهـل افامية بالامان الا أنه أظهر الغدر بعد فتح المدينة حيث قتل حاكمها أبـا الفتح السرميني ونقل سائر أعيانها الى انطاكية ، ثم ولى على شؤونها أحدا من أتباعه الفرنج [3].

---

[1] " ونزل تانكريد على تل اغدي ـ من عمل ليلون ـ وأخذه وأخذ بقية الحصون التي في عمل حلب والمرقب في يد الملك رضوان من الاعمال القبلية الا حماه ومن الغربية الا الاثارب والشرقية والشمالية في يده وهي غير آمنة ." ابن العديم : زبدة، 2، ص 151 . واما ابن القلانسي فيذكر انه : " اضطربت احوال من بالشام بعد الامن والسكون ." ابن القلانسي : ذيل، ص 143، عاشور : الحركة ، جـ 1 ، ص 412 .

[2] ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 233 .

[3] ابن القلانسي : ذيل، ص 149ـ150، ابن العديم : زبدة، 2، ص 152، ابن الاثير : الكامل ، جـ8، ص 233ـ234، ابو الفداء : المختصر، م . الاول، ص 220، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، في : R.H.O., III, p. 530 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص 87 ، وايضا : Raoul de Caen: op. cit., pp 292-294; Albert d'Aix: op cit., II, pp. 114-116.
ولم يجد تانكريد بدا من مكافأة مصبح حيث أقطعه اقليما بقرب من افامية .
انظر : Albert d'Aix: op. cit., II, p. 116.

[*] غزا تانكريد افامية استجابة لمصبح بن ملاعب الذي اراد الانتقام من جماعة الباطنية التي قتلت اباه خلف بن ملاعب ، ونشير الى أن تانكريد أراد قبل ذلك ببضعة شهور الاستيلاء على هذه المدينة ولكن اكتفى بأن " قطع عليها مالا أخذه وعاد ." ابن العديم : زبدة، 2، ص 151ـ152، ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، 234، ابن القلانسي : ذيل، ص 149ـ150 . وعلى حد قول البرت دايكس فان تانكريد رفع الحصار عن افامية لشدة استبسال أهلها وتوجه بعد ئذ الى اللاذقية بعد حصار دام ثلاثة اسابيع :
أنظر : Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 113-114.

وتوجه تانكريد حينئذ شرقي افامية فبسط يده على مدينة كفر طاب فولى عليها فارسا اسمه تيوفيل Théophile ، ومن كفر طاب دأب تانكريد على تدبير هجمات عنيفة على المناطق المجاورة لها لا سيما مدينة شيزر مما أدى الى بعث الخوف والاضطراب في قلوب سكانها وكان ذلك سنة 502 هـ/ 1108م[1].

وفي هذه الاثناء كانت منطقتا شمال الشام والعراق تشهدان تطورات سياسية هامة وخطيرة لها أثر فعال على استراتيجية الحرب الدائرة بين السلاجقة والصليبيين . وكان سبب هذه التطورات الشقاق الذي دبّ بين الأمراء في كلا المعسكرين الصليبي والاسلامي على السواء وقد أدى هذا الصراع الداخلي بالمتخاصمين الى البحث عن حلفاء في صفوف العدو[2]. ومن جرّاء ذلك تشكل حلفان ، الأول من بلدوين دي بورغ امير الرها الذي ظلّ يطالب بالحاح امارة الرها التي أضحت تحت نفوذ تانكريد لمدة أربعة أعوام (*) وجاولي سقاوه (**) الذي أعلن خروجه على طاعة سلطان سلاجقة فارس محمد بن ملكشاه ، واما الحلف الثاني فيشكله صاحب انطاكية

---

(1) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار، ص 70ـ71 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص89، عاشور : الحركة، ج1، ص 414 ـ 415 .

(2) عن تفاصيل هذه الحزازات وأسبابها ارجع الى : عاشور : الحركة، ج1، ص 414ـ 416، 448، 440، 450ـ453، رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص 175ـ183 .

(*) وهي مدة مكوث بلدوين دي بورغ في سجن السلاجقة بقلعة جسبر الواقعة على نهر الفرات أطلق سراحه جاولي عام 1108م بعد أن تلقى من الفرنج قدرا من المال . ابن الاثير : الكامل ، ج8، ص 253، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, p. I30. ورنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 130ـ132 .

(**) ذكره ابن الاثير باسم " جاولي سقاوو" ، ابن الاثير : الكامل ، ج8، ص 238 .

انطاكية تانكريد وعدوه اللدود رضوان الذي استبد به القلق من استفزازات جاولي عليه والتي أدت الى سقوط مدينة بالس(*)، الواقعة على الفرات، في قبضته في شهر سبتمبر عام 1108م.

ولم يلبث أن لجأ الحلفان الى السلاح فاندلعت معركة بينهما قرب منبج غربي الفرات، على الطريق بين حلب والرها في اكتوبر عام 1108م أحرز حلف تانكريد في نهايتها على فوز عظيم(1). وقد قرر تانكريد مطاردة بلدوين لولا أن خشيته من مهاجمة جاولي له من الخلف أقنعته بضرورة العودة الى انطاكية(2).

وفي الواقع لم يجن تانكريد الثمرة المرجوة من هذا الانتصار وهي الظفر بمدينة الرها وحاول عندئذ مدّ نفوذه الى مدينة طرابلس وباءت مرة أخرى جهوده بالفشل

---

(1) ابن العديم: زبدة، 2، ص 153، ابن الاثير: الكامل، ج3، ص 253-255، وايضا:
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 130-131; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 86-87; Cahen; op cit., pp. 249-250;
ورنسمان: نفس المرجع، ج2، ص 183-185، عاشور: الحركة، ج1، ص 416-417، 452-453.
ألبرت دايكس أشار الى الشحناء السائدة بين الاميرين، تانكريد وبلدوين الثاني، والمعركة التي دارت بينهما لكن لم يذكر بتاتا فكرة التحالف بين الاتراك السلاجقة والفرنج، واما متى الرهاوي فلم يذكر حليف تانكريد. انظر: Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 125-126;
Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 86.

(2) رنسمان: نفس المرجع، ج2، ص 185، عاشور: الحركة، ج1، ص 453.
وقد ذكر البرت دايكس نجدة جكرمش، القائد السلجوقي، التي راحت لتفك الحصار الذي ضربه تانكريد على بلدوين الثاني في دلوك وذلك بعد انتهاء المعركة علما بأن جكرمش كان قد مات بين سنتي 1105-1107م. انظر: Albert d'Aix: loc. cit.

(*) بين حلب والرقة.

الذريع بسبب تدخل بلدوين الاول (*) ملك بيت المقدس واكثر من ذلك فقد اضطر تانكريد في نهاية الامر الى اعلان ولائه للملك والى الاعتراف بسيادته الاقطاعية على جميع الامارات الصليبية في الشام وشمال العراق(1).

ولما سدّ في وجه تانكريد باب التوسع على حساب الامارات المسيحية التفت الى جيرانه المسلمين حيث زحف في عام 503هـ/ شهر جويلية عام 1110م على مدينة بانياس (**) فاستولى عليها (2) ثم ضرب الحصار على مدينة جبلة (***) التي كان فخر الملك بن عمار امير طرابلس قد احتمى بها على ان هذا الامير سرعان ما أدرك عجز المدينة عن مقاومة الحصار لقلة الزاد فيها مما أدى به الى تسليم المدينة لتانكريد في نفس الشهر. وكان لعدم تعصب فخر الملك أن أبدى تانكريد حلما وتسامحا كبيرين تجاهه اذ مكّنه من الالتحاق بشيزر سالما ومنها الى دمشق حيث منحه طغتكين شفقة منه " حصن الزبداني وأعماله ". وذلك في شهر محرم سنة 503 هـ(3).

---

(1) أنظر: Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 145-149
عاشور: الحركة، ج 1، ص 417—418.
نشير الى ان تانكريد ساهم في فتح مدينة طرابلس، ابن الأثير: الكامل، ج 8، ص 255،
وايضا : سبط بن الجوزي: مرآة، في : R.H.O., III, p. 526 ;
Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 148-149.

(2) ابن القلانسي : ذيل، ص 163—164، ابن الاثير: الكامل، ج8، ص 259.
(3) ابن القلانسي : ذيل، ص 164—165، ابن الاثير: الكامل، ج8، ص 259، ابو الفداء: المختصر، م. الاول، ص 223، سبط بن الجوزي: مرآة، في : R.H.O., III, 536-537;
أخطأ ابن القلانسي وابن الاثير لذكرهما سقوط جبيل في قبضة تانكريد لأن جبيل استولى عليها الصليبيون سنة 1104م بقيادة ريموند الصنيجلي لا تانكريد : ابو الفداء: المختصر، م. 1، ص 217، عاشور: الحركة، ج 1، ص 375، رنسمان : نفس المرجع، ج. 2، ص 137.
(*) استقدمه نبلاء بيت المقدس بعد وفاة جودفرى — 13 جويلية عام 1100م — وتوج ملكا على بيت المقدس في 25 ديسمبر عام 1100م في كنيسة بيت المقدس، انظر:
Brehier: L'eglise et l'Orient, pp. 85-86.

(**) تقع بين مدينتي انطرسوس واللاذقية.
(***) تقع الى الشمال من بانياس.

وبينما هو يمارس ضغطه العسكري على المدن الاسلامية دون هواده تلقى من الملك بلدوين الاول طالبا بالمضي على رأس جيشه الى الرها للمشاركة في حرب حاسمة ضد الاتراك السلاجقة الذين بعثوا تحت زعامة مودود بن الطنطاش، أتابك الموصل، فكرة الجهاد ضد الصليبيين (1). وكان بلدوين قد أنقذ قبل ذلك بقليل وعلى وجه التحديد في آخر ذي الحجة 503 هـ/ شهري مايو وجوان عام 1110م مدينة الرها من السقوط في يد مودود وأرغمه على رفع الحصار عنها والسير الى حرّان (2).

وفي الواقع لم يبد تانكريد في بادئ الأمر رغبته في الاستجابة الى نداء بلدوين للعداء الشديد الذي كان يكنه لبلدوين دي بورغ امير الرها الا أنه لم يلبث أن أيقن الى ما قد ينجرّ عن غيابه في معركة فاصلة بين الصليبيين والسلاجقة من انحطاط شخصيته وتدهور سمعته في الأوساط الصليبية لا سيما ان بلدوين

---

(1) ابن العديم: زبدة، 2، ص 154، وايضا: Albert d'Aix: op. cit., II, p.156; Cahen: op. cit., p. 257.
رنسمان: نفس المرجع، ج2، ص 133،
عاشور: الحركة، ج1، ص 456.
" وحين عرف الفرنج صورة هذه الحال شرعوا في الجمع والاحتشاد والتأهب الذبّ عنها والاستعداد." ابن القلانسي: ذيل، ص 169. ونشير الى ان وليم الصوري على عكس غيره من المؤرخين يفيد أن تانكريد هو الذي وجّه دعوة للملك بلدوين الاول يستنجد به ضد زحوف السلاجقة: انظر: Guill de Tyr: op cit., II, p. I53.

(2) ابن القلانسي: ذيل، ص 169، ابن العديم: زبدة الحلب، 2، ص 154، ابن الاثير: الكامل، ج 8، ص 262، وايضا: Albert d'Aix: . op cit., II, pp 152-157.

ورنسمان: نفس المرجع، ج 2، ص 188.

دى بورغ قد اتهمه بالتواطؤ مع السلاجقة وحمله مسؤولية عدوانهم على الرها[1]، ولذلك جهّز جيشا قوامه ألف وخمسمائة فارس، فانضم به الى جيش بلدوين الاول المرابط بالجزيرة[2]. وكان بلدوين قد بذل من الجهد حتى " اتفق الفرنج كلهم وأزالوا ما كان بينهم من الشحناء . . . فتصافى طنكريد و بغدوين وابن صنجيل بعد النفار. . . "[3]

على ان الاصطدام بين الجيشين، السلجوقي والصليبي، لم يحدث اذ لم يلبث بلدوين الاول وتانكريد أن قرّرا أمر العودة الى امارتهما بسبب ما تناهى اليهما من سبل يخبرهما باستعداد المسلمين لمهاجمة مملكة بيت المقدس وامارة انطاكية، وكان مودود يتربص بأحوال الجيش الصليبي الدوائر و بالتالي لم يكد قادة الحملة الصليبية يعبرون الفرات حتى رشب السلاجقة على الباقين من أتباعهم وهم من الأرمن. ويشير ابن العديم الى هذه الواقعة بقوله : " فحين عبر الفرنج و بلغهم خبر المسلمين عادوا ناكصين على الاعقاب الى شاطئ الفرات، فنهض المسلمون في أثرهم وأدركتهم خيول الاسلام، وقد عبر الاجلاد منهم فغنم المسلمون جلّ

(1) أنظر: Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 156-157; Cahen: op. cit., p 257;
وأيضا: رنسمان : نفس المرجع، جـ2، ص 188، Grousset: op. cit., I, p. 452,
عاشور: الحركة، جـ1، ص 457 .

(2) أنظر : Albert d'Aix: op. cit., II, p. I57; Foulcher: op. cit., p I64.

(3) ابن العديم : زبدة، 2، ص 154 .

انظر عن وساطة بلدوين الاول في النزاع الدائر بين تانكريد وبلدوين الثاني، أمير الرها، في : Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 157-159.

سوادهم وأكثر أثقالهم ..."(1)

عاد تانكريد الى انطاكية يملأه الاسف والغيظ لما اقترفه رضوان ، صاحب حلب ، من انتهاك للصلح المبرم بينهما ولتنكره لما بذله له من مساعدة ضد خصمه جاولي(2)، ولذلك لم يكد يصل الى امارته حتى أجهز على مدينة النقرة ، الواقعة بالقرب من منبج ، واحتلها(3)، ثم توجه الى مدينة الاثارب ، التي تقع الى الجنوب الغربي من حلب ، وأقام عليها الحصار . وقد حاول رضوان شراء انسحاب تانكريد بمبلغ مالي قدره عشرون ألف دينار ، الا أن تانكريد طلب منه ثلاثين ألف دينار فضلا عن افراجه عن جميع الأسرى الصليبيين الموجودين بحلب منذ أن ملك انطاكية . على ان رضوان ردّ برفض دفع المبلغ المالي لارتفاع قيمته " وكان الذي بقي في القلعة مستدار مائة دينار ، وأخذها الخازن على وسطه وهرب الى الفرنج – أي تانكريد –"(4). وكانت نتيجة نيل تانكريد جانبا من ثروة رضوان أن توقفت المفاوضات بينه وبين رضوان مما أدى بتانكريد الى الامعان

---

(1) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 155 . عن تفاصيل الحادثة ارجع الى : ابن الاثير : الكامل ، ج 8 ، ص 252–253 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 165–170 ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في :
R.H.O., III, p. 540; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 159-160; Foulcher: op. cit., p. I65; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 92-94.
ورنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 132–190 .
لم يشر وليم الصوري الى الكارثة التي أصابت الصليبيين وانما اكتفى بذكر اجتماع الجيش الصليبي وعودته الى حيث أتى دون أن يخوض اية معركة مع العدو السلجوقي ، انظر :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 153-154.

(2) "أما عرف رضوان هزيمة الافرنج خرج الى اعمال حلب واستعاد ما كان غلب الافرنج عليه منها وغار على عمل انطاكية" ابن القلانسي : ذيل ، ص 170 . واما ابن العديم فيذكر ما يلي : " وقاتل ما امتنع عليه منها ... وكان بينه وبينهم مهادنة نقضها " ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 155 .

(3) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 155 .

(4) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 155–156 .

في تشديد الحصار[1]. ولما يئس من في الاثارب من نجدة تصل اليهم سلموها الى طنكريد في جمادى الآخرة منها — 504 هـ/ ديسمبر عام 1110م — وأمّن أهلها وخرجوا منها ."[2] وعلى عكس متى الرهاوي وابن العديم وابن القلانسي فان ابن الاثير يذكر أن تانكريد أمعن في الفتك برجال القلعة حتى مات ألفان منهم ووقع الباقي في الاسر المهين[3].

ومهما يكن من أمر فان استيلاء تانكريد على مدينة الاثارب يشكل تحولا هاما وخطيرا في تاريخ حلب وأقاليمها اذ أضحت مدينة حلب اثر هذا الحدث في موقف لا تحسد عليه فبحكم قربها من الاثارب غدت عرضة لتهديدات تانكريد العسكرية ومضايقاته الاقتصادية الامر الذي جعل رضوان يجنح الى مسالمة تانكريد والتصالح معه ، وهكذا لم يلبث أن عقد الصلح بين رضوان و تانكريد ضم بموجبه هذا الاخير حصن زردنا ، الواقع الى الجنوب من الاثارب ، وتحصل على ثلاثين الف دينار كما تمّ الافراج عن جميع الاسرى الصليبيين والارمن الموجودين بحلب[4].

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 191 .
(2) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 155 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 170—171 ، وايضا :
Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 95.
(3) ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 261 .
(4) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 155 ، ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 261 ، وايضا :
Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I75-I76.

ويشير ابن القلانسي الى هذه الاحداث بقوله : " واستقرت الموادعة بين الملك فخر الملوك رضوان وبين طنكريد على ان يحمل اليه الملك من مال حلب في كل سنة عشرين الف دينار مقاطعة وعشرة أروس خيلا وفكاك الاسرى واستقرت على هذه القضية ." ابن القلانسي ذيل ، ص 171 . وعن مقدار المال الذي تعهد بدفعه رضوان فيقدره كل من ابن الاثير وابو الفداء باثنين وثلاثين الف دينار سنويا . ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 261 ، ابو الفداء : المختصر ، م . الاول ، ص 225 . وقد ذكر ابن الاثير ، نفسه ، ان تانكريد فتح زردنا عنوة وفعل بسكانها ما فعله في الاثارب .
لمزيد من التفاصيل ارجع الى : عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 420 ، رنسمان : نفس المرجع جـ2 ، ص 191 .

وفي الواقع لم تكن هذه الهدنة ،التي تعتبر انتصارا حاسما لتانكريد ، خاتمة مشاكل الحلبيين ،اذ بلغت مدينة حلب درجة عالية من الوهن بسبب تدهور أحوالها الاقتصادية الناجم عن سيطرة الصليبيين على مقدرات المدينة الاقتصادية ومما زاد هذه الاحوال تفاقما ارتحال جماعة كبيرة من أهل المدينة ومن بينهم التجار الى بغداد " وقلت المغلات في بلد حلب فباع الملك رضوان في يوم واحد ستين خربة من بلد حلب لأهلها بالثمن البخس ."(1)

ولم يقف تانكريد عند حد اخضاع ملك حلب لارادته وانما أخذ يتطلع الى مدّ نفوذه على القوى الاسلامية المجاورة التي استبدّ بها الفزع لما علمت ما نال مدينة حلب وضواحيها من مشقة واهانة . وهكذا لم تكد تظهر طلائع جيشه أمام أسوار مدينة شيزر حتى عرض عليه اميرها ، من بني منقذ ، عقد صلح لبضعة شهور ، وبموجبه دفع لتانكريد اربعة آلاف دينار وجوادا أصيلا (2)، وتعهد علي الكردي ، امير حماه ، بدفع الفي دينار(3) ،في حين اشترى امير حمص هو الاخر السلم والهدوء منه بقيمة ألفي دينار(4) على ان تانكريد لم يلبث ،بعد انتهاء مدة الهدنة التي أبرمها مع

---

(1) " وضعفت حلب بأخذ الاثارب ضعفا عظيما . . . وضاق الامر بأهل حلب ومضى بعضهم الى بغداد واستغاثوا في أيام الجمع ومنعوا الخطباء من الخطبة مستصرخين بالعساكر الاسلامية على الفرنج ." ابن العديم : زبدة، 2، ص 157 ، وايضا : عاشور: الحركة، جـ1 ، ص 420 .

وانظر ايضا عن استغاثة أهل حلب بالعساكر الاسلامية ببغداد في ابن القلانسي :ذيل ص 173 ،ابن الاثير: الكامل، جـ 8 ، ص 251 .

(2) اسامة بن منقذ : الاعتبار، ص 65، 73ـ71،ابن الاثير : الكامل ، جـ8، ص 251، ابن العديم : زبدة، 2، ص 158، ابو الفداء : المختصر، م . الاول، ص 225، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان ، في : R. H. O., III, p. 539 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ص 191ـ192 . أشار سبط بن الجوزي الى عشرة آلاف قطعة ذهبية .

(3) ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 251 . ذكر عاشور: الحركة، جـ1، ص 420ـ422، عشرة الآف دينار .

(4) رنسمان :نفس المرجع ، جـ2 ، ص192 .

بني منقذ اى في ربيع عام 1111م ان أخذ في اكتساح أراضي شيزر فبادر بإقامة حصن منيع(*) بجوار المدينة مكّنه من فرض رقابة تامة على جميع تحركات أهل المدينة(1)، ومن ذلك وضع يده على حصن بكسرايل الواقع بين شيزر واللاذقية(2).

وحدث في هذه الاثناء، نتيجة نداء النجدة الذى وجهه الحلبيون الى الخليفة(**) ببغداد، أن تكوّن حلف عسكرى اسلامي قوى(***) بزعامة الاتابك مودود. وأخذ في الزحف في جويلية عام 1111م على بلاد الشام لقطع دابر الصليبيين ولم يلبث الصليبيون أن سارعوا الى جمع شملهم، لمواجهته، وكان أن جهّز تانكريد، بعد أن أعلن انسحابه من شيزر، كل ما يملكه من قوة للمشاركة في هذه المهمة. وفي الواقع كان بامكان هذا الحلف الاسلامي أن ينزل بالقوى الصليبية بالشام أضرارا جسيمة لولا أن استولت الخيانة على بعض الامراء السلاجقة، ومن بينهم رضوان، فقرر

---

(1) أسامة بن منقذ : الاعتبار، ص 66-67، 69، ابن القلانسي : ذيل، ص 174، ابن العديم : زبدة، 2، ص 158-159.

(2) ابن العديم : زبدة، 2، ص 158.

(*) ذكره ابن القلانسي " تل ابن معشر في مقابلة شيزر" وكذا عند ابن العديم : ابن القلانسي : ذيل، ص174، ابن العديم : زبدة، 2، ص 158.

(**) المستظهر بالله 487-512 هـ/1094-1118م.

(***) الامراء الذين اشتركوا في هذه الحملة هم : ايلغازى بن ايلز، والكرديان : احمديل، صاحب مراغة، وأبو الهيجاء، صاحب اربل، وسكمان، أمير ميافارقين، وبرسق بن برسق، أمير همدان : رنسيمان : نفس المرجع، ج 2، ص 197.

مودود التقهقر والعودة الى الموصل في الخريف من نفس العام دون أن ينال منالا من هذه الحملة الكبرى(1).

وقد عاد تانكريد الى انطاكية بعد أن أدى دوره كاملا في رد الخطر السلجوقي عن بلاد الشام على أن ما رآه من نمو نفوذ امارة الارمن بقيادة كواسيل بعث في نفسه شعور الخوف والحسد مما جعله يقرر غزو هذه الامارة بعد وفاة صاحبها في يوم 12 اكتوبر عام 1112م، لكن بينما هو يعد العدة لهذه الحملة العسكرية (2) أصيب بمرض، وهو حمى التيفود، أودى بحياته في يوم 12 ديسمبر عام 1112م وهو يناهز السادسة والثلاثين من عمره (3).

وفي الواقع فان وفاة تانكريد تعتبر كارثة عظمى أصيب بها الصليبيون في الشام عامة وفي امارة انطاكية خاصة وذلك للفراغ المهول الذي تركه في الوسط الصليبي في ظرف اشتدت فيه رغبة سلاجقة فارس في انتزاع ما اكتسبه الصليبيون في الشام بالقوة وكان تانكريد ولا شك يشكل أحد الاعمدة الهامة التي ارتكزت عليها الحركة الصليبية الاولى لما لعبه من دور حربي بارز فيها . وقد يرجع اليه الفضل في تأسيس امارة انطاكية وجعلها امارة خالصة للنورمان ، اذ سهر بدون هوادة طوال وجود خاله بوهمند في الاسر (1100 ـ 1103م) وأثناء رحلته الى الغرب (1104ـ1111م) على

---

(1) عن تفاصيل هذه الحملة ارجع الى : ابن الاثير: الكامل، ج 8 ، ص 261ـ263 ، ابن القلانسي : ذيل، ص 174ـ177، ابن العديم : زبدة، 2، ص 158ـ161، وايضا :
Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I69-I74; Foulcher: op. cit., I67-I69; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 96-97.

(2) رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص 200، 202 .

(3) ابن العديم : زبدة ، 2، ص 163، ابن القلانسي : ذيل، ص 183، وايضا :
Foulcher: op. cit., p. I7I; Guill de Tyr: op. cit., II, p. I56; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I86; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. I03.
يذكر متى الرهاوي يوم 5 ديسمبر كتاريخ وفاة تانكريد .

صيانة مركزها وحماية مصالحها من العدو السلجوقي والبيزنطي المحدق بها والى جانب هذا كله عمد تانكريد الى توسيع حدود امارة انطاكية فحقق كثيرا من الفتوحات على حساب المسلمين والبيزنطيين في الشام وبآسيا الصغرى. ولعل ما حققه تانكريد من مكاسب يصعب على أي صليبي نيلها ، ولعبت فيها شجاعته وتعصبه وهما صفتان امتاز بهما أجداده الشماليون - دورا هاما في بلوغ هذا المجد[1] مما أثار اعجاب المؤرخ الارمني متى الرهاوي فمدحه مدحا حارا ورائعا[2].

أنطاكية أثناء حكم روجر السالرني :

اهتم تانكريد في أخريات أيامه بقضية وراثة عرش انطاكية بعد وفاته ، ولهذا لما شعر بدنو أجله أوصى بتولية ابن اخته روجر السالرني Roger de Salerne حاكما على انطاكية شريطة أن يتعهد بتسليم كرسيها لبوهمند الثاني - بن بوهمند الاول - حينما يبلغ أشده ، ويطالب بإرث أبيه . وكان أن قبل روجر السالرني طلب تانكريد[3]، فعين في نهاية شهر ديسمبر عام 1112م أميرا ووصيا على امارة انطاكية[4].

(1) عاشور: الحركة، ج1، ص 421-422، رنسمان: نفس المرجع، ج2، ص 203-204، وأيضا :
Grousset : op. cit., I, pp. 476-477.

(2) انظر المدح الذي ناله هذا المؤرخ لتانكريد في :
Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 103-104.

(3) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 156-157.

(4) ابن العديم: زبدة، 2، ص163، ابن القلانسي :ذيل، ص 183. وأيضا :
Foulcher: op. cit., p. 171; Guill de Tyr: op. cit., II, p. 156; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 104; Samuel d'Ani: in R.H.C., arm, I, p. 449.

ولا شك ان اختيار تانكريد لروجر و ترشيحه لهذا المنصب كان مناسبا وفي مستوى التطورات التي تشهدها المنطقة اذ كان روجر السالرني والمعروف بالانطاكي Roger d'Antioche والذي سمي كذلك من قبل المسلمين بسير جال(*) Sir Roger يتمتع بشجاعة ومهارة حربية كبيرتين وهذا فضلا عن دهائه الفائق ومقته الشديد للمسلمين وميله الكثير الى محاربتهم(1) مما جعل أسامة بن منقذ يعتبره " شيطانا من الافرنج ."(2)

ومما زاد هذا الاخير شأنا وصيتا علاقة المصاهرة التي كانت تربطه ببلدوين دي بورغ أمير الرها وجوسلين دي كورتناي(**) امير تل باشر ونشأت بمقتضى هذه الرابطة الدموية صلة متينة بين امارتي الرها وانطاكية من جهة ومن جهة أخرى بين انطاكية ومملكة بيت المقدس حينما تولى بلدوين دي بورغ ملكها سنة 1118م ولقيت امارة انطاكية من هذا الاخير مساعدات عظيمة حتى ظلت محتفظة بمركزها السابق كقاعدة صليبية مضادة للقوى السلجوقية في الشرق(3) .

---

(1) عاشور : الحركة، ج1، ص 425 .
(2) أسامة بن منقذ : الاعتبار، ص 139 .
(3) عاشور : الحركة، ج1، ص 424-425، رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص 204-205، وايضا : Grousset: Hist. des croisades, I, pp. 482-483.

(*) سيرجالة اد ابن القلانسي .
(**) تزوج روجر السالرني من سيسليا Cecile اخت بلدوين دي بورغ أي الثاني ، بينما تزوج جوسلين دي كورتناي من ماري أخت روجر السالرني ، أنظر : عاشور : الحركة ، ج 1 ، ص 424 - 425 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 204 - 205 .

ولما تولى روجر السالرني حكم امارة انطاكية كان اقليم الموصل بالجزيرة وكذا بلاد الشام يشهدان تطورات هامة اهتزت لها نفوس الصليبيين جميعا ذلك أن مودود بن الطنطاش (*) ، اتابك الموصل ، عمد الى رفع لواء الجهاد ضد الصليبيين فتمكن بذلك سنة 505 هـ/ 1113م من جمع شمل أمراء المسلمين (**) وحشدهم على قتال الصليبيين (1)، ولذلك لم يكد روجر السالرني يتربع على عرش انطاكية حتى تلقى من بلدوين الاول نداء يحثه على سرعة القدوم اليه لمساعدته على رد الهجوم الذي اعتزم مودود ، اتابك الموصل ، وطغتكين ، أتابك دمشق، القيام به ضد اقليم طبرية . واستجاب له روجر فخرج اليه على رأس قواته (2) لكنه لم يكد يصل بنجدته حتى كان الاتابكة قد انزلوا ببلدوين الاول (***) هزيمة ساحقة قرب

---

(1) ابن العديم : زبدة، 2، ص 163، ابن القلانسي : ذيل، ص 184، وايضا :
Foulcher: op. cit., p. I72; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I87;
Guill de Tyr: op. cit., II, p. I57; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm,I, p I04.
" وكان سبب اجتماع المسلمين ان ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه سنة ست وخمسمائة . " ابن الاثير : الكامل ، ج8، ص 266 . انظر عن استفزازات الملك بلدوين الاول على المسلمين في : Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I79-I86.

(2) أنظر: Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. I06; Foulcher: op. cit., p. I73; Guill de Tyr: op. cit., II, p. I59; Albert d'Aix: op. cit., II, p. I87.

قدّر البرت دايكس قوة روجر السالرني بخمسمائة راجل وسبعمائة فارس : أنظر : Albert d'Aix: loc. cit.

(*) ذكره ابن الاثير باسم التونتكين : ابن الاثير : الكامل ، ج8، ص 266 .

(**) شارك في هذه الحملة تميرك صاحب سنجار واياز بن ايلغازي امير ماردين وطغتكين اتابك دمشق . ابن الاثير : الكامل ، ج8، ص 266 . بلغت قوة الجيش السلجوقي ثلاثين الف محارب : انظر : Albert d'Aix: loc. cit.

(***) يذكر ابن الاثير وابن القلانسي ان بلدوين الاول نفسه وقع في الاسر لكن المسلمين لم يعرفوه فأفرجوا عنه بعد أن أخذوا منه سلاحه : ابن الاثير : الكامل ج 8 ، ص 266 ، ابن القلانسي : ذيل، ص 185 .

جسر الصنبرة ، في الجنوب الغربي من بحيرة طبرية في 13 محرم عام 507 هـ / 28 جوان عام 1113م ، وهكذا لم تجد نجدة روجر نفعا في دفع هذه الهزيمة بسبب تهور بلدوين الاول وتسرعه في مهاجمة السلاجقة دون انتظار وصول النجدات[1]، الا أنها أثرت كثيرا على معنويات الصليبيين حيث قويت نفوسهم وتجدد حماسهم واستعدوا بشجاعة لمنازلة السلاجقة ، غير أن الصليبيين أدركوا جيدا عظمة قوة الاتابكة فرفضوا الاصطدام بهم في معركة فاصلة وراحوا يتمركزون في بعض المرتفعات الواقعة غربي بحيرة طبرية لمدة ستة وعشرين يوما " والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب ومنحرا المسيرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد ."[2]

وبالرغم من عداوته المقيتة للسلاجقة لم يتورع روجر السالرني عن محالفتهم عندما تهددت مصالحه ذلك أنه لما بلغه في فبراير سنة 1115م نبأ ارسال السلطان محمد السلجوقي[*] حملة عظيمة نحو الشام بهدف اخضاع الامراء المسلمين وطرد الصليبيين طردا نهائيا[3] جهز جيشا قوامه نحو ألفين من الفرسان والرجالة

---

(1) ابن الاثير : الكامل ، جـ3 ، ص265 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 184-185 ، وايضا :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. I59-I60; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I89-I90; Foulcher: op. cit., pp. I72-I73; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. I06.

وانظر ايضا : عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 320-321 .

(2) ابن الاثير : الكامل ، جـ3 ، ص266 ، وانظر ايضا : ابن القلانسي : ذيل ، ص 185 ، وارجع الى : Foulcher: op. cit., p. I74; Guill de Tyr: op. cit., II, p. I59; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. I06-I07

(3) " جهز عسكرا كثيرا - السلطان محمد - وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همدان . . . وامرهم بالبداءة بقتل ايلغازي وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج " ابن الاثير : الكامل ، جـ3 ، ص270 ، وارجع ايضا الى : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، في : R.H.O., III, p. 553.

(*) هو محمد بن ملكشاه : سلطان سلاجقة ايران 498-512 هـ / 1104-1118م .

فعسكر به عند جسر الحديد على نهر العاصي وبهذا المكان أبرم روجر السالرني اتفاقا مع القوى السلجوقية التي يمثلها ايلغازي وطغتكين والطواشي لؤلؤ متولى أمر حلب(*) قضى بتحالف الجيشين النورماني مع جيوش هؤلاء الأمراء لوقف زحف جيش السلطان محمد الذي كان يقوده برسق بن برسق أمير همدان(1) ونصح روجر السالرني بعدئذ حلفاءه الذي بلغ عدد قواتهم نحو خمسة آلاف مقاتل - بالتمركز بجميع جيوشهم امام أسوار افامية التي سوف تمكنهم من متابعة تحركات جيش برسق عند محاولته الاتصال بحلفائه بني منقذ بشيزر(2)

(1) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في : R.H.O., III, p. 554.
ويشير ابن الاثير ان طغتكين وايلغازي وشمس الخواص صاحب حلب هم الذين ساروا الى انطاكية واستنجدوا بصاحبها " روجيل " وسألوه ان يساعدهم على حفظ حماه " ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص272 . ويؤكد وليم الصوري وفولشر هذه الحقيقة بقولهما ان طغتكين انفذ سفارة الى روجر وبلدوين الاول يطالب منهما الصلح بعد أن منحهما هدايا ثمينة ، ارجع الى :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. I69-I70; Foulcher: op. cit., p. I78; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. II5.
واما ابن العديم فيقر صحة قول وليم الصوري بقوله " فأنفذ - اي طغتكين - عسكر حلب وشمس الخواص وايلغازي بن ارتق ، واستنجد بصاحب انطاكية "روجار" وغيره من ملوك الفرنج ونزلوا اجمعين افامية" ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص174 . وبالرغم من هذه الروايات كلها الدالة على ان مبادرة الصلح جاءت من السلاجقة فان رنسمان لم يتوصل الى انسابها لواحد من هذين الطرفين ، واما عاشور ، استنادا الى وليم الصوري ، فانه ينسبها الى روجر السالرني : رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 218 ، عاشور : الحركة ، ج1 ، ص 325 .
(2) رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 213 .
(*) توفي الملك رضوان صاحب حلب في 28 جمادى الاخرة سنة 507 هـ/سبتمبر 1114م ، وملك حلب بعده ابنه الب ارسلان وعمره ست عشرة سنة ، ولما ساءت سيرة ارسلان تولى لؤلؤ اليايا على الامر وهو خادم لابيه ، وفي عام 508هـ/1114م نصب لؤلؤ اخا صغيرا له عمره ست سنين واسمه سلطان شاه بن رضوان وتولى لؤلؤ تدبير مملكته ، وجرى على قاعدته في سوء التدبير وصار شمس الخواص مقدم عسكر حلب ومتولى اقطاع الجند " ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 164-174 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 189 ، 191 ، ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 27 ، عاشور : الحركة ، ج1 ، ص 504 .

وقد ظل جيش برسق يزحف بقوة داخل الجزيرة دون أن تعترضه اية مقاومة ثم توجه جنوبا فبسط يده على مدينة حملاه (1)، وبعد ئذ قرر الاغارة على مدينة كفرطاب التابعة لروجر السالرني وارتاع روجر كثيرا لهذا الهجوم وأراد تحويل أنظار برسق عنها الا أن طغتكين أفهمه ان ما يقدم عليه مجازفة خطيرة (2) وكانت نتيجة هذا كله ان استغاث روجر السالرني ببلدوين ملك بيت المقدس وبونز Pons (*) كونت طرابلس، الذين لم يلبثا أن وصلا بجيشهما الى مدينة افامية (3) ولما أدرك برسق ضخامة قوة هذا التحالف قفل راجعا الى الجزيرة لاشعار اعدائه بتراجعه عن مشروعه العدواني (4). وكانت نتيجة حركة برسق أن اطمئن كل من الملك بلدوين وبونز ، فقررا العودة الى عاصمتيهما ، لكن ما ان انسحبا من افامية حتى عاود برسق بجيشه الكرة بعنف على قلعة كفرطاب وفتحها دون مشقة كبرى في عام 509 هـ/ اوائل سبتمبر عام 1115م ثم منحها لبني منقذ (5).

---

(1) ابن الاثير : الكامل ، ج3 ، ص 272 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 213 .
يشير البرت دايكس الى بعض المواقع التي احتلها السلاجقة ، انظر :
Albert d'Aix: op. cit., II, pp. I98-I99.

(2) رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 213 .

(3) ابن الاثير : الكامل ، ج3 ، ص 272 ، وانظر ايضا :
Guill de Tyr: op cit, II, p I70; Foulcher: op cit, p I78; Albert d'Aix: op cit, II, p I99.

(4) يعزو ابن الاثير مبادرة الانسحاب الى الفرنج بينما يقول ابن العديم والمصادر الغربية عكس ذلك : ابن الاثير : الكامل ، ج 3 ، ص 272 ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 175 ، وانظر ايضا : Guill de Tyr: loc. cit.; Albert d'Aix: loc. cit.; Foulcher: op. cit., pp. I78-I79; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 115.

(5) ابن الاثير : الكامل ، ج3 ، ص 272 ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 175 ، ابو الفداء : المختصر ، م . الاول ، ص 222-223 ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، في :
R.H.O., III, p. 555; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. I70, I73-I74.

رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 214 .
يذكر فولشر والبرت دايكس ان الجيش السلجوقي عاث في ضواحي انطاكية خرابا وفسادا واحتل عدة مواقع : انظر : Albert d'Aix: op cit, II, p 200; Foulcher: op cit, p I80

(*) هو ابن برتراند — برترام — الابن الاكبر لريموند الصنجيلي ، تولى حكم طرابلس بعد وفاة ابيه عام 1113م . عاشور : الحركة ، ج1 ، ص 367 ، 376 .

على ان روجر لم يلبث بعد أيام قليلة ، وعلى وجه التحديد في شهر ربيع الآخر عام 509 هـ/ 14 سبتمبر 1115م ، ان انتقم لهذه الخديعة بمباغتة جيش برسق في تل دانيث — بين حلب وكفر طاب — والحاق الهزيمة به مما أرغم برسق — الذي كاد أن يقع في الأسر — على التقهقر نحو الجزيرة [1].

وفي الواقع فان هذا الانتصار يكتسي أهمية خاصة لدى الصليبيين عامة حيث قضى على حلم سلاجقة ايران الرامي الى انتزاع الشام من أيدي الصليبيين ، كما أدى الى بعث الهلع في نفس كل من لؤلؤ الطواشي المستحكم في حلب وطغتكين اتابك دمشق الذي أخذ يسعى جاهدا لاسترضاء السلطان السلجوقي محمد [2].

واما روجر السالرني الذي لم يلبث أن استرد كفرطاب من حوزة بني منقذ [3]، فقد اكتسب صيتا عظيما وصار مهيبا يحسب له حساب في المنطقة اذ أضحى يتدخل في الخلافات الدائرة بين أمراء المسلمين [4]. فعلى سبيل المثال طلب منه ياروقتاش [*]

(1) ابن الاثير: الكامل ، جـ8 ، ص272 ، ابن العديم: زبدة ، 2 ، ص176 ، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر ، جـ2 ، ص... ، في: R.H.O., III, p. 555
م. الاول ، ص228—229 ، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان ، في :
Foulcher: op. cit., pp. I80-I8I; Albert d'Aix: op. cit., II, pp. 200-20I; Guill de Tyr: op. cit., II, pp. I74-I76; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 115-116.
وعاشور: الحركة ، جـ1 ، ص365 . ويصف ابن العديم عظمة انتصار روجر بقوله "وأخذ الكفار من هذا ما يفوت الوصف وغنموا من الكراع والسلاح والخيام والدواب وأصناف الالات والامتعة ما لا يحصى ." ابن العديم: زبدة ، 2 ، ص176 .

(2) رنسيمان: نفس المرجع ، جـ2 ، ص215 .
" فرضي عنه السلطان وخلع عليه ." ابن الاثير: الكامل ، جـ8 ، ص273 .

(3) وعقد بنو منقذ صلحا مع روجر السالرني تعهدوا بموجبه بعدم مضايقة القوافل الصليبية المارة بين انطاكية وبيت المقدس : عاشور: الحركة ، جـ1 ، ص432 ، وايضا :
Grousset: op. cit., I, p. 510.

(4) عن هذه الخلافات انظر: ابن العديم: زبدة ، 2 ، ص177—180 ، ابن القلانسي: ذيل ، ص199 . (*) هو خليفة لؤلؤ الذي قتل في عام 511هـ/ مايو 1117م باسم سلطان شاه ابن رضوان ، ويذكر عن ياروقتاش انه ارميني الاصل اعتنق الاسلام : ابن الاثير: الكامل ، جـ8 ، ص279 ، رنسيمان: نفس المرجع ، جـ2 ، ص216—217 .

خليفة لؤلؤ الطواشي في تسيير دفة الحكم بحلب ، في عام 511 هـ/1117م المساعدة ضد خصومه الحلبيين ، وكان ثمن هذه النجدة أن سلّم له ياروقتاش حصن القبة الرابط بين حلب ودمشق وهو موضع يستريح فيه الحجاج المسلمون قبل المضي الى مكة كما سمح له باستغلال رسوم على هؤلاء الحجاج [1]، وكذلك استغاث به خليفته ابن الملحي الدمشقي لاسترجاع حصن بالس الواقع على نهر الفرات من أيدي ايلغازي الارتقي ، وكذلك لرد خطر هذا الاخير عن مدينة حلب [2].

واهتبل روجر السالرني فرصة هذا الجو السيء الذي بات فيه السلاجقة ، فأغار على الجهات الواقعة الى شمال حلب فبسط نفوذه سنة 513 هـ/1118م على عزاز (*) وفي أوائل سنة 1119م على البزاعة (**) حيث توصل بهذا الى عزل حلب عن نهر الفرات والشرق والى مضايقتها من ثلاث جهات، كما تمكن من تعديل الحد الجنوبي لانطاكية لصالحه وذلك باخضاع قلعة المرقب التي تشرف على البحر وراء بانياس [3].

---

(1) ابن القلانسي : ذيل ، ص 202، ابن العديم :زبدة، 2، ص 179، عاشور: الحركة، جـ1 ، ص433 .

(2) ابن العديم : زبدة، 2، ص 130ـ131.
" فراسلهم ابو المعالي بن الملحي ورغبهم في البقاء على الهدنة وأن لا ينقضوا العهد وحمل الى صاحب انطاكية مالا وهدية فردّ عليهم الاحمال والاثقال ." ابن العديم : ، زبدة 2، ص 131 .

(3) ابن العديم : زبدة، 2، ص182ـ186، ابن الاثير :الكامل ، جـ8، ص 288، وايضا :
Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, pp. 121-122;
وعاشور : الحركة، جـ1 ، ص434، رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص 217ـ218، 235 .
ولم يمعن رجال روجر السالرني في تخريب وتدمير مزارع اعمال عزاز وانما زرعوها " وتووا فلاحيها وعادوا الى انطاكية" ، ابن العديم : زبدة، 2، ص 186 .

(*) تقع شمال حلب .

(**) تقع الى الشمال الشرقي من حلب .

ومهما يكن من أمر فان نهاية سنة 1118م سجلت نوعا من التوازن بين مختلف القوى - الصليبية والسلجوقية - الموجودة في شمال الشام ذلك أن الصليبيين وفي مقدمتهم روجر السالرني استطاعوا أن يشكلوا خطا قويا قادرا على مواجهة الظروف العصيبة التي فرضها عليهم السلاجقة وان دلّ هذا على شيء فانما يدل على التئام شمل الصليبيين واتحاد كلمتهم حيث ساد الوفاق بين كل من بلدوين الثاني كونت الرها و بونز كونت طرابلس وروجر السالرني اذ لم يجنح كل واحد منهم الى فرض سيطرته على الآخر في حين أظهر روجر السالرني ، الذي يعد أقوى الامراء الصليبيين سلطانا بهذا الاقليم ، الولاء والطاعة لبلدوين الاول ملك بيت المقدس وهذا عملا بأصول النظام الاقطاعي ، وأما السلاجقة فقد باتوا في وضع لا يحسدون عليه بسبب الخلافات والشحناء التي كانت تسود صفوفهم فتمزق شملهم وبالرغم من كثرة عددهم فقد أضحوا عاجزين على ترجيح كفة الصراع الذى أخذ يميل حينا لصالح الصليبيين(1).

على ان ايلغازي الذى لم يتحمل سقوط البزاعة لانعكاسه السيء على مدينة حلب(2) لم يلبث أن عقد العزم في ربيع سنة 1119م على مهاجمة ممتلكات روجر السالرني ، وبادر بتجهيز جيش عتيد قدرت قوته بأربعين الفا من المحاربين الأقوياء وكان يتألف من التركمان والكرد الرابطين بالشمال والقبائل العربية المقيمة ببادية الشام وكذلك من قوات طغتكين اتابك دمشق(3)، واما بنو منقذ امراء شيزر

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 218 .

(2) عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 504 .

استنجد به أعيان مدينة حلب حينما يئسوا من وصول نجدة من الملوك المسلمين "ووصل الى حلب ، اى ايلغازى ، ودخلها وتسلم القلعة وأخرج منها سائر الجند وأصحاب رضوان وأنزل سلطان شاه بن رضوان وبنات رضوان في دار من دور حلب ." وكانت هذه الاحداث عام 511 هـ/ 1118م : ابن العديم : زبدة ، 2، ص 185 .

(3) ابن القلانسي : ذيل ، ص 199-200 ، رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 235 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, p. 206.

يذكر ابن الاثير انه اجتمع عليه نحو عشرين الفا ، واما ابن العديم فيقول ان ===

فقد تعهدوا له بغزو الاجزاء الجنوبية من امارة روجر السالرني القريبة من أملاكهم لصرف انتباهه عنهم وشغله عن التصدي لهم(1).

وفي نهاية شهر مايو أخذ جيش ايلغازي في التحرك حتى بلغ قنسرين ، جنوب حلب صفر عام 513 هـ/ شهر جوان عام 1119م فضرب معسكره بها(2)، في حين أخذت افامية تتلقى ضربات من قبل جيش بني منقذ الذي لم يلبث أن قويت صفوفه بفضل الامدادات التي بعثها اليه ايلغازي(3).

واما روجر السالرني فلم يكن في الحقيقة غافلا عن هذه التحركات ، وأسرع منذ بدايتها الى الاستنجاد ببلدوين الثاني(*) ملك بيت المقدس والامير بونز كونت طرابلس ثم انكب على اعداد العدة للدفاع عن ممتلكاته ، وكان بلدوين الثاني قد نصح روجر في رسالة بانتظار النجدات وعدم المجازفة بملاقاة العدو ولكن روجر لم يمتثل الى وصية بلدوين الثاني فخرج في يوم 20 جوان من انطاكية على رأس قواته

=== ايلغازي توجه في عسكر يزيد عن اربعين الفا من الفرسان . ويشير وليم الصوري الى ستين الف محارب. ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 288 ، ابن العديم : زبدة، 2، ص 187 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, p. 208.

(1) عاشور : الحركة ، ج1 ، ص 505 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 235 .

(2) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 187 .

(3) رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 235 .

(*) هو المعروف باسم دي بورغ لي بورستوارج ملكا على بيت المقدس ، باعتباره ابن عم الملك الراحل بلدوين الاول في 14 افريل عام 1113م . رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 230 ـ 231 . وايضا :

Schlumberger: Les principautés franque du Levant, p. I3;

Yorga: op. cit., p. 8I.

التي قدرت بحوالي سبعمائة فارس وأربعة آلاف راجل ، وضرب معسكره امام حصن تل عفرين الصغير على الحافة الشرقية لسهل سرمدا — شرمدا — وهو من اعمال حلب — قصد انتظار وصول بلدوين الثاني [1].

كان ايلغازي بقنسرين يرقب وصول جيش طغتكين لتكتمل قوته وتمكن أثناء ذلك من معرفة خطة وتحركات روجر السالرني وقلة عدد أفراد جيشه [*] واشتد بذلك حماس جنوده فأقنعوه بوجوب الوثوب السريع على جيش روجر [2]. وفي يوم 27 جوان أنفذ فصيلة من جيشه الى قلعة الاثارب لمهاجمتها لكن روجر السالرني سرعان ما وجّه اليها فرقة من جنده لنجدتها [3].

وفي منتصف شهر ربيع الاول عام 513 هـ فجر يوم السبت 27 جوان من سنة 1119م اكتشف روجر السالرني أن جيش ايلغازي قد حاصر معسكره من كل جوانبه ولم تلبث المعركة أن نشبت بين جيشي ايلغازي وروجر لكن سرعان ما اختلّ توازن

---

(1) ابن القلانسي : ذيل ، ص200—201 ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 187—188 ، ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 283 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 206-208;
و رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 287 .
(2) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 188 .
(3) رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 287 .

(*) قدر ابن القلانسي ، ذيل ، ص 200 ، قوام جيش روجر بعشرين الف محارب أما ابن الاثير ، الكامل ، ج 8 ، ص 283 ، فانه يشير الى ثلاثة آلاف فارس و تسعة آلاف راجل .

جيش روجر السالرني وزاد هذا الخلل عاصفة ريح الخماسين التي أضحت تهب صوب الشمال فعاقت كل حركات جيش روجر الذي استبد به الذعر والفزع وانسحب جانب منه الى انطاكية وبلد سرمدا وظل الجانب الآخر يواصل القتال حتى هلك العديد منهم ومن بينهم أميرهم روجر السالرني . واما الذين افلتوا من الهلاك وهم نفر قليل فقد وقعوا في الاسر المهين[*] وسمي هذا اليوم لدى الفرنج باسم ساحة الدم أو حقل الدم Ager Sanguinis لما سفك من دماء الفرنج فيه [1].

---

(1) انظر تفاصيل هذه المعركة ونتيجتها في : سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، في : R.H.O., III, p 560، ابن الاثير : الكامل، جـ8، ص 288ـ289، ابن العديم : زبدة، 2، ص 183ـ190، ابن القلانسي : ذيل، ص 200ـ201، اسامة بن منقذ : الاعتبار، ص 119، ابي الفداء : المختصر، م . الاول، ص 231 . وانظر ايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 208-211; Matthew d'Edesse: in R.H.C.; arm, I, pp. 122-123; Samuel d'Ani: in R.H.C., arm, I, pp. 450-451; Foulcher: op. cit., pp. 193-194;

و رنسمان : نفس المرجع ، جـ2، ص 228ـ229 .

يذكر فولشر وصمويل داني ان هزيمة روجر كانت عقابا من الله لروجر لما اقترفه هذا الاخير من الفواحش والموبقات أثناء حكمه لانطاكية، انظر : Foulcher: loc. cit., Samuel d'Ani: loc. cit.

لقد أثار هذا الانتصار ابتهاجا عظيما في الاوساط الاسلامية في الشرق : انظر الابيات الشعرية التي قرظ فيها العظيمي ايلغازي في : ابن الاثير : الكامل، جـ8، ص 289 .

(*) يقدر فولشر خسارة جيش روجر بسبعة آلاف قتيل بينما خسر السلاجقة عشرين فقط واما ابن العديم فيقول أنه " سلم من الفرنج مقدار عشرين نفرا لا غير وقتل ما يقارب خمسة عشر ألفا منهم ." ـ أي الفرنج ـ . واما المسلمون فيذكر أنهم خسروا " عشرين نفرا لا غير" ، ابن العديم : زبدة ، 2، ص 189 . واما اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ، ص 119 ـ فيقول انه " قتل جميع عسكره ، أي روجر ، ولم يدخل انطاكية منهم الا دون العشرين رجلا . "

Foulcher: op. cit., p. 193.

وهكذا أضحت مدينة أنطاكية دون قائد يتدبّر حالها أو جيش يدفع عنهـا خطر السلاجقة[1]. وبادر بطاريركها في هذه الظروف العسيرة بتدبير أمر الدفاع عنها حيث عمد الى تجنيد رجال الدين والتجار الفرنج، كما راح يستحث بلدوين الثاني - الذي تولى حديثا على عرش بيت المقدس خلفا لبلدوين الاول - على القدوم الى انطاكية[2]، على أن ايلغازي وان لم يحاول استغلال انتصار ساحة الدم بمهاجمة انطاكية التي باتت في موقف سيء للغاية الا أنه تمكن من استرداد ارتاح التي كنوز وأموال روجر السالرني، وكذلك حصن الاثارب ومدينة زردنا في مطلع شهر أوت من نفس العام[3].

وأما بلدوين الثاني الذي تلقى نداء النجدة من قبل بطريرك انطاكية لم يلبث أن دخل مدينة انطاكية في جو من الابتهاج والغبطة[4]، وبعد أن أعاد الأمن الى

---

(1) " وبقيت انطاكية شاغرة خالية من حماتها ورجالها خاوية من كماتها وأبطالها ." ابن القلانسي : ذيل، ص 201، وانظر ايضا : سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، في :
R.H.O., III, p. 560.

(2) رنسمان : نفس المرجع، جـ2، ص 240.

(3) ابن الاثير: الكامل، جـ3، ص 289، ابن العديم : زبدة، 2، ص 191، ابن القلانسي : ذيل، ص 201، ابو الفداء: المختصر، م. الاول، ص 231، وأيضا :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 212-213.

(4) أنظر : Guill de Tyr: op. cit., II, p. 216; Foulcher: op. cit., p. I97.

ومن المعروف أن بلدوين عقب وصوله الى ضواحي انطاكية - قرية هاب - اشتبك مع جيش ايلغازي ولم يحرز أي واحد من الجيشين على انتصار حاسم ومن ذلك نسبت المصادر النصر للفريق الذي تناصره : ابن العديم : زبدة، 2، ص 190-192، وايضا :

Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 213-216; Foulcher: op. cit., I94-I96.

ضواحي المدينة[1] عمد الى حل مسألة وراثة عرش انطاكية وباجماع رأى أعيان المدينة تقرر الحاق أنطاكية وممتلكاتها بعرش بيت المقدس حتى يبلغ الطفل بوهمند/II/ سن الرشد فيتولى عرش ابيه ، بوهمند ، باسم بوهمند الثاني . والى جانب هذا قرّر بلدوين الثاني تزويج بوهمند الثاني بابنته اليكس(*) ، وكذلك تعيين حكام على اقطاعات انطاكية التي فقدت زعماءها خلال معركة ساحة الدم وبعدئذ وقع الاتفاق على تزويج أرامل المحاربين النورمان الذين لقوا مصرعهم في المعركة ، بفرسان من جيش بلدوين الثاني (2).

---

(1) تمكن بلدوين من استرداد العديد من المواقع التي كان المسلمون قد استولوا عليها عقب موقعة " ساحة الدم " وهي قلعة علازور ـ غربي البارة ـ وكفر طاب ، وسرمين ومعرة مصرين ، ثم نزلوا زردنا ورحلوا عنها الى انطاكية : ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 193 ـ 194 .

(2) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 191 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 242 . وانظر ايضا :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 216-217; Foulcher: op. cit., pp. 197-198.

وعلى كل فقد استطاع بلدوين الثاني في هذه الظروف الحالكة التي تمرّ بها انطاكية أن يحصل على مكسب هام لهذه الامارة حيث عقد هدنة مع ايلغازي اعترف هذا الاخير بموجبها ببقاء انطاكية وممتلكاتها ، حتى شرقي نهر العاصي في حوزة الصليبيين : ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 196 ، عاشور : الحركة ، ج1 ، ص 508 ـ 509 .

(*) تزوجها بالفعل بعد أن استلم العرش عام 1126م : أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص 119 ، 121 ، وارجع ايضا الى :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 294-295; Foulcher: op. cit., pp. 269-275; Matthew d'Edesse: in R.H.C., arm, I, p. 147; Orderic Vital: op. cit., t.4, pp. 233-234.
يذكر أسامة بن منقذ ـ الاعتبار ، ص 121 ـ بوهمند الثاني باسم ابن ميمون واعتبر ظهوره في الشام " بلية عظيمة " على المسلمين .

وهكذا تعد معركة ساحة الدم من المعارك الفاصلة في تاريخ الحروب الصليبية في الشرق الاسلامي اذ أدت الى القضاء النهائي على قوة كانت تلعب دورا لا يستهان به في الصراع السلجوقي ــ الصليبي من جهة والى ازالة نفوذ اسرة النورمان على امـــارة انطاكية حـينا من الدهر من جهة أخرى..

حكم بوهمند الثاني النورماني ــ بن بوهمند ــ لانطاكية :

ما ان استقر بوهمند الثاني في عام 1126م على دست الحكم حتى شرع فـــي محاربة جيرانه الاتراك . وهكذا بادر بشن غارة على حصن كفرطاب(*) فتمكن من افتكاكــه من أيدي المسلمين(1)، كما دخل في اصطدامات عنيفة مع حامية شيزر (2). وفي عام 523هـ 1129م وضع يده على حصن القدموس(3).

وهكذا ظل بوهمند الثاني يسعى جاهدا لتوسيع حدود انطاكية(**) كما كانت

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 295-296.

(2) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص 121ــ122 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج2، ص 281 .

(3) ابن الاثير: الكامل، ج8 ، ص 330 .

(*) استولى عليه البرسقي امير الموصل وحلب في مايو عام 1125م: عاشور: الحركة ، ج1، ص 530 ، Guill de Tyr: op. cit., II, p. 295.

(**) دخل في صراع حاد مع أمير الرها جوسلين ، حول هذا الأمر أنظر:

Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 296-297.

عليه في السابق ، وكان ان اتجهت أنظاره الى قليقية التي تقلص ذلك حكم النورمان بها ولذلك قرّر اخضاع مدينة عين زربة الواقعة بيد الامير الاميني ليو الاول Leon 1er.[1] وفي 524 هـ / شهر فبراير عام 1130م سار اليها بوهمند الثاني على رأس جنده غير أن أميرها حينما علم بنوايا بوهمند الثاني بادر بالاستنجاد بالامير السلجوقي غازي الدانشمند الذي لبى دعوته على عجل ، وكان بوهمند الثاني يجهل تماما هذا التقارب الارمني السلجوقي اذ أخذ يزحف ازاء نهر جيحان بكل ثقة يدحض ما تعرض اليه من مقاومة ارمينية حتى انقضت عليه فئة من جند الاتراك الدانشمنديين ودارت بين الفريقين معركة انتهت بمصرع بوهمند الثاني ومن معه من المقاتلين[2]، وحمل رأسه الى الدانشمند الذي عمل على تحنيطه وبعثه هدية الى الخليفة العباسي ببغداد . ويروى انه لو اكتشف السلاجقة والارمن ان قائد الفرقة الصليبية هو الامير بوهمند الثاني لما قتلوه لما قد يحصلون عليه من فدية باهظة مقابل اطلاق سراحه[3].

ومهما يكن من أمر فان وفاة بوهمند الثاني يشكل حدثا خطيرا بالنسبة لامارة أنطاكية اذ هجم الامير الارميني ليو سنة 1131م بمساعدة الدانشمند ، على الاراضي التابعة لانطاكية في قليقية فبسط يده على طرسوس والمصيصة وأدنه[4]، ومن جهة أخرى فقد

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 232 .
(2) ابن الاثير : الكامل ، جـ8 ، ص 332 ، وايضا :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 309-310.
(3) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 232-233 ، عاشور : الحركة ، جـ1 ، ص 532 .
(4) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 319 .

أثيرت مشكلة وراثة عرش انطاكية من جديد اذ أن بوهمند الثاني الذي آل اليه حكم انطاكية عن طريق الوراثة لم يترك وريثا شرعيا مع زوجته اليكس سوى طفلة قاصرة اسمها كونستانس لا يتعدى سنها السنتين . وفي هذه الحال رأت زوجته اليكس وهي امرأة بالغة الطموح انها أجدر الناس بتولية وصاية انطاكية مهملة حق والدها بلدوين الثاني في اختيار وصي شرعي على انطاكية لكونه السيد الاقطاعي الكبير في الشرق وأكثر من ذلك فانه لم يلبث أن اكتشف في انطاكية انها تنوى ادارة المدينة ليس كوصية بل كأميرة مستقلة[1] الا أن هذه الرغبة سرعان ما جلبت لها كراهية سكان انطاكية لشعورهم بضرورة انتقال الوصاية الى قائد أهل لها[2].

على ان اليكس حينما تناهى الى أسماعها خبر قدوم والدها الى انطاكية لحل مشكلة الوصاية عليها بادرت بارسال رسول ، وهو يحمل هدية ثمينة ، الى حلب لتلتمس من الاتابك عماد الدين[*] زنكي المساعدة حتى تحتفظ لنفسها بكرسي انطاكية ومقابل ذلك/ بالاعلان عن تبعيتها له تعهدت لكن مبعوث اليكس لم يحقق مهمته حيث وقع في قبضة بلدوين الثاني قرب مدينة انطاكية[3].

---

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, p. 311.

(2) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 293-294 .

(3) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, pp 310-311.

(*) هو عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر الحاجب قائد من قواد جيش السلطان ملكشاه السلجوقي ، عهد اليه هذا السلطان بحكم حلب فدخلها في 18 جوان 1128 م : ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص 38 ، عاشور : الحركة ، جـ 1 ، ص 553 ـ 555 .

وحينما بلغ جيش بلدوين الثاني أسوار انطاكية عملت أليكس على اعداد العدّة لمواجهته فالتف سكان المدينة حولها لما بذلته لهم من أموال طائلة . وأمام تعنت اليكس شرع بلدوين الثاني في محاصرة المدينة بعد أن طلب من جوسلين (*) أمير الرها الانضمام اليه الاّ أنه لم تكد تمر أيام قليلة على بداية الحصار حتى رأى شخصان هما وليم افرسا William d'Aversa وهو فارس نورماني، وراهب اسمه بطرس اللاتيني أنه ليس من الحكمة التمرد على سيدهم فبادرا بفتح أبواب المدينة له ودخلها دون أية مشقة ، وأما ابنته اليكس فانها رفضت الإذعان للامر الواقع بل التجأت الى أحد الابراج واعتصمت به ولم تستسلم لأبيها الاّ بعد أن أمنها أعيان المدينة .

لم ينزل بلدوين الثاني بابنته اليكس أي عقاب واكتفى بابعادها عن أنطاكية و"وهبها جبلة واللاذقية" وهما التركة التي أوصى بها بوهمند الثاني لها (1) . وكانت نتيجة هذا كله أن أعلن بلدوين الثاني نفسه وصيا على أنطاكية وحصل من نبلاء المدينة على يمين الولاء له ولحفيدته كونستانس (2) . وقبل مغادرته لانطاكية الى بيت المقدس في صيف سنة 1130م أسند الى جوسلين ، أمير الرها ، مهمة رعاية الاميرة الطفلة كونستانس والاشراف على شؤون أنطاكية (3) .

---

(1) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 246_247 ، وأيضا : Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 311-312; Grousset: Hist. des croisades, I, p. 675;

رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 294_295 .

(2) أنظر : Guill de Tyr: op. cit., II, p. 312.

(3) رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 295 .

(*) كان أميرا على تل باشر وولاه على امارة الرها بلدوين الثاني حينما عين ملكا على بيت المقدس في افريل عام 1118م : رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 231 .

\ وصاية ريناالد مازوار وريموند دي بواتيه على انطاكية :

ولم يعمر الملك بلدوين الثاني طويلا بعد عودته الى بيت المقدس، اذ وافته المنية في يوم 21 اوت عام 1131م . وعملا بوصية بلدوين الثاني تم تعيين صهره فولك في 14 سبتمبر عام 1131م ملكا على بيت المقدس وانتقلت اليه الوصاية على عرش انطاكية رغم معارضة اليكس، أرملة بوهمند الثاني، لذلك[1] بادر الملك فولك عند ئذ باسناد حكم انطاكية لريناالد مازوار Renaud Masoier ، أمير المرقب[2]

ولم يؤد مزوار واجبه كاملا كوصي على انطاكية اذ فقدت هذه الامارة أثناء حكمه لها عددا من مواقعها سنة 525 هـ/1131م مثل حصن بكسرائيل وقلعة القدموس[3] واضطر فولك سنة 528 هـ/1133م الى اغاثته فأنزل بالقوات السلجوقية هزيمة نكراء عند قنسرين، جنوبي حلب[4]. الا أنه لم يمنع سوار، امير حلب، سنة 529 هـ/1134م من توجيه غاراته على المدن والحصون التابعة مثل حصن زردنا ومعرة النعمان، وبلغ في هجماته حتى اللاذقية التابعة لأليكس[5]. ولعل آليكس استغاثت مرة أخرى بالاتابك زنكي[6] اذ يذكر ابن العديم أن زنكي سار عام 530 هـ/1135م، " الى بلد حلب

(1) أنظر: Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 313-323.

(2) عاشور: الحركة، ج 1، ص 533 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 302، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, p. 326.

(3) رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 312 .

(4) ابن القلانسي : ذيل ، ص 240-241 ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 252 ، ابن الاثير : الكامل ، ج8 ، ص 338 ، وانظر ايضا :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 326-330.

(5) ابن الاثير: الكامل، ج 8 ، ص 338 ، ابن العديم : زبدة، 2، ص 260-261 ، عاشور: الحركة، ج1، ص 540 ، رنسمان : نفس المرجع ، ج2 ، ص 311-312 ، وايضا :
Grousset: op. cit., II, p. 65.

يقول ابن العديم في هذا الشأن " فأوقع بهم سوار . . . وقتلوهم بأسرهم وحملوا الرؤوس والاسرى الى حلب. " ابن العديم : زبدة، 2، ص 262 .

(6) انظر: Grousset: loc. cit.

فنزل على الاثارب ففتحوا أول رجب ثم فتح زردنا ، ثم تل اغدي ثم فتح معرة النعمان ومنّ على أهلها بأملاكهم، ثم فتح كفر طاب ...."(1)

وعلى كل حال فلم يلبث أن تولى ريموند بن غليوم كونت بواتييه وزوج كونستانس ابنة آليكس الحكم في انطاكية عام 1136م.

كان ريموند في ربيع حياته يناهز السابعة والثلاثين من عمره اشتهر بالقوة البدنية والاندفاع الشديد والشجاعة الفائقة فضلا عن مهارته في استعمال الاسلحة(2)، ومن ذلك أدرك فولك ما قد يلعبه هذا الفارس من دور فعال على ساحة الاحداث العسكرية في الشام. وهكذا لم يلبث ريموند أن تلقى نجدة من الملك فولك الذي اعتصم بحصن بعرين(*) فرارا من قوات زنكى اتابك الموصل ، واستجاب ريموند لنداء الملك فانضم الى قوات الرها وبيت المقدس، غير أن شدة حصار زنكى لبعرين أجبرت فولك على قبول شروط زنكى والانسحاب من الحصن ، في حين آثر زنكى عدم ملاقاة النجدة الصليبية فانكفأ عائدا الى امارته في شهر ذي القعدة 531 هـ/ اوت عام 1137م(3).

ومن المعروف أن في هذه الاثناء كان الامبراطور البيزنطي يوحنا يحاصر مدينة انطاكية وكان ريموند لما أيقن من عجزه عن مقاومة الحصار تصالح مع يوحنا ووافق ريموند أن يخرج مع الامبراطور لمحاربة المسلمين في الشام(4).

---

(1) ابن العديم : زبدة، 2، ص 252، ابن الاثير : الكامل، ج8، ص 333، ونفسه : التاريخ الباهر، ص 39-42، 51، وايضا : ابو شامة : كتاب الروضتين في R.H.O., IV-V, p I6: وايضا : Grousset: op. cit., II, pp. 65-66.
بالنسبة للاثارب فان ابن الاثير : الكامل، ج8، ص 329 يرجح تاريخ سقوطها الى عام 1130م.

(2) ابن القلانسي : ذيل، ص 205، ابو شامة : كتاب الروضتين في R.H.O., IV-V, p.62: وايضا : Guill de Tyr: op cit, II, p 361, Grég. le Prêtre: in R.H.C., arm, I, p. 158.

(3) ابن الاثير : الكامل، ج8، ص 353، ونفسه : التاريخ الباهر، ص 50-51، ابن القلانسي : ذيل، ص 259، ابن العديم : زبدة، 2، ص 251-262، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 368-379; Grousset: op. cit., II, pp. 70-82.
===
رنسمان : نفس المرجع، ج2، ص 325-327.

وهكذا انضم ريموند الى الجيش الامبراطوري عام 532 هـ/1138م الذي أخـذ في الزحف على الممتلكات الاسلامية في الشام في أوائل افريل من نفس العام ، وبعد أن استولى هذا الجيش المتحالف في شهر رجب على البزاعة والبلاط ظهر في بداية شعبان يوم 20 افريل أمام أسوار حلب لكن مناعة استحكاماتها أرغمت يوحنا على التوجه صوب الجنوب ففتح الاثارب في يوم 9 شعبان / 22 افريل ومعرة النعمان يوم 12 شعبان / 25 افريل وكفر طاب في نصف شعبان / يوم 27 افريل . وفي يوم 15 شعبان / 28 افريل وصل هذا الجيش امام مدينة شيزر فألقى الحصار عليها .

على ان ريموند في الواقع لم يظهر الجدية والاخلاص في قتال المحاصرين لما رآه في استقرار سلطة الامبراطور في هذه المدينة من خطر جاثم على مصالحه ، الأمر الذي أغضب الامبراطور يوحنا فقرر مهادنة امير شيزر ورفع الحصار على المدينة في يوم 9 رمضان / 21 مايو سنة 1138م(1).

=== أشار ابن الاثير : التاريخ الباهر، ص 65، الى عام 543 هـ/1148م ، وفي الكامل ، جـ 3، ص 257 ، وكذا ابن القلانسي : ذيل، ص 256 الى عام 531 هـ/1137م .

(4) أنظر تفاصيل هذه الاحداث في الفصل الثالث من هذا البحث ، ص 339-341 .

(*) وقيل بارين، يقع بين حمص والساحل .

(1) أسامة بن منقذ : الاعتبار، ص 02 ، ابن الاثير : الكامل ، جـ3 ، ص 359-360 ، ونفسه : التاريخ الباهر، ص 55-56 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 265-263 ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 262-266 وايضا :

Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 383-39I; Grousset: op. cit., II, pp. I00-III; Gregoire le Prêtre: in R.H.C., arm, I, p. I53

لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة ارجع الى : رنسمان : نفس المرجع ، جـ2 ، ص 338-342 ، عاشور : الحركة، جـ1 ، ص 533-535 .

يشير ابن القلانسي وابن العديم أن سبب انسحاب الامبراطور يوحنا وحلفائه من شيزر يرجع الى ما تناهى اليهم من خبر يفيد بقدوم نجدة اسلامية عظيمة بزعامة قرا أرسلان بن داود ابن سكمان ، في حين يتفق ابن الاثير ووليم الصوري على شراء صاحب شيزر ابي العساكر سلطان انسحاب الصليبيين عن المدينة ، واما في كتابه " التاريخ الباهر" فيذكر ابن الاثير : ان عماد الدين زنكي هو الذي أوقع العداوة بين يوحنا والفرنج مما جعل يوحنا يوجس خيفة ويرفع الحصار على المدينة .انظر المصادر المشار اليها اعلاه .

وفي الـواقع لم تبق هذه المكاسب طويلا في حوزة امارة انطاكية اذ تمكن زنكـي من اعادة بسط نفوذه على كفرطاب في 10 رمضان / مايو عام 1138م ومعرة النعمان وكذلك على بزاعة (19 محرم عام 533هـ) والاثارب (3 صفر عام 533 هـ)(1).

ومهما يكن من أمر فان ما جرى من ازدياد نمو قوة زنكي وما نـتج عنها من سقوط مدينة الرها في يده عام 539 هـ/1144م(*) ثم في يد ابنه نور الدين عام 541 هـ/ 1146م(**) أثار مـخاوف الصليبيين خاصة والمسيحيين عامة مما جعل مسيحـي اوربا يقررون تجهيز حمـلة صليـبية رابعـة ، وهي الحملة التي اصطلح على تسميتهـا بالحمـلة الصليـبية الثانية ، قصد السيطرة على الموقف من جديد في الشام(2).

وقد ترأى اريموند امكانية استغلال هذه الحمـلة لصالحه حيث بادر بطلـب المسـاعدة من الملك الفرنسي لويس السابع (1137ـ1180م) أحد زعماء هذه الحملة في عام 543 هـ/ مارس 1148م لتطويق مدينة حلب ، وكان ريموند قبل هذا التاريخ قـد

---

(1) ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 263ـ270 ، ابن القلانسي : ذيل ، ص 270 ، وايضا :
Grousset: op. cit., II, p. 123.

(2) عن تفاصيل ذلك ارجع الى : رنسيمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 343-344 وايضا :
Grousset: op. cit., II, pp. 201-208, 225-227;

(*) استولى عليها في شهر جمادى الآخرة عام 539 هـ/ 23 ديسمبر 1144م ، لكـن جوسلين الثاني تمكن من استردادها في جمادى الاخرة عام 541 هـ/ اكتوبر 1146م :

ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص 66ـ70 ، ابو شامة : كتاب الروضتين في :
R.H.O., IV-V, pp. 50-5I; Grousset: op. cit., II, pp. I79-I88, I99-200;
Schlumberger: Renaud de Chatillon, pp. 44-45.

(**) تولى مكان ابيه عماد الدين زنكي ، الذي قتل في ليلة 14ـ15 سبتمبر عام 1146م

ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 281 ـ 285 ، ابو شامة : كتاب الروضتين في :
R.H.O., IV-V, p. I6; Grousset: op. cit., II, pp. I96-I97.

بسط نفوذه على ما امتد الى البزاعة من بلاد حلب ، غير أن لويس السابع رفض القيام بأي نشاط عسكري قبل زيارة بيت المقدس واكتفى ريموند بأن أغرى عددا كبيرا من الفرسان الفرنسيين فسار بهم الى أن بلغ أسوار حلب مما أدى الى استيلاء الهلع على سكانها (1).

وفي الواقع لم يخطىء ريموند لما توجس خيفة من نمو نفوذ نور الدين الذي جعل منه مصدر خطر حقيقي بالنسبة لامارة انطاكية . ومن ذلك لم يلبث نور الدين أن أخذ في مهاجمة انطاكية اذ تمكن في عام 543 هـ / ربيع 1149م من دحر جيش ريموند في يغرى (*) (2). وفي فصل الصيف عاثت قواته في الجهة المحيطة بقلعة حارم على الضفة الشرقية لنهر العاصي واستولى على الضياع الواقعة حول القلعة (3)، وعندئذ عسكر

---

(1) رنسمان : نفس المرجع ، ج 2 ، ص 446 ، وانظر أيضا :
Guill de Tyr: op. cit., II, pp. 512-513; Grousset: op. cit., II, pp. 245-249.

(2) ابن الاثير : الكامل ، ج 9 ، ص 22 ، ابن العديم : زبدة ، 2 ، ص 292 .
يذكر ابن الاثير ان المسلمين " قتلوا عددا كبيرا من فرسانهم وزعمائهم وارسل نور الدين من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين غازي والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم . " ابن الاثير : الكامل ، ج 9 ، ص 22 .
(3) عاشور : الحركة ، ج 2 ، ص 637 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., III, p I9.

يذكر ابن القلانسي وابو شامة ان نور الدين استعان بمعين الدين انر ، ويشير الى سبب هذه الاستعدادات ان صاحب انطاكية قد برز في عسكره الى " ظاهر حلب القاه وكفّ شره عن الاعمال وان الحاجة ماسة الى معاضدته بمسيره بنفسه وعسكره اليه ليتفقا بالعسكرين عليه . " ابن القلانسي : ذيل ، ص 304 ، ابو شامة : كتاب الروضتين في : R.H.O., IV-V, pp. 61-62.

(*) موقع يوجد الى الشمال الشرقي من بحيرة العمق .

صوب حصن انب(*) ليضرب الحصار عليه الا أن ريموند لم يكد يعلم بذلك حتى حشد بقواته لنجدته رفقة حليفه علي بن وفا الكردي زعيم الباطنية، الامر الذي حمل نور الدين على العدول عن عدفه ، وبالرغم من هذا فقد انفذ ريموند مددا الى حامية انب . وكان ان اهتبل نور الدين فرصة ضعف جيش ريموند فأمر رجاله في 21 صفر عام 544 هـ/ يوم 29 جوان 1149م بالاجهاز عليه . وفي سهل يقع بين انب ومستنقع الغاب دارت المعركة بين جيشي ريموند ونور الدين انتهت بانهزام الصليبيين ولقي ريموند وحليفه علي بن وفا مصرعهما(1) . وقد أثار مصرع ريموند ارتياحا وفرحا كبيرين في الاوساط الاسلامية التي اعتبرت ريموند " من عظماء الفرنج واقويائهم ."(2) ويذكر أن ريموند قطع رأسه وذراعه الايمن وحملا الى نور الدين الذي أرسلهما الى الخليفة العباسي في بغداد(3) .

ولم يقنع نور الدين بهذا النصر المبين وانما واصل اكتساحه للمنطقة عبر أراضي انطاكية زارعا الدمار في أملاك الصليبيين حتى بلغ ميناء السويدية التابع لانطاكية(4) .

---

(1) ابن العديم :زبدة، 2، ص 298-299، ابن القلانسي : ذيل، ص 305، ابن الاثير: الكامل، ج9، ص 25، ابو شامة : كتاب الروضتين في : R.H.O., IV-V, p. 62.
وايضا : Guill de Tyr: op. cit., III, pp. I9-21; Grégoire le Prêtre: in R.H.C., arm, I, p. I6I; Grousset: op. cit., II, pp. 274-278.

رنسمان : نفس المرجع، ج2، ص 524-526 ، عاشور : الحركة، ج2، ص 537-538 .
ذكر ابن القلانسي انه قطع رأس ريموند في البلنس وحمل الى نور الدين :ابن القلانسي : ذيل، ص 305 .

(2) ابن العديم : زبدة، 2، ص 299 .
انظر القصيدة الواردة في كتاب ابن الاثير : الكامل، ج9، ص 26-27 ، والتي تعبر عن فرح المسلمين بهذا الحدث المشهود .
وانظر ايضا : عاشور : الحركة، ج2، ص 538-539 وايضا : Grousset: op cit, II, p. 278.

(3) ابو شامة : كتاب الروضتين في : R.H.O., IV-V, p. 62.
ابن القلانسي : ذيل، ص305 ، وايضا : Guill de Tyr: op. cit., III, pp. 21-22; Schlumberger: Renaud de Chatillon, pp. 9-I0.

(4) انظر : Guill de Tyr: op. cit., III, p. 22; Grousset: op. cit, II, p 279.
(*) يقع على الضفة الشرقية من نهر العاصي .

ويشير ابن القلانسي ان انطاكية ذاتها لم تسلم من مضايقات نور الدين حتى حاول سكانها شراء انسحابه لكنه رفض عرضهم وأمر بمواصلة الحصار على المدينة في حين توجه الى حصن أفامية[1]، ثم ضرب الحصار على حصن حارم في جويلية عام 1149م ،الا أن أهله " صالحوه على نصف أعمال حارم." [2] وفي أواخر هذا الشهر استولى على افامية صلحا[3]، ثم ارتاح ، وبذلك فرغ نور الدين من بسط نفوذه على جميع أراضي انطاكية الواقعة شرقي نهر العاصي وإثر ذلك أمر برفع الحصار على مدينة انطاكية بعد أن صالحه أهلها و تقرر " أن يكون ما يقرب حلب من الاعمال الحلبية له وما قرب من انطاكية لهم."[4]

كان مصرع ريموند كارثة كبرى أصيب بها مرة أخرى أهل انطاكية . وقد أدرك نبلا انطاكية ضرورة التعجيل بايجاد عريس للارملة كونستانس يتولى أمر الوصاية على انطاكية ريثما يبلغ بوهمند الثالث الوريث الشرعي لهذه الامارة رشده [5]. وفي أوائل عام 1153م تزوجت كونستانس بأحد الفرسان الفرنسيين ألا وهو رينولد دي شاتيون[6](*)

---

(1) ابن القلانسي :ذيل، ص 305، ابو شامة : كتاب الروضتين في :-62 R.H.O., IV-V, pp 63;

(2) ابن الاثير : التاريخ الباهر، ص 109 .

اشار وليم الصوري انه استولى عليه بالقوة ، انظر: Guill de Tyr: op. cit., III/p 22.

(3) ابو شامة : كتاب الروضتين في R.H.O., Iv-V, p. 63.

ابن القلانسي : ذيل، ص 305 .

(4) ابو شامة : كتاب الروضتين في : R.H.O., IV-V, p. 63.

ابن القلانسي :ذيل، ص 305، عاشور : الحركة، ج2، ص 540 .

(5) رنسمان : نفس المرجع ،ج2، ص 583 .

(6) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 207 ،وايضا : Guill de Tyr: op. cit., III, pp 58-59.

(*) تولى الوصاية على امارة انطاكية ما بين عامي 1150 ـ 1153 الملك بلدوين الثالث (1143 ـ 1163م) وهو ابن الملك فولك الذي توفي في نهاية عام 1143م، رنسمان : نفس المرجع ،ج 2 ،ص 375 ـ 376 ، 583 .

والذي يعرف لدى العرب المسلمين باسم ارناط[1] .

والواقع ان هذا الفارس والوصي كان في مستوى المسؤولية التي ألقيت على عاتقه لقد كان رينالد في عنفوان شبابه ذاع صيته في ميدان الحرب والطعان غير أنه اشتهر بكونه مغامرا خطيرا مما أضفى عليه صفة التهور والطيش[2] .

أدار رينود شؤون الامارة كوصي عليها بدقة ملحوظ وقضى جانبا كبيرا من حياته في محاربة المسلمين الى ان وقع في أسر مجد الدين صاحب حلب عام 555 هـ / 1160م . وقد حل محله بوهمند الثالث بن كونستانس الذي ربيبه وهو يناهز الثامنة عشر من عمره ، باعتباره الوريث الشرعي للامارة . وهكذا لعب بيت النورمان من آل هوتفيل دورا رائدا في الصراع الاسلامي الصليبي ، ويعتبر قيام امارتهم في انطاكية دليلا ساطعا على انتصارهم على القوى الاسلامية المحلية وما جرى من محاولة احتفاظهم بأعمالها كاملة يكشف النقاب عن نزعتهم العدوانية ونواياهم التوسعية وعدم اكتراثهم بقرارات مؤتمر كليرمونت فيران . وعلى كل فان امارة انطاكية شكّلت خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين أحد الاسس الهامة التي قامت عليها السياسة الصليبية في الشرق الاسلامي .

---

(1) عادل زيتون : العلاقات ، ص 204 .

(2) أنظر : Grousset: op. cit., II, p. 329 .

الفصل الخامس

الفصل الخامس

النورمان والزيريون في المغرب الإسلامي

(455 ـ 548 هـ/1063 ـ 1154م)

- النورمان والزيريون حتى وفاة علي بن يحيى بن تميم (515 هـ/1121م)
- روجر الثاني والحسن بن علي الزيري (من عام 515 هـ/1121م حتى 529 هـ/1135م).
- النورمان وجزيرة جربة (529 ـ 530 هـ/1135م).
- النورمان في جيجل وطرابلس (537 هـ/1142 ـ 1143م).
- عودة النورمان لمدينة طرابلس (541 هـ/1146م).
- النورمان ومدينة قابس (542 هـ/1147 ـ 1148م).
- النورمان ومدينة المهدية (543 هـ/1148م).
- النورمان في مدينتي سوسة وسفاقس (543 هـ/1148م).
- عودة النورمان لجزيرة جربة (545 هـ/1150م).
- النورمان ومدينة بونه (عنابة) (548 هـ/1153م).

ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ

النورمان والزيريون حتى وفاة علي بن يحيى بن تميم (515 هـ/1121م):

ان استيلاء النورمان على جنوب ايطاليا وصقلية حدث له اهميته الخاصة في تاريخ العصور الوسطى لما كان له من انعكاسات بعيدة وخطيرة على عالم البحر الأبيض المتوسط عامة والمغرب الاسلامي خاصة. والواقع أن سيطرة النورمان على هذا الاقليم الاوربي لم تكن خاتمة فتوحاتهم ذلك أن هؤلاء الغزاة الذين اشتهروا بروح المغامرة وطموحاتهم الواسعة ظلوا بعد هذا الانتصار يخططون بكل جدية، بزعامة آل هوتفيل لتأسيس امبراطورية واسعة الارجاء يكون البحر الابيض المتوسط شريانها وصقلية قاعدتها [1].

ويعدّ المغرب الاسلامي من بين الاقاليم التي حرص حكام النورمان على ضمّها الى عرشهم لما لها من أبعاد استراتيجية واقتصادية هامة[2]. ولا شك أن ما ضاعف من حرص النورمان على تحقيق هذا المشروع هو تدخل حكام افريقية الزيريين[*] في شؤون

---

(1) لقد صارت صقلية منذ أن دانت لحكم النورمان همزة وصل بين الشرق والغرب ترسو فيها السفن التجارية الآتية من الشرق والغرب لتنطلق من جديد نحو غايتها المقصودة بعد قضاء حاجتها بها من الراحة والمبادلات. ويعتبر مضيق مسينا معبرا هاما ومفضلا من طرف مدن ايطاليا وذلك تحاشيا للمخاطر التي قد تتعرض لها في أعالي البحار.
ارجع الى : Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 368.

(2) لعبت منطقة المغرب الاسلامي دورا ملحوظا في اقتصاد البحر المتوسط. لقد وجد تجار مصر واسبانيا في موانئ المغرب الاسلامي مجالا حساسا لترويج تجارتهم واستيراد حاجياتهم ومن جهة اخرى كان المغرب الاسلامي على صلة تجارية وثيقة بمختلف مدن ايطاليا وبذلك أضحى حوض البحر المتوسط بحيرة تعج بنشاط اقتصادي فياض ومثمر.
ارجع الى : Chalondon: loc. cit.

(*) ينحدر الزيريون من قبيلة صنهاجة البربرية المغربية. سموا بهذا الاسم نسبة الى زيرى ابن مناد الصنهاجي (توفي عام 360 هـ/971م) مؤسس دولة بني زيرى بالمغرب الاوسط عن تفاصيل قيام دولة بني زيرى ارجع الى : القلقشندي : صبح الاعشى، ج 5، ص 124-125، سرهنك اسماعيل : من حقائق الاخبار عن دول البحار، ج 1، ص 405-407، حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ص 105-114، دائرة المعارف الاسلامية، ج 11، ص 21-22.

صقلية لمحاولة بسط حمايتهم عليها وكذلك تدبيرهم حملات توسعية على بعض المواقع النورمانية في جنوب ايطاليا .

وفي الحقيقة يعتبر مشروع التدخل الزيري في جزيرة صقلية أحد اهتمامات تميم (454-501هـ/1062-1108م) وذلك احياء لسياسة أبيه المعز بن باديس (407 - 454 هـ/1016-1062م) الرامية الى تثبيت سيادة الزيريين على صقلية(*) وشجعه على هذا التفكير الانتصارات التي أحرز عليها خلال السنة الاولى من حكمه (1)، وقد جاءت هذه المبادرة في وقت أخذت فيه جموع النورمان تنتشر في صقلية وتدعم مركزها بها . وتنفيذا لمشروعه سيّر تميم في حوالي سنة 455هـ/1063م جيشا الى صقلية بقيادة ابنيه أيوب و علي ، فنزل أيوب بمعظم الجيش بمدينة بالرمو Palermo وتوقف علي عند مدينة جرجنت Girgenti حيث انضوى هو وجنوده تحت سلطة أميرها ابن الحواس(2)، بينما اتجهت فرقة أخرى نحو مدينة قصريانه Castrogiovanni لمساندة

---

(1) أنظر: Idriss (Hady Roger): La berberie Orientale sous les Zirides X-XIIe Siècles, I, p. 283.

(2) اماري: المكتبة الصقلية: نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 277، والنويري: نهاية الارب ص 447-448. وايضا: ارشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة احمد محمد عيسى، ص 374. وايضا: Idriss (H. R.): op. cit., I, p 283; Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 202.

(*) كان المعز بن باديس قد تدخل في شؤون صقلية حينما استحكمت الفتنة بين سكانها واستغاث به أهل هذه الجزيرة، ويذكر النويري ذلك بقوله: " وسار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمّر اسطولا كثيرا وشحنه بالرجال والعدد . . . وقوى العرب عليه حتى أخذوا البلاد منه . . . " . اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن النويري: نهاية الارب، ص 447 .
وذكرت المراجع أن اسطول المعز كان قد تحطم معظمه اثناء عاصفة هوجاء قرب جزيرة قوصرة . انظر:
حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، القسم الثاني، ص 292-293، ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص309 وايضا: Chalondon: Hist., I, p. 202.

حاميتها(1).

وخلال هذه الحملة اشترك الزيريون الى جانب القوات المحلية في معركتين ضد الجيوش النورمانية اذ وقعت المعركة الاولى في صيرامي Cerami في شهر جمادى الثانية سنة 455هـ/ جوان 1063م ، واما الثانية فنشبت قرب جرجنت وانتهى هذان الاصطدامان بانتصار باهر للنورمان الذين أسروا خلقا كثيرا و غنموا غنائم وافرة(2)، ولهذا فان هذه الحملة لم تعط للزيريين النتائج المرجوة منها مما جعل الاخوين أيوب و عليا يقرران في سنة 461 هـ/ 1068-1069م العودة الى افريقية ، ومع ذلك فيمكن القول أن هذه الحملة رغم فشلها قد عطلت بسنوات فتوحات النورمان في جزيرة صقلية(3).

وفي صيف عام 463 هـ/ 1071م توجهت حملة زيرية الى مدينة بالرمو لانجادها وفك الحصار الذي ضربه عليها القائد النورماني جسكارد . وحينما بلغت هذه الحملة مشارف مدينة بالرمو اصطدمت بقوات النورمان التي كبّدتها خسائر جسيمة قبل دخولها الى ميناء هذه المدينة، على ان هذه الامدادات في الواقع لم تجد نفعا أمام الحصار النورماني الطويل الذي أدى الى سوء أحوال المدينة وضيق المعيشة بها اذ قرّر سكان بالرمو الاستسلام لجيش النورمان ، وتمّ ذلك في يوم 13 من شهر ربيع الثاني سنة 464 هـ/ 10 جانفي سنة 1072م(4).

وكانت هذه النكبة ضربة كبيرة بالنسبة لتميم بن المعز ، ويلوح لنا تأثره بها من خلال

(1) أنظر: Idriss (H. R.): op. cit. I, p. 283

(2) أنظر: Chalondon: Hist. de la domination, I, p. 202; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 284.

(3) أنظر: Idriss (H.R.): loc. cit.

(4) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص 375 ، وأيضا :

Chalondon: Hist., I, pp. 205-209.

ردّ فعله بعد تلقيه رأس القائد النورماني سارلون Sarlon ابن أخت روجر الاول والذي أرسله اليه فرسانه من صقلية. وقد أمر تميم بوضع رأسه على قمّة عمود وجرّه عبر شوارع مدينة المهدية، كما أعلن أن موت هذا النورماني سيؤدي الى تيسير عملية اعادة فتح صقلية(1).

وبعد فترة من الاستقرار بادر تميم الى ارسال أسطول عسكري قوي لغزو قواعد النورمان بجنوب ايطاليا وصقلية. ولما بلغ هذا الجيش اقليم قلورية يومي 1و2 من شهر ذي القعدة سنة 466 هـ/ 28-29 جوان سنة 1074م هجم على حين بغتة على مدينة نقوطرة Nicotera بقلورية واستطاع جمع غنائم معتبرة وأسر مجموعة من سكانها ثم عاد الجيش الى المهدية، وقبل عودته قام بالافراج عن أسراه مقابل فدية مالية تحصل عليها من والي المدينة.

وفي سنتي 467-468 هـ/ 1075م شرعت القوات الزيرية في الهجوم على مدينة مازر Mazara وبعد حصار لقلعتها دام ثمانية أيام استنجد أهل المدينة بالقائد النورماني روجر الذي لم يلبث أن وصل على رأس قواته الى خارج المدينة حيث دارت بينه وبين الجيش الزيري معركة طاحنة انتهت بانتصار النورمان، ووقع الكثير من عناصر الجيش الزيري في قبضة القائد روجر، وتذكر رواية فرنجية أن ابن اخي حاكم المهدية نفسه وقع في الاسر كما أن النورمان أيضا استولوا على مائة وخمسين سفينة(2).

وعلى كلٍ فاذا كانت هذه الرواية قد أفادتنا بنتيجة هذا الاصطدام الاّ أنها تحمل

---

(1) أنظر: Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 285.

(2) أنظر: Malaterra: op. cit., apud Muratori, t. V, 1ère par., chap. VIII-IX, p. 61; Idriss (H.R.): op. cit., I, pp. 285-286; Chalondon: Hist., I, p. 331

لم تشر المصادر الاسلامية قطعا الى هذه الأحداث كلية.

في طياتها نوعا من المبالغة لفت المؤرخ اماري الانظار اليها (1).

تركت هذه الهزيمة الشنيعة أثرا سيئا وبالغا في نفس تميم وعلى سياسته تجاه النورمان في حوض البحر الابيض المتوسط ، ولعل هذه الهزيمة دورا كبيرا في عدوله عن مشروعه الرامي الى استرجاع صقلية من حوزة النورمان ، وكذلك في جنوحه الى التفاهم مع الكونت روجر الاول و عقد هدنة معه في هذه الفترة (2).

وقد يدل على هذا الوفاق السائد بين الجانبين — الزيري والنورماني — ذلك الموقف السلبي الذي وقفه الاسطول الزيري امام حصار النورمان لمدينة طبرمين Taor Mine بصقلية والذي جرى في سنتي 470ـ471 هـ/ 1078ـ1079م وكذلك رفض القائد روجر الاول سنة 480 هـ/ 1087م المشاركة في غزو مدينة المهدية — عاصمة ملك تميم — الى جانب البيزيين " البيزانيين " والجنويين (*) معتذرا متحججا بالاتفاق السلمي الذي

(1) أنظر: Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 286.

(2) ارشيبالد : القوى البحرية، ص 375 ، وايضا : Chalondon: Hist., I, pp. 331-332; Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 286.

(*) لمعرفة التفاصيل عن حملة الجنويين والبيزيين (البيشانيين أو أهل بيس أوالبلسيان كما تنطق بها المصادر العربية ضد مدينة المهدية ارجع الى : اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 272ـ273 ، والتيجاني : رحلته ، ص 390ـ391 ، وابن ابي دينار : المؤنس ، ص 530ـ531 ، وابن عذاري : البيان ، ص 370 ، وايضا : الباجي المسعودي : الخلاصة النقية في امراء افريقية ، ص 49 . وايضا : Lacour-Gayet: Hist. du commerce, t. II, p. 225; Cornevin: Hist. de l'Afrique, I, p. 325; Mas Latrie: Traités de paix et de commerce, p. 29.

يرده بتمسيم(1).

على أن هذه المودة في الواقع سرعان ما تعكّر صفوها في أيام علي(*) بن يحيى بن تميم (509ـ515هـ/1116ـ1121م) اذ شهدت العلاقات الزيرية النورمانية تفاقما خطيرا كاد أن يفضي الى اصطدام عنيف بين النورمان والزيريين وكان السبب في احداث هذه الازمة أمير قابس العربي، المسمى رافع(**) الذي دخل في نزاع حاد مع علي، فسارع رافع الى الاستنجاد بروجر الثاني (***) صاحب صقلية بحجة أنه أعدّ سفينة وحمّلها بالهدايا له ولكن الامير علي بن يحيى كان ينوي تعطيل هذه السفينة ومنعها من الوصول الى صقلية(2).

وفي الواقع أورد النويري في رواية له سبب وتفاصيل هذا النزاع اذ يقول أن "في سنة احدى عشرة وخمس مائة حاصر الامير علي مدينة قابس في البحر وسبب ذلك أن رافعا ابن مكن الدهماني أنشأ مركبا بساحلها وقصد اجراءه في البحر في آخر أيام يحيى فلم ينكر ذلك عليه وأعانه بالخشب والحديد، وتوفي يحيى قبل اكماله فلما ولي

---

(1) أنظر:
Malaterra: op. cit., V, 1ère par., XV, XVV, pp. 66-67.
Chalondon: op. cit., I, p. 332; Mas Latrie: Traités de paix et de commerce pp. 29, 33; Mercier: Histoire de l'Afrique septentrienale depuis les temps reculés jusqu'à la conquête française, t. II, p. 42.

في الواقع اذا كان روجر(1) قد امتنع من المشاركة في هذه الحملة ضد المهدية فالسبب يعود الى انشغاله باستكمال فتح صقلية وبالاضافة الى هذا فقد عوّل ضمنيا على نشاط البيزيين والجنويين وحماس البابوية لتحطيم سطوة الزيريين، وبالفعل فقد مهد هذا النشاط المجال للنورمان فيما بعد لارساء قواعد نفوذهم في افريقية، انظر:
Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 287.

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن: التيجاني: رحلته، ص 332ـ333.

(*) استمر صفاء هذه العلاقة حتى في ايام يحيى بن تميم (501ـ509هـ/1108ـ1116م) ارجع الى:
Chalondon: Histoire, I, p. 370.

(**) يذكره النويري وابن الاثير باسم رافع بن مكن الدهماني، والتيجاني باسم ابن مكن بن كامل، في حين يكتفي ابن خلدون برافع بن مكن.

(***) تولى مكان ابيه الكونت روجر الاول عام 1101م لكن لم يباشر الحكم للصورة الا في عام 1112م. عادل زيتون: العلاقات، ص 213.

علي أنفذ من ذلك ومدّمرت حربيات وأربع شواني ، فاستعان رافع برجار صاحب صقلية . "(1)

وقد اعتبر روجر الثاني مبادرة رافع فرصة ثمينة للعمل على كسر الاحتكار الاقتصادي الذي فرضه الزيريون في هذا الحوض الغربي من المتوسط ومن ثم جهّز " رجار لاعانته اسطولا حملته أربع وعشرون شينيا . "وسيّره نحو مدينة قابس قاعدة الامير رافع لفك الحصار الزيري عليه واحضار السفينة المثقّلة للهدايا المخصصة له (2)، وحينما اقترب الاسطول النورماني من مدينة المهدية بادر علي بعقد مجلس طارئ للنظر في التدابير التي يجب اتخاذها حيال موقف النورمان ، وقد نصحه أعضاء هذا المجلس بالاجماع بسحب قواته المحاصرة لميناء قابس والتغاضي عن تصرف رافع وهذا " حفاظا لما بينه وبين لجار من المصالحة . " الا أن عليا ، الذي ترجم تصرف روجر الثاني انه اهانة للسيادة الزيرية ، رفض الامتثال الى نصائحهم (3)، وعمد الى ارسال بقية اسطوله الى مدينة قابس لتعزيز القوات الزيرية المتمركزة حول مينائها (4) . وتجدر الاشارة الى أن عليا نفى فكرة تواطؤ رافع مع روجر الثاني ، ولم يتأكد من هذه الصلة الا لما شاهد عبور أسطول النورمان بمحاذاة مدينة المهدية صوب مدينة قابس (5) .

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 454 .

عن هذه الازمة المستحكمة بين رافع وعلي ارجع الى : اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن : ابن الاثير : الكامل ، ص 280-281 ، وابن خلدون : العبر ، ص 486 ، 488 ، التيجاني : رحلته ، ص 382-383 ، 392 ، ابن ابي دينار : المؤنس : ص 555 . وايضا :
Chalondon: Hist., I, pp 370-371; Idriss (H.R.): op cit., I, p 320; Mercier: op. cit., II, p. 59.

(2) اماري : المكتبة الصقلية : نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 454 ، ابن الاثير : الكامل ، ص 281 ، التيجاني : رحلته ، ص 383 . وايضا : Idriss (H.R.): op. cit., 320.

(3) اماري : المكتبة الصقلية : نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 383 .

(4) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 454 ، ابن الاثير : الكامل ، ص 281 ، التيجاني : رحلته ، 383 .

(5) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 281 .

وتذكر روايتا ابن الأثير والنويري أن الاسطولين قد وصلا في آن واحد الى ميناء قابس الا أنه لم يحدث أي اصطدام بينهما بسبب انسحاب الاسطول النورماني ، وبذلك استمر جيش علي في محاصرته لقابس[1]. واما التيجاني فقد أورد عكس هاتين الروايتين اذ يقول أن الاسطول الزيري حينما بلغ قابس بغت القوات النورمانية التي كانت قد نزلت من سفنها الى الميناء وانشغلت في مأدبة أكل نظمها لها رافع فانقض عليها وأعمل فيها قتلا ولم ينج من ضرباتهم الا من تهيأ له الفرار الى مركبه[2]. ويضيف التيجاني أن هذه الحادثة هي التي تسببت بصورة مباشرة وأساسية في القطيعة بين روجر الثاني وعلي أولا وبين روجر الثاني والحسن ابنه ثانيا (515ـ543 هـ/1121ـ1148م)، وكذلك تسببت في غزو النورمان لمدينة المهدية والاستيلاء عليها ثم في سقوط عرش أسرة بني مناد . وقد أورد التيجاني مقطعا لمحمد بن عبد الله الكاتب مدح فيه عليّا بمناسبة انتصاره على جيش روجر الثاني[3]، وكذلك ابن حمديس الصقلي فانه مدح عليا مدحا عظيما اثر عودة الاسطول الزيري الى المهدية سنة 512 هـ/1118م[4]. الا أن ما يمكن ملاحظته عن هذين المادحين انهما لم يشيرا قط في مديحهما الى احتدام أي صدام حدث بين القوات الزيرية والنورمان[5]. ورغم هذا فلا يجب الانتقاص من أهمية وصحة رواية

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن : النويري : نهاية الارب ، ص 454، ابن الاثير : الكامل، ص 281 ، التيجاني : رحلته ، ص 383 .

(2) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 383 .

(3) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 383 .

(4) ابن حمديس : ديوانه ، ص 236ـ240 .

هذه الاحداث كلها وقعت عام 511 هـ/1117م ولم تشر المصادر الى غزو تم ضد قابس عام 512 هـ/1118م، ارجع الى : Idriss (H.R.): op cit., I, p. 321; Chalondon: Histoire, I, p. 371.

(5) أنظر : Idriss (H. R.): loc. cit.

التيجاني ولا سيما أن ابن خلدون أيده في كون علي دخل في معركة بحرية مع قوات روجر الثاني (1).

ولم ترض هذه النتيجة ، التي أصبحت شغلة رافع والنورمان على السواء، فاطمسر علي ولهذا وطّد العزم على تأديب رافع فأمر باعداد جيش عظيم لهذه المهمة. واما رافع فكان على علم تام بمشروع علي فجهّز هو الآخر جيشا كبيرا سيّره الى المهدية وذلك قبل أن يغادرها علي وقد دارت بين الجيشين معارك طاحنة استغاث خلالها رافع بقوات روجر الثاني وانتهت بانتصار باهر لجيش علي وعقد اتفاق عدنة بين علي ورافع (2).

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف الذي دبّ بين علي ورافع فانه أحدث توترا شديدا بين علي وروجر الثاني الذين ساد بينهما وفاق حتى وقت نشوب هذه الازمة (3). وقد بلغ السخط والغضب بروجر الثاني سنة 512 هـ/24 افريل 1118-13 افريل 1119م أن أوفد رسولا الى المهدية يطلب من علي أن يرجع له أمواله التي استولى عليها بمدينة المهدية وأن يفرج عن وكلائه الذين سجنهم انتقاما من موقفه تجاه رافع وكان روجر الثاني يريد من وراء هذه البعثة التأكد من صلاحيات الالتزامات والتعهدات التي تبودلت بينهما سابقا ومن ذلك التمس روجر الثاني منه " تجديد العقود

---

(1) "وأعان عليه رافع صاحب صقلية فغلب أسطول علي بن يحيى على أسطول النصارى". اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 488-489.

واما جيش علي فقد واصل حصاره على قابس "واثر ما حلوا وأفسد ثم رجع الى المهدية". اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن النويري: نهاية الارب، ص454-455، وعن ابن الاثير: الكامل، ص 281.

(2) لمزيد من التفاصيل عن هذه المشادة ارجع الى: اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن النويري: نهاية الارب، ص 455، وعن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 535. وايضا:
Chalondon: Hist., I, pp. 371-372; Idriss (H.R.): op cit., I, pp 322-323.
وقد بدت لنا مشاركة النورمان الى جانب رافع من خلال أبيات الشاعر محمد بن بشير حيث عاب فيها رافعا على الاستغاثة بعناصر رومية -- ويقصد بها النورمان-- ضد علي: التيجاني: رحلته، ص99-100. وايضا: Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 323.

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 436، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 535، ابن الاثير: الكامل، ص 281. وايضا: Idriss (H. R.): op. cit., I, p 323

وتأكيد الصمود ."(1)

وقد استجاب علي لرغبة روجر الثاني فأعاد له ثرواته وسرّح وكلاءه ، لكنه دون أن ينظر في أمر المعاهدات وتجديدها(2)، ثم بادر روجر الثاني مرة أخرى بارسال سفارة ثانية الى المهدية ليسلّم لعلي رسالة عنيفة اللهجة يهدده فيها لاستكباره على عروضه وحينما اطّلع علي على مضمون الرسالة استشاط غضبا وأمر بطرد مبعوث روجر الثاني(3). كما عمد الى تعزيز استحكامات المدينة ثم جعل قواته العسكرية في حالة استعداد كامل لردّ أي هجوم يدبّره عداء جيش روجر الثاني .

ويروي النويري أن عليا عشية وفاته استأجر" عشرة مراكب حربية وثلاثين غرابا " مجهزة أحسن تجهيز ، وبالاضافة الى هذه الاستعدادات ، فقد عرض على المرابطين — حكام المغرب الاقصى والمغرب الاوسط — مشروع الهجوم المشترك على صقلية . وقد أثارت هذه الاستعدادات فرحا وحماسا كبيرين في نفوس رعايا الزيريين ، وأقبل الشعراء على تمجيد ومدح هذه الاستعدادات لغزو صقلية(4). الا أن عليا لم يكتب

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 393 ، ابن عذارى: البيان المغرب ، ص 370 ، النويري:نهاية الارب ، ص 455 ، ابن الاثير :الكامل ، ص 381 .وايضا : الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ، ص 50 . وايضا : Chalondon: Hist., I, p 372; Mas Latrie: op. cit., p. 33.
— أشار ماس لاتري الى عام 1121م .

(2) اماري :المكتبة الصقلية ، نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 393 ، النويري:نهاية الارب ، ص 455 ، ابن عذارى :البيان ، ص 371 .
ابن عذارى يذكر أن عليا " ردّ على رسوله — أي روجر الثاني — دون جواب وجبهه بالقول . "وذكر الباجي المسعودي في كتابه الخلاصة النقية ، ص 50 : "انه جبهه بقول غليظ ورده بلا كتاب ."

(3) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 393 .
التيجاني هو المصدر العربي الوحيد الذي يشير الى استقبال علي سفارتين من لدن روجر الثاني .

(4) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 393 ، ابن الاثير :الكامل ، ص 281—282 ، النويري :نهاية الارب ، ص 455—456 ، ابن خلدون :العبر : ص 436—437 ، ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 535 ، وانظر ايضا : Mercier: op. cit., II, p 59; Chalondon: Hist., I, p 372; Idriss: op. cit., I, p 324; Cornevin:
===

له تحقيق هذه الامنية اذ أصيب بمرض شديد فتوفي في مساء يوم الأحد الموافق 22 ربيع الاخر سنة 515 هـ/ 10 جويلية 1121م[1]. وعلى كل فاذا كانت هذه الا... الاستعدادات لم تسفر على اية نتيجة خارج افريقية فانها أدت الى ارهاب النورمان واحباط أطماعهم ردحا من الوقت تجاه الممتلكات الزيرية بافريقية[2].

---

op. cit., I, p. 326. ===

أشار ابن ابي دينار الى العلاقة التي بين المرابطين وعلي ، في حين ذكر الهادى ادريس روجر أن ابن الاثير هو المصدر الوحيد الذى أورد هذه الفكرة.
انظر قصيدة محمد بن بشير مدح فيها قوة علي في امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 393 .
(1) امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 393، ابن خلدون :العبر، ص 436، النويرى: نهاية الارب ، ص 455، وايضا : الباجي المسعودى :الخلاصة النقية، ص 51، حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص 118 .
(2) أنظر: Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 324.

الكونت روجر الثاني والحسن(*) بن علي الزيري (من عام 515هـ/1121م حتى 529هـ/1135م):

لقد شهدت العلاقات الزيرية النورمانية في ايام الحسن بن علي عام 515هـ/1122م تطورا خطيرا حيث كسّر النورمان جدار الصمت والركود وأخذوا يتطلعون من جديد الى غزو افريقية بروح تدفعها البغضاء والشراسة . وكان المرابطون هم السبب في اثارة هـــذه الشحناء لدى النورمان ، اذ " غزا أبو عبد الله ميمون قائد علي بن يوسف ملك البربرين جزيرة صقلية فافتتح بها مدينة نقطرة Nicotera (**) من عمل رجار صاحب صقلية وسبى نساءها وأطفالها وقتل شيوخها وسلب جميع ما وجده فيها . " وقد تأثر روجـــر الثاني أيما تأثر بهذا الغزو " فلم يشك . . . ان المحرّك لذلك والمسبب له هو أمير افريقية الحسن بن علي لما تقدم بينه وبين ابيه من الوحشة . "(1) والرد على هـــذه الانتهاكة قرر هو الآخر القيام بحملة مماثلة لتأديب الزيريين في عقر دارهم حتى وان كان مشغولا بمشاكله الداخلية(2) .وهكذا فتح باب الصراع على مصراعيه من جديد

(1) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن عذارى : البيان ، ص 371 ، ابن الاثير : الكامل ، ص 282 ، ابن خلدون : العبر، ص 437 ، التيجاني : رحلته ، ص 393ـ394 .وايضـــا : الباجي المسعودي : الخلاصة النقية، ص 51 ، حسن حسني : خلاصة تاريخ تونس ، ص 118 ، وارجع ايضا الى : Chalondon: Histoire, I, p. 373; Mas Latrie: op. cit., p. 42; Cornevin: op. cit., I, p. 326. Amari (Michel): Storia dei musulmani di Sicilia, vol. III, parte seconda, pp. 384-387.

(2) أنظر : Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 334 ; Chalondon: Histoire, I, p. 373.

(*) يقول عنه النويري انه : " كانت ولايته بعهد من ابيه فاستقل بعد وفاة ابيه وله من العمر اذ ذاك اثنتا عشرة سنة وشهور فدبّر دولته صندل الخصي وحفظ الملك . " : اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 453 ، وانظر ايضا : القلقشندي : صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 125 .

(**) ذكر ابن الاثير نقوطرة وهو الاصح واما التيجاني فيشير الى أن القائد المرابطي "افتتح منها حصونا . "

بين النورمان والزيريين .

وتنفيذا لمشروعه قطع روجر الثاني كل أنواع الاتصالات بافريقية والمغرب(1)، ثم جهز أسطولا عسكريا قوامه " ثلاثمائة قطعة فيها ألف فارس وفرس واحد "(2). واما الحسن الزيري فقد عمد عند اطلاعه على نوايا روجر الثاني الى تهيئة ما استطاع اعداده من العدة في مدينة المهدية من جمع المؤن وتعزيز أسوارها وتعبئة الجنود(3)، وعلى حد قول صاحب المؤنس فقد " اجتمعت له مائة ألف راجل و عشرة آلاف من الخيل "(4)، واضافة الى هذا الاستعداد العسكري التجأ الحسن الى الأسلوب الدبلوماسي(*) حيث أرسل

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص 282 ، التيجاني :رحلته ، ص 394 ـ 393 . (2) اماري :المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص 282 .

* قدر ابن عذاري قوة أسطول النورمان بنحو ثلاثمائة من الاجفان وفيها نحو ألف فارس . وذكر ابن خلدون "ثلاثمائة مركب . . فيهم ألف فارس . "وأشار التيجاني الى "نحو ثلاثماية مركب حمل على ظهورها ثلاثين ألف مركب ، وزهاء ألف فارس. "واما ابن ابي دينار فيفيد ان عدد المراكب الواردة من صقلية ثلاثماية مركب منها ما هو مشحون بالسلاح وآلة الحرب ومن الخيل الف فارس وفرسين :ارجع الى :اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون :العبر، ص 437 ، ابن عذاري :البيان ، ص 272 ، التيجاني :رحلته ، ص 393ـ396 ، ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 536 .

(3) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار :المؤنس ، ص 536 ، ابن الاثير :الكامل ، ص 323 ، ابن عذاري : البيان ، ص 271 ، التيجاني :رحلته ، ص 394 ، وانظر ايضا : الباجي المسعودي :الخلاصة النقية ، ص 51 ، وأيضا : Guillaume de Tyr: op cit., II, p 298.

(4) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار :المؤنس ، ص 536 .

(*) يفيد ابن ميسر المؤرخ الفاطمي صاحب كتاب "اخبار مصر" ان في شهر جماد والاولى عام 517هـ/ 27 جوان ـ 26 جويلية 1123م وصل الى القاهرة مبعوث الحسن بن علي الزيري ليعلن للخليفة الفاطمي عن تبعية العرش الزيري له وليطلب منه كذلك السعي لايقاف استفزازات روجر الثاني على بلاده التي تضررت منها كثيرا ويضيف المؤرخ أن الخليفة استجاب لدعوة الحسن وتدخل لدى روجر الثاني ، فتمت الهدنة بين الحسن وروجر الثاني ، ...

ومهما يكن من أمر هذه الوساطة الفاطمية فانها تدل على الوفاق الذي يربط بين روجر الثاني والخليفة الفاطمي الحافظ . وفي الواقع فان ابن ميسر أفرط في الاشادة بوساطة الخليفة الفاطمي التي لم تسفر في الحقيقة على اية نتيجة ايجابية ، لان ابن ميسر لم يشر تماما الى الهزيمة التي الحقها الزيريون بجيش روجر الثاني في حصن الديماس ـ سيأتي ذكرها ـ

الى الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (524-544 هـ/1130-1149م) يلتمس منه وساطته لحسم النزاع الدائر بينه وبين روجار الثاني (1).

في شهر جمادى الاولى / 27 جوان-26 جويلية سنة 1123م أقلع أسطول النورمان من صقلية بقيادة جرجي الانطاكي (*) وعبد الرحمن بن عبد العزيز النصراني (**) متوجها الى المهدية (2) لكنه لم يلبث أن اعترضته عاصفة هوجاء " وفرقت منهم مراكب كثيرة " واهتدى ما نجا من الاساطيل الى جزيرة قوصرة (***) فاستولت قوات النورمان عليها وقتلت من بها

=== مما يدل على أن مساعي الخليفة حدثت إبان وقوع هذه الهزيمة وزيادة على ذلك ليس ثمة نص يثبت انعقاد صلح بين الزيريين والنورمان بفضل تدخل الخليفة الفاطمي ، ارجع الى : ابن ميسر : أخبار مصر ، في : R.H.O, III, p468 وأيضا
Idriss (H. R.): op. cit., I, pp 337-338

(1) ابن ميسر : أخبار مصر ، في R.H.O. ج III ، ص 468 . وأيضا :
Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 334.
(2) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن خلدون : العبر ، ص 437 ، ابن الاثير : الكامل ، ص 282 ، لقد أشار وليم الصوري الى ارسال روجر الثاني هذا الاسطول الا أن اطاره الزمني جعله في سنة 1127م وكان عدد مراكب الاسطول اربعين ، انظر : Guill de Tyr: op cit., II, p 297.
(*) ذكر التيجاني ان "اسمه - هو - جرجي بن فلان الانطاكي كان قد هاجر من المشرق الى تميم وكان قد عرف لسان العرب وبرع في الحساب وتهذب بالشام بأنطاكية وغيرها فحكمه تميم في دخله وخرجه وحصل مصارف الاموال بنظره فصارت أموال المسلمين كلها في يده وبيد أقاربه وكان الاتساع فيه من الاموال ، فلما مات تميم خاف هذا النصراني من يحيى فجار صاحب صقلية وأعلمه أنه يحب الانتقال اليه فوجه لجار اليه قطعة أظهرت أنها وصلت في رسالة فخرج هذا النصراني وأقاربه في يوم جمعة . . . وتزيوا بزي البحريين فطلعوا اليها وتم لهم أمرهم فلم يفطن الناس لهم الا وقد أقلعوا ، ولما وصلوا الى صقلية حكمهم عبد الله النصراني صاحب أشغالها في الجبايات فنصحوا وأظهروا . " اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 372 ، وابن خلدون : العبر : ص 437 . وانظر أيضا : الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ، ص 51 ، سرهنك : من حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج 1 ، ص 402 .
(**) تسميه المراجع الاجنبية باسم كريستو دولوس Christodoulos .
(***) تسمى كذلك "بنطلاريه" Bantellaria " يقول في شأنها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ، ج 4 ، ص 200-201 : "القوصرة وعاء التمر ، وهي جزيرة في بحر الروم بين المهدية وجزيرة صقلية . " وذكر ابو الفداء في كتابه تقويم البلدان ، ص 188 ، انها " جزيرة قبالة افريقية بالقرب من تونس وبينها وبين صقلية مجرى . " والواقع ان قوصرة Sossyra او Csoyra اسم يوناني ، ومعناه السلة ، وقد اطلق عليها هذا الاسم للمشابهة الموجودة بين صورة ===

وسبت وغنمت وسارت عنها (1)(*). وقد كان الحسن الزيري على علم بكل ما جرى للاسطول النورماني منذ لحظة ابحاره من صقلية وذلك بفضل الاخبار التي زوده بها جنود سفينة نورمانية أغلقتها العاصفة وجرتها الأمواج الى أن انتهت الى ساحل افريقية(2)، وأقبل الحسن بعد ذلك الى الاهتمام في تعزيز امكانيات الدفاع عن المدينة. ويذكر لنا ابن حمديس محرزا حسطامة الاستعداد الزيري اسم القائد الاعلى الزيري، وهو ابو اسحاق ابراهيم وكذلك محرز بن زياد قائد قوات القبائل العربية الهلالية من رياح التي كانت تساند العاصمة الزيرية بالمدينة(3).

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة 517 هـ/ 21جويلية سنة 1123م لاحت طلائع أسطول روجر الثاني عند مشارف مدينة المهدية فأرسى قرب جزيرة الاحاسي، الواقعة شمال المهدية والتي تبعد عنها بعشرة أميال، وفي آخر النهار

=== الجزيرة وتلك الاداة، وما يلفت الانتباه أن كلمة قومرة في اللغة العربية لها هذا المعنى بعينه. أنظر: سرهنك: من حقائق الاخبار، ج 1، ص 406، حسن حسني عبد الوهاب: ورقات، ج 1، ص 282.

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 282ـ283، ابن خلدون: العبر، ص 437، ابن ابي دينار: المونس، ص 336، التيجاني: رحلته، ص 396.

(2) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 396، وأيضا: Idriss (H. R.): op cit., I, p. 335.

(3) ابن حمديس: ديوانه، ص 254، 256، وأيضا: Idriss (H. R.): loc. cit.

وصف التيجاني شكل الحماس الذي ساد صفوف المسلمين بالمهدية ومدى استعداد هؤلاء للذود عن سيادة حكومهم، اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 396.

(*) ولا شك أن احتلال الكونت روجر الثاني لهذه الجزيرة سيعود عليه بالفائدة الكبيرة من الناحية الاقتصادية، اذ يشير ابو الفداء في كتابه تقويم البلدان، ص 183، الى أن الجزيرة تحتوي على خيرات جمة مثل شجر المصطكى والتين والقطن الكثير.

أخذت قوات النورمان تنزل على أرض الجزيرة ونصبت خيامها بها (1). ويذكر التيجاني أن جيش النورمان جلب معه خمسمائة فرس (2). وعندما أرخى الليل سدوله قامت فرقة من جنود النورمان بجولة استكشافية داخل أراضي المدينة وتوغلوا فيها عدة أميال، ثم قفلت عائدة الى الجزيرة دون أن تتصدى أية عسكرية أو يعترضها أي عائق.

وفي اليوم الثاني من وصولهم الى هذه الجزيرة والموافق ليوم الاحد 25 من شهر جمادى الاولى سنة 517 هـ/ 22 جويلية 1123 قام أبحر القائدان جورج الانطاكي وعبد الرحمن الانصاري على رأس ثلاث وعشرين سفينة للاطلاع على المنطقة واستعدادات العدو، وقام الاسطول بعملية التفاف حول مدينة المهدية ثم استمر في سيره الى أن بلغ ساحل مدينة زويلة(*) لكن قائدي هذا الأسطول – جورج الانطاكي وعبد الرحمن الانصاري – سرعان ما أمرا بالعودة الى قاعدتهم وذلك بسبب شدة اندهاشهما من كثرة الجنود الذين شاهدوهم على أسوار هذه المدينة وشواطئها والذين تأهبوا لمقاومة هجومهم عليها الا أن القائدين لم يكادا يصلان بقواتهما الى جزيرة الاحاسي حتى " وجدوا طائفة من العرب والاجناد قد دخلوا اليها وكشفوا من كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا بعض أسلحتهم." (3).

وفي اليوم الثالث الموافق ليوم الاثنين السابع والعشرين من شهر جمادى الاولى /

---

(1) امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن عذارى: البيان، ص 371، ابن خلدون: العبر، ص 437، التيجاني: رحلته، ص 324، 325، وأيضا: الباجي المسعودى: الخلاصة النقية، ص 51.

(2) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 397. وأيضا:
Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 336.

(3) امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 324، ابن عذارى: البيان، ص 271. وأيضا: Chalondon: Histoire, I, p. 376.

(*) هي مدينة بافريقية الى جانب المهدية بينهما رمية سهم فقط. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 2، ص 961. ويقول المؤلف المجهول صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، ص 7، ان للمهدية " ربض كبير يسمى زويلة وفيه الاسواق".

٤٣ ميلادية دمّر جيش النورمان حصونا قوية خد حصن الديماس استطاع في نهاية القتال برج الحصن المنيع وذلك بفضل تآمر حرّاسه مع قيادة الجيش الغازي وبهذه النتيجة يكون جزء من خطة روجر الثاني قد تحقق.(1).

وفي اليوم الرابع الموافق ليوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر جمادى الاولى / ٥٢٨ ميلادية أغارت القوات الزيرية على الحامية النورمانية المرابطة في جزيرة الاحاسي ، ولم يجد النورمان أية مقاومة احد ما نظرا لكثافة الجنود الزيريين و عدم توقعهم لهذا الغزو بل استبد بهم الذعر والفزع فانسلوا هاربين الى مراكبهم بعد أن " قتلوا بأيديهم كثيرا من خيولهم وأخذ المسلمون فيها ما يحتاجون اليه نحو اربعمائة فرس وآلات كثيرة وأسلحة ."(2) ويشير ابن الاثير انه " لم يسلم منهم غير فرس واحد ." مضيفا أن المسلمين " قتلوا كلّ من عجز عن الطلوع الى المراكب ."(3)

وبعد هذا الانتصار الحاسم أنفذ الحسن كتيبة من رجاله لتطويق فرقة النورمان التي احتلت حصن الديماس واعتصمت به . وتخبرنا رواية التيجاني بهذه المحاولة العسكرية(*) حيث تذكر أن جنود الزيريين " أحاطوا بقصر الديماس يقاتلونه والاسطول في

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص ٣٩٤ــ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ابن عذاري: البيان ، ص ٣٧١ ، ابن الاثير :الكامل، ص ٢٨٣ ، ابن خلدون :العبر، ص ٤٨٧ .وأيضا :
Chalondon: Histoire, I, p. 376; Idriss (H.R.); op. cit., I, p. 336.

ذكر ابن ابي دينار انه "نزلت طائفة من النصارى من الاحاسي وتحصنوا بقصر الديماس." اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥٣٥ .

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن عذاري :البيان ، ص ٣٧١ــ٣٧٢ ، ابن الاثير: الكامل ، ص ٢٨٣ ، التيجاني :رحلته ، ص ٣٩٥ــ٣٩٧ .وايضا : الباجي المسعودي :الخلاصة النقية، ص ٥١ ، حسن حسني :خلاصة تاريخ تونس ، ص ١١٥ .

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص ٢٨٣ .

(*) انظر تفاصيل هذه الاخبار عن هذه الحملة في اماري :المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص ٢٨٣ــ٢٨٤ ، ابن عذاري :البيان ، ص ٣٧٢ .واما ابن خلدون فقد أشار الى هذا الصراع الزيري ــ النورماني بقوله "وملكوا قصر الديماس وجزيرة الاحاسي ." اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون :العبر، ص ٤٨٧ .

في البحر بينما بين ذلك لا يستطيع اغاثة من في قصر الديماس لكثرة من اجتمع في البحر من عساكر المسلمين فلما علموا أنهم غير قادرين على انقاذ من في القصر أقلعوا عائدين الى صقلية(1) بعد أن " أقاموا ـ بمراكبهم ـ ثمانية أيام ."(2) وقد " أقام المسلمون يقاتلون من حصل بقصر الديماس منهم الى أن اشتد عليهم الحصار وفني مأكولهم وطعامهم ."(3) وكان أن " طلب الروم ـ النورمان ـ الأمان من السلطان الحسن . . . فلم تساعد العرب على ذلك(4) وحينما يئس النورمان من امكانية التصالح مع العدو "خرجوا منه ـ حصن الديماس ـ ليلة الأربعاء الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة(*) فتخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم(5)، وهكذا باءت بالفشل محاولة روجر الثاني لتطويق مدينة المهدية بعد أن تكبد أسطوله خسائر فادحة حيث " لم يرجع منها الى صقلية الا قدر مائة مركب ولم ينج من الخيل الا فرسين "(6).

وقد أثار هذا الانتصار ابتهاجا وارتياحا كبيرين في كامل أرجاء مملكة الحسن ، فمدحه الشعراء بكل اخلاص وبراعة(7)، بينما استقبل بلاط النورمان ببالرمو نبأ هذه

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 395-397 .
(2) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص 283 .
(3) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 237 .
دام الحصار ستة عشر يوما .اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص 284 .
(4) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن عذارى :البيان ، ص 272 .وايضا ابن حمديس : ديوانه ، ص 255 .
(5) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 395، 397 .
(6) اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص536
وانظر أيضا : Mercier: op. cit., II, p. 60 .
(7) اماري :المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص 284 ، التيجاني :رحلته ، ص 395 ،
وانظر ايضا : Idriss (H.R.): op cit., I, p. 337; Chalondon: Hist., I, p. 377.

(*) الموافق لليلة السابعة الى اليوم الثامن من شهر اوت عام 1123م وذكر ابن عذارى " في منتصف جمادى" ، اماري : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن عذارى :البيان ، ص 272 .

الهزيمة بألم شديد (1) مما أدى الى مضاعفة روح الانتقام في نفوس النورمان والى ازدياد هوة الخلاف اتساعا بين الزيريين وروجر الثاني (2).

ولما شعر روجر الثاني بضعف قوته ولا سيما بعد أن أخذت حملات المرابطين (*) تتصاعد على مدن ايطاليا الجنوبية وصقلية دأب على تعزيز مركزه وذلك بالبحث عن اكتساب الحلفاء في المنطقة ليساعدوه ليس على محاربة وصدّ خطر المرابطين فقط بل لتحقيق سياسته الافريقية ، وعلى هذا الاساس أبرم روجر الثاني معاهدة تحالف مع كونت برشلونة Barcelone ريموند الثالث Raimond III وذلك في جانفي سنة 1128م / نهاية 521 هـ وبداية 522 هـ ، كما عقد اتفاقا مثله مع أمير مدينة سافونا Savone ـ الواقعة بشمال ايطاليا ـ في اليوم الحادي عشر من شهر مايو سنة 1128 م / 9 جمادى الاولى 522 هـ (3). ولا شك ان هذه السياسة الائتلافية التي سار على منوالها روجر الثاني قد أدت الى تدعيم سلطانه وذيوع صيته ولكنه لم يلبث أن انهمك في مشاكله

---

(1) وقد أوضح التيجاني ذلك بقوله " ولما أقلع الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا أغاظ لجار"، امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 398 ، وارجع أيضا الى :
Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 338; Mercier: op. cit., II, p. 64.

(2) أنظر : Idriss (H.R.): loc. cit.

(3) أنظر : Idriss (H.R.) loc. cit.; Storia: III,2 pp. 396-398.
تعهد روجر الثاني بامداد ريموند الثالث بقوة عسكرية أثناء صيف عام 1129م قوامها خمسون مركبا وذلك لمساعدته على محاربة مسلمي الاندلس وهذا انتقام لهجوم المرابطين على جنوب ايطاليا ، عن فحوى هذه المعاهدة ارجع الى :
Chalondon: Histoire, I, pp. 378-379.

(*) في صيف عام 1127م / 521 هـ غزا أمير البحر المرابطي محمد بن ميمون مدينتي باتي Patti وسرقوسة Syracuse فنهبهما وأضرم فيهما النيران ، واما روجر الثاني من جهته فقد احتل جزيرة مالطة في نفس العام .
Guill de Tyr: op. cit., II, p. 298; Chalondon: Histoire, I, p. 377; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 338; Storia, III,2 pp. 396-398.

الداخلية حتى توّج ملكا على صقلية وجنوب ايطاليا في الخامس والعشرين من شهـــــر ديسمبر عام 1130م/22 محرم 525 هـ(1).

على أن الوفاق لم يلبث أن عاد بين الحسن الزيرى والملك روجر الثاني وتوّج بعقد هدنة بينهما(2) وابرام معاهدة اقتصادية هامة . وفي الواقع فان هذه المبادرة الطيبة ، والتي يعود فضل وقوعها الى الحسن ، قد تمت في ظرف كان كل من الحســن والملك روجر الثاني في أمسّ الحاجة اليها . فمن جانب الحسن كان شديد الحرص للحصول على قمح صقلية من جهة كما رغب في نيل صداقة الملك روجر الثاني حتى يتفرغ لردّ خطر بني عمومته الحماديين من جهة أخرى، واما الملك روجر الثاني فكان هــو الآخر توّاقا الى تصدير حبوب مملكته الى افريقية لما كانت تدره عليه من أموال طائلة والتي يستحيل الاستغناء عنها لاستكمال بناء دولته الناشئة وبالاضافة الى هذا فقد انكسب الملك روجر الثاني على اخماد الثورات في مملكته مما جعلته ينصرف تماما عن مشروع غزوه لافريقية و يوثر الهدنة مع الحسن(3) وبالتالي فالحاجة المادية والظروف العصيبة التي شاهدتها مملكة صقلية وجنوب ايطاليا والتي أملت على الملك روجـــر الثاني سياسة الاعتدال والاتزان تحملنا على استبعاد صحّة الرواية القائلة أن الحســن الزيرى قد بعث بهدية الى الملك روجر الثاني ، وقبل كل الشروط التي فرضها عليه هذا

---

(1) أنظر: Chalondon: Histoire, I, pp. 1-2. Idriss (H. R.): op. cit., I, p 338; Orderic Vital: op. cit., t. II, p. 450.

(2) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن أبي دينار: المؤنس، ص 536، التيجاني: رحلته، ص 398، وايضا: Romualdi de Salerne: op. cit., VII, 1, p. 227; Cornevin: op. cit., I, p. 326.

(3) أنظر: Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 343; Chalondon: Histoire, II, pp. I57-I58; Storia, III,2pp. 410-411;

لقد أشار ابن الاثير الى حاجة الحسن الزيرى الماسّة الى الغلات "لان الغلاء كان بها — أى افريقية — شديدا والموت كثيرا ." امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 286 .

الأخير[1]، ومعنى هذه الرواية أن الحسن انصاع رغما وقهرا لرأى الملك روجر الثاني . وفي الحقيقة كلاهما كانا يميلان الى الهدنة بسبب الأوضاع الخاصة التي تسود كلا من صقلية وجنوب ايطاليا من جهة وافريقية من جهة أخرى.

وقد تجلت حقيقة وفعالية هذه الصداقة - بين الحسن والملك روجر الثاني - حينما دبّ الخلاف بين الحسن الزيرى وعمه يحيى[2] اذ أرسل هذا الأخير اسطولا بقيادة مطرّف بن علي بن حمدون لغزو مدينة المهدية فحاصرها حصارا شديدا دام سبعين يوما - أو خمسة وسبعين - غير أن الحسن استغاث بالملك روجر الثاني الذى لم يلبث أن أوفد قوة عسكرية بحرية قوامها عشرون قطعة حربية وأوعز الى قائدها بأن يضع هذا الاسطول تحت تصرف الحسن الزيرى ، وبالفعل فقد كان للقوات النورمانية دور حاسم في انهاء الحصار على مدينة المهدية ، فبمجرد أن أخذت في الاقتراب من موضع تمركز الاسطول الحمادى حتى أمر مطرف جنوده برفع الحصار والعودة الى بجاية وكاد أسطول النورمان أن ينقضّ على القوات الحمادية لولا تدخل الحسن الذى منعه من ذلك وطلب منه الانسحاب وذلك حقنا لدماء المسلمين وكان ذلك سنة 529 هـ/1135م.[3]

---

(1) امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 335 .

(2) لمعرفة التفاصيل عن الخلاف المستحكم بين الحسن الزيرى ويحيى الحمادى ارجع الى : امارى: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص 284 . وأيضا :
Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 342.

(3) امارى: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الأثير: الكامل، ص 284-285، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 335-337، ابن خلدون : العبر، ص 487-488 ، التيجاني : رحلته ، ص 338 . وايضا : سرهنك : من حقائق الاخبار عن دول البحار، ج 1 ، ص409، وايضا :
Chalondon: Histoire, II, p. I58; Mercier: op. cit., II, p. 84.

وكانت نتيجة انسحاب القوات الحمادية أن " رجع الأسطول ـ النورماني ـ الى صقلية وكتب الحسن كتابا الى الملك رجار يشكره على صنعه وانه داخل تحت أمره ونهيه فتأكدت بينهما المخالصة واستقامت عند ذلك أمور الحسن "[1]. وأما الملك روجر الثاني فقد " أقام مظهرا للحسن انه مهادنه وموافقته "[2]. والراجح أن رواية ابن ابي دينار تتميز بنوع من المبالغة لذكرها دخول الحسن في طاعة الملك روجر الثاني الآ أنه لا يمكن نفي سوء نية وخداع هذا الأخير تجاه الحسن ، ذلك أنه رغم الشعور الطيب الذى كان يكنّه له الحسن والصداقة المتينة التي كانت تربطهما فقد استمرّ الملك روجر الثاني في بناء أسطوله الحربي كما أمر بمزيد في السرعة في التحضيرات العسكرية قصد الشروع في غزو مدينة المهدية [1].

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 537 .

(2) اماري: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص 285ـ286 .

(3) اماري: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص 286 . وايضا :

Idriss (H/ R.): op. cit., I, p. 345.

تذكر رواية ابن خلدون أن الحسن لما شعر بتزايد خطر الحماديين سعى الى عقد اتفاقية سلم مع الملك روجر الثاني ، ومن ثم طلب نجدته لمحاربة الجيش الحمادى . ولا شك أن الوفاق بين الحسن الزيرى والملك روجر الثاني كان سابقا لهذا الغزو .

اماري: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن خلدون : العبر ، ص 498 . وأيضا :

Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 344.

النورمان وجزيرة جربة (529 ـ 530 هـ/ 1135م):

بعد أن تمكن الملك روجر الثاني من حلّ مشاكله الداخلية وفرغ من التحضيرات العسكرية شرع في تنفيذ سياسته التوسعية في افريقية . وكخطة أولية لها قرّر احتلال جزيرة جربة(*) التي خرجت على طاعة الزيريين [1]، وكانت هذه الجزيرة تنعم بازدهار ملحوظ ، كما أنها اشتهرت بكونها وكرا للقراصنة بثّت الروع والقلق في البحر الأبيض المتوسط [2].

وفي نهاية سنة 529 بداية 530 هـ(**) ربما خريف سنة 1135م سيّر الملك روجر الثاني الى جزيرة جربة جيشا عتيدا تشارك فيه فرق من الجنود المسلمين الصقليين وبعد معارك ضارية استبسل فيها مسلمو الجزيرة استبسالا عظيما سقطت الجزيرة بيد جيش النورمان التي لم يتورع عن نهبها وعن الفتك بالعديد من رجالها وأسر الكثير من النساء والأطفال الذين حملوا الى صقلية وبيعوا بأسواقها ، وأما الذين نجوا من القتل والأسر فقد طلبوا الأمان من الغزاة فأمنوا ، كما سمح لهم بافتداء أهاليهم المأسورين [3]. ولما أنهت الحملة مهمتها أعلن الملك روجر الثاني

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون : العبر ، ص 493، وأيضا :
Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 345.

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 286، وأيضا :
Mercier: op. cit., II, pp. 84-85; Mas Latrie: Traités, p. 42.

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن عذاري: البيان ، ص 372 ، ابن الاثير: الكامل ، ص 286، التيجاني : رحلته ، ص 384، النويري: نهاية الارب ، ص 456ـ457، ابن ابي دينار: المؤنس ، ص 537، ابي الفداء : المختصر، ص 415، الادريسي :نزهة المشتاق، ص 73، وانظر أيضا : دائرة المعارف الاسلامية ، ج 6، ص 326 ، وأيضا :
Chalondon: Histoire, II, p. I59; Storia, III, pp. 407-408; Brunschvig : La berberie Orientale, I, p. 4; Mercier: op. cit., II, pp. 84-85; Golvin: Le Maghreb central à l'époque des Zirides, p. I47; Mas Latrie: Traités, p 42.

(*) استولى عليها علي بن يحيى عام 509هـ/ 1115م، اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 496

(**) ذكر الادريسي آخر عام 529هـ، وأشار ابن عذاري وابن خلدون الى سنة 530هـ في حين ذكر المؤرخون الآخرون وهم ابن ابي دينار وابو الفداء والنويري والتيجاني سنة 529 هـ.

عن تبعية الجزيرة وسكانها لتاجه وعهد بولايتها الى عامل موال له ، ثم فرض على أهل الجزيرة دفع جزية مالية له [1].

وفي الواقع لم يكن هدف الملك روجر الثاني من وراء هذه الحملة تأديب مجموعة من قراصنة البحر زرعت الهلع في نفوس التجار والرحالة بل كانت الحملة في نظره بمثابة أخذ بالثأر للهزيمة التي مني بها سنة 517 هـ/ 1123م[*]، وبالاضافة الى هذا فقد كان الملك روجر الثاني يدرك البعد الاستراتيجي لهذه الحملة ذلك أن احتلاله لجزيرة جربة سيمكنه من تحويل هذه الجزيرة الى قاعدة أمامية لحملات النورمان العسكرية الرامية الى اخضاع شواطئ افريقية كما سيسمح له أيضا بمراقبة حركة التجارة الرابطة بين افريقية ومصر [2].

ومن المعروف أن الملك روجر الثاني أرسل الى الخليفة الفاطمي الحافظ ينبئه باحتلاله لجزيرة جربة ، ورد عليه انه فتح شرعي جزاء لما فعله أهل الجزيرة من بغي وطغيان وعدول عن طرق الخيرات [3]. ولعل هذا الرد الغريب من قبل الحافظ كان

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 537، التيجاني: رحلته، ص 334، ابن خلدون: العبر، ص 498. وأيضا: Idriss (H. R.): op. cit., I, pp. 345-346; Amari: Storia, III,2p. 408.

(2) Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 346.

(3) أنظر نص رد الحافظ بكامله في القلقشندي: صبح الاعشى، ج 5، ص 458-461.

والحقيقة ان العلاقة بين مصر وصقلية في هذه المرحلة كانت جد ايجابية لا سيما الاقتصادية منها، وقد أشار الادريسي الى تردد سفن النورمان على موانئ البحر الابيض المتوسط. وبلغت هذه العلاقة من المتانة ما جعل الملك روجر الثاني يتعهد لتجار مدينة سالرنو عام 1137م/ 532 هـ بالسعي لدى الخلافة الفاطمية لحملها على خفض الرسوم المفروضة على بضائع هؤلاء التجار بالاسكندرية. وكشف التيجاني عن هذه العلاقة الطيبة بقوله: " واحتاج لجار أن يوجه رسولا الى مصر فأشار اليه عبد الرحمن بجرجير هذا — جورج الانطاكي — فأرسله ونصح واتبل بذخائر ملوكية احضته عند لجار." وذكر المؤرخ هايد وحسن ابراهيم حسن معاهدة تجارية أبرمت بين الملك روجر الثاني والخلافة الفاطمية بمصر عام 1137م/ 532هـ. اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن الادريسي: نزهة المشتاق، ص 33-39، التيجاني: رحلته، ص 332، وايضا حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص 612، وأيضا: Heyd: op. cit., I, p. 392; Lacour Gayet: Histoire du commerce, II, p. 246.

(*) أنظر ما سبق.

دافعه خوف الخليفة من الملك روجر الثاني الذي أضحت مملكته مصدر قلق الحكام في عالم البحر المتوسط ، وكذلك رغبته في الحفاظ على صلته الطيبة التي تربطه بالعاهل النورماني (1) .

ومهما يكن من أمر هذه الحملة النورمانية وأسبابها وما أسفرت عنه من نجاح باهر لصالح النورمان فانها تعتبر ايذانا بشروع الملك روجر الثاني في تحقيق سياسته الافريقية الرامية الى بسط نفوذه على شواطئ افريقية الآ أن الملك روجر الثاني لم يكشف النقاب عن نواياه البعيدة تجاه مملكة الحسن بسبب معاهدة الصداقة التي كانت تربطه بهذا الأخير ، ومع ذلك فكان الملك روجر الثاني بالرغم من هذه الصلة الطيبة يترصّد بلهفة الفرصة لنقض هذه الهدنة ثم الشروع في تحقيق أمنيته الهامة .

استمرت العلاقة بين الملك روجر الثاني والحسن الزيري على هذا المنوال الى أن تعكّر صفوها سنة 536 هـ/1140-1141م . وكان السبب في تأزمها هو أن الحسن الزيري سبق أن اقترض أموالا من وكلاء الملك روجر الثاني التجاريين المقيمين بالمهدية ولما جاء الأجل المضروب لتسديد هذه الديون عجز الحسن عن ذلك (2) ، واستغلّ الملك روجر الثاني هذا الخلل فقرر الاجهاز على مدينة المهدية متذرعا بفكرة استرجاع حقه الضائع بها (3) .

وقد " كانت للتجار جراسيس بالمهدية فكتبوا اليه يعلمونه أن بمرساها مراكب قد

---

(1) أنظر : Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 346.

(2) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 573 ، وأيضا : Mercier: op. cit., II, p. 85.

(3) يقول ابن خلدون أن " رجار انتقض عليه الهدنة وعاد الى الفتنة معه ." اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن خلدون : العبر ، ص 488 .

استوفت وسقها ." (1) فسيّر الملك روجر الثاني الى المهدية أسطولا حربيا بقيادة جورج الانطاكي قوامه خمسة وعشرون مركبا ، وحينما بلغ هذا الاسطول مدينة المهدية هجمت قواته على مينائها فدحرت حراسه واستولت على المراكب الزيرية الراسية به . ويشير التيجاني الى أن جورج الانطاكي " أخذ منه - أى المرسى - مركبا كان الحسن قد احتفل فيه وشحنه بذخائر ملوكية ليتوجه بها الى الخليفة الفاطمي الحافظ صاحب مصر وكان ذلك المركب يسمّى نصف الدنيا (2)" ويشير ابن الأثير أن النورمان أخذوا مراكب سيرت من مصر الى الحسن صاحب افريقية (3).

تركت هذه العملية الجريئة والمفاجئة أثرا عميقا في نفس الحسن الزيرى ،كان من نتائجه انفصام العلاقة بين الملك روجر الثاني والحسن وانفتاح باب الصراع بينهما ،الاّ أن الحسن لم يكن في الواقع في وضع يمكنه من مسايرة حرب طويلة الأمد بسبب ضعفه

---

(1) امارى: المكتبة الصقلية ، نقلا عن التيجاني : رحلته ،ص 398 .

(2) امارى: المكتبة الصقلية ، نقلا عن التيجاني : رحلته ،ص 398-399 ،ابن عذارى : البيان ،ص 372-373 ،ابن ابي دينار : المؤنس ،ص 537 ،وأيضا : الباجي المسعودى : الخلاصة النقية ،ص 51-52 ، Chalondon: Histoire, II, pp. 159-160; Idriss (H.R.): op. cit., I, pp. 347-348.

(3) امارى: المكتبة الصقلية ،نقلا عن ابن الاثير: الكامل ،ص 286 .

يذكر التيجاني ان الملك روجر الثاني " لم يزل يرسل العز عليها - أى المهدية - بأساطيله . . . الى أن دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسماية" ، امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني : رحلته ،ص 399 .

ولعل التيجاني يقصد بهذه الفكرة الحملات النورمانية التي توالت على شواطئ مملكة الحسن ابتداء من عام 529 هـ-530 هـ/ 1135م وذلك بأخذ جزيرة جربة . ارجع الى :

Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 348.

المسكرى وحاجته الملحة الى قمح صقلية وعجزه عن استيراده له، مما جعله يضطر الى ارسال وفادة الى الملك روجر الثاني سنة 536 هـ/1140-1141م يلتمس منه بواسطتها الهدنة وتمهيدا لهذا التقارب الجديد بادر الحسن الى الافراج عن بعض جنود النورمان المأسورين وبعثهم الى الملك روجر الثاني (*). وبالفعل فان الطرفين لم يلبثا أن تصالح فأبرمت بينهما اتفاقية سلم دفع الحسن خلالها ثمنا باهضا بدرجة انه تعهد على أن يصير مجرد حاكم يتبع ويخضع لسلطة الملك روجر الثاني (1).

---

(1) امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 537-538. وأيضا:

Chalondon: Histoire, II, p. I60; Mercier: op. cit., II, p. 85.

ويشير ابن الاثير الى أن الحسن راسل روجر الثاني " وجدّد الهدنة لأجل حمل الغلات من صقلية الى افريقية، لأن الغلاء كان شديدا والموت كثيرا." ويؤكد التيجاني انتشار ظاهرة الغلاء في افريقية مما أضعف جنود الحسن وأهلك خيلهم." امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 286، التيجاني: رحلته، ص 399.

(*) قد يكونون أسرى مسيحيين راحوا ضحية الازمة الزيرية - النورمانية، أنظر:

Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 349.

النورمان في جيجل وطرابلس :(537 هـ/1142-1143م)

ومهما يكن من أمر هذه الهدنة فانها لم تجد نفعا أمام رغبة الملك روجر الثاني الجامحة في مواصلة عدوانه على شواطىء افريقية ذلك أنه لم تكد تمضي سنة على ابرام المعاهدة حتى أرسل الملك روجر الثاني أسطوله العسكري لاحتلال مدينة طرابلس(*) وذلك في سنة 537 هـ/1142-1143م وما ان وصل هذا الأسطول في 9 ذي الحجة عام 537 هـ/25 جوان 1143م أمام أسوار المدينة حتى شرع في ضرب الحصار عليها الآ أن هذا الحصار لم يدم طويلا بسبب وصول نجدة قوية مكنت سكان المدينة من فك الحصار واجبار جيش النورمان على التراجع والعودة الى صقلية وذلك بعد أن كبدوه خسائر بشرية كبيرة ، كما استولوا على كمية معتبرة من الأسلحة والخيول وآلات الحرب(1) .

وفي نفس السنة غزا جيش النورمان مدينة جيجل الساحلية وكان سكانها حين نزوله بها قد احتموا بمراقعها الداخلية المحصّنة وعاث الجيش النورماني في المدينة فسادا اذ قام بتدمير وحرق القصر الذي ابتناه يحيى بن العزيز الحمادي للنزهة، كما

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 287، ابن عذاري: البيان، ص 373 ، ابي الفداء: المختصر، ص 415 ، ابن خلدون :العبر، ص 498، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 533 ، وايضا :
Chalondon: Histoire, II, p. I60; Mercier: op. cit., II, p. 85.

شالندن يذكر يوم 15 جوان كبداية لحصار المدينة : Ibidem

(*) كانت قد خرجت على طاعة الحسن الزيري ويشير ابن الاثير أنها كانت تحت نفوذ قبيلة بني مطروح العربية بينما يذكر التيجاني أنها ظلت تحت نفوذ بني خزرون الزناتيين حتى سنة 540 هـ. اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 287، التيجاني : رحلته، ص 241 .

أضرم النار في عدة مواقع بالمدينة ثم رجع الى صقلية ظافرا وحاملا معه سربا من الأسرى المسلمين (1).

على أن هجومات النورمان على سواحل افريقية بعد سنة 537 هـ/1142م عرفت تصاعدا خطيرا، مما أدى الى انتشار الرعب والاضطراب فيها . ففي سنة 539 هـ/ 1144م ـ 1145م دبّر جيش النورمان هجوما سريعا على مدينة طرابلس وضواحيها فأعملوا فيها قتلا ونهبا (2). وفي نفس السنة استولى على مدينة برشك Brechk الواقعة بين مدينتي شرشال وتنس ففتكوا برجالها وأسروا أطفالها ونساءها ثم حملوا الى صقلية حيث بيعوا عبيدا للمسلمين في أسواقها (3). وتعرضت جزيرة قرقنة ـ المقابلة لمدينة سفاقس ـ لغزو مماثل في سنة 540 هـ/ 1144ـ1145م فعاث جيش النورمان فيها قتلا وفسادا وسيق الاطفال والنساء الى أسواق صقلية وبيعوا فيها (4).

---

(1) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 538، ابن خلدون: العبر، ص 498ـ499، الادريسي: نزهة المشتاق، ص 72، ابن الاثير: الكامل ص 287. وأيضا: Golvin: op. cit., p. I47; Mas Latrie: Traités, pp. 42-43; Mericer: op. cit., II, p. 85; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 349; Encyclopedie de l'Islam, II, p. 550.

(2) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 288. وأيضا: Chalondon: Histoire, II, p. I60.

(3) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 287ـ288، الادريسي: نزهة المشتاق، ص 71، ابي الفداء: المختصر، ص 415. وأيضا: Storia, III,2 p. 414; Golvin: op. cit., p. I47; Chalondon: loc. cit.

(4) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي: نزهة المشتاق، ص 73، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 533، ابن الاثير: الكامل، ص 288. وأيضا: Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 350; Storia, III,2 pp 414-415; Chalondon: loc. cit.
ابن ابي دينار يذكر عام 537 هـ/ 1142م كتاريخ وقوع هذا الغزو على هذه الجزيرة، في حين يضعه الادريسي في عام 548هـ/ 1153م، ويعتقد امارى Storia, III,2p. 415 ان الخطأ بالنسبة لعام 537هـ كان في النقل فحسب، واما الادريسي فلم تشر اليه المراجع.

وقد أثارت هذه الاستفزازات النورمانية استنكارا واستياء كبيرين لدى الحسن الزيري مما جعله يراسل الملك روجر الثاني ويذكره بالمعاهدات التي تربطهما وحثّه كذلك على ضرورة احترامها وتطبيقها ولتبرير غزوات جيشه على شواطئ افريقية وتسكين غضب الحسن أجاب الملك روجر الثاني أن سكان هذه المدن - التي هجم عليها - خارجة على طاعة الحسن ولهذا لم ير مانعا لضربها وتأديبها [1].

عودة النورمان لمدينة طرابلس[2](541 هـ/1146م):

لقد ازدادت شدة اصرار النورمان على اخضاع مدينة طرابلس منذ أن أخفقوا في اقتحامها سنة 537 هـ/1142م . وكان الملك روجر الثاني منذ هذا الحين يتربص بأحوال هذه المدينة الدوائر للاجهاز عليها وغسل الخيبة التي مني بها آنفا الى أن حلت

---

(1) " فأرسل الحسن صاحب افريقية الى رجار الفرنجي ملك صقلية يذكره العهود التي بينهم فاعتذر بأنهم غير مطيعين له ." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 288-289 . وارجع ايضا الى : Chalondon: Histoire, II, p. I60; Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 350.

(2) يعتقد التيجاني أن الملك روجر الثاني لم ينهض لاخضاع مدينة طرابلس الا " بعد استيلائه على المهدية وصفاقس، واستقرار ولايته فيها ." واما ابن خلدون فقد حافظ على التسلسل الزمني لحملات النورمان على هذه المدن .في حين يذكرها دى روجر ادريس H. R. Idriss ان ابن خلدون يشترك مع التيجاني في اقرار هذه الحقيقة .ولا شك ان ابن خلدون في سياق حديثه أشار الى سقوط طرابلس بعد أن احتل النورمان مدينتي المهدية وصفاقس، ولكن لم يفصل ذلك ابن خلدون الا للتأكيد فقط. اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 388 ،ابن خلدون : العبر، ص 482، 499-502.
وايضا : Idriss (H. R.): op. cit., I, pp. 350-351, note 272.

سنة 540 هـ/ 1145م حيث عرفت خلالها افريقية مجاعة فظيعة انجرّ عنها ملاك العديد من سكانها وهجرة جموع وافرة أخرى الى خارج المملكة ولا سيما الى أرض صقلية التي كانت تربطها علاقة وطيدة يشوبها الحذر وسوء الظن[1]. وامام هذه الظروف المصيبة بالنسبة لافريقية رأى الملك روجر الثاني أن الفرصة قد آنت للوثوب على مدينة طرابلس والانتقام من أهلها لما أنزلوه بجيشه من هزيمة أمام أسوارها سنة 537 هـ/1142م[2].

جهّز الملك روجر الثاني في نهاية سنة 540 هـ وربما في بداية جوان 1146م[3] أسطولا عتيدا قوامه مائتا مركب وسيّره الى مدينة طرابلس تحت امرة قائده المشهور جورج الانطاكي[4].

وفي اليوم الثالث من شهر محرم سنة 541 هـ/ 15 جوان 1146م[5] نزل جيش

---

(1) "وفي هذه السنة - أي احدى وار بعين وخمسمائة - كان القحط بافريقية حتى فرّت غالب الناس الى صقلية." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن أبي دينار: المؤنس، ص 538، التيجاني: رحلته، ص 338، ابن خلدون: العبر، ص 530. وذكر أبو الفداء ان الغلاء بلغ درجة حتى "أكل الناس بعضهم بعضا ... ففارق الناس القرى ودخل أكثرهم الى جزيرة صقلية." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابي الفداء: المختصر، ص 416. وايضا:
Mercier: op. cit., II, p. 85; Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 350.

(2) أنظر: Idriss (H.R.): op cit., I, p. 350; Mercier: op cit., II, p. 86.

(3) لذلك ذكر التيجاني وابن خلدون والادريسي عام 540هـ/ 1146م كتاريخ فتح النورمانيين لمدينة طرابلس.

(4) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 538. وايضا:
Chalondon: Histoire, II, p. I60; Idriss (H. R.): op. cit., I, pp 350-351.

(5) أتى بهذا التاريخ ابن أبي دينار والتيجاني وابن خلدون وأبو الفداء والنويري وابن الأثير.

النورمان أرض المدينة فنصّب عليها حصارا شديدا ، برا و بحرا ، ثم أخذ في الهجوم عليها من كل ناحية واستبسل سكان المدينة استبسالا عظيما أمام هجمات جيش النورمان المتكررة فتمكنوا من دحرها وردّ أصحابها على أعقابهم، وقد دام هذا الوضع الحربي ثلاثة أيام وكاد اليأس أن يستولي على الجيش النورماني لولا أن خلافا شب بين فريقين من سكان المدينة(*) فانسحب أصحاب أحد الفريقين المتصارعين من مواقعهم الدفاعية فأضحت جهة من جهات المدينة شاغرة دون حماية تذكر وانتهز النورمان هذا الخلل في أجهزة دفاع المدينة فشن هجوما عنيفا ضدها وتمكن من اقتحامها واحتلال مركزها ، وكان هذا في يوم الثلاثاء السادس من شهر محرم سنة 541 هـ 18 جوان 1146 م .

وقد أمعن النورمان بعد هذا الفوز في الفتك والتنكيل بسكان المدينة ونهب خيراتها و تخريب عمرانها ، كما أسر نساءها وأطفالها ، واما الذين سلموا من وحشية الغزاة فقد لاذوا بالفرار والتمسوا العون من أصحاب القرى المجاورة لمدينة طرابلس الآ أن جورج الانطاكي — قائد الجيش النورماني — لم يلبث أن أصدر أمرا بايقاف الأعمال العدوانية ، ثم أمّن سكان المدينة على أموالهم وأنفسهم، فساد حينئذ الهاربون الى ديارهم آمنين مطمئنين (1) .

---

(1) عن فتح النورمانيين لمدينة طرابلس ارجع الى اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن : الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 73 ، ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 588 ، ابن الاثير : الكامل ، ص 299 ، التيجاني : رحلته ، ص 336-339 ، ابي الفداء : المختصر ، ص 415-416 ، النويري : نهاية الارب ، ص 457 ، ابن خلدون : العبر ، ص 499 ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص 542 ، وانظر أيضا : Romuald de Salerne: op. cit., VII, 1ère par., p. 227.
وسرهنك : من حقائق الاخبار ، ج 1 ، ص 409 . وايضا :
Storia, III2 pp. 416-417; Chalondon: Histoire, II, pp. I60-I6I; Mas Latrie: Traités, pp. 42, 45; Mercier: op. cit., II, p. 86; Cornevin: op cit., I, p 326; Golvin: op cit., p I47; Idriss: op. cit., I, p. 351.

(*) قبل وصول النورمانيين بأيام يسيرة كان أهل طرابلس "قد اختلفوا واخرجت بنو مطروح طائفة وقدموا على أنفسهم رجلا من الملثمين كان قد قدم يريد الحج ومعه جماعة فولوا أمرهم، فاما نازلهم الفرنج أغارت تلك الطائفة على بني مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين ." اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن النويري : نهاية الارب ، ص 457 ، ابن خلدون : العبر ، ص 499 .

وهكذا فاز جيش النورمان بنصر باهر واستتب له الامر بمدينة طرابلس وانكب جورج الانطاكي بعد ئذ على تثبيت نفوذ النورمانيين بها وتصفية مشاكلها ، اذ أقرّ أهلها على الجزية وقام بطرد عناصر قبيلة بني خزرون من المدينة" وولى على البلد شيخه أبا يحيى بن مطروح التميمي وجعل قاضيهم رجلا منهم يعرف بأبي الحجاج يوسف بن زيري وهو صاحب التأليف المعروف بالكافي في الوثائق."(1) ثم ألزم الطائفة المسيحية حدودها في المعاملات اذ " كانت أحكام المسلمين كلها مصروفة الى قاضيهم وواليهم ، ولم يكن النصراني يتعرض بشيء من أحكامهم."(2) وعلاوة على هذا اهتم النورمان بتعزيز استحكامات المدينة وتعميق وتوسيع خنادقها حتى تتضاعف أهميتها الاستراتيجية وتزداد مناعتها .

وقد مكث النورمان بمدينة طرابلس ستة أشهر وحينما تأكدوا من ثبات سلطانهم بها واطمأنوا الى ولاء سكانها لهم انسحبوا منها حاملين معهم الى صقلية مجموعة من الرهائن ينتمي أغلبها الى بني مطروح (3)، وبعد ردح من الزمن ارجع النورمان هؤلاء الرهائن (4) واكتفوا هذه المرة بطلب رهائن آخرين من حاكم مدينة طرابلس بدلا من أن يختاروهم بأنفسهم (5) . وتجدر الاشارة الى أن هذا النظام الذي صار يسود مدينة طرابلس والمفروض عليها من قبل النورمان يشبه الى حد بعيد النظام التي أرسى النورمان

---

(1) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير :الكامل، ص 290، التيجاني :رحلته ، ص 389،
ابن خلدون :العبر، ص 420، وايضا : Storia, III,2p. 416; Mas Latrie: loc. cit.; Mercier: loc. cit.

(2) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 389 .

(3) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير :الكامل، ص 293، ابن خلدون :العبر، ص 424
النويري :نهاية الارب ، ص 457-453، وايضا : Stori, III, p. 416; Chalondon: Histoire, II, p. 161; Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 352.

(4) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير : الكامل، ص 293-290، النويري :نهاية
الارب ، ص 453، وايضا : Idriss (H. R.): loc. cit.

(5) أنظر : Idriss (H. R.): loc. cit.

أسسه في المدن التي استولوا عليها أثناء فتحهم لجنوب ايطاليا وصقلية.(1)

وكان لاحتلال النورمان لمدينة طرابلس أثرا ايجابي كبيرا على تجارة صقلية ، حيث سجلت ازدهارا ملحوظا من جراء تعامل تجار صقلية مع هذه المدينة التي أضحت مركزا استرزاق واقتناء بالنسبة للصقليين ، مما أدى بالسلطة الملكية في صقلية الى اصدار منشور يدعو فيه الراغبين في الكسب الى الهجرة الى مدينة طرابلس . ولا شك أن هذه المدينة استفادت هي الاخرى من هذا الوضع الجديد ، ذلك أنها تحولت الى قاعدة اقتصادية حية ونشيطة يتردد على مينائها مختلف المراكب التجارية الاوربية عامة والصقلية خاصة . وتتم فيها العمليات التجارية المربحة والمتنوعة ، وكانت نتيجة هذه الحيوية أن اتسع عمرانها وازداد عدد سكانها ، مما أدى الى انتعاشها من كل نواحي الحياة(2).

---

(1) أنظر: Chalondon: Histoire, II, p. I6I; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 351.

(2) يشير ابن الاثير الى هذا الوضع الجديد بقوله : " واستقامت أمور المدينة وألزم أهل صقلية والروم بالسفر اليها فانعمرت سريعا وحسن حالها . " ويؤكد النويري هذه الظاهرة الملحوظة بقوله : " واستقام أمر المدينة سريعا . " ويقول ابو الفداء : " وبعد أن استقر الفرنج في ملك طرابلس بذلوا الأمان لمن بقي من أهلها وتراجعت اليها الناس وحسن حالها . " اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 290 ، النويري : نهاية الارب ، ص 453 ، ابو الفداء : المختصر ، ص 416 ، وايضا :
Mas Latrie: Traités, p. 45; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 352.

وتجدر الاشارة الى أن مدينة طرابلس أقامت تحت تغلب النصارى ، أي تنعم بهذا النظام ، اثنا عشر عاما او نحوها الى أن افتتح الموحدون أكثر بلاد افريقية : اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن التيجاني : رحلته ، ص 392 .

النورمان ومدينة قابس :(542 هـ/1147ـ1148م)

والواقع أن تكالب النورمان على مدن افريقية الساحلية بلغ ذروته في أيام الملك روجر الثاني . وقد تضاعف هذا التكالب بازدياد سلطان صقلية حيث جعل منها الملك روجر الثاني دولة عظيمة يحسب لها حساب وتملك من القوة ما يسمح لها بالتدخل في شؤون مدن حوض البحر الابيض المتوسط . ولقد لعبت الحزازات المحلية التي كانت تشهدها افريقية دورا هاما في ازدياد تطلع النورمان الى بسط نفوذهم على بعض مدنها الساحلية . ويعد هذا العامل السبب الرئيسي في تطلع النورمان الى احتلال مدينة قابس .

لقد عرفت مدينة قابس ، بعد وفاة صاحبها رشيد بن كامل(*) حوالي سنة 541 هـ / 1146ـ1147م(**) أزمة عويصة كانت لها نتيجة وخيمة على مصيرها . وتسبب في هذه الازمة أحد الموالي المقربين الى رشيد اسمه يوسف ، حيث أقبل على عزل معمر الابن الأكبر لرشيد عن العرش وولى مكانه محمدا أخا معمر الاصغر . وأدار يوسف شؤون المدينة حسب أهوائه فاستبد بالحكم مستغلا قصر محمد وليس هذا فحسب بل " جرى منه أشياء التعرض الى حرم سيده والشهادة على ناقله وكان من جملتهن امرأة من بني قرّة فأرسلت الى اخوتها تشكو اليهم ما هي فيه ، فجاء اخوتها لاخذها فمنعهم وقال هذه حرمة مولاي ولم يسلّمها فسار بنو قرّة ومعمر بن رشيد الى الحسن صاحب افريقية و تشكوا اليه

(*) كان رشيد بن كامل بن جامع من قبائل رياح احدى بطون بني هلال الذين بعثهم الجرجرائي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بمصر ضد المعز بن باديس : اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن خلدون : العبر، ص 499 .

(**) ذكر ابن خلدون عام 542 هـ/1146ـ1147م .

ما يفعل يوسف ، فكاتبه الحسن في ذلك فلم يجبه وقال لئن لم يكف الحسن عني والا سلمت قابس الى صاحب صقلية فجهز الحسن العسكر اليه ."(1)

وكان يوسف جادا في نيته وقوله ، ذلك انه لما بلغ الى اسماعه نبأ تحضيرات الحسن لارسال حملة عسكرية ضده ، سارع الى ارسال وفادة الى الملك روجر الثاني أعلن له بواسطتها تنازله عن المدينة له وكذلك أعلن ولاءه وتبعيته له .وهذا وفقا لنظام العلاقة الذي كان يربط بين النورمان وبني مطروح بمدينة طرابلس(2).

---

(1) اماري :المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص290، ابن خلدون :العبر، ص489، 500، التيجاني :رحلته ، ص334، ابن ابي دينار :المؤنس، ص533، وايضا :
Storia, III2 p. 418; Mercier: op. cit., II, p. 86; Chalondon: Histoire, II, p 163
التيجاني لم يشر الى معمر تماما وأما ابن ابي دينار فلم يتعرض لتفاصيل الازمة في قصر قابس بل اكتفى بالقول : "ان في سنة اثنتين واربعين وخمسماية استشان معمر بن رشيد بالحسن صاحب المهدية ويجمع من الاعراب على يوسف صاحب قابس."
(2) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص290، ابن خلدون :العبر، ص500 .
ذكر التيجاني ان يوسف " انتسب الى طاعة لجار." وفي هذا الشأن أورد لنا ابن أبي دينار قولا واضحا حيث يقول : "وكتب اليه صاحب قابس يتضرع اليه ويتلطف وسلم له ما تحت يده ورضي أن يكون عاملا له ." المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص334، ابن ابي دينار :المؤنس ، ص533 .
لقد تمت هذه المراسلة ما بين 2 جوان عام 1147م و31 ماير عام 1148م ، ارجع الى :
Chalondon: Histoire, II, p. 163.
لقد أورد ابن الاثير رواية في هذا الصدد قال انه ينبغي أن يحتاط العاقل من مثلها " كان هذا يوسف صاحب قابس قد أرسل رسولا الى رجار صاحب صقلية فاجتمع هو ورسول الحسن صاحب المهدية عنده فجرى بين الرسولين مناظرة فذكر رسول يوسف الحسن ونال منه ثم انهما عادا في وقت واحد وركب البحر كل واحد منهما في مركبه فأرسل رسول الحسن الى صاحبه رقعة على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف فسير الحسن جماعة من أصحابه في البحر فأخذوا رسول يوسف وأحضروه عند الحسن فسبه وقال ملكت الفرنج بلاد الاسلام وطولت لسانك بذمي ثم أركبه جملا وعليه طرطور بجلاجل وطيف به في البلد ونودي عليه هذا جزاء من سعى أن يملك الفرنج بلاد المسلمين ، فلما توسط المهدية ثار به العامة فقتلوه بالحجارة وصلبوا جثته ." اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص 291_292 .

لم ير الملك روجر الثاني وهو مالك مدينة طرابلس وجزيرة جربة مانعا من قبول طلب يوسف الذي يمكنه من مدينة هامة دون أن يبذل من أمواله أدنى جهد أو تضحية، ويساعده خصوصا على تثبيت سلطانه في افريقية(1). وكان أن "كتب له روجر الثاني مسجلا بذلك وبعث له ما يتشرف له من تشاريف النصارى وجبى أموال قابس من تحت طاعته."(2) ويضيف ابن الاثير "أن رجار سيّر الى يوسف الخلع والعهد فلبسها وقرئ العهد بمجمع من الناس."(3)

وقد أثار هذا التعدي سخط الحسن مما جعله يطالب من معمر بن رشيد بعقد العزم على شن حملة على قابس لتأديب يوسف المارق. وفي سنة 542 هـ/ 1147-1148م أوفد الحسن الى مدينة قابس حملة عسكرية تحت امرة القائد الشهير محرز بن زياد تساندها فرق عربية قوية، وحينما حل الجيش الزيري بمدينة قابس ضرب الحصار عليها لكن سكان المدينة الذين استبشعوا صنيعة يوسف سرعان ما ثاروا ضده وعمدوا الى فتح أبواب المدينة فاقتحمها المحاصرون بكل يسر وسهولة(4).

الا أن يوسف لم يستسلم للأمر المقضي اذ انسحب الى حصن المدينة واعتصم به لكنه لم يلبث أن ألقي القبض عليه فسلّم لمعمر بن رشيد الذي قتله بعد أن عذّبه عذابا نكرا جزاء لما اقترفه من فحشاء وسوء مع زوجات سيده رشيد. ومن ذلك استعاد الوريث

---

(1) أنظر: Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 353.
(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 538، وأيضا:
Mas Latrie: Traités, p. 43; Encyclopedie de l'Islam, t. IV, p. 352.
(3) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 291-292.
(4) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 483، 500، التيجاني: رحلته، ص 324، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 523، ابن الاثير: الكامل، ص 291، وايضا:
Mercier: op. cit., II, p. 87; Storia, III,2pp. 419-420; Chalondon: Histoire, II, p. 163; Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 354.

الشرعي محرز امارة أبيه وخابت آمال يوسف المنتصب(1).

وبعد أن قضى يوسف نحبه توجه أخوه عيسى الى صقلية وطلب من الملك روجر الثاني الحماية والنجدة كما أبلغه بتواطؤ الحسن الزيري مع محرز بن رشيد وبمسؤوليته في قتل أخيه يوسف(2)، فاستغلها الملك روجر الثاني فرصة من جرأة الحسن الذي كان في نظره هو الآخر تابعا له(3)، مما أدى به الى ارسال أسطول الى مدينة قابس لاحتلالها، لكنه باء بالفشل الذريع أمام أسوارها فعاد أدراجه الى صقلية(4). والأصل سبب هذه الخيبة يعود الى ضعف أسطول النورمان الذي زجّ الملك روجر الثاني بمعظمه في حرب أخرى مع الامبراطورية البيزنطية(5).

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 500.
أشار التيجاني الى أن يوسف عذّب "عذابا شديدا وقطعوا مذاكيره لانهم نسبوه للتعرّض لحرام مولاه." وذكرت رواية ابن الاثير وهي أكثر تفصيلا ان "يوسف أخذ أسيرا فتولى عذابه محرز بن رشيد وبنو قرّة فقطعوا ذكره وجعلوه في فمه وعذب بأنواع العذاب، وولي محرز قابس مكان أخيه محمد." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 334، ابن الاثير، الكامل، ص [illegible].

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص [illegible]، ابن خلدون: العبر، ص 500، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 83-85، التيجاني: رحلته، ص 334. وأيضا:
Storia, III,2 p. 420; Mercier: op. Cit., II, p. 87.

(3) "فأنف الحسن من ذلك لكون كلاهما تحت طاعته." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 85، ابن الاثير: الكامل، ص [illegible]، التيجاني: رحلته، ص 334.

(4) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 334، ابن خلدون: العبر، ص 48[illegible]، وأيضا: Chalondon: Hist., II, p I63; Idriss (H.R.): op cit., I, p 355.
لم تشر المصادر الاخرى الى غزو النورمان لمدينة قابس وانما أشارت الى استعداد الملك روجر الثاني للاجتياز على المهدية كنتيجة لتصرف الحسن. واما دوماس لاتري فانه ذكر ان الملك روجر الثاني وافق على عقد هدنة مع الحسن الزيري، فانكفأ الاسطول النورماني عائدا الى صقلية: ارجع الى: Mas Latrie: Traités, p. 43.

(5) انظر: Storia, III,2p 420; Chalondon: Hist., II, p. I63; Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 355.
لقد أشار ابن الاثير وابن خلدون الى الصراع المستحكم بين الملك روجر الثاني وبيزنطة: اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص [illegible]، ابن خلدون: العبر، ص 502.

النورمان ومدينة المهدية : (543هـ/1148م) :

كانت نتيجة قتل يوسف وهجوم الحسن الزيري على مدينة قابس واستلام منصور زمام امارة ابيه أن تمّ الملك روجر الثاني على غزو مدينة المهدية واخضاعها لسلطته وكانت هذه أمنيته الغالية التي كان يحلم بها منذ أن تولى أعمامه تجسساه افريقية (1).

وفي الحقيقة فانّ هذا السبب الذي تذرّع به الملك روجر الثاني ما هو الا مبرر واه ، اذ كانت للظروف السائدة في الشرق العربي من جهة وافريقية والغرب الاوربي من جهة أخرى الدور الاساسي في اتخاذ الملك روجر الثاني مثل هذا القرار . ففي هذه الفترة أي سنة 1148م/542هـ-543هـ كانت أوربا الغربية مرتعا خصيبا لحركة تزعمها القديس برنارد (*) تنادي بالحرب المقدسة ضد أعداء المسيح والتي اشتد وطيسها في الشرق العربي ، ورأى الملك روجر الثاني في مثل هذا الجو أن الفرصة مناسبة لرفع قدره وسمعته في الأوساط المسيحية المستفادة وذلك بالاجهاز على احدى قلاع المسلمين البارزة بافريقية وهذا دون أن يحيد عن مشروعه التوسعي بالمنطقة الذي نال معظمه (2) . واما افريقية فلقد كانت تعاني كربا ثقيلا بسبب انتشار

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن ابي دينار : المؤنس ، ص 535 ، وأيضا :
Chalondon: Histoire, II, p. 163; Idriss (H.R.): op. cit., I, pp. 354-355.

(2) أنظر : Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 355.

(*) مستقدم دير كليرفو Clairvaux بجنوب فرنسا .

المجاعة والغلاء فيها [1]. وبلغت هذه المجاعة ذروتها حينما قرر الملك روجر الثاني سنة 542 هـ/ 1146ـ1147م الامتناع عن تصدير الحبوب اليها [2] "وأكل الناس بعضهم بعضا وكثر الموت في الناس." وقد ترتب على هذا الوضع المريع زحف جموع غفيرة جائعة من أصحاب أهل الريف على المدن عسى أن تجد فيها من الصون ما ينقذ حياتها لكنها وجدت أبوابها مسدودة في وجهها فاشتد قنوطها وعظم تذمرها ، ومما زاد هذه الأحوال سوءا وشناعة استشراء وباء الطاعون الذي أفضى الى هلاك العديد من سكان افريقية والى هجرة أعداد وافرة أخرى الى صقلية التماسا للأمن والراحة والاستقرار [3].

وقد أدت هذه النكبات كلها الى اختلال توازن مملكة الحسن واضطراب شؤونها لما ساد فيها من حرمان فظيع وانعدام للامن واستبداد اليأس والفزع بنفوس الاهالي. وعلى هذا الأساس فان الملك روجر الثاني قد أجاد اختيار الظروف المناسبة لتوجيه ضربة قاضية لمدينة المهدية قاعدة ملك الحسن الذي بلغ بالفعل في هذه الحقبة

---

(1) والواقع أن المجاعة بدأت ترخي سدولها على افريقية منذ سنة 537 هـ/ 1141ـ1142م ويقول ابن الاثير في هذا الامر: "وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة سنة 543هـ/ 1148م. وكانت أشد ذلك سنة اثنتين واربعين." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 282، ابي الفداء: المختصر، ص 416، ابن خلدون: العبر، ص 500، التيجاني: رحلته، ص 382. ويشير ابن ابي دينار الى أن "في هذه السنة 541 هـ كان القحط بافريقية حتى فرّت غالب الناس الى صقلية." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 532.

(2) يبدو أن الملك روجر الثاني لما قرر قطع علاقاته مع الحسن واستكمال فتح مدن افريقية الساحلية بادر بايقاف صادراته: أنظر: Idriss (H.R.): op cit., I, p. 355.

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابي الفداء: المختصر، ص 416، ابن الاثير: الكامل، ص 282، ابن خلدون: العبر، ص 500. وأيضا: Idriss (H.R.): loc. cit.

أقصى درجة الوهن والانحطاط (1).

وهكذا لم يلبث الملك روجر الثاني في ربيع عام 1148م/ 542 هـ أن " عمّر الأسطول وأكثر منه فبلغ نحو مايتين وخمسين شينيا مملوءة رجالا وسلاحا وقوة ، وسار الاسطول عن صقلية . " قاصدا المهدية(2) . وكان الحسن قبل ذلك قد سارع الى ايفاد أحد قواده الى " جرجي برسالة فأخذ لنفسه وأهله منه أمانا . "(3) وقد يظن من خلال مبادرة الحسن وجود تنسيق بين هذا الأخير والملك روجر الثاني ، غير أن الامر الذي لا ريب فيه هو أن الحسن وعائلته لم يحاولوا مغادرة المهدية قبل وصول النورمان اليها (4).

وحينما حلّ أسطول النورمان " بجزيرة قوصرة وهي بين المهدية وصقلية صادفوا بها مركبا وصل من المهدية فأخذ أهله وأحضروا بين يدي جرجي مقدم الأسطول فسألهم عن حال افريقية ووجد في المركب قفص حمام فسألهم هل أرسلوا منها شيئا

---

(1) "وعظم الأمر على أهل البلاد . . . وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد . . . ولقوا أمرا عظيما . . . فاغتنم رجار هذه الشدة . " امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الأثير: الكامل ص 292 .

(2) امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الأثير: الكامل، ص 292 - 293 .
اختلفت المصادر في تقدير قوة أسطول النورمان ، فأبو الفداء يتفق مع ابن الأثير في حين يشير التيجاني الى ثلاثماية مركب ويذكر ابن خلدون مايتين وخمسين من الشواني ، ثم ثلاثماية مركب وليس ثلاثماية وخمسين ، كما يشير الى ذلك عماد ... رواكتفى ابن ابي دينار في تقدير قوة الاسطول النورماني بقوله : "فحشد جيشا عظيما وشحن في مراكب مشحونة بالسلاح وآلات الحرب . " امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 483، 501، التيجاني: رحلته ، ص 332 ، ابي الفداء: المختصر، ص 416 ، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 583 . وأيضا :
Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 355.

(3) امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 293 .

(4) " فلم يخرج منهم " امارى: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 295 . وايضا :
Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 356.

فحلفوا أنهم لم يرسلوا شيئا ، فأمر الرجل الذي كان الحمام مصحبته أن يكتب بخطه ، انا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا أنه أقلع الى جزائر القسطنطينية وأطلق الحمام فوصل الى المهدية فسرّ الأمير الحسن والناس."(1)

وقد بنى جورج الانطاكي ، وبفضل مكيدته ، خطته على أساس أن يهاجم المدينة بغتة " وقرّروا وصولهم الى المهدية وقت السحر" وذلك حتى يسهل على جيشه اقتحام المدينة وسكانها غافلون(2)، لكن عاصفة هوجاء في وسط البحر حالت دون وصول أسطول النورمان في الوقت المرغوب فيه . ولم يبلغ شاطىء المهدية الا اما بزغ النهار وكان ذلك في يوم الاثنين الثاني من شهر صفر 543 هـ/ 22 جوان 1148م(3).

ولما فشلت خطته وانكشف أمره أرسل جورج الانطاكي الى الحسن رسالة يدّعي فيها أن ما يريد تحقيقه بهذه الحملة هو الانتقام من أعداء محمد بن رشيد واعادة تولية هذا الاخير على كرسي مدينة قابس الذي طرد منه سابقا ، باعتباره صديقا وحليفا للملك روجر الثاني ، وطلب منه كذلك تزويده بفرق من جيشه لمساعدته في مهمته الحربية مستندا في هذا الطلب على الاتفاقيات التي كانت تربط بين الحسن والملك روجر الثاني والتي كانت تدوم صلاحيتها عشر سنوات حسب المصرف

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص 282 ، ابن خلدون: العبر ، ص 501 . وايضا : Chalondon: Histoire, II, p. I63; Mercier: op. cit., II, p. 87.

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 282. وأيضا : Chalondon: Histoire, II, p. I63.

(3) اماري: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 282، التيجاني: رحلته ، ص 332، ابي الفداء: المختصر، ص 416، ابن خلدون: العبر، ص 501 . وايضا :

Chalondon: Histoire, II, pp. I63-I64.

السائد آنذاك [1].

وقبل أن يقدم الحسن على أي تصرف أمام التهديد جورج الانطاكي طلب المشورة من نصحائه وأعيان المدينة فيما يجب أن يفعله حيال طلب القائد النورماني، فنصحوه بالمقاومة والدفاع عن المدينة معتقدين أن المدينة تملك من الحصانة والقوة ما يمكنها من الصمود ورد المغيرين عنها [2]. وقد وجد الحسن نفسه أمام وضعية حرجة ومحيّرة للغاية اذ رأى من جهة أنه يستحيل عليه محاربة جيش النورمان والمدينة مجرّدة من وسائل الدفاع اللازمة كما أنها تفتقر الى المؤن الضرورية للصمود أمام حصار نورماني طويل اذ أن المؤن الموجودة بالمدينة لا تستطيع أن تسد حاجة السكان الا لأيام معدودة [3]، ومن جهة أخرى كيف يرسل فرقا عسكرية لتساعد النصارى على محاربة المسلمين فكان هذا في نظره خطيئة كبرى لا تغتفر، واذا رفض امداد النورمان بالمساعدة العسكرية المطلوبة منه فيمكن أن يتهم بنقض المعاهدات القائمة بينه وبين الملك روجر الثاني، مما يؤدي الى غضب النورمان عليه [4].

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 501، التيجاني: رحلته، ص 329، ابن الاثير: الكامل، ص 223. وايضا: الباجي المسعودي: الخلاصة النقية، ص 52. وارجع ايضا الى: Idriss (H. R.): op. cit., I, pp. 356-357; Storia, III, 2 pp. 422-423; Chalondon: op. cit., II, p. 164; Mercier: op. cit., II, p. 87; Mas Latrie: Traités, p. 43.

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 223-224، ابن خلدون: العبر، ص 501. وانظر ايضا: Mercier: op. cit., II, p. 87; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 357.

ويذكر أبو الفداء عكس ذلك حيث يقول: "فجمع كبراء البلد واستشارهم فرأوا ضعف حالهم وقلة القوة عندهم." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابي الفداء: المختصر، ص 416.

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 224، ابن خلدون: العبر، ص 501.

(4) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 224.

ولما تعذّر عليه ايجاد مخرج للمأزق الذي بات فيه قرّر الحسن الجلاء(*) عن المدينة وتركها لمصيرها الرهيب، وبعد أن استحثّ رعيته على الاقتداء به غادر المهدية مستصحبا معه عائلته وما استطاع حمله من أمتعته متوجها الى المعلقة(**) وأخذت عندئذ أفواج غفيرة من السكان تهاجر المدينة اقتداء بأميرها بينما احتمى البعض منهم بالكنائس كما لجأ البعض الآخر الى بيوت النصارى يلتمسون من أهلها النجدة والحماية وهكذا تيسر الفرار لكل من رغب في ذلك وأضحت المدينة دون امارة أو حامية تحميها من خطر النورمان الداهم.

وهكذا نزلت قوات النورمان بالمهدية واستولت عليها دون أن تعترضها أية

(*) ذكر سرهنك في كتابه حقائق الأخبار عن دول البحار، ج 1، ص 402 — "ان الحسن طلب المساعدة من ملوك الاسلام ولما لم يجيبوه رحل عن المهدية." ونشير أن هذا المرجع هو الوحيد الذي جاء بهذه الفكرة. واما التيجاني فيقول ان بقية العسكر أو جند مدينة المهدية كانت مشغولة في مساندة محرز بن زياد الفادغ صاحب المعلقة ضد ابن خرسان صاحب تونس: امارة: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 338. وأيضا: الباجي المسعودي: الخلاصة النقية، ص 52.

(**) كان صاحبها محرز بن زياد الذي أتاه "بالبر وأكرمه وأنزله عنده فأقام هناك أشهرا وهو كاره في الاقامة لما يرا في عيني محرز من السآمة فأحب الانتقال الى مصر وواليها اذ ذاك الحافظ . . . . . . فابتاع من تونس مركبا عدّه لسفره فسلم جرجي بذلك فأعدّ له عشرين قطعة ترقب اقلاعه لتقبضه وعلم بذلك الحسن فعدل عن السفر الى مصر ونظر في التوجه الى الخليفة عبد المؤمن بن علي بالمغرب."

اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 400، وايضا:

Idriss (H. R.): op. cit., I, pp. 361-363; Mercier: op. cit., II, pp. 88-89.

مستاومة وكان ذلك في يوم الاثنين ٢ صفر ٥٤٣ هـ/ ٢٢ جوان ١١٤٨ م (1).

ورواية ابن الاثير، التي تعتبر أكثر الروايات العربية غزارة عن وصف هذا الفتح (*) قد حفظت لنا تفاصيل الأحداث التي أعقبت سقوط مدينة المهدية بأيدي النورمان وتسرد في هذا الشأن " ودخلوا البلد بغير مانع ولا مدافع ودخل جرجي القصر

(1) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير : الكامل، ص ٢١٤-٢١٥، ابن عذاري : البيان، ص ٢٧٣، التيجاني : رحلته، ص ٣٢٧-٣٣٠، ابي الفداء : المختصر، ص ٤١٥، ابن خلدون : العبر، ص ٤٢٣، ٥٠٠، ابن ابي دينار : المؤنس، ص ٥٣، النويري : نهاية الارب، ص ٤٥٣، ابن ابي زرع الفاسي : الانيس المطرب، ص ٤٠٣، الصفدي : الوافي بالوفيات، ص ٥٥٧، ابن خلكان : وفيات الاعيان، ص ٤٤٦. وانظر أيضا : القلقشندي : صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٢٥، مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار، ص ٩، الباجي المسعودي : الخلاصة النقية، ص ٥٢، سرهنك : من مفاخر الاخبار، ص ٤٠. وارجع أيضا الى :
Chalondon: Histoire, II, p. I64; Storia, III,2p. 423; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 357; Golvin: op. cit., p. I47; Mas Latrie: Traités: p. 43; Mercier: op. cit., II, p. 87.

يذكر التيجاني ان الاسطول بقي " على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلاد بسبب الريح الى الساعة من حين وصوله ". ويقول ابو الفداء وابن الاثير ان أسطول النورمان بقي على ظاهر البحر الى ثلث النهار. واما ابن خلكان فانه يفيد أن المهدية سقطت في قبضة النورمان في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر صفر وهو خطأ لأن هذا التاريخ يوافق يوم سقوط سوسة كما سنراه فيما يأتي.

(*) " وتعرف هذه الكائنة الشنعاء بكائنة يوم الاثنين ." اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن عذاري : البيان، ص ٢٧٣.

فوجده على حاله لم يأخذ الحسن منه الاّ ما خفّ من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياه ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة وكلّ شيء غريب يقل وجود مثله فختم عليه وجمع سراري الحسن في القصر . . فلما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ونودي بالأمان فخرج من كان مستخفيا فأصبح جرجي من الغد فأرسل الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فأحسن اليهم وأعطاهم أموالا جزيلة وأرسل من جنده المهدية الذين تخلّفوا بها جماعة ومعهم أمان لأهل المهدية الذين خرجوا منها ودواب يحملون عليها الأطفال والنساء وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهدية خبايا وودائع فلما وصل اليهم الأمان رجعوا فلم يمض نحو جمعة حتى رجع أكثر أهل البلد ."(1)

وقد نعمت المهدية وزويلة(*) أثناء حكم جرجي الانطاكي لهما بازدهار اقتصادي واجتماعي ملحوظ، اذ انكب، بعد أن دانتا له كلية، على اعادة تنظيم شؤونهما وتوفير شروط الاستقرار بهما ووفاء بعهده فانه أحسن الى سكان المدينتين وبخاصة أولاد الحسن وأهله وأمهات أولاده المتبقين بالقصر الملكي حيث بادر بارسالهم

---

(1) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير : الكامل، ص 224-225، التيجاني : رحلته ص 400، ابن خلدون : العبر، ص 498، 501، ابي الفداء : المختصر، ص 417، ابن ابي دينار : المؤنس، ص 583، ابن خلكان : وفيات الاعيان، ص 348، وايضا : النباجي المسعودي : الخلاصة النقية، ص 52، سرهنك : حقائق الاخبار، ج 1، ص 402، حسن حسني : خلاصة تاريخ تونس، ص 111، وارجع ايضا الى :
Chalondon: Hist., II, p. I64; Idriss (H. R.): I, p. 358; Storia: III, 2 pp. 424-425; Mas Latrie: Traités., p. 43; Mercier: op. cit., II, pp. 87-88.

(*) يذكرهما التيجاني باسم المهديتين لاتصال زويلة بالمهدية الزيرية ، ويشير ياقوت الحموي الى المسافة التي تفصل بينهما والتي لا تتجاوز رمية سهم فقط أو طول ميدان : ياقوت : معجم البلدان ، ج 2، ص 160 وج 4، ص 6-6.

الى صقلية للاقامة بها (1). وقد اهتم باعادة ادارة مرسة ومحكمة المدينتين كما أقبل على منح التجار أموالا معتبرة لتنشيط التجارة وبعثها من مرقدها وأولى جرجي الانطاكي القضاء اهتماما خاصا اذ حل رجال القضاء في أيامه بمنزلة مرموقة حرصا على ارضاء العامة وتحقيق العدالة اذ "قدّم قاضيا رضيا من أنفسهم يحكم بين الناس ومهّد قواعد البلدين." (2)

وقد لاقت هذه السياسة استحسانا وارتياحا كبيرين لدى سكان المهدية وزويلة وذلك لما حققته بهما من استقرار وعدالة ورواج اقتصادي، والتيجاني يقرّ حقيقة هذه الأوضاع بقوله: "وفرّق عليهم مالا وطعاما أقرضهم اياه فصلحت أحوالهم واغتبط الناس بالمهدية لما رأوا من عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة." (3)

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 58، وأيضا:
Storia, III,2p. 425.

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 58، التيجاني: رحلته، ص 400. وأيضا:
Chalondon: Hist., II, p. 164.

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 400.

يفيد ابن خلدون أن جرجي الانطاكي أمّر سكان المهدية على الجزية: اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 501.

وقد عني الملك روجر الثاني بسك عملة ذهبية وزنها أربعة غرامات ومائة وثلاثة وخمسون وحجمها اثنان وعشرون ميليميتر وعلى هذه العملة نلاحظ الكتابة الآتية:
"ضرب بأمر الملك المعظم رجار المعتز بالله بمدينة المهدية سنة ثلث اربعين خمسمائة."
وكذلك "الحمد لله حق حمده وكما هو أهله ومستحقه." و"الملك رجار" و"المعتز بالله." وتجدر الاشارة الى أن هذه العملة تشبه الى حدّ بعيد نوع العملة الذهبية المستعملة في مصر اثناء حكم الخليفة الفاطمي الظاهر 411-427هـ/1020-1035م ارجع الى الصورة المنشورة في آخر البحث

Abdul-Wahab (H. H.): Deux dinars normands de Mahdia, pp. 2-3.

النورمان في مدينتي سوسة وصفاقس (543 هـ/ 1148م):

ترك سقوط مدينة المهدية قاعدة الملك الزيري الحسن أثرا ايجابيا وكبيرا على معنويات النورمان وبالتالي على نشاطهم الحربي في المنطقة مما جعل قائد جيش النورمان يزداد حماسا واصرارا على مواصلة فتوحاته العسكرية التي حقق منها جزءا لا يستهان به .

ولما انقضت ثمانية أيام من استيلاء النورمان على مدينة المهدية(1) واستعاد جيش النورمان أنفاسه واستجمع قوته جهّز جورج الانطاكي حملتين عسكريتين لاستئناف مشروعه التوسعي ، فوجّه احداهما الى مدينة سوسة الزيرية وغزتها في يوم 12 صفر سنة 543 هـ/ 2 حزيرانية 1148م(*) فتمكنت منها في نفس اليوم بكل يسر وسهولة(2) ، ولم يحاول علي بن الحسن صاحب المدينة رد هجوم المغيرين عليه بل عمد الى مغادرة المدينة ليلتحق بأبيه الهارب مما أدى بسكانها الى الاقتداء به فتركوها طعمة سائغة لغزاة النورمان(3).

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 296 .

(2) اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 295، ابن ابي دينار : المؤنس، ص 58 ، ابن عذاري: البيان، ص 376 ، النويري: نهاية الارب، ص 453 ، ابن خلدون : العبر، ص 468، 501-502. وأيضا : سرهنك: من حقائق الاخبار، ج 1، ص 403، وايضا :
Chalondon: Histoire, II, p. 164; Storia, III, 2, p. 426; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 358; Mas Latrie: Traités, p. 43; Mercier: op. cit., II, p. 88.

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 296، ابن خلدون : العبر، ص 502.

(*) ابن خلدون يذكر منتصف شهر صفر.

وأوفد الحملة الثانية الى مدينة سفاقس التي كان سكانها أكثر شجاعة وقوة من أهل مدينة سوسة . وقد استطاعت قوات المدينة التي أعدت عدتها الصمود أمام هجومات جيش النورمان وأكثر من ذلك فانها حاولت كسر الحصار الذي ضرب عليهم بتنظيم هجوم عنيف على جنود النورمان ، ولكن النورمان تنبهوا له فلجأوا الى تنفيذ خطة حربية محكمة . وكانت الخطة أن أظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى أبعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم جماعة . "(1)

وبعد الفوز الكبير كرّ النورمان كرة قوية على المدينة فسقطت في قبضتهم في يوم 23 صفر سنة 543 هـ/ 12 جويلية 1148م(2) ووقع في الاسر المهين الالاف من الرجال والنساء والأطفال ، لكنه لم يلبث أن " نودي بالامان فعاد أهلها اليها فافتكوا حرمهم وأولادهم ورفق بهم وبأهل سوسة والمهدية وبعد ذلك وصلت كتب من رجار لجميع أهل افريقية بالامان والمواعيد الحسنة . "(3)

---

(1) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير :الكامل، ص 216 .
يقول ابن خلدون " ثم جهز جرجي اسطولا آخر الى سفاقس وجاء العرب لانجادهم فلما تواقفوا للقتال استطرد لهم الفرنج غير بعيد ثم كروا عليهم فهزموهم وسخن العرب عنهم . " واما ابن ابي دينار فيشير الى أن " أهل سفاقس دافعوا على انفسهم بقدر طاقتهم . " اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون :العبر، ص 502، ابن ابي دينار : المؤنس، ص 582 .
(2) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون :العبر، ص 400، 502، التيجاني :رحلته ص 381، ابن الاثير :الكامل، ص 222، ابن ابي دينار : المؤنس، ص 583، الادريسي :نزهة المشتاق، ص 72، وايضا : Romualdi: op cit., VII, 1 ère par., p. 227
أشار صاحب كتاب الاستبصار، ص 7، ان الروم " ملكوا هذه الجهات الساحلية . " وهذا عند ذكره لمدينة سفاقس، واما ابن عذارى فقد ذكر أن " في سنة 538 هـ/ 1143-1144م دخل ... الاسطول النورماني مدينة سفاقس ودخلت في عمل رجار صاحب صقلية . " اماري : المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن عذارى :البيان، ص 378، وأشار Golvin: op cit., p I47: الى عام 1143م كتاريخ لسقوط مدينة سفاقس .
(3) اماري :المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير :الكامل، ص 222، ابن خلدون :العبر، ص 502، التيجاني :رحلته ، ص 381، ابن ابي دينار :المؤنس، ص 582، وايضا : Idriss (H.R.) : op. cit., I, p. 359; Storia, III,2p 426; Mas Latrie: Traités, p 43.

ولم يحاول الملك روجر الثاني اخضاع مدينة صفاقس لادارة نورمانية رغم استقرار بعض جنود النورمان الفاتحين بها (1) بل اختار ليسوس أمورها أحد أعيان وعامة علماء المدينة وفقهائها ألا وهو الشيخ ابو الحسن الفرياني (*)(2) الا أن هذا الأخير اعتذر بعدم قدرته على تحمل هذه المسؤولية بسبب عجزه وكبر سنه ونصح الملك روجر الثاني بتولية ابنه عمر مكانه .

انصاع الملك روجر الثاني لرأي أبي الحسن الفرياني فعمد الى تعيين عمر على امارة المدينة(3)" وحمل ابا الحسن الى صقلية رهينة فأوصى ابنه وقال يا بني أنا كبير السن وقد قرب أجلي فمتى أمكنتك الفرصة فانقذ المسلمين من ملكة العدو ولا تخش عليّ واحسبني قد متّ ."(4).

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن التيجاني: رحلته، ص 381 .

(2) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 301، ابن خلدون: العبر، ص 502 .

(3) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 301، ابن خلدون: العبر، ص 400، 503، التيجاني: رحلته، ص 381، وايضا: Storia, III,2p. 426.

يقول ابن ابي دينار: "وولى عليهم ولاة من قبله ." واما الادريسي فجاء بما يلي: "وليها عامل من قبل الملك المعظم رجار ." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس، ص 533، الادريسي: نزهة المشتاق، ص 72 .

(4) اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 504، 503، التيجاني: رحلته، ص 382 .

وجاءت رواية ابن الاثير بما يلي: "فمتى أمكنتك الفرصة في العلاج على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في انني اقتل واحسب انني قد متّ": اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 301 .

وبالفعل فقد نفّذ عمر بن ابي الحسن وصية ابيه ذلك انه "لما وجد هذه الفرصة عام 551هـ/1156م - 1157م دعا أهل المدينة الى الخلاف ." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 301، ابن خلدون: العبر، ص 470، 503، التيجاني: رحلته، ص 381 .

(*) هو من فريانة الواقعة بين قفصة وتبسّة .

ولما أعاد جورج الانطاكي الأمن والاستقرار الى نصابهما داخل المدن التي فتحها (*)(1) صمّم على مهاجمة واحتلال قلعة اقليبية وهي قلعة حصينة تقع قرب قرطاجنة "فلما وصل اليها سمعت العرب فاجتمعوا اليها ونزل اليهم الفرنسج فاقتتلوا فانهزم الفرنسج وقتل منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين الى المهدية ."(2)

على أن هذه الفتوحات النورمانية في الواقع لم تستمر على وتيرتها السابقة حيث اعتراها فتور منذ سنة 544 هـ/ 1149 ـ1150 م وذلك بسبب انشغال الملك روجر الثاني في حروبه ضد الامبراطورية البيزنطية والتي لعب فيها جورج الانطاكي دورا بارزا وقد اضطر الملك روجر الثاني الى سحب معظم قواته البحرية المرابطة بموانئ افريقية وتوجيهها نحو بلاد الاغريق . فارتاحت مدن افريقية من شر وثبات النورمان ردحا من الزمن ، ومما أثر كذلك سلبيا على سياسة الملك روجر الثاني الحربية والتوسعية وفاة قائده جورج الانطاكي سنة 1151ـ1152م/ 546 هـ ، وهو الذي تمت تحت قيادته معظم انتصارات النورمان على شواطئ افريقية ، وعلى الرغم من تعيين الملك روجر الثاني خليفة له ألا وهو فيليب المهدوي Philippe de Mahdia (**) فان

---

(1) " وجاءته وفود العرب وأكابرهم قد دخلوا في طاعته واستوثق له الحكم على أكثر البلاد وجبى خراج رعاياها برفق منه واحسان واستدال الناس وسار فيهم سيرة حسنة بالرفق بهم ". اماري: المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن ابي دينار: المؤنس ، ص 539 - 540

(2) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص 296ـ297 ، ابن ابي دينار: المؤنس ، ص 540 ، ابن خلدون: العبر ، ص 502 . وايضا : Storia, III 2 pp 426-427.

(*) ولا شك ان الملك روجر الثاني قد استغل الخيرات التي تحظى بها مدينة سفاقس لا سيما الزيت ، ويشير صاحب كتاب الاستبصار ، ص 27 : " ان المراكب تحمله الى بلاد الروم وعليه مدخل أهل صقلية وايطاليا . . . وقلورية ."

(**) هو من مدينة المهدية . دائرة المعارف الاسلامية ، ج 4 ، ص 347 .

هذا الأخير لم يبلغ مبلغ جورج الانطاكي ابدا في اخلاصه للملك وفي حنكته ومهارته الحربية(1).

ومهما يكن من أمر هذه الانشغالات فان الملك روجر الثاني لم يصرف أنظاره كلية عما كان يجري من تطورات سياسية في المغرب الاوسط آنذاك . وقد كان يتبع باهتمام بالغ سير فتوحات الموحدين بهذه المنطقة(2)، ويترصد الفرصة اللائقة لاعاقته مدركا أحسن ادراك خطر هذا الزحف على مكتسباته بافريقية . وحضرت له هذه الفرصة

---

(1) ارجع الى : Chalondon: Histoire, II, p. I65; Idriss(H.R.): op. cit., I, p. 361.

لقد أشار ابن خلدون وابن الاثير الى الصراع البيزنطي النورماني مبرزين فضله على اغفال الملك روجر الثاني حينا من الدهر فتوحاته الافريقية كما وضحا جيدا مكانة جورج الانطاكي ودوره البارز في تحقيق سياسة النورمان التوسعية في الغرب والشرق على السواء ولقد جاءت رواية ابن الاثير في هذا الشأن بما يلي : " في هذه السنة - 544 هـ - اختلف رجار الفرنجي صاحب صقلية وملك القسطنطينية(*) وجرى بينهما حروب كثيرة دامت سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك املك رجار جميع افريقية . . . وكان الذي يفصل هذا بالروم والمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية فمرض عدة امراض ومات سنة ست واربعين وخمسماية فسكنت الفتنة واستراح الناس من شره وفساده ولم يكن لصاحب صقلية من يقوم مقامه . " واما رواية ابن خلدون فقد حفظت لنا هذا القول : " وكانت الفتنة بين رجار . . . وبين ملك الروم . . . فشغل رجار عن افريقية وكان متولى كبرها جرجي بن ميخائيل(**) ثم مات سنة ستّ واربعين فسكنت تلك الفتنة ولم يقع لرجار بعده احد مقامه . " اماري :المكتبة الصقلية ، نقلا عن ابن الاثير: الكامل ، ص 297 ، ابن خلدون : العبر، ص 502 .

(*) هو الامبراطور مانويل بن يوحنا . عن هذا الصراع ارجع الى الفصل الثالث من هذا البحث .

(**) ذكر سرهنك ، في كتابه " من حقائق الأخبار " ، ج 1 ، ص 409 ، باسم جورجي بن مناسل .

(2) لمزيد من التفاصيل عن فتوحات الموحدين في المغرب الاوسط ارجع الى :
اماري :المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص297 ـ 298 ، ابن خلدون :العبر، ص 490 ـ 491 ، النويري :نهاية الارب ، ص 453 ، وايضا : Idriss (H.R.): op cit., I, pp 365-371; Chalondon: Hist., II, p I65; Mas Latrie, Traités. p. 41; Mercier: op. cit., II, pp. 92-94.

حينما نادى أهالي افريقية من العرب(*) الى مقاومة زحف الموحدين (1)، اذ بادر بتحريض وتشجيع أمراء العرب أمثال محرز بن زياد وجبارة بن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن على تحقيق مشروعهم ، كما عرض عليهم مساعدته العسكرية قوامها خمسة آلاف فارس نورماني " على شرط أن يرسلوا اليه الرهائن "، لكن أمراء العرب رفضوا هذه المساعدة ، غير أنهم " شكروه ، وقالوا ما بنا حاجة الى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين ."(2) وهكذا ضاعت من الملك روجر الثاني فرصة ثمينة لكسر شوكة جيش الموحدين التي أخذت تنمو وتتقوى بشكل مهدد المتواجد النورماني في افريقية .

عودة النورمان لجزيرة جربة : (548 هـ/1153م) :

وقد كان على الملك روجر الثاني عام 548 هـ/1153م أن يواجه ثورة عارمة قام بها سكان جزيرة جربة(**) لكسر نير احتلال النورمان عليهم ، ويشير الادريسي الى هذه المحاولة الثورية وتصدي الملك روجر الثاني لها بعنف وشراسة حيث يقول : " ثم نافقوا وخرجوا عن طاعة الملك المعظم رجار فغزاهم في هذه السنة ـ 548 هـ ـ بالاسطول فاستفتحها ثانية ورفع جميع سبيها الى المدينة(***)"(3) . وجاءت رواية التيجاني

(1) امارى :المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص 293 ــ 292 ، وايضا :
Idriss (H. R.): op. cit., I, pp. 371-372.

(2) امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 292 .وايضا :
Chalondon: Histoire, II, pp. I65-I66.
استطاع جيش الموحدين ان ينزل بهؤلاء الامراء بسهل سطيف هزيمة ساحقة في يوم الخميس اول صفر عام 548هـ/28 افريل 1153م .ويذكر شالندن يوم 23 افريل عام 1153م ارجع الى : Chalondon: op. cit., II, p. I66; Idriss (H.R.): op. cit., I, pp 372-373.

(3) امارى :المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي :نزهة المشتاق ، ص 74 .

(*) وهم بنو هلال والاثبج وعدى ورياح وغيرهم من العرب :امارى :المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير :الكامل ، ص 298 .

(**) احتلها النورمان عام 529 هـ/1135م انظر ما سبق من هذا الفصل .

(***) لعل هي بالرمو حاضرة التاج النورماني .

بتفصيل أكثر" فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسماية ثار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كثيرة فغزاهم النصارى من عامهم وتغلبوا على الجزيرة ثانية فنقلوا أكثر أهلها سبايا الى بلادهم ولم يبقوا بها الا من لا بال له ."(1) ويقرّ ابن خلدون هذه الحقيقة اذ يقول : " ثم ثار أهلها عليهم وأخرجوهم سنة ثمان واربعين ثم تغلبوا عليها ثانية وسبوا أهلها واستعملوا على الرعية وأهل الفلاح ."(2)

النورمان ومدينة بونة (أو عنابة) (548 هـ/ 1153م) :

ان تمرّد أهالي جزيرة جربة على حكم النورمان وقمع الملك روجر الثاني له لفت انتباه هذا الأخير الى ضرورة الاهتمام من جديد بسياسته الافريقية كما أن الانتصارات التي أخذ الجيش الموحدي يسجلها على حساب الحماديين في المغرب الاوسط أشعرته بوجوب التصدي لهذا الخطر الداهم وبالتالي قرّر احتلال مدينة بونة ليجعل منها قاعدة أمامية تساعده على احباط تقدم الموحدين نحو افريقية(3)، ولهذه الغاية أوفد الملك روجر الثاني الى مدينة برنة سنة 548 هـ/ 1153م أسطولا حربيا تحت امرة أحد المرتدين عن الاسلام ألا وهو فيليب المهدوي وبمساعدة العرب تمكن منها بعد أن فرض عليها حصارا شديدا في شهر رجب من عام 548 هـ/ 22 سبتمبر 21 اكتوبر 1153م، وتعرضت المدينة بعدئذ للنهب والتخريب كما وقع سكانها في الاسر المهين ، غير أن فيليب المهدوي لم يغال في التشديد على أهل المدينة حيث سمح لبعض العلماء والعائلات بمغادرة المدينة بأهليهم وأمتعتهم وثرواتهم والتوجه الى القرى المجاورة

(1) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن التيجاني :رحلته ، ص 384 ـ 385 .
(2) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون :العبر، ص 426 .
(3) أنظر: Idriss (H. R.): op. cit., I, p. 375.

للاحتماء بها (1).

ولما انقضت عشرة أيام على هذا الانتصار وتمّ تعيين أمير من بيت بني حماد على كرسي مدينة بونة توجّه فيليب المهدوى الى مدينة المهدية ومنها جاز الى صقلية ومعه بعض أسرى مدينة بونة الا أنه لم يلبث إثر بلوغه جزيرة صقلية أن أمر الملك روجـــر الثاني بالقبض عليه وتقديمه أمام محكمة دينية فحكم عليه بالاعدام حرقا في شهـــر رمضان من سنة 548 هـ/ 20 نوفمبر – 19 ديسمبر 1153م (2).

ويعزو ابن الاثير تصرف الملك روجر الثاني الى سببين أساسيين أحدهما سياســي والثاني ديني، فالسبب السياسي يقوم على أساس أن فيليب المهدوى اتهم بالتساهـــل والتسامح تجاه أهل مدينة بونة، ويرجّح أن هذا التسامح يقصد به تلك الرخصة التي منحها لبعض سكان المدينة للخروج منها (*). واما السبب الديني فيتمثل في أن

(1) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 292، ابن خلدون: العبر، ص 502-503، ابن عذارى: البيان، ص 37، الادريسي: نزهة المشتاق، ص 73. وايضا:
Romualdi: op. cit., VII, 1ère par., p. 227.
وارجع ايضا الى: Storia, III 2 p. 432; Chalondon: Histoire, II, p. I66; Golvin: op. cit., p. I47; Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 375; Mas Latrie: Traités., p. 43.

(2) "فجمع رهبان الاساقفة والقسوس والفرسان فحكموا بأن يحرق فأحرق في رمضان." امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 299-300. وتقريبا نفس الرواية جاء بها امارى نقلا عن ابن خلدون، المكتبة الصقلية، ص 503. وانظر ايضا: دائرة المعارف الاسلاميـة، ج 4، ص 247، وايضا: Storia, III 2 PP. 443-444; Chalondon: op. cit., II, pp. I04, I66; Mas Latrie: loc. cit.

ذكر رموالد السالرني ان مدينة قفصة من المدن التي استولى عليها النورمان.

(*) ان قول ابن الاثير يجعلنا نتساءل لماذا رغب الملك روجر الثاني في التشدد مع أهالي مدينة بونة وأراد البطش بهم في حين تعد سياسته تجاه رعايا مدن افريقية الساحليـة الاخرى التي استولى عليها آية في الاتزان والحكمة والتسامح. ولعل سبب رغبة الملك روجر الثاني في اظهار التعصب مع رعايا مدينة بونة هو محاولة تحذير هؤلاء من مغبة القيام بأية ثورة ضد حكم النورمان وكذلك تحذيرهم من اي تعامل مع الجيش الموحدي الزاحف، علما بأن الملك روجر الثاني يميل الى جعل مدينة بونة قاعدة امامية تقي ممتلكاته الافريقية ضد اي غزو خارجي.

فيليب "وجميع فتيانه مسلمون ويكتمون أمرهم وشهدوا عليه انه لا يصوم مع الملك.[1] ويشير المؤرخ اماري الى ان شهادة رموالد السالرني حول أسباب مقتل فيليب تتفق مع قول ابن الاثير مبرزة قلق الملك روجر الثاني الديني وحرصه على حماية الكنيسة وتدعيم أركانها[2]، واما شالندن الذي يؤكد على روح التسامح الديني الذي يمتاز بهما الملك روجر الثاني فانه يستبعد أثر العامل الديني في عملية اعدام فيليب المهدوي، اذ يفسر تصرف الملك روجر الثاني على انه نتيجة لتخاذل وخيانة فيليب المهدوي أثناء غزوه مدينة بونة واحتلاله لها[3]. ومهما يكن من أمر تباين هذه الآراء فان الرأي القائل بعداء الملك روجر الثاني للمسلمين دليله ضعيف ولا يمكن الأخذ به لان تسامح الملك روجر الثاني وتقديره للمسلمين هما فوق كل شك وارتياب وان مقام الشريف الادريسي في بلاط الملك روجر الثاني واشتغال المسلمين في ادارة الدولة لبرهان ساطع على عدم تعصب الملك روجر الثاني لدينه المسيحي.

وقد سجلت مدينة بونة، في نفس السنة التي احتلها النورمان، ركودا وضعفا كبيرين في حالتها العامة وكان يدبر شؤونها عامل تابع لملك صقلية ينتمي الى أسرة الحماديين

---

(1) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 299.

وأشار ابن خلدون الى هذين السببين قائلا: " فنكر عليه رجار رفقه بالمسلمين في برنه وحبسه ثم اتهم في دينه فاجتمع الاساقفة والقسوس وأحرقوه." اماري: المكتبة الصقلية، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 503.

(2) أنظر: Storia ; III,2pp. 443-447.

على حد قول ابن الاثير فان هذا الحدث ايدان بعدول الملك روجر الثاني عن اعتداله وتسامحه تجاه المسلمين ومقدمة للنكبة التي أصابت هؤلاء "وهذا ساء اعدام فيليب المهدوي اول وهن دخل على المسلمين بصقلية ولم يمهل الله رجار بعده الا يسيرا." اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 300.

(3) أنظر: Chalondon: Histoire, II, p. I04.

وهو الحارث بن العزيز اخو يحيى (1). وتذكر المصادر كذلك ان النورمان عقب تمكنهم من مدينة بونه جهزوا حملة عسكرية وتوجهوا الى جزيرة قرقنة فأعادوا احتلالها من جديد سنة 548 هـ/ 1153م (2). ويفهم من هذا القول أن هذه الجزيرة سبق أن تخلصت من نفوذ النورمان ولكن لا يعلم متى وكيف تم هذا الحدث بالضبط (3).

وهكذا نال الملك روجر الثاني مبتغاه في افريقية اذ تمت له السيطرة الكاملة على معظم مواقعها الساحلية الاستراتيجية (*) وهي السيطرة التي مكنته من بسط نفوذه

---

(1) "وهي الآن في ضعف وقلة عمارة وبها عامل من قبل الملك رجار من آل حماد." اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي :نزهة المشتاق، ص 73، وارجع ايضا الى :
Chalondon: Histoire, II, p. I66.

(2) اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن الادريسي :نزهة المشتاق، ص 73.

(3) أنظر Idriss (H. R.): op cit., I, p. 376
"وفي هذه السنة - يقول ابن الاثير، اي عام 548هـ/ 1153م - وصلت مراكب من صقلية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية." اماري: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير :الكامل، ص 300، ابي الفداء :المختصر، ص 417. ويعتقد اماري في كتابه Storia, III,2 p 433 ان هذه المدينة هي مدينة تنس الواقعة بغرب عاصمة الجزائر الا أن نالينو Nallino في هامش رقم 385 من كتاب Idriss (H.R.): op cit, I, p. 376 يستبعد كلية هذا الرأي.

(*) "وغلبه النصارى - اي الحسن - على المهدية وبلاد الساحل كلها" القلقشندي: صبح الاعشى، ج 5، ص 125. واشار ابن العبري الى هذه الفتوحات بقوله: "وتطرقوا الى أطراف افريقية فملكوا منها شيئا" ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 196، واومأ كذلك ابن ميسر في كتابه "اخبار مصر"، في: R.H.O., III, p. 468 الى سياسة التوسع التي انتهجها الملك روجر الثاني في افريقية، ويوضح ابن الاثير سعة فتوحات الملك روجر الثاني في افريقية حيث يقول: "وصار الفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن المغرب الى دون القيروان." اماري :المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 297. وايضا :
Brunschvig: op. cit., I, p. 04; Chalondon: op. cit., II, p. I65; Mas Latrie: op. cit., p 44.
وعلى حد قول ماس لاتري Mas Latrie فان جميع مدن افريقية الساحلية، ما عدا تونس، كانت تدين للملك روجر الثاني بالولاء والطاعة وتدفع له الجزية مما سمح له باستعمال لقب ملك افريقية"، وقد سمى نفسه في بعض قراراته "ملك صقلية وجنوب ايطاليا وافريقية" Ibidem
وارجع ايضا الى: Cornevin: Hist. de l'Afrique, I, p 326.

على المقدرات الاقتصادية لهذه المنطقة فأضحى بذلك سيدا دون منازع على تجارة المسلمين البحرية في جزء لا يستهان به من حوض البحر الابيض المتوسط ، واكثر من ذلك فقد تمكن من فرض رقابة تامة على طرق التجارة الشرقية[1] ، الامر الذى أغاظ الدولة البيزنطية فاشتد النزاع بينهما سنين طويلة . ويبرز لنا ابن ابي دينار[2] مدى قوة النورمان وسيطرتهم على افريقية حيث يقول : " خافته ـ أى الملك روجر الثاني ـ جميع البلاد الافريقية . " واما ابن عذارى[3] فيفيد بقوله : " فخاف أهل تونس من أهل هذه السواحل من النصارى . " وقد احتفظت صقلية بهذا الوضع المفيد لها الى أن توفي الملك روجر الثاني يوم 26 فبراير عام 1154 م / 10 ذو الحجة 548 هـ ، تاركا لابنه وليم ملكا زاهيا مترامي الاطراف تسوده أقوام مختلفة في الجنس واللغة والدين[4] .

على أن هذا الوضع في الواقع لم يدم طويلا لاسرة هوتفيل ، ومن ذلك يحدثنا ابن الاثير[5] عن هذا التحول التاريخي بقوله : " حتى مات ـ اى الملك روجر الثاني ـ في العشر الاول من ذى الحجة من السنة ـ 548 هـ ـ وكان مرضه الخوانيق[*] وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وكان ملكه نحو ستين سنة وإما مات ملك بعده ابنه غليلم وكان فاسد التدبير سيء التصوير فاستوزر مايو البصراني ـ وهو من مدينة بارى ـ فأساء التدبير واختلفت عليه حصون من جزيرة صقلية و بلاد قلورية وتعدى الامر الى افريقية ... " ويواصل ابن الاثير روايته و بشيء من التفصيل عن حركة تحرر أهالي افريقية من قيود الاحتلال النورماني لهم وكذلك جنود عبد المؤمن في تحقيق هذا الاستقلال : " فلما

---

(1) أنظر : Chalondon: Histoire, II, p. I62.
(2) امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن ابي دينار : المونس ، ص 588 .
(3) امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن عذارى : البيان ، ص 373 .
(4) أنظر : Idriss (H.R.): op cit., I, p. 376; Chalondon: Hist., II, p I66.
(5) امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ص 300 ـ 301 . وعن وفاة الملك روجر الثاني ارجع الى امارى : المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون : العبر ، ص 502 وعن الصفدى : الوافي بالوفيات ، ص 657 ، وعن ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص 642 ـ 643 .
(*) هو مرض الدفتيريا Diphterie ويتسبب هذا المرض في تكوين غشاء في مستوى الحنجرة يؤدى الى اعاقة عملية التنفس فيصاب الانسان بالاختناق .

كان هذه السنة ـ اى 551 هـ/1156م ـ قوى طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه وخالف عليه افريقية فأول من أظهر الخلاف عليه عمر ابن الحسين الفرياني بمدينة سفاقس . . . فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك اول سنة احدى وخمسين وخمسماية(*) ثم تبعه ابو يحيى بن مطروح بطرابلس(**) وبعد هما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونه وملكوها وخرج جميع افريقية عن ملك الفرنج ما عدا المهدية وسوسة .

وعن احتلال عبد المؤمن لمدينة المهدية يفيدنا ابن الاثير بقوله : " وسار عبد المؤمن " منها ـ اى تونس ـ الى المهدية والاسطول يحاذيه في البحر فوصل اليها ثاني عشر رجب . . . فدخل عبد المؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة . . . وبقى أهل المهدية حينئذ من النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر ذى الحجة من السنة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوا الأمان لمن فيها من الفرنج . . . ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسماية وسماها عبد المؤمن سنة الاخماس(1) .

---

(1) امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن الاثير: الكامل، ص 305، 307ـ308

عن حركة استرداد مدن افريقية الساحلية من قبضة النورمان ارجع الى : امارى: المكتبة الصقلية نقلا عن ابن خلدون: العبر، ص 503ـ505، النويرى: نهاية الارب، ص 453، التيجاني: رحلته، ص 401ـ403، ابي الفداء: المختصر، ص 417ـ418، ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص 403ـ404، ابن عذارى: البيان، ص 374، ابن ابي دينار: المؤنس، ص 540، وايضا : : مؤلف المجهول: الاستبصار، ص 7، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 4، ص 696، والبيذق: كتاب اخبار المهدى بن تومرت، ص 146ـ147. وايضا : سرهنك: من حقائق الاخبار، ج 1، ص 40ـ410، دائرة المعارف الاسلامية، ج 4، ص 347، ج 6، ص 325. وايضا : Idriss (H.R.): op. cit., I, pp. 379 et suiv.,

(*) ولعل هذا التاريخ هو أول يوم السنة المذكورة اى في ليلة يوم 30 ذى الحجة سنة 550 هـ الى صباح يوم أول محرم عام 551 هـ/ 24ـ25 فبراير 1156م. انظر: Idriss (H.R.): op. cit., I, p. 380.

(**) عام 553 هـ/ 1158ـ1159م.

وهكذا زعزعت الثورات في افريقية اركان دولة النورمان واضطربت أحوالها وانسلخت بذلك منها معظم أقاليمها فيما وراء البحر وأخذت حينئذ في الانحطاط الى أن ذهب ريحها وأفل نجمها واختفى مسجدها كدولة قوية يحسب لها حساب ابان العصور الوسطى في العالمين الاسلامي والمسيحي على السواء.

الخـاتمـــــة

الخاتمـــــة :

و هكذا يعتبر حكم النورمان في صقلية و جنوب ايطاليا صفحة مشرقة في تاريخ ايطاليا خاصة و أوربا عامة لما أحدثه هذا الحكم من تحولات ايجابية في مختلف أصعدة الحياة الايطالية . وكانت السياسة الخارجية لهذا الحكم أحد الجوانب الأساسية الذي يعكس بشكل جلي هذا الاشراق المجيد .

و من المعروف أن النورمان عنصر بشري موطنه هو شبه جزيرة اسكندناوه و قد نزلوا في القرنين التاسع و العاشر الميلاد يين الى غرب فرنسا حيث أقطعهم ملك فرنسا شارل البسيط عام 911 م اقليم نورمنديا لقاء شروط اشترطها عليهم . على أن هؤلاء النورمان الذين تأقلموا مع الحياة الفرنسية لم تلبث وفود منهم أن نزلت بأرض ايطاليا الجنوبية في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، و لم يكد يأتي عام 1091 م حتى تمكن النورمان بقيادة أبناء أسرة هوتفيل من بسط نفوذهم على جميع أراضي ايطاليا الجنوبية و جزيرة صقلية . لكن ما أن استولى النورمان على هذا الصقع الأوربي حتى أقبلوا على النهوض بأوضاعه و تشييد حضارة زاهية طبعت ايطاليا العصور الوسطى بطابعها الخاص .

و الواقع أن مملكة النورمان حققت مستوى حضاريا هائلا يعود فضل ذلك الى السياسة الرشيدة التي انتهجها حكام النورمان . لقد قامت سياستهم على أساس التسامح الديني و السهر على تطبيق العدل و المساواة بين مختلف أجناس المملكة و هذا هو سر تقدم هذه المملكة و ازدهارها وذلك على عكس سياسة الظلم و التعسف التي مارسها النورمان في انكلترا تجاه رعاياهم الانقلوساكسون على أن النورمان لم يحاولوا نبذ ما وجدوه في ايطاليا الجنوبية وصقلية من معالم حضارية و انما أخذوا بها و تبنوها و وفقوا فيما بينها و أخيرا صهروها في بوتقة واحدة أعطت نموذجا حضاريا رائعا في الابداع و الاتقان

و التفتح ميّز مملكة النورمان عن نظيراتها في أوربا العصور الوسطى مما أثار اعجاب المعاصرين لها في الشرق و الغرب على السواء و ماأنجزه أسلافهم الفيكنج كذلك في نورمنديا من أعمال حضارية جديرة بالاحترام و التقدير يبيّن لناحيوية هذا العنصر عامة و امكانيته الفائقة على التفاعل مع البيئات الجديدة و قدرته العجيبة على تحدي المؤثرات المختلفة بأنواعها .

و لا يمكن لمثل هذه المملكة التي نالت السؤدد أن تعيش في عزلة عن المحيط الدولي اذ تعتبر من الممالك التي أولت اهتماما خاصا للنشاط الخارجي و كانت لها بذلك علاقات اقتصادية و سياسية وعسكرية مع جيرانها شهد لها بدورها الفعال في صنع صورة من تاريخ أوربا العصور الوسطى .

و قد كانت البابوية هي أول من احتك بالنورمان ككيان منظم بحكم وجودها في ايطاليا و متاخمتها لحدود دولتهم و تشكل هذه العلاقة ظاهرة غريبة في العصور الوسطى ، اذ امتازت بالمهادنة أحيانا و العداء الشديد أحيانا أخرى .

و بالفعل فقد سجّلت هذه العلاقات خلال أطوارها أزمات شديدة كان سببها سياسة العنف و التخريب التي مارسها النورمان منذ وصولهم الى ايطاليا الجنوبية و تهديدهم تهديدا مباشرا لأملاك البابوية و أدى هذا الجفاء في أكثر الأحيان الى المواجهة العسكرية هزمت في نهايتها البابوية شر هزيمة .

و من جهة أخرى شهدت هذه العلاقات منعطفات هامة تمّ خلالها الوفاق و الاتفاق بين البابوية و النورمان وكان دافع هذا الانفراج ماشهدته ايطاليا من ظروف صعبة و رغبة كل واحد

من الطرفين في الانتفاع من مركز الآخر .

فمن جانب البابوية فانها كانت تعاني من مضايقات نبلاء الرومان المتواطئين مع الامبراطورية الألمانية التي ما انفكت تتطلع الى بسط سيطرتها ليس فقط على المدن الايطالية بل حتى على كرسي البابوية ليكون أداة في خدمة سياستها التوسعية . وأما النورمان الذين وجدوا في ايطاليا الجنوبية مجالا طيبا لتحقيق أطماعهم التوسعية فكانوا باعتبارهم غرباء عن المنطقة يحسون بحرص شديد عمن يقر شرعية فتوحاتهم ورأوا في البابوية أحسن من يستطيع أن يحقق لهم مبتغاهم .

وكانت نتيجة هذه المصالح المشتركة أن أبرمت عدة معاهدات بين البابوية والنورمان اكتسبت البابوية بموجبها قيمة وهيبة كبيرتين واضحت بذلك قوة يحسب لها حساب في الأوساط الألمانية والرومانية ماسمح لها بممارسة سلطتها الروحية والزمنية دون أن يعوقها عند ذلك أي ضغط أو تهديد . وأما النورمان فانهم أطلقوا العنان بمقتضى هذه الاتفاقات لنزعتهم الوحشية وروحهم التوسعية حتى انتهت اليهم جميع اصقاع ايطاليا الجنوبية وما كان للنورمان أن ينالوا من هذه المنطقة بكل يسر واطمئنان لو لارضى البابوية عن ذلك ومثال على ذلك أن البابوية لم تجد بدا من تشجيع النورمان على فتح جزيرة صقلية ومباركتها له واعترافها مسبقا بأحقيتهم في امتلاكها .

والواقع أن هذه الصداقة لم تكرس نهائيا التحالف البابوي النورماني اذ أن هذا التحالف كثيرا ما تعرض عقده للانفراط بسبب اصطدام مصالح الطرفين ولم تتورع البابوية في مثل هذه الظروف عن الارتماء في أحضان أعدائها التقليديين مما أدى الى اشتعال نار الفتنة وتحويل ساحة ايطاليا الى بؤرة توتر واضطراب .

وعلى كل اذا ادمنا النظر في هذا الصراع نلاحظ أن النورمان أحرزوا خلاله على انتصارات باهرة اذ أوقعوا بالبابوية وحلفائها هزائم نكراء الا أن النصر الحاسم كان من نصيب البابوية حيث استطاعت رغم ضعفها العسكري أن تجعل من النورمانيين اتباعا مخلصين للكنيسة الرومانية وأداة طيعة لها تسخرها لصالحها وترهب بهما عدوها حتى نالت بفضلها الاستقلال الذي ناشدته منذ سنين طويلة .

على أن هذه التطورات كلها لم تتم في معزل عن أنظار الامبراطورية البيزنطية . وكان من الطبيعي أن تتدخل على مستوى الساحة الايطالية لما رأته فيها من حقوق شرعية لها وكانت نتيجة ذلك أن نشأت بينها وبين النورمان علاقات غلبت عليها الصبغة العسكرية البحتة .

لقد اعتبرت الدولة البيزنطية ظهور النورمان في جنوب ايطاليا وما حققوه من انتصارات باهرة اغتصابا لحقها وانتهاكا صارخا لسيادتها وضربة قاصية لكبريائها باعتبارها أقوى الامبراطوريات آنذاك . وكان أن بادرت بيزنطة بارسال عدة حملات عسكرية للقضاء على هذا الكيان النورماني الناشيء الا أنها باءت بالفشل الذريع وتمكن النورمان بعد جهد جهيد من انهاء التواجد البيزنطي عام 1071 م . وذلك بالاستيلاء على مدينة باري آخر معقل للامبراطورية في ايطاليا الجنوبية .

ولم يقف النورمان عند حد هذا المكسب وانّما أخذوا يصبون الى مدّ نفوذهم الى أراضي الامبراطورية ذاتها بل الى عاصمة البيزنطيين نفسها وهي القسطنطينية .

ولحسن حظ الامبراطورية البيزنطية أن تولى عرشها قائد عسكري لامع وشجاع ألا وهو الكسيوس عام 1081م الذي ذلّل مشاكل الامبراطورية وحشد الاجناد فأوقف توغل النورمان الى الداخل كما استرد جميع ما استحوذ عليه النورمان على سواحل الادرياتي . وقد أدت معاهدة ديفول المبرمة عام 1108 م بين " الكسيوس وبوهمند " الى انهاء اطماع النورمان في الناحية الغربية للامبراطورية ردحا من الزمن .

والواقع أن ما يمكن قوله عن حرص النورمان الأوائل على تمديد رقعة اقطاعاتهم أنه يميط اللثام عن الأوضاع السياسية التي تسود ايطاليا الجنوبية اذ كانت هذه المنطقة التي أخذت تشهد باستمرار قدوم وفود غفيرة من النورمان من نورمنديا لا تتسع لأطماع هؤلاء الأمراء النورمان مما أدى الى اشتداد التنافس فيما بينهم الأمر الذي دفع بالعناصر الجريئة الى غزو أراض تتفق وميولهم التوسعية الجامحة .

وقد بلغ الصراع النورماني البيزنطي ذروته في أيام الملك روجر الثاني أقوى ملوك النورمان حتى أخذ طابعا دوليا خطيرا . وما تميز به الملك روجر من طموحات واسعة جوهرها تأسيس أمبراطورية واسعة الأرجاء جعل أغلب قوى الغرب الأوربي تتكتل ضده وتحاربه وفي الشرق الأوربي حقق الملك روجر انتصارات باهرة على حساب البيزنطيين لكن ما أظهره الجيش الأمبراطوري من استماتة وشجاعة وما دبره الأمبراطور البيزنطي مانويل من مؤامرات ضده في ايطاليا ضيعا منه جميع مكاسبه فتوجت محاولته بالخسران المبين .

واذا دققنا النظر في دوافع سياسة روجر التوسعية في الشرق نجد أنها تتميز ببعد استراتيجي هام . ان الملك روجر الذي اشتهر بحدة ذهنه وبعد نظره ونفوذ بصره ، لم يصب من وراء هذه الحركة التوسعية الى تحقيق مكاسب اقليمية تزيد من سعة أملاكه فقط وانما كان يريد وضع يده على حاظرة البيزنطيين وهي القسطنطينية لما اشتهرت به من موقع استراتيجي حساس اذ تربط بين قارتين آسيا وأوربا وبين بحرين نشيطين في الحركة التجارية هما بحر مرمرة وايجه واستحواذه على هذا المعقل البيزنطي الحصين يكفل له السيطرة التامة على الحركة الاقتصادية والسياسية الرابطة بين آسيا وأوربا .

ومن الحركات البارزة التي سجلها تاريخ العصور الوسطى هي الحملة الصليبية الأولى التي تركت بصماتها على المجتمعين الاسلامي والمسيحي . ومن المعروف أن الجيش النورماني الايطالي بقيادة الأمير بوهمند اشترك مشاركة فعالة في هذه الحملة اذ شكلت فرقة أحد الأعمدة الأساسية لها .

وعلى غرار أمراء هذه الحملة حمل بوهمند الصليب ونادى بشعار تحرير بيت المقدس وتخليصه من أيدي المسلمين . والواقع أن بوهمند الذي عرف بدهائه ومكره وشراهته المفرطة لم يحفل بالدين أو يفكر في اعلاء شأنه بتاتا وكان انضمامه الى هذه الحملة الصليبية الكبرى نتيجة لما رآه من ورائها من امكانية الحصول على مكاسب معتبرة يتعذر عليه نيلها في الغرب الأوربي وتحت قناع الدين حقق بوهمند مجدا عظيما ببلاد الشام على حساب المسلمين والبيزنطيين أيضا . وأنشأ امارة واسعة خالصة له بعيدة عن اطماع أهل بيته ولا شك أن ماكانت تشهده بلاد الشام حين وصول جحافل الصليبيين اليها من نزاعات بين أمراء العرب والسلاجقة من جهة وبين السلاجقة أنفسهم من جهة أخرى ساعد كثيرا بوهمند خاصة والصليبيين عامة على تحقيق أمنيتهم الاستعمارية وما كان للصليبيين أن ينالوا بهذه السرعة هدفهم المنشود في الشام لو لم المسلمون شمشهم ووقفوا وقفة رجل واحد لصد هذا الخطر الصليبي الداهم فسكان مدينة انطاكية صمدوا للحصار الصليبي صمودا باهرا مما أدى الى تسرب اليأس والفشل في نفوس الصليبيين الذين أخذوا يفكرون في ترك الحصار لولا أن تواطأ معهم جنود جيش المدينة فيسّر لهم الدخول اليها فتمكنوا منها بكل يسر وسهولة .

والدارس لهذه المرحلة من التاريخ الاسلامي يستخلص أن أوضاع المسلمين المؤسفة ببلاد الشام في نهاية القرن الحادى عشر وبداية القرن الثاني عشر شبيهة الى حدّ بعيد بالحالة الفظيعة التي تسود العالم الاسلامي في عصرنا الراهن ٠

ومهما يكن من أمر فان مشاركة جيوش النورمان في الحروب الصليبية في الشرق الاسلامي يمثل عصرا بطوليا في تاريخ أسرة هوتفيل لما لعبته من دور فعال ورائد في سياسة المواجهة بين العالمين الاسلامي والمسيحي ٠

ولعلنا نلاحظ غياب دور الملك روجر الثاني على الساحة الشامية ، ويعود سبب ذلك بالدرجة الأولى الى انصرافه الى حل مشاكله الداخلية والى مواجهة الأخطار الخارجية المهددة لعرشه ولو قدّر له أن تفرّغ للمسألة الانطاكية لأخذت مجرى آخر ولوجد حلا حاسما لصالحه علما بأن الملك روجر ظلّ يعتبر نفسه الى آخر لحظة من حياته الوريث الشرعي دون منازع للبيت النورماني في امارة انطاكية ٠

والواقع أن الميدان الذى استقطب أكثر اهتمام الملك روجر الثاني في اطار سياسته الخارجية هو ميدان المغرب الاسلامي ٠ لقد كان المغرب الاسلامي في نظر روجر الامتداد الطبيعي لمملكته الايطالية وضمّ هذا الاقليم العربي الاسلامي الى عرشه أمر ضرورى وأكيد حتى تكتمل سيطرته على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ليتم له بذلك التحكم الكامل على المقدرات الاقتصادية لهذا الحوض الحساس ، وعلى هذا الأساس تقوم الفكرة الاستعمارية الحديثة التي تولى أهمية كبيرة للعامل الاقتصادى وهو شريان الحياة للجنس البشرى ٠

لم يشرع الملك روجر في تنفيذ مشروعه التوسعي في المغرب الاسلامي الا بعد أن تمت له دراسة وافية للأوضاع هذه المناطقة. وحينما قرر الملك روجر الثاني الاجهاز عليها كانت أرضيتها جد مواتية لتحقيق هذه الأمنية الاستعمارية اذ بلغت افريقية في عهد الحسن الزيري أقصى درجة الوهن والانحطاط. وكانت صقلية هي التي تزودها بمادة عيشها الأساسية وهي القمح مما سمح للملك روجر الثاني بممارسة ضغوط سياسية على الحسن، وكيف يمكن لهذه الأمة الاسلامية أن تواجه عدوها وتقاومه وهي تستورد من عنده رغيف أكلها والملك روجر أدرك هذا الأمر ادراكا جيدا فأحكم استغلاله. أليست هذه السياسة الاستراتيجية هي المتبعة في وقتنا الحاضر من قبل الدول المصنعة تجاه الدول النامية.

ولما تمت للملك روجر الغلبة على معظم مدن افريقية الساحلية الهامة سلك سياسة محكمة ورشيدة لادارتها اذ بادر بتعيين ولاة من لدن الأهالي ليسوسوا أمرهم تحاشيا لاثارة الحساسيات والأحقاد في نفوس الرعية وقد أعطت هذه السياسة نتائج مرضية اذ نعمت افريقية أيام حكم الملك روجر باستقرار تام وازدهار اقتصادي ملحوظ وارتاحت خواطر الناس لما رأوه من عدل وقوامة في سياسة الحكام. وهكذا ادار الملك روجر شؤون افريقية بعيدا عن حاضرتها بفضل سياسة مستنيرة لم يتراء لمعاصريه من الملوك اتباعها. واستمرت أوضاع افريقية على هذا المنوال طالما التزم حكامها بالسياسة المستقيمة التي اختطها لهم الملك روجر لكن ما ان توفي هذا الملك حتى حاد ابنه وخليفته وليم الأول عن هذه السياسة فأساء تدبير شؤون مملكته وعرفت افريقية نتيجة ذلك سلسلة من الثورات أدت في نهايتها الى انسلاخ أغلب مدنها عن تاج صقلية. والواقع أنني لم أتطرق الى دراسة هذه الصفحة من العلاقات الخارجية لدولة النورمان بسبب المنهجية العلمية التي وضعتها في هذا البحث، وأمل في المستقبل القريب ان شاء الله أن أتم تغطية هذا الجانب المهم من تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط.

الملاحق

الملحق الأول

نص من " حولية دير مونت كاسينو عام 1070م " . يبرز بداية ظهور النورمان في جنوب ايطاليا . "

— في السنة السابعة من رئاسته للدير(1) ارتأى النورمان أمر فتح منطقة أبوليا تحت قيادة الزعيم ميلو(2) . كيف وبأية مناسبة جاء النورمان أولا الى هذه الأصقاع ومن هو ميلو وما أصله وما غرض محالفته لهؤلاء النورمان . هذه هي الأخبار التي يجب ذكرها . بعد مضي حوالي ست عشرة سنة حلّ بمدينة سالرنو أربعون حاجا من النورمان وهم عائدون من بيت المقدس . وكان النورمان رجالا ذوي قامة طويلة ومنظر جميل وخبرة عسكرية كبيرة . وقد وجدوا المدينة حين نزولهم بها محاصرة من طرف المسلمين . وثارت ثائرتهم لنداء الله فطلبوا السلاح والجياد من غيمار الذي كان وقتذاك اميرا على مدينة سالرنو ثم لم يلبث ان انقضوا بغتة على المسلمين المحاصرين فقبضوا على بعضهم ولاذ الباقون بالفرار وسجّلوا بذلك بمساعدة اللّه انتصارا باهرا . وقد صرّح النورمان بعد ئذ ان ما بذلوه من عون لسكان مدينة سالرنو كان في سبيل اللّه والمسيحية فحسب . فرفضوا أخذ الهدايا المقدمة لهم كما أبوا الاستقرار في هذا البلد . ومن ثم بعد أن عقد الامير(3) مجلسا حضره هؤلاء النورمان أوفد سفارة الى نورمنديا وعلى منوال مهارة نارسس(4) حمّلها بالتفاح والكبّادة واللوز والجوزة المذهبة والاقمشة الارجوانية وعدة الخيول المزينة بالريش المصنوع بالذهب الصافي وهذا كله هدايا غرضها اغراء رجال نورمنديا وحملهم على الهجرة الى أرض تقدر على انتاج الكنوز الرائعة . —

ارجع : Chronique du Mt Cassin: dans Calmette (J.): Textes et Documents M.-Âge, t. 2, pp. 53-54.

---

(1) ليس معروفا من هو صاحب هذه الرئاسة واما الدير فدون شك هو دير مونت كاسينو .
(2) وهو ميلاس اللمباردي .
(3) هو الامير غيمار .
(4) قائد لامع ومستشار محنك للامبراطور البيزنطي جستنيان (527 ـ 565م) .

الملحق الثانــــي

ــ نص يمين الولاء الذي قطعه زعيم النورمان روبرت جسكارد للبابا نقولا الثاني .
ويكرس هذا اليمين التحالف النورماني البابوي.(1)

((انا روبرت بفضل الله والقديس بطرس ، دوق ابوليا وقلورية ودوق المستقبل لصقلية .
اذا تلقيت الصون من الطرفين سأكون من الآن وفيا للكنيسة الرومانية المقدسة ولك يا قداسة البابا نقولا . ولن أشارك ابدا في مؤامرة أو محاولة ترمي اما الى هلاكك او فقدك احد أعضاء جسمك او حريتك واذا انبأتني بسرّ وطلبت مني كتمانه لن أبوح به خشية مما ينالك من جرائه من بعض الاضرار . وسأكون دوما ، وفي حدود قدرتي ، حليفا للكنيسة الرومانية المقدسة حتى تحصل وتحافظ على المداخيل المستقلة من أراضي اسقفية روما وكذا أملاكها ، وسوف أساعدك بقوة لتتبوأ بكل أمن وشرف كرسي البابوية في روما ، وأما الاراضي التابعة لاسقفية روما ومقاطعة بينفنتو فاني لن أحاول غزوها أو امتلاكها أو تخريبها دون اذن عاجل منك أو من خلفائك الشرعيين . وسأدفع للكنيسة الرومانية كل سنة وبنزاهة الجزية المحددة على الاراضي التي اكسبها والتي سأملكها في المستقبل واني أضع تحت سلطتكم وبكل املاكها جميع الكنائس التابعة حاليا لحكمي مع ابقائها في اطار سيادة الكنيســة الرومانية المقدسة . واذا قدّر لك ولخليفتك مغادرة الحياة الدنيا قبلي سوف اسهر ، وفق ما يمليه عليّ احسن الكرادلة ورجال الدين والرومانيون العلمانيون ، على ان يتم تعيين البابا الجديد وتكريسه حسب الشرف الذي يليق بالقديس بطرس وسأحترم بوفاء العهود التي قدمتها لك وللكنيسة الرومانية كما سأتخذ نفس التصرف تجاه خلفائك الشرعيين الذين سيؤكدون التقليد الذي منحتني اياه . وليكن الله والاناجيل المقدسة في عوني .))

---

(1) ارجع الى : Delarc (O.): St Grégoire VII et la reforme de l'Eglise au XIe Siècle, t. II, p. I26.

الملحـق الثالـــث

رسالة من الخليفة الحافظ لدين اللّه الفاطمي الى الملك روجر الثاني .

((وكما كتب عن الحافظ لدين اللّه : أحد خلفاء الفاطميين بمصر الى صاحب صقلّية وما معها (1) من ملوك الفرنسج :

" من عبد الله ووليّه عبد المجيد أبي الميمون الامام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، الى الملك بجزيرة صقلية ، وأنكوبرية وأنطالية وقلّورية وسترلو وملف وما انضاف الى ذلك ، وفّقه الله في مقاصده ! وأرشده الى العمل بطاعته في مصادره وموارده ، سلام على من اتّبع الهدى ، وأمير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلّي على جدّه محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين وسلّم تسليما .

أما بعد : فانه عرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ، ففضّ ختامه واجتلى ، وقرئ مضمونه وتلى ، ووقعت الاصاخة الى فصوله ، وحصلت الاحاطة بجمله وتفاصيله ، والاجابة تأتي على أجمعه ، ولا تخلّ بشيء من مستودعه ، أما ما افتتحته به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسيعك القول فيما أولاك من احسانه وكرمه ، فان مواهب الله تعالى ومننه التي جعل تواليها اختبار شكر العبد وامتحانه على أنه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور عليم ، وهو القائل فيمن أثنى عليهم : (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) لا يزال مضاعفها ومرادفها ، ومتبعا سالفها آنفها ، وهو يواليها كلّا من عبيده بقدر منزلته عنده ، ويخصّ أصفياءه بأوفى مما تمنّاه الآمل المبالغ ووده ، والله تبارك وتعالى يمنح أمير المؤمنين ، وآباءه الأئمة الراشدين ، ما غدت مستقدمات الحمد والشكر عند لوازمه مستأخره ، اذ كان أفردهم دون الخليقة بأن أعطاهم الدنيا ثم أعطاهم معها الآخره ، واختصهم من حباءه بما لا يحصيه عدد ، وخولهم من آلائه بما لا يقوم بشكره أحد .

وأما ما ذكرته من افتتاحك الجزيرة المعروفة بجربة لما شرحته من عدوان أهلها ، وعدولهم عن طرق الخيرات وسبلها ، واجترائهم في الطغيان على أسباب لا يجوز التغافل

---

(1) في التعبير تساهل والغرض معلوم .

عن مستلوا ، واستعمالهم الظلم تمردا ، وتماديهم في الغيّ تماديا في الباطل وغلوّا ، يأسا من الجزاء لما استبدوا به ، فان من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمة عنه نائيه ، وخليق أن يأخذه الله من مأمنه ألخذة رابيه ، كما أنه من كان من أهل السلامه ، وسالكا سبيل الاستقامة ، ومقتبلا على صالح شانه ، وغير متعدّ للواجب في سرّه واعلانه ، فحري أن توفّر من الرعاية سهمه ، وتجزل من العناية نصيبه وقسمه ، ويؤمّن مما يقلقه ويزعجه ، ويقصد بما يسره ويبهجه ، ويصان عن أن يناله مكروه ، ويحمى من أذى يلمّ به ويعروه .

وأما شكرك لوزيرك الامير تأييد الدولة وعضدها عز الملك وفخره نظام الرياسة، أمير الامراء ، فان من تهذّب بتهذيبك ، وتخلّق بأخلاقك وتأدب بتأديبك ، لا ينكر منه اصابة المرامي ، ولا يستغرب عنده النساعي ، وواجب عليه أن لا يحصل قلبه الا مثوى للنصائح ، وأن لا يزال عمره بين غاد في المخالصة ورائح .

وأما المركب المحروس ووصول كتاب وكيله ذاكرا ما اعتمده مقدم أسطولك من صونه وحمايته ، وحفظه ورعايته ، واعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه جار في الديوان الخاص الحافظي ، ففصل يجمل عنك صدره ، ويليق بك أن ينسب اليك ذكره وخبره ، ويدلّ على علم أصحابك برأيك واحكام معاقدة المودة ، ويعرب عن ايثارك ابرازها كلما تقادم عهدها في ملابس بهجة مستجدة ، وهذا الفصل من خلائقك الرضية غير مستبدع ، وقد ذخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مستقر وأكرم مستودع ، لا جرم أن أوامره خرجت الى مقدمي أساطيله المظفرة بما يجنيك ثمرة ما غرسته ، ويعلي منار ثنائك الذي قررته على أقوى أصل وأسسته ، وقد نفذت مراسيمه باجرائك على عادتك المستمرة في المسامحة بما وجب للديوان عما وصل برسمك على مراكبك ، وبرسم الامير تأييد الدولة وزيرك ، والرسولين الواردين عن حق الورود الى ثغر الاسكندرية حماه الله تعالى ، ثم الى مصر حرسها الله وحق الصدور عنهما ، وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية .

واما شكرك على الاسرى الذين أمر أمير المؤمنين باطلاقهم اجابة لرغبتك ، ورسم بتسييرهم اليك محافظة على مرادك وبغيتك ، فأوزعنا شعارهم أنهم عتقاء شفاعتك ، وارقّاء منّتك ، فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الرأي وكريم النية ، ومن

الشواهد بأنه يوجب الله ما لا يوجبه لأحد من ملوك النصرانية .

وأما سؤالك الآن في الطاف من تجدّد أسره ، وانهاؤك أن ذلك مما يهمك أمره ، فقد شفّعك أمير المؤمنين بالاجابة اليه على ما ألف من كريم شيمته ، وسيّر اليك مع رسولك من تضمن الثبت ذكر عدّته ، وقد علمت ما كان من أمر بهرام ووصوله الى الدولة الفاطمية خلّد الله ملكها شريدا طريدا ، قد نبت به أوطانه ، وقذفته دياره ، لا مال له ولا حال ، ولا عشيرة ولا رجال ، فقبلته أحسن قبول ، وبلغت به في الاحسان ما يزيد على السول ، وغمرته من الانعام ما يقصر عن اقتراحه كل أمل ، وجعلته فواضلها يتقلّب الطرف بين الخيل والخول ، وكانت أموره كل يوم في نموّ وزياده ، وأحواله توفى على البغية والاراده ، الى أن جرت نوبة اقتضى التدبير في وقتها أن عدقت به الوزاره ، ونيطت به السفاره ، فوسوس له خاطره ما زخرفه البطر وزينه ، وصوره الشيطان وحسّنه ، وأظهر ما ظهرت اماراته ، ووضحت أدلته وعلاماته فاستدعى قبيله وأسرته ، وجنسه وعشيرته ، بمكاتبات منه سريّه ، وخطوط عثر عليها بالارمنيه ، فكانوا يصلون أول أول الى أن اجتمع منهم عشرون ألف رجل من فارس وراجل ، ومن جملتهم ابنا أخيه وغيرهما من أهله ، فدلّوه بالغرور ، وحملوه على ما قضى بالاستيحاش منه والنفور ، وقوّوا عزمه فيما يؤدى الى اضطراب الأحوال واختلال الأمور ، فاستنكرت العساكر المنصورة ما أساء به سياستهم ، وأبوا الصبر على ما غيّر به رسمهم وعادتهم ، فلما رأى أمير المؤمنين ذلك استعظم الحال فيه ، وتيقّن أن التغافل عنه يقضي بما يعسر استدراكه وتلافيه ، فكاتب وليّه وصفيّه الذى ربّي في حجر الخلافه وسما به استحقاقه الى أعلى درج الانافه ، وحصلت له الرياسه باكتسابه ، وغدا النظر في أمور المملكة لا يصلح لغيره ولا يليق الا به ، السيد الأجل الأفضل ، وهو يومئذ والى الأعمال الغربية ، وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعره بهذا الامر الصعب ، وتستكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب ، فأجاب دعاءه ، ولبّى نداءه ، وقام قيام مثله ممن أجزل الله حظّه من الايمان ، وجعله جلّ وعز حسنة هذا الزمان ، واختصّه بعناية قويّه ، وأمدّه بمواد علويّه ، وأيده باعانة سماويّه ، تخرج عن الاستطاعة البشريه ، فجمع الناس وقام خطيبا

فيهم ، وباعثا لهم على ما يزلفهم عند الله ويحظيهم ، وموضحا لهم ما يخشى على الدولة من الامر المنكر، فانتصبا اليه كاجتماعهم يوم المحشر، وغصّت النجود والأغوار، وامتلأت السهول والأوعار، وضاقت الارض على سعتها بالخلائق ، وارتفعت في توجههم لطلب المذكور الاعذار والعوائق، ولم يبق فناء الا وهو بهم شرق ، ولا أحد الا وهو منزعج بقصده وعلى تأخر ذلك القلق . وكان بهرام وأصحابه بالاضافة اليهم كالشامة في اللون البسيط ، وكالقطرة في البحر المحيط ، وساروا مع السيد الأجل الافضل نحوه مسارعين ، وعلى الانقضاض عليهم متوافقين ، فلما شعر بذلك لم يبق له قرار، ولاذ بالهرب والفرار ، يهجر المناهل ، ويطوي المراحل ، ويرى الشرود غنما ، ويعدّ السلامة حلما ، واستقرت وزارة امير المؤمنين لهذا السيد الأجل الافضل الذي لم تزل فيه راغبه ، وله خاطبه ، ونحو توليه اياها متطالبه ، والى نظره فيها مبادرة متسرّعه ، ولم تنفك لزينة دستها مستبطئه ، وفي التلهف على تأخر ذلك معيدة مبدئه ، فأحسن الى الكافة قولا وفعلا ، وعمل في حقّ الدولة ما لم يجعل له في الوزراء شبيها ولا في الملوك العظماء مثلا ، وغدا للملّة الحنيفية حجة وبرهانا ، وأولى الأولياء اعزازا وتكريما والاعداء اذلالا واهوانا ، وصان الخلافة عن نفاذ حيله ، وتصام غيله ، ومخادعة ماكر، ومخاتلة غادر، فلذلك انتضاه امير المؤمنين حساما باترا ماضي الغرار ، واجتباه هماما في المصالح لا يخاصم بصفته غير الغرار ، واصطفاه خليلا وظهيرا لتساوي باطنه وظاهره في الصفاء ، واستخلصه لنفسه لمفاخره الجمّه التي ليس بها من خفاء ، وانتظمت الامور بكفالته في سلك الوفاق ، وعمّت الخيرات بوزارته عموم الشمس بأنوارها جميع الآفاق ، فسعدت بنظره الجدود ، وتظاهرت ببركاته الميامن والسعود ، وأصبح غصن المعالي بيمنه مورقا ، وعلى المسآة من يمن آرائه تمائم من مسّ الحوادث ورقى ، فآثاره توفى على ضياء الصباح ، وعزماته تزرى بمضاء المهندة الصفاح ، ومآثره تفوت شأو الثناء وغاية الامتداح . فالله تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظية ويوزع شكره على سبوغها كافة البريه ، بكرمه وفضله ، ومنّه وطوله .

ولما أمعن بهرام في الهرب ، وجدّت العساكر المنصورة وراءه في الطلب ،

وضاقت عليه المسالك ، وتيقّن أنه في كل وجهة يقصدها هالك ، عاد لمكارم الدولة وعواطفها ، وسأل أمانا على نفسه من متالفها ، فشملته الرحمة ، وكتب له الأمان فعاودته النعمة ، واختلط برجال العساكر المنصورة ، وصار حظّه بعد أن كان مبخوسا من الحظوظ الموفورة .

وأما اعتذار الكاتب عما وجّه اليه بأن من الكلام ما اذا نقل من لغة الى لغة أخرى اضطرب مبناه فاختلّ معناه ، ولا سيما ان عرض فيه لفظ ليس في احدى اللغتين سواه ، فقد أبان فيما نسب اليه السهو فيه عن وضوح سببه ، وقد قبل عذره ولم تفكّ يده عن التمسك به .

وأما ما سيّرته الى خزائن أمير المؤمنين تحفة وهديه ، وأبنت به عن همّة بدواعي المجد مليّه ، فانه وصل وتسلّم كل صنف منه متولّي الخزائن المختصة به بعد عرضه على الثبت المعطوف كتابك عليه وموافقته ، وقد أجرى رسولك في اكرامه وملاحظته على أفضل ما يعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته ، وعلى قدر من وصل برسالته ، وقد سيّر أمير المؤمنين من أمراء دولته ، ووجوه المقدمين بحضرته ، الامير المؤتمن ، المنصور ، المنتخب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، فخر الملك ، موالي الدولة وشجاعها ، ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفرا الحافظي رسولا بهذه الاجابة ، لما هو معروف من سداده ، وموصوف به من مستوفق قصده ومستصوب اعتماده ، وألقى اليه ما يذكره ويشرحه ، وعوّل عليه فيما يشافه به ويوضحه ، وأصحبه من سجاياه وألطافه ، ما تضمنه الثبت الواصل على يده ، ابانة لمحلك عنده ، وموقفك منه ، ومكانك لديه . وأمير المؤمنين متطلع الى ورود كتبك متضمنة من سارّ أنبائك وطيب أخبارك ما يسكن الى معرفته ، ويثق بعلم حقيقته ، فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى(1).

---

(1) القلقشندي : صبح الاعشى ،ج 5 ،ص 458_463 .

ملحق رقم 4

بعض مقتطفات من نص معاهدة ديابوليس (*) (ديفول)

المبرمة بين الكسيوس كومنينوس و بوهمند الاول

في سبتمبر عام 1108م

طلب الامبراطور (**) من بوهمند أن يرجع له ولممثليه جميع الاقاليم التي فتحها آنفا ، وقد رفض بوهمند تقديم هذا الوعد ، ثم تدخل بريانوس نقفور وهو خطيب بليغ وصديق بوهمند فأجبر هذا الاخير على الاذعان لاوامر الامبراطور .

نص المعاهدة :

أنا بوهمند بن روبرت جسكارد ، هذه المعاهدة التي ابرمها مع سيادتكم أتعهد باحترامها احتراما مطلقا بالنسبة لكم يا جلالة الامبراطور الكسيوس كومنينوس امبراطور الرومان وللامير ابنكم (***) البرفروجينيت Porphyrogenète (*+*)

أتعهد بأن أكون تابعا لكم بكل صراحة ووفاء طيلة حياتي كلها وسأسخر قوتي في المستقبل ضد كل الاعداء الذين سيعملون على محاربة جلالتكم ومملكة الرومان التابعة لأباطرتها ومن أجل هذا اذا طلبتم مني مساعدتكم بجيوشي سأستجيب لكم دون تأخير أو تردد ، وذلك حسب متطلبات الظروف . واذا عاملكم أعداؤكم بعنف سأحاربهم من أجل نصرة جلالتكم حتى لو كانوا ملائكة لا يقهرون أو تمسكوا بأجسام قوية كالماس .

واذا كنت في صحة جيدة وأنهيت الحرب ضد الاتراك سأقاوم على رأس جيوشي لنصرتكم واذا منعت من ذلك لاسباب خطيرة وقاهرة أتعهد بتعيين أحد أتباعي ـ

(*) اسم لنهر يصب في بحر الادرياتي يقع حاليا في ألبانيا .

(**) الكسيوس كومنينوس .

(***) يوحنا كومنينوس .

(*+*) معناه حامل العباءة الارجوانية وهي دليل الملك .

كونتاتي سـ ليثوب عني في أداء هذه المهمة . . .

وفضلا عن هذا أتعهد بعدم الفتح او الاستيلاء على أحد الاقاليم الخاضعة لجلالتكم واني سأحتفظ فقط بالاقاليم المذكورة في هذا الاتفاق والتي اقطعتني جلالتكم اياها . ولما أفتح بقوة السلاح بعض المناطق اتعهد باسناد أمر مصيرها لحكمكم وبتنفيذ قراركم . واذا منحتني اياها أتعهد بأن أكون تابعا لكم واذا أقطعتموها لغيري فسأسلمها له وذلك وفق ارادة جلالتكم . . . . . .

واذا فتح قائد اقليما تابعا للرومان وعرضه علي لاستغلاله فاني أرفضه رفضا تاما . .

ولن أبرم أية معاهدة سواء مع مسيحي أو غيره تسيء اليكم . ولن أعلن خضوعي لاي امير أو أية امارة ولن أتبع احدا سوى جلالتكم كما أعدكم بخدمتكم وخدمة ابنكم . . . .

واذا توجه الي بعض أتباعكم طلبا لخدمتي فاني أرفضهم وأطردهم حتى بقوة السلاح . . . .

واذا طلب البرابرة (الفرنـج) الدخول في طاعتي فاني أقبلهم لكن سآخذ منهم وعدا بأن الاقليم الذي احصله منهم سيدخل تحت تاج جلالتكم . واني أتعهد بعدم الاقبال على تصرف يخالف قراركم . . . .

واتباع الامم الذين سينضمون الي فاني أقبلهم لكن لاخضعهم لسلطة جلالتكم والاتفاق الذي يعقدونه معي سوف يعنيكم مباشرة . وعلى هؤلاء ستكون سلطتكم مسلطة ولن يبقى تحت رايتي الا الذين توافقون على بقائهم . . . . .

واما بالنسبة لابن اختي تانكريد فسأعلن ضده حربا ضروسا اذا رفض وضع السلاح وأبى انهاء الحقد الذي يضمره لجلالتكم وكذا اذا امتنع عن التنازل عن مدن امبراطوريتكم . . . .

وكذلك بالنسبة للهاربين من سلطة جلالتكم فاني ارفض استقبالهم بل سأبذل قصارى جهدي ليعودوا الى طاعتكم .

وسوف يقسم الاشخاص الذين هم في رفقتي انهم سيحترمون هذه التعهدات سواء في أيامكم أو أيام ابنكم .

وفضلا عن هذا حينما تعلنون الحرب ضد الذين استولوا على المدن

والاماكن التي كانت تابعة سابقا لامبراطورية القسطنطينية فاني أعد جلالتكم بالمساعدة ورفع السلاح في وجوههم .

ويجب اجراء اعطاء الاراضي والمدن التي ترغب جلالتكم في منحها اياي بقرار مسلكي .

انطاكية ، قاعدة اقليم سيلي سريا (*) (Coelesyrie)، وأرباضها والمناطق المجاورة لها . . . . وكذلك مقاطعتي ارتاح و تلوخ وملحقاتهما . . . . .

وجميع هذه المناطق المذكورة في الرسالة المختومة بخاتمكم الذهبي التي منحتني اياها جلالتكم حتى آخر حياتي وبعد وفاتي يجب أن تلحق قانونيا بروما الجديدة القسطنطينية ملكة المدن شريطة أن أكون مخلصا ووفيا لجلالتكم ولاكون خادما و تابعا لتاجكم . . . .

أتعهد وأقسم وأقر أمام الله المعبود أنه لن يتولى كرسي كنيسة انطاكية بطريرك من أمتنا وانما يتولاه الذي تختاره جلالتكم من أعضاء كنيسة القسطنطينية العظيمة . . .

ومن جهتي أقسم باحترام جميع البنود الموقع عليها وأقسم بآلام المسيح وصليبه المقدس والاناجيل وأقسم بصليب المسيح واكليله الشوكي و بالمسامير والحربة ، وأقسم لكم ايها الامبراطور العظيم وليوحنا ابنك البرفروجينيت . انني سأحترم بدقة هذا الاتفاق وسوف ابقى ملتزما بقراراته واتجاهاته دون أن أحيد عنها مهما كان السبب و سنحارب أعداءكم ونؤيد أصدقاءكم أنا وخلفائي .

وليكن الله في عوننا و عون الصليب المقدس وأناجيله . . . .

وهؤلاء هم الاشخاص الذين تم في حضورهم ابرام هذه المعاهدة :

— الاساقفة المحبوبون من الله .

— مورس اسقف امالفي

(*) يقصد به اقليم سوريا الداخلية .

- ريناردو اسقف تارنتو ورهبانه . . . . . .

وهؤلاء هم الاشخاص الذين وضعوا توقيعهم كشهود .

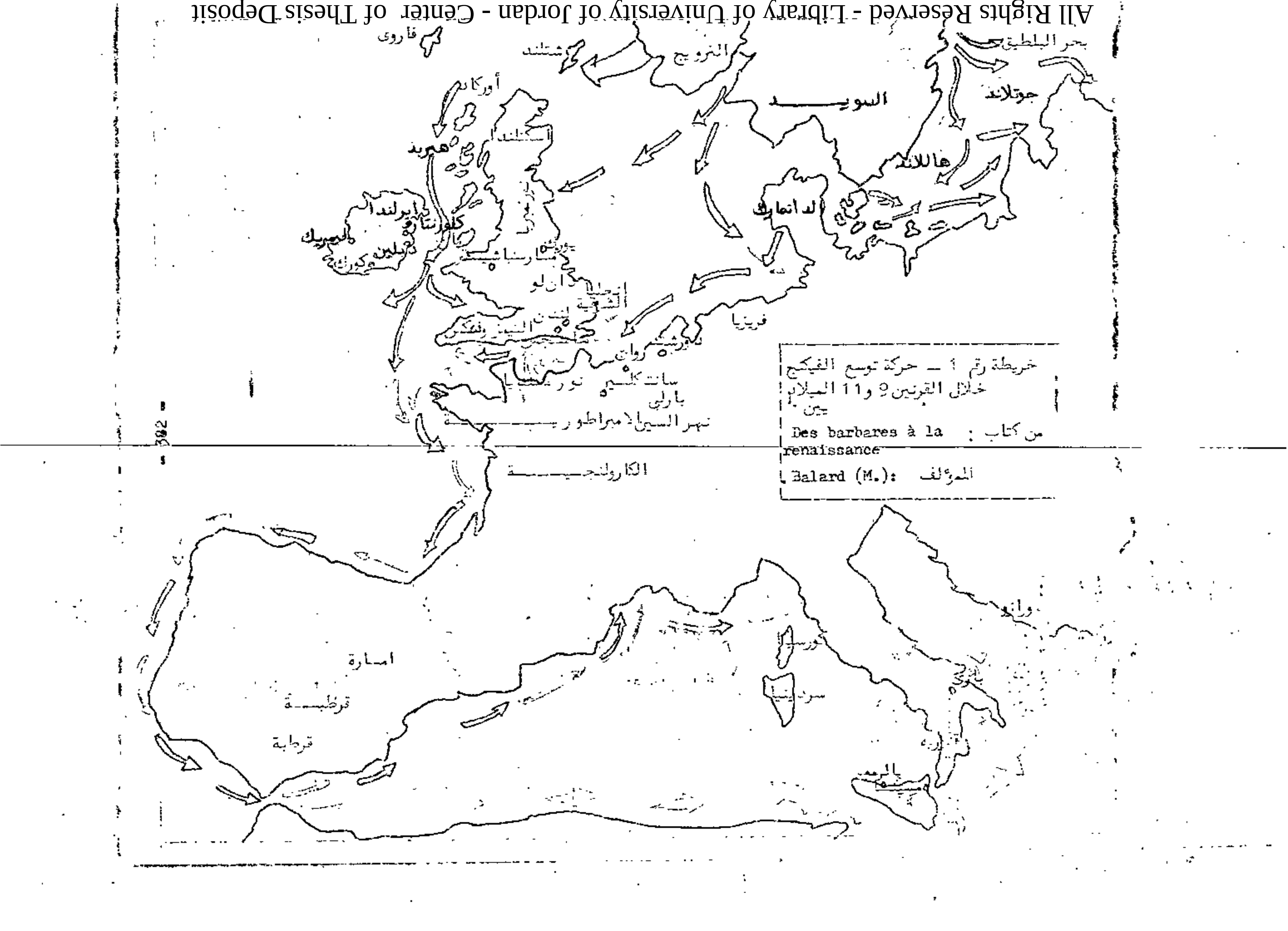
- اسقف امالفي وكذا ممثل البابا لدى الامبراطور . . . .

هذا القسم المدوّن قد تلقاه الامبراطور من بوهمند . (1)

---

(1) Anna Comnena: Alexiad, lib. XIII, in R.H.C. (Hist. Grecques), t. I., pp. 168 et suivantes.

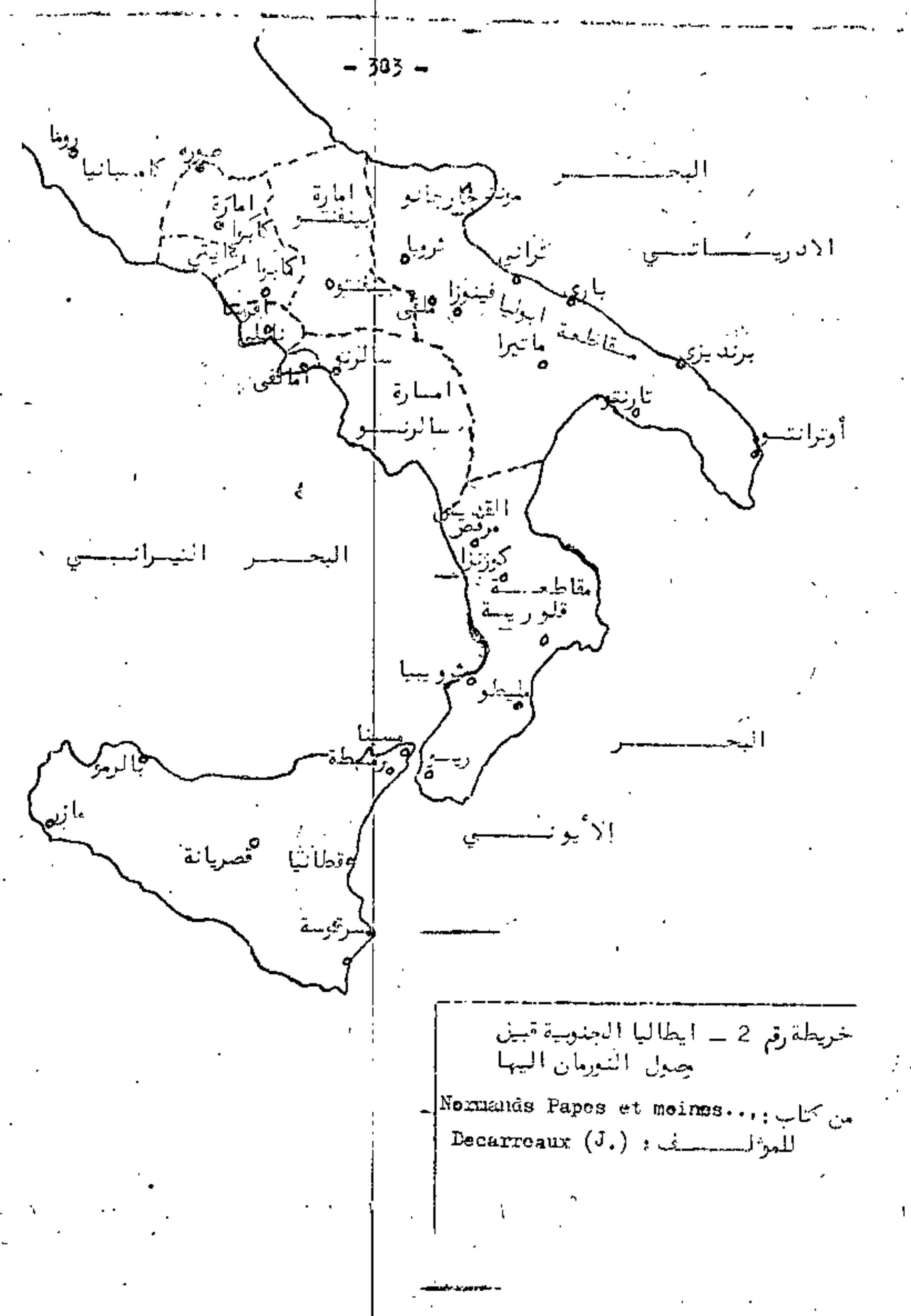
الخصر المستدق



خريطة رقم 1 ــ حركة توسع الفيكنج خلال القرنين 9 و11 الميلاديين

من كتاب : Des barbares à la renaissance

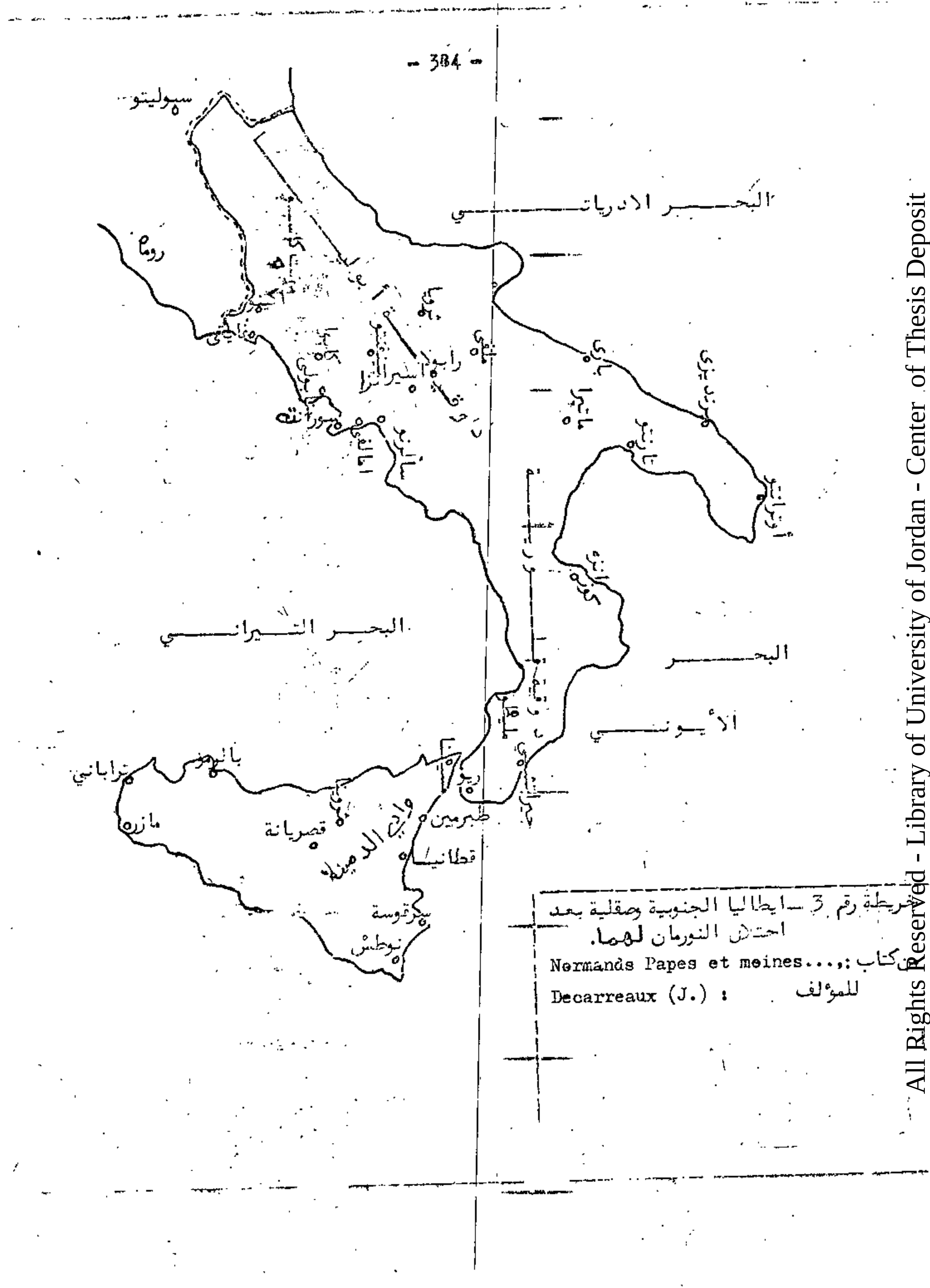
المؤلف : Balard (M.)



خريطة رقم 2 _ ايطاليا الجنوبية قبيل وصول النورمان اليها

من كتاب : Normands Papes et moines...

للمؤلف : Decarreaux (J.)



خريطة رقم 3 ـ ايطاليا الجنوبية وصقلية بعد احتلال النورمان لهما.

عن كتاب: Nermands Papes et meines....,:

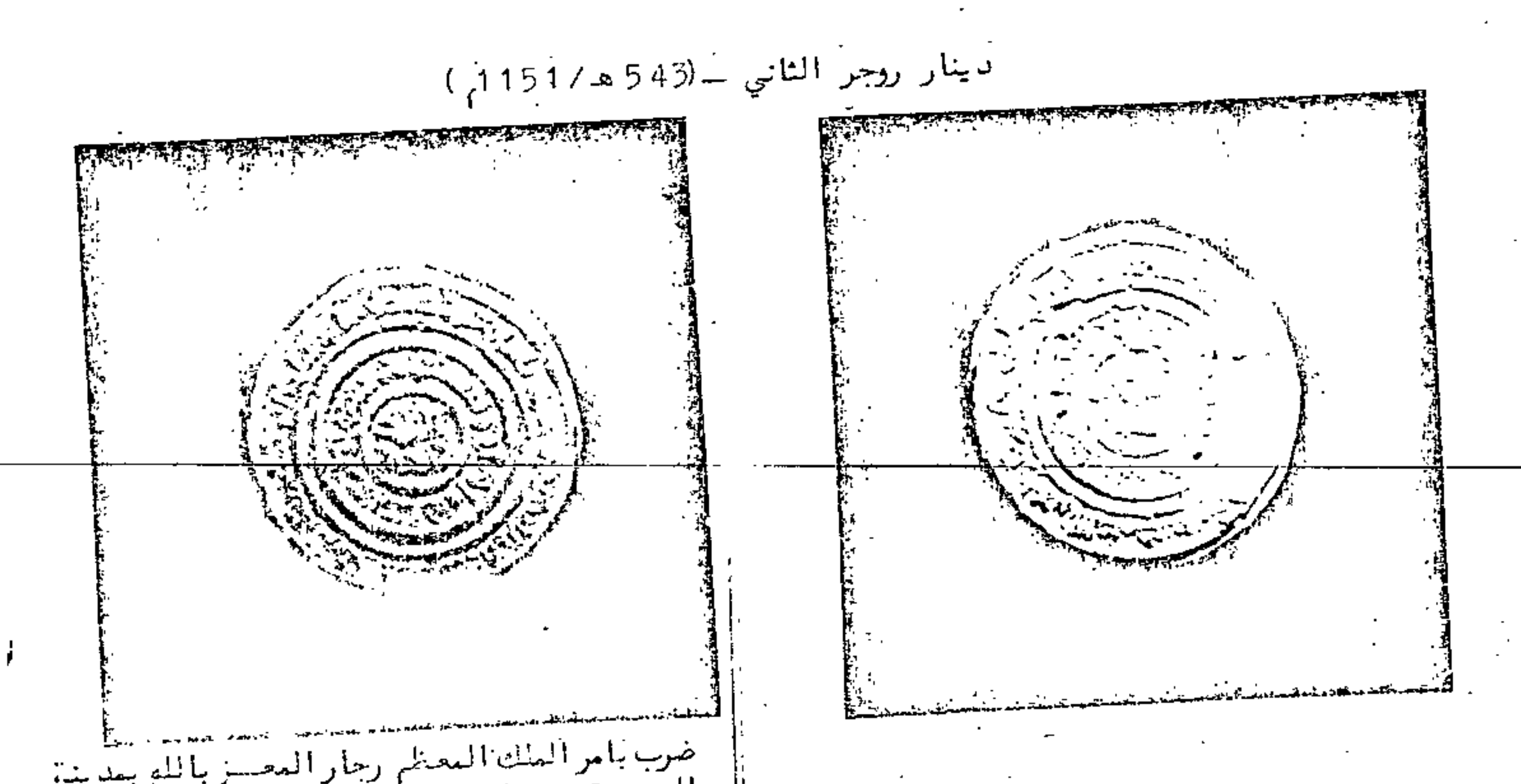
للمؤلف Decarreaux (J.) :

البحر الأسود
نهر الدانوب
بلغراد
نهر ساف
غابة الصرب
بارستريم
جبال البلقان
نيش
صوفية
فيليبوبوليس
أدرنة
بلغاريا
البحر الادرياتي
روسة
رودستو
القسطنطينية
سالونيك
دورازو
أوشريد
بودينا
وسترونو
برنديزي
أوترانتو
أفلونا
فيريا
كاستوريا
جبل اولب
يوانينة
لاريسا
كورفو
بوترانت
تريكالا
أرطا
تساليا
طريق بوهمند

خريطة رقم 4 - شبه جزيرة البلقان زمن الحملة الصليبية الاولى
من كتاب تاريخ الحروب الصليبية لرنسيمان

خريطة رقم 5 _ امارة انطاكية
في اقصى اتساعها في حوالي
1118_1119م
من كتاب : Hist. des croi-sades, t. I,
للمؤلف : Grousset (R.)

دينار روجر الثاني – (543هـ/1151م)



ضرب بامر الملك المعظم رجار المعز بالله بمدينة المهدية سنة ثلث اربعين خمسمائة

الحمد لله حق حمده وكما هو اهله ومستحقه – الملك رجار

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع .

أ) المصادر العربية :

ـ ابن الاثير الجزري (عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني ، ت 630 هـ/ 1233م) :

* التاريخ الباهر ، القاهرة 1963م .
* الكامل في التاريخ ، الجزء الثامن والتاسع ، بيروت 1983م .
* وفي المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857م .

ـ الادريسي (ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، ت 560 هـ/ 1165م) :

* نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857م

ـ أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة ابو المظفر بن مرشد الكناني الشيزري ، ت584 هـ/ 1189م) :

* كتاب الاعتبار ، حققه وحرره فيليب حتي ، برنستون 1930م .

ـ الاصفهاني (عماد الدين ابو عبد الله محمد بن حامد ، ت

* خريدة القصر وجريدة العصر ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857م .

ـ الباجي المسعودي (ابو عبد الله محمد ، ت 1297 هـ/ 1879ـ1880م) :

* الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، تونس 1283 هـ/ 1866م

ـ البيذق (ابو بكر الصنهاجي ، ت حوالي 555هـ/ 1160م) :

* أخبار المهدي بن تومرت ، حققه عبد الحميد حاجيات ، ش.و.ن .ت ، الجزائر 1974م .

ـ التيجاني (ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد ، ت 869هـ/ 1464م) :

* رحلته ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، تونس 1958م .
* وفي المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857م .

ـ ابن جبير الكناني (ابو الحسن محمد بن احمد ، ت 614 هـ/ 1217م) :

* رحلته ، مصر 1937م .

ـ ابن الجوزي (شمس الدين ابو المظفر يوسف قزا وغلى التركي الهبيري المعروف بسبط بن الجوزي ، ت 654 هـ/ 1257م) :

* مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، في: R.H.O., t. III باريس 1884م .

ـــ ابن حمديس (عبد الجبار ، ت 527 هـ / 1133 م) :

* ديوانه ، حققه وصححه الدكتور احسان عباس ، بيروت 1960 م .

ـــ ابن حوقل النصيبي (ابو القاسم محمد ، ت بعد 367 هـ / 977م) :

* كتاب المسالك والممالك ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 م .

ـــ ابن خرداذبة (ابو القاسم عبيد الله قاسم بن عبد الله ، ت 272 هـ / 885م) :

* كتاب المسالك والممالك ، في المكتبة الجغرافية العربية .B.G.A الجزء السادس ، ليدن 1967 م .

ـــ ابن خلدون (ابوزيد عبد الرحمن) ، ت 808 هـ / 1406 م) :

* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت 1979 م .

* وفي المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 م .

ـــ ابن خلكان (شمس الدين احمد بن ابراهيم الشافعي ، ت 681 هـ / 1281م) :

* وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبســـــك 1857 م .

ـــ ابن ابي دينار (محمد ابي القاسم ، من علماء القرن 12 هـ) :

* المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبســــك 1857 م .

ـــ ابن ابي زرع الفاسي ، ت بعد 724 هـ / 1324 م) :

* الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس : في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 م .

ـــ ابن رسته (ابوعلي احمد بن عمر ، ت بعد 290 هـ / 903 م) :

* الاعلاق النفيسة ، في المكتبة الجغرافية .B.G.A الجزء السابـــع ليدن 1967 م .

ـــ ابن سعيد الاندلسي (علي بن موسى ، ت 673 هـ / 1275 م) :

* كتاب البدء ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 م .

ـــ ابو شامة (عبد الرحمن اسماعيل ، ت 665 هـ / 1267 م) :

* كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، الجزء الخامس والسادس في .R. H. O ، باريس 1898 م .

ـــ الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك ، ت 764 هـ / 1362 م) :

* الوافي بالوفيات ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 م .

ـــ ابن العبري (ابو الفرج غريغوريوس الملطي ، ت 685 هـ / 1286 ـــ 1287م) :

* تاريخ مختصر الدول ، بيروت 1958 م .

ـ ابن العديم (كمال الدين ابو حفص الحلبي، ت 660 هـ/ 1261ـ1262م):

* زبدة الحلب في تاريخ حلب، الجزء الثاني، حققه سامي الدهان، دمشق 1954م.

ـ ابن عذاري (ابو عبد الله محمد المراكشي، من علماء القرن 7 هـ/ 13م):

* البيان المغرب في أخبار المغرب، الجزء الثاني، تحقيق ج. س. كولان، وليفي بروفانسال.

* وفي المكتبة العربية الصقلية، ليبسك 1857م.

ـ ابو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد صاحب حماه، ت 732 هـ/ 1331م):

* المختصر في أخبار البشر في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك 1857م.

* تقويم البلدان، صححه وطبعه رينود والبارون ديسلان، باريس 1840م.

ـ ابن فضلان (احمد بن العباس بن راشد بن حماد، عاش في القرن 4 هـ/ 10م):

* رحلته، تحقيق سامي الدهان، دمشق 1959م.

ـ ابن القلانسي (ابو يعلى حمزة بن اسد، ت 555 هـ/ 1160م):

* ذيل تاريخ دمشق، بيروت 1908م.

ـ القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي، ت 821 هـ/ 1418م):

* صبح الاعشى في صناعة الانشا، الجزء الخامس والسادس، القاهرة 1922م.

ـ ابن القوطية (محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم الاندلسي ابو بكر، ت 367 هـ/ 977م):

* تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق وتعليق عبد الله انيس الطباع، بيروت 1958م.

ـ لمجهول (عاش في اواخر القرن 6 هـ/ 12م):

* الاستبصار في عجائب الامصار، نشره M. Alfred de Kremer : فيينا 1852م.

ـ لمجهول (عاش في القرن 11 م):

* اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، القاهرة 1958م

ـ ابو المحاسن (جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي، ت 874 هـ/ 1469م):

* النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، الجزء الخامس.

ـ القزويني : (زكرياء بن محمد ، ت 682هـ / 1283 م) :

* كتاب آثار البلاد وأخبار البلاد ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 م .

ـ المسعودي (ابوالحسن علي بن الحسين بن علي ، ت 346 هـ / 957 ـ 958م) :

* التنبيه والاشراف ، في المكتبة الجغرافية .B. G. A الجزء الخامس ليدن 1967 م .

ـ المقري (ابوالعباس ، ت 1041 هـ / 1631 م ـ 1632 م) :

* نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وفي أخبار شاعرها لسان الدين بن الخطيب ، الجزء الأول ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت 1949 م .

ـ ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن جلب ، ت 677 هـ / 1278 م) :

* اخبار مصر في R. H. O, t. III ، باريس 1884 م .

ـ النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن ، ت 732 هـ / 1332 م) :

* نهاية الارب في فنون الادب ، في المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 م .

ـ ياقوت (الحموي ، ت 626 هـ / 1229 م) :

* معجم البلدان ، طهران 1965 م .

ـ اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، ت 284 هـ / 897 ـ 898 م) :

* كتاب البلدان ، في المكتبة الجغرافية .B. G. A الجزء السابع ، ليدن 1967 م .

(ب) المصادر الاجنبيـــة :

ABBON : De bello parasiaco traduit par Guizot François Pierre Guillaume), dans collection de memoire relatifs à l'his toire de France depuis la fondation de la monarchie française jusqu'au 13e siècle, Paris 1924.

AIME du Mont Cassin : Ystoire de li Normant, dans :

- DELARC (O) : St Grégoire VII et la reforme de l'Eglise au XIè siècle, Paris 1889.
- Chalondon (F) : Histoire de la domination Normande en Italie et en Sicile, Paris 1907.
- De Laprimandaie : Arabes et Normands en Sicile et en Italie du Sud, Paris 1868.

ALBERT D'AIX : Historia Hierosolymitana, traduit par Guizot (F.P.G), in collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris 1824.

ANNA COMMENA : Alexiad, dans recueil des historiens des croisades (Hist. Grecques), T. I Paris 1875 et dans Delarc : St Grégoire VII et la reforme de l'eglise au XIe siècle Paris 1889.

جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى : بيروت 1981 .

Ghronique du Mont Cassin: traduit par Joseph Calmette dans Textes et Documents, Moyen-Age T. II, Paris 1953.

CINNAMUS John : Epitome Historiarum, dans R.H.C (Hist Grecque), t. I, Paris 1875.

DUDON : de Saint Quentin : Historia Normannorum, traduit par Joseph Calmette, dans Textes et Documents, Moyen-Age, t. II, Paris 1953.

FALCOND de BENEVENT : Chronicon de Rebus Actate sua Gestis, dans Migne, Patrologie latine, t.173, Paris 1857.

FOULCHER de CHARTRES : Gesta Francorum Jherusalem perigrinantium traduit par Guizot (F.P.G) dans collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris, 1824.

GREGOIRE le PRETRE : Chronique, dans Recueil des Historiens de s croisades (Hist . Armeniens), t.I paris 1869.

GREGOIRE VII (Saint) : Registrum Epistolarum, dans Delarc: St Grégoire VII, PARIS 1889

GUILLAUME de JUMIECHE : Historia Normannorum, traduit par Guizot dans collections des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris 1826.

GUILLAUME de POITIER : Vie de Guillaume le Conquérant, traduit par Guizot, dans collection des memoires relatifs à l'hisoire de France , Paris 1826

- GUILLAUME de POUILLE : Gesta Roberti Wiscardi, dans Recueil des historiens de Gaule, Paris, 1876, t. 11; dans Delarc :St.Grégoire VII et la reforme de l'Eglise au XIe Siécle, Paris, 1889.

- GUILLAUME de Tyr : Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, traduit par Guizot dans Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, t. I, II, III, Paris 1824.

- MALATERRA GEOFFROI : Histria Sicula, dans Muratori (L. A.), Rérum Italicarum Scriptore, t. V, 1ére Partie (Décembre 1925 Mai 1928).

- MATTHEW d'EDESSE : Chronique, dans R.H.C. (Hist. Arméniens), t. I,Paris 1869.

- MICHEL le SYRIEN : La Chronique de Michel le Syrien, dans R.H.C. (Hist. - Armeniens), t. I, Paris, 1869.

- MURATORI (L.A.) : R.J.S., t. III, 1ére partie, liber de vita christi omnium pontificum (commence 1909 achevé en 1935).

- NICETAS CHONIATES : Historia, dans Migne : Patrologie Grecque, t. 139, Paris, 1894; et aussi dans R.H.C.(Hist. Grecques), t. I, Paris, 1875.

- ODON de DEUIL : De profectione Ludovici VII, traduit par Guizot, dans collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris, 1825.

- ORDERIC VITAL : Historia ecclesiastica, traduit par Guizot, dans collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, t. II, III, IV, Paris, 1825, 1826, 1827.

- RAOUL de CAEN : Gesta Tancredi Siciline regis expeditione hierosolymitana, traduction Guizot, in collection des mémoires relatifs à l'histoire de France, Paris, 1825.

- ROBERT le MOINE : Historia Hierosolymitana, traduction Guizot, dans collection des mémoires relatifs à l'histoire de France Paris, 1825.

- ROMUALDI SALERNITANI : Chronicon sive annales, dans Muratori (L.A.) R.J.S., T. VII, 1ére partie commencé en 1913 achevé en 1932.

- SAMUEL D'ANI : Chronologie, dans R.H.C. (Hist. Armeniens), t. I; Paris 1869.

ج) المراجع العربية :

- احسان عباس : العرب في صقلية ، القاهرة 1959 .

- اماري (ميخائيل) : المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك 1857 .

- الباز العريني : * الدولة البيزنطية (323 - 1081م) ، بيروت 1982 .

* تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، بيروت 1963 .

- حاطوم (نور الدين) : تاريخ العصر الوسيط في اوربا ، دار الفكر الحديث ، لبنان

- حبشي (حسن) : الحرب الصليبية الاولى ، القاهرة 1958 .

- حسن (ابراهيم حسن) : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد المغرب القاهرة 1958 .

- حسني (حسني عبد الوهاب) : * ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، القسم الثاني .

* خلاصة تاريخ تونس ، تونس 1953 .

- رنسمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، جزءان ، نقله الى العربية الدكتور السيد الباز العريني ، بيروت 1981 .

- زيتون (عادل) : العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، دمشق 1980 .

- سرهنك (اسماعيل) : من حقائق الاخبار عن دول البحار ، الجزء الاول ، القاهرة 1312هـ/1894م .

- عاشور (سعيد عبد الفتاح) : * تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، بيروت 1972 .

* الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة 1963 .

- عبد القادر (احمد اليوسف) : العصور الوسطى الاوربية ، الجزء الثاني ، بيروت 1966 .

- عمران (محمود سعيد) : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، بيروت 1981 .

- غانم (حامد زيان) : تاريخ الحضارة الاسلامية في صقلية واثرها على اوربا ، القاهرة 1977 .

- فشر (ه. ا. ل) : تاريخ اوربا العصور الوسطى ، القسم الاول ، ترجمة مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، دار المعارف ، مصر 1950 .

- ماجد (عبد المنعم) : العلاقات بين الشرق والغرب ، بيروت 1966 .

- المدني (احمد توفيق) : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، تونس 1384هـ / 1965م .

- مرسي الشيخ (محمد محمد) : الممالك الجرمانية في اوربا العصور الوسطى ، الاسكندرية 1975 .

- موريتو (مارتينو ماريو) : المسلمون في صقلية ، بيروت 1967 .

- نسيم (يوسف جوزيف) : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى ، الاسكندرية 1991 .

د) المراجع الاجنبيـــــة :

ABDULWAHAB (H-H) : Deux dinars Normands de Mahdia Extrait de la revue Tunisienne 3° et 4° Trimestre 1930. Tunis 1930.

AMANN (E) : Dictionnaire de théologie catholique Paris 1931.

AMARI : (Michel : Storia dei musulmani di Sicilia, vol. Terzo, parte seconda catania 1938.

ANDRIEUX (Maurice) : L a Sicile carrefour des mondes et des empires Paris 1965.

ARQUILLIERE (H.X) : La reforme Grégoriènne, t.2 Paris 1925.

BALAR (M) : GENET (J.Ph.); rouche (M) : des barbares à la renaissance Paris 1981.

BAZANCOURT (Le Baron de) : Histoire de la Sicile sous la domination des normands depuis la conquête de l'île jusqu'à l'établissement de la monarchie, t. I Paris 1946.

BERNHART (Joseph) : Le Vatican, trone du monde, Paris 1930,

BREHIER (Louis) : * l'Eglise de l'Orient au Moyen-Age, Paris 1907.
* Vie et mort de B yzance, Paris 1969.

BRUNSCHVIC (Robert) : La berberie Orientale sous les hafsides des origines à la fin du 15ème siècle, t.I Paris 1940.

CAHEN (Claude) : La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche Paris 1940.

CHALONDON (Ferdinand) : *Histoire de la domination Normande en Italie et en Sicile t. I, II, Paris 1907.
*Essai sur le regne d'Alexis 1er comnene 1081 - 1118), Paris 1912.
*Histoire de la 1ère croisade jusqu'à l'Election de Godefrei de Bouillon, Paris 1925.

CORNEVIN : (Robert) : Histoire de l'Afrique des origines au XVIe siècle , t.I, Paris 1967.

DECARREAUX (J) : Normand Papes et Moines cinquante ans de conquête et de politique religieuse en Italie Meridionale et en Sicile Paris 1974.

DELARC (O.) : *Saint Grégoire VII et la réforme de l'église au XIe siècle, t.I - II, III Paris 1889.
*Les Normands en Italie depuis les premières invasions jusqu'à l'avenement de Saint Grégoire VII paris 1883.

DEPPUIG (G.B) : Histoire des expiditions maritimes des Normands et de leur établissement en France au dixième siècle, T.I Paris 1826.

- DEVAILLY (GUI):L' occident du Xe Siecle au milieu du XIIIe Siecle Paris
Paris.
- DIEHL(Charles): Histoire de L' empire byzantin, Paris, 1934.
-DOZY(R): Recherches sur L'histoire et la litterature de L'ESPAGNE
pendant le Moyen-Age, t.II, Paris, 1881.
- DUCHENE(L): Les 1er temps de L'etat pontifical, Paris,1911.
-FLICHE(AUGUSTIN): La reforme gregorienne, t.I,II, Paris, 1924- 1925.
- FLICHE(AUGUSTIN),MARTIN(VICTOR): Histoire de L'Eglise depuis les origines
jusqu'a nos jours,t.VII,VIII,IX, HAUTE MARNE, 1940.
- FOLZ(R) ANDRE GUILLOU, MUSSET(L) SOURDEL (D): De L'antiquité au monde
medieval, Paris, 1972.
-GAUTIER(d'ARC):Histoire des conquetes des normants en Italie, en Sicile,
et enGrece, Paris, 1830.
-GAY(J): L'ITALie meridionale et L'empire byzantin depuis l'avenement
de Bazile 1er jusqu'à la prise de Bari par les Normants
(867-1071),Paris 1904.
*Les Papes du 11è Siecle et la chretienté,Paris, 1926.
GAYET(LACOUR): Histoire du commerce, t,II, Paris,1950.
-GOLVIN(L):Le Magrib central à l'Epoque des Zirides, Paris,1957.
- GRIMBERG(CARL): Histoire universelle au cour du M.Age, traduction
Henry Fagne, Verrier, Belgique, 1983.
- GROSSET(RENé): Histoire des Croisades et du Royaume franc de Jerusalem
t.I,II,Paris, 1935.
- GUITRANCOURT(P.A.):Histoire de l'empire Normant et de sa civilisation
Paris, 1952.
- GUIZOT(M):* L'Histoire d'Angleterre,t.I,Paris,1877.
* L'Histoire de France, t.I, Paris, 1875.
- HA DY(I.R.):La Berberie orientale sous les Zirides X-XIIe Siecle,t,I,
Paris,1962.
-HAGENMEYER(H): Le vrai et le faux sur Pierre l'ermite Paris,1883.
-HALPHEN(L):* L'ESSOR DE l' europe,XIe-XIIIe Siecles, Paris, 1932.
*Les Barbares, des grandes invasions aux conquetes Turques
du XIe Siecle, Paris,1936.
- HAYWARD(F): Histoire des papes Paris, 1953.
-HEERS(Jacques): Precis d'histoire du Moyen- Age,Paris, 1968.
-HEFELE(CH.JOSEPHE): Histoire des conciles,t.IV,2éme partie,tV,1érepartie,
Paris, 1911- 1912.
- HEYD(W): Histoire du commerce du levant au M.Age tI ,Leipzig , 1885.
-HUILLARD BREHOLLES: Recherches sur les monuments et l'histoire des
normants et de la maison des souabes dans l'Italie du
sud , Paris, 1844.

- JEANNIN : (Pierre) : Histoire des pays Scandinaves, Paris, 1965.
- JORDAN (Edouard) : * Histoire du M.-Age : l'Allemagne et l'Italie aux 12è et 13e Siècles, t. IV, Paris, 1939.
* La plitique éclesiatique de Roger 1er et les origines de la légation Sicilienne dans le Moyen-Age, Paris 1923.
- LANDONGNA (France) : Histoire de l'Italie, traduction de Imbert Jean, Fayard, 1962.
- LAPRIMANDAIE (De) : Arabes et Normands en Sicile et en Italie du Sud, Paris, 1868.
- LATOUCHE (Robert) : Les Gdes invasions et la crise de l'Occident au 5e Siècle, Grenoble, 1946.
- LAVISSE (E.) RAMBAUD (A.) : Histoire générale du 4è Siècle à nos jours, t. I, II, Paris 1893.
- LAVISSE (E.) : Histoire de France depuis les origines jusqu'à la révolution, T. II, 1ère partie, 1902.
- LEIB (Bernard) : Rome Kiev et Byzance à la fin du XIe Siècle, Paris, 1924.
- LEO et BOTTA : Histoire d'Italie depuis les les 1er temps jusqu'à nos jours, t.I, Paris, 1844.
LIGNY LE BERT : l'Occident médieval (la Belgique et l'Europe), Paris, Bruxelles , 1948.
- LOT (Ferdinand): * Histoire du M.-Age, les destinées de l'empire en Occident de 760 à 888, t. I, 2ème partie, Paris, 1941.
* Naissance de la France, Paris,1948.
- MARCAIS (G.) : Mannuel d'art musulman , t.I, Paris, 1936.
- MAS LATRIE (Le Baron de) : * Traités de paix et de commerce, Paris, 1866.
* Les éléments de la diplomatie pontificale, Paris, 1886.
- MAWER (Allen) : The Vikings In Cambridge Medieval History-Vol III, Cambridge, 1964.
- MERCIER (E.) : Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), t.II, Paris, 1888.
- MICHAUD : Histoire des croisades, t. I, Paris, 1854.
- MORGHEN (Raffaello) : L'unita monarchica nell Italia meridionale dans nueve questioni di storia medieval, Milano, 1964.
- MOURRET (Ferdnand) : La chretienté, Paris, 1920.
- MUSSET (Lucien) : * Les peuples Scandinaves au M.-Age, Paris, 1951.
* Les invasions : Les vagues Germaniques, Paris, 1965.

- MUSSET (Lucien): Les invasions: Le second assaut contre l'Europe Chretienne VIIe-XIe Siècles, Paris, I965.

- OSTROGORSKY (Georges): Histoire de l'Etat byzantin, traduction française de J. Gouillard, Paris, I977.

- PEVIN (E. Ch.): L'Allemagne, l'Italie et la papauté de 1125 à 1250, Paris.

- POULET (Ch. D.): Histoire du christianisme au Moyen Age, t. II, Paris, I934.

- SAVELLI: Histoire d'Italie de l'empire Romain jusqu'à nos jours, adaptation française par Fernand Hayward et Albert Falcionelli, Paris, I936.

- SCHLUMBERGER (G.): * Les principauté franques du Levant, Paris, I877.

* Rênaud de Chatillon, Paris, I898.

* Deux chefs Normands des armées Byzantines au XIe Siècle dans la Revue Historique, t. I6 Mai-Aout I881, Paris, I881.

- VASILIEV (A. A.): Histoire de l'empire Byzantin, traduit du Russe par Brodin (P.), et Bourguina (A.), t. II, Paris, I932.

- YEWDALE (R. B.): Bohemond I prince of Antioch, Princeton university press, I924.

دوائر المعارف :

أ ـ العربية:

+ دائرة المعارف الاسلامية : نقلها الى العربية : احمد الشنتناوي وغيره . مقال الاغالبة ، بونة ، الزيريين والسلاجقة .

ب ـ الأجنبية:

- * Encyclopedie de l'Islam : -t. 2, par Lewis (B) et suivants, leiden-Paris, 1965.

-t. 4, par E. Van Donzel et suivants, Leiden-Paris, 1978.
Articles Djidjeli et Gabès.

* Grande Encyclopedie : sous la Direction de Berthelot (A.) et suivants, Paris.

فهرس الاعلام

فهرس الاعـــــلام

— م —

— ن —

— و —

— ي —

فهرس البلدان والأماكن

ـ ق ـ

— ك —

— ل —

— ي —

ملخص الرسالة [illegible]

RESUME DE THESE

"LES RELATIONS ETRANGERES DE L'ETAT NORMAND
AU SUD DE L'ITALIE ET EN SICILE
ENTRE 1017 ET 1154"

La naissance du Royaume Normand en Sicile au Sud de l'Italie constitue au 11° S. un fait d'une importance primordiale dans l'histoire de l'Europe médiévale. Importance due à l'évolution politique, militaire et civilisationnelle qu'il a suscitée en Europe tant à l'Orient qu'à l'Occident, ainsi que sur le terrain islamique tant à l'Orient qu'à l'Occident méditerranéen.

L'on peut dire que la naissance de ce royaume normand fut en fait comme la conséquence indirecte des incursions des vikings - ou normands - qui, vers la fin du 8° S., ont pris leur départ de la presqu'île scandinave. Le mérite, incontestablement, en revient à la famille de Hauteville, une des circonscriptions normandes de France. Ce royaume naquit donc comme conséquence logique de la guerre victorieuse menée durant près d'un siècle contre les différentes forces politiques en présence au sud de l'Italie, en Sicile et aussi, plus précisément, contre les entités byzantine, romaine, islamique et lombardienne.

Cette famille de Hauteville, hardie et entreprenante, n'a pas tardé à transformer sa puissance pour en faire un des Etats les plus puissants de la période médievale aussi bien en Orient qu'en Occident. Il suffit de jeter un coup d'oeil sur les réalisations étonnantes qui ont été faites dans les secteurs aussi vitaux que le sont la politique et la force militaire sans compter l'activité considérable que le royaume a déployée dans les domaines de l'agriculture et du commerce. Ce qui n'a pas peu contribué, de l'avis de Ac-Charif El Idrissi, auteur de "Promenade du nostalgique", à amener la partie occidentale de la Méditerranée à opérer une véritable révolution économique.

Il est certain que la politique étrangère telle qu'elle fut conçue est un aspect, non des moindres, qui a cristalisé tous les efforts des chefs nomands en Sicile et au Sud de l'Italie. La raison en est l'importance décisive accordée par cet Etat à la valeur et la force militaire, à la force de volonté, à la passion de l'aventure, au désire d'expansion qui les ont caractérisés, autant de qualités qu'ils ont héritées de leurs ancêtres les vikings.

Ces chefs normands ont basé toute leur politique étrangère sur une volonté expansionniste audacieuse et sur la volonté de destabilisation de leurs voisins, ce qui a marqué leur activité au coin d'une entreprise militaire évidente. Autant de facteurs qui ont contribué à faire

de la partie orientale et occidentale de la Méditerranée un foyer de troubles et d'insécurité profonde. Il a fallu déployer des éfforts immenses pour constituer une flotte, mener des campagnes hardies contre les régions avoisinant la Sicile et le Sud de l'Italie et même des régions lointaines comme les territoires de l'empire byzantin qui furent en butte aux exactions de l'armée normande et durent affronter leur esprit d'entreprise et de décision. Il n'est jusqu'à l'Affrique qui n'ait eu à subir leurs incursions qui eurent pour effet d'amener certaines parties à s'intégrer, durant un laps de temps, à la couronne normande. Cependant qu'une autre catégorie de normands se joignait à la marche des croisades sous la conduite de Bohémond et réussissait à créer une principauté florissante à Antioche qui a joué un rôle déterminant dans la guerre qui a opposé l'islam aux croisés en Orient. Les Etats Pontificaux eux-mêmes ne seront pas à l'abri des provocations de ce jeune Etat et durent durant un long temps souffrir terriblement des normands et ce malgré le pacte d'alliance signé entre eux et la papauté.

Cette politique extérieure qui a suscité ce mouvement d'expansion colonialiste ne fut pas sans provoquer l'apparition d'un mouvement de blocs et d'alliances entre les grandes puissances européennes telles que l'empire byzantin, l'empire romain sacré, certaines républiques italiennes ainsi que la papauté dans le souci de faire face au danger que constituait cette jeune royauté et d'en briser l'élan provocateur.

Quoi qu'il en soit de ces relations extérieures il faut considérer cet Etat normand comme étant un phénomène caractéristique du Moyen-Age qui doit son apparition au désir de créer un immense empire dont la capital serait palerme, en Sicile et aurait pour axe central la Méditérranée, berceau des antiques civilisations prestigieuses.

Ma thèse sur "les relations étrangères de l'Etat Normand au Sud de l'Italie en Sicile entre 1017 et 1154", m'a amené à la mise au point d'un plan qui comporte une introduction, cinq chapîtres et une conclusion.

Le chapître premier, intitulé "Structures pour la création d'un Etat Normand au Sud de l'Italie et en Sicile", traite des incursions des vikings qui sont partis de la presqu'île scandinave pour se porter vers les différents pays de l'Europe aussi bien en Orient qu'en Occident. Elles constituent la matrice du mouvement expansionniste et un facteur de premier plan qui eut des conséquences économiques et politiques considérables au niveau de l'Europe. Qu'il nous suffise de citer la création de royaumes normands en Russie, en Grande Bretagne, en France. Ce qui a contribué assurément à l'édification de la civilisation européenne médiévale. On y traite aussi dans ce chapître, avec force détails, de la création de l'Etat Normand au Sud de l'Italie et en Sicile. Elle a été à l'origine des relations qui constituent le noyau central de

cette étude. nous avons mis en relief le rôle qu'à joué la famille de Hauteville dans l'organisation des affaires de ce jeune Etat et les initiatives qu'elle a prises pour en assurer le progrés et l'épanouissement. A elle revient, en effet, en tout premier lieu, le grand mérite et la gloire.

Le chapître deuxième intitulé "Les Normands et Papauté" se concentre sur les diverses formes qu'ont prises les relations établies entre la papauté et les princes normands, marquées essentiellement par la lutte entre les deux pouvoirs temporels et spirituels. Les feux sont projetés sur ces relations qui ont été faites tour de bonne entente et de violents affrontements. C'est là qu'apparaît l'intérêt passionné des deux parties qui a eu un grand impact sur les variations qui ont marqué ces relations et l'aspiration de la papauté àt imposer son autorité aux princes normands d'Italie ne reculant devant aucun moyen en son pouvoir pour atteindre son but.

Le troisième chapitre intitulé "les Normands et Byzance" parle de l'expansionnisme normand au-delà de la mer Adriatique. On y ouvre une page grandiose de l'histoire de l'Etat Normand au Sud de l'Italie. Cet Etat a réalisé en fait une véritable expansion, fût-elle de courte durée, aux dépens de l'Empire byzantin qui était assurément, au Moyen-Age, cette entité politique la plus importante de toute. On y découvre tous les efforts qu'ont consentis les normands pour arriver à bout de l'empire byzantin et dont l'instigateur fut Roussel Bailleul. La relation entre les deux chefs BOHEMOND et l'impreur de Byzance, Alexi us constitue une part importante de ce chapître. Effort qui fut poursuivi par le chef normand Robert Guiscard. Il est évident que cette partie est assez fondamentale dans la mesure où elle met en relief les relations entre normands et byzantins qui ont engendré la terreur et la désorganisation dans le corps de l'empire, suite aux aspirations inconsidérées de BOHEMOND face à l'ennemi retors byzantin. Dans ces relations entre normands et byzantins, on a été amené à traiter plus en détail de la Syrie musulmane. On y voit tous les efforts déployés par la famille de Hauteville pour jeter les bases d'une entité normande, en Syrie, indépendante de la couronne byzantine, ainsi que toutes machinations que Byzance dut imaginer pour contrer ce projet, fort de son droit de tutelle sur les princes arabes de Syrie.

Le quatrième chapître qui a pour titre " Les Normands et les rapports de force politiques au Moyen-Orient Musulman", traite des intiatives militaires entreprises par la famille de Hauteville tant en Asie Mineure qu'en Syrie, dans le cadre des croisades. C'est là qu'apparaît en toute évidence le rôle qu'à joué cette famille dans la lutte à mort engagée entre musulmans et croisés et toutes les initiatives prises pour exploiter la vague des croisades en vue de concrétiser ses rêves d'hégémonie en Syrie. On y décèle cette volonté décidée à instaurer une principauté qui lui soit toute dévouée en plein coeur de

l'océan islamique. On y décèle parallèlement à cela, toute l'influence dont jouit le monde arabo - musulman en Orient. Mais aussi toute la responsabilité que portent ces princes arabes qui ont aidé les croisés en général et les normands en particulier à atteindre leurs objectifs. Dans cette confrontation militaire, la coopération des normands constitue une page grandiose dans l'histoire de ce peuple qui a acquis des avantages considérables à l'extérieur, loin de ses terres.

Le cinquième chapître qui a pour titre " Les Normands et les Zirides au Maghreb Musulman" traite d'une façon assez exhaustive des aspirations des normands à aller en Afrique qui était à leurs yeux une extension naturelle de leur royaume. Cette expansion manifeste un des aspects assez éloquent de l'expansion normande qui s'est faite au dépens de leurs voisins dans toute la région. Aussi bien y trouve-t-on une étude détaillée des campagnes militaires entreprise par les normands à partir de la Sicile en Afrique et qui se sont soldées par le rattachement de quelques unes de ses villes importantes telles que Djedjeli Tripoli, Mahdiyya, à la couronne du roi normand RogerII. On y notera le degré de faiblesse au double plan économique et politique qu'avait atteint la puissance des Zirides et le degré de responsabilité qu'elle assume dans sa défaite face à la marche fulgurante des normands. On ne sera pas peu étonné de voir quel rôle a joué le roi Roger II en pratiquant une politique pleine de sagesse qui explique le fait étonnant d'une certaine durée dans le temps de cet empire en terre africaine. On y saisira aussi la vive perception qu'ont eu les normands de l'importance stratégique de l'Afrique et de son rôle de premier plan qu'elle aura à jouer dans la vitalité de cette royauté et le développement économique et politique qu'elle a connu.

On s'est appliqué, en conclusion, à tirer les conséquences qui s'imposent en égard à leur impact sur l'histoire de l'Europe, sur le monde islamique en Orient et sur la Méditérranée. On a été amené à parler, en premier lieu, du rôle primordial qu'ont joué les campagnes des vikings dans le déroulement des faits et qui sont d'une portée décisive dans la constitution de l'Europe médiévale. Malgré toutes les catastrophes et les destructions qu'ils ont causées, il faut bien admettre que les vikings ont insufflé une nouvelle vitalité dans tout le corps de cette partie du monde. Ils ont pu de la sorte reconstruire sur les fondements solides toute une civilisation qui porte leur marque propre. Ce qui permet d'affirmer que l'implantation des Normands en Italie du Sud et toutes les réalisations de tout premier plan qu'ils ont faites au plan de la civilisation sont, pour l'Europe, un de leur titre de gloire et ont constitué pour les Normands une source de richesse inférieure considérable indéniable. Ce sont eux qui ont jeté les bases d'une société stable, faite de sécurité, d'harmonie entre peuples de différentes ethnies vivant dans leur royaume, preuve incontestable s'il en fut qui joua en faveur de leur génie, de leur esprit empreint de sagesse, de souplesse qui sont autant de qualités sans lesquelles

ils n'auraient jamais pu atteindre leurs objectifs, à une époque où l'arrogance des croisés et les divisions religieuses avaient atteint leur paroxysme. La papauté, elle aussi, participera de ces qualités. Celle-ci, en effet, ne le cède en rien aux normands dans l'impulsion qu'elle a donné à l'évolution de l'Europe en général et de l'Italie en particulier. La papauté a réussi à mater l'élément normand pour en faire un instrument souple et obéissant au service de ses intérêts propres et le déploiement d'éfforts gigantesques pour veiller à la sauvegarde des frontières. On y notera le rôle temporel qu'a exercé la papauté et qui connaitra son apogée au 13° S. moyennageux.

Que les Normands aient misé avant tout sur la politique extérieure cela tient, en premier lieu, à la nécessité où ils se trouvaient de poursuivre des objectifs stratégiques précis, et aussi, en second lieu, à leur vitalité débordante, à leur esprit chevaleresque et leur passion pour l'aventure qu'ils ont héritée de leurs encêtres, les vikings; conclusions que l'on peut déduire tout naturellement des innombrables campagnes militaires qu'ils ont menées tant dans des régions proches que dans des terres lointaines.

L'attachement viscéral que les normands ont manifesté à l'endroit d'une politique méditerranéenne résolue montre à l'évidence quelle importance majeure revêt cette mer pour la région. Ils ont mené une politique d'expansion en direction de l'Afrique, preuve du rôle stratégique important que détient cette contrée. Roger II s'est employé systématiquement à faire le blocus économiques de l'Afrique. Rôle primordial de l'arme alimentaire dans les périodes de crise. On sait quelles extrémités a atteint cette arme de nos jours. Chemin faisant nous abordons les velleités expansionnistes des croisades auxquelles a dû faire face l'orient musulman, aux 11° et 12° S. Il ne fait aucun doute que les croisés ont manifesté un dessein hardi, une décision étonnate dans leur entreprise expansionniste, ce qui leur a valu d'acquirir bien des avantages dans cette région orientale. L'on doit noter aussi qu'un des facteurs qui les a aidés dans leur tâche fut en premier lieu la division dans les rangs musulmans et leur manque de cohésion. Animés d'une fois superficielle, sans motivation profonde ils ont été amenes à se compromettre avec leur ennemis. D'ailleurs le Maghreb lui même n'a pas été à l'abri de pareilles compromissions. Qu'il suffise de se rappeler quelles furent les luttes intestines qui ont déchiré entre eux les Zirides et les Hammadites, les Almohades et les tributs arabes. Autant de facteurs qui ont poussé les normands à s'immiscer dans leurs affires intérieures et à cueillir bien des avantages au détriments du bien général. Et l'on serait en droit, sans être taxé d'exagération, de comparer cette situation malsaine à la situation dans laquelle se débat aujourd'hui même la communauté musulmane. Ne souffre-t-elle pas, elle aussi, des mêmes maux qu'autrefois et dont la cause est à chercher dans le démantèlement des rangs et leur dispersion, dans le manque d'unité et de cohésion dans la vision des choses

tant au niveau de la pensée que de l'action? Ce qui n'a pas peu contribué à lui assigner une place bien peu enviable sur l'échiquier mondial.

Des annexex ont été joints à cette étude. Elles montrent quel esprit a caractérisé le siècle dans lequel se sont déroulés les évenements dont nous parlons. Ajouter aussi quelques cartes susceptibles d'offrir plus de facilité au lecteurs pour préciser les choses et délimiter les points géographiques qui ont été signalés dans le contexte de notre étude.

Si j'ai quelque souhait à formuler c'est d'avoir peut-être apporté une certaine contribution à l'enrichissement de notre bibliothèque Nationale arabo-musulmane. Celle-ci a tant besoin d'études de cette sorte au niveau de l'histoire européenne.

Je tiens, en terminant, à adresser mes sentiments de profonde gratitude à Mr le Professeur, le Mr MoussaLAKBAL, mon Directeur de [illegible], qui, du début à la fin, a bien voulu suivre de prés les différentes étapes de cette étude. Comme je ne voudrais pas oublier de remercier tous ce dont je suis redevable dans la réalisation de ce bien modeste travail scientifique,

فهـــرس الموضوعـــات

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

أسس قيام دولة النورمان (الفيكنج) بجنوب ايطاليا وصقلية

الفصل الثاني

النورمان والبابوية منذ عهد البابا بندكت الثامن
الى عهد البابا يوجين الثالث
(1017 ـ 1154 م)

الفصل الثالث

النورمـان و بيزنطـــة (1018 ـ 1154 م)

الفصل الرابع

النورمان والقوى السياسية بالمشرق العربي
(491_548 هـ/1097_1154م)

الفصل الخامس

النورمان والزيريون في المغرب الاسلامـــــــــي
(455ـ548 هـ/1063ـ1154م)